كتاب
الأزمنة والأمكنة

تأليف
الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني
المتوفى سنة ٤٢١ هـ

ضبطه وخرج آياته
خليل المنصور



دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحیم

الازمنه و الامکنه

کاتب:

احمد بن محمد مرزوقی اصفهانی

نشرت فی الطباعهٔ:

دار الکتب العلمیهٔ

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الازمنه و الامکنه المجلد ۱

اشاره

سرشناسه : مرزوقی اصفهانی، احمد بن محمد، - ق ۴۲۱

عنوان و نام پدیدآور : ...الازمنه و الامکنه/ تالیف ابی علی احمد بن محمد بن الحسن المرزوقی الاصفهانی؛ ضبطه و خرج آیاته خلیل المنصور

مشخصات نشر : بیروت : دارالکتب العلمیه ، ۱۹۹۶م. = ۱۴۱۷ق. = ۱۳۷۵.

مشخصات ظاهری : ص ۵۶۶

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : کتابنامه بصورت زیرنویس

موضوع : فضا و زمان -- متون قدیمی تا قرن ۱۴

موضوع : زبان -- جنبه های مذهبی -- اسلام

موضوع : هستی شناسی (فلسفه اسلامی)

شناسه افزوده : منصور، خلیل

رده بندی کنگره : BD۶۳۲/م ۴ الف ۴ ۱۳۷۵

شماره کتابشناسی ملی : م ۸۱-۲۳۱۳۴

ص: ۱

اشاره

مقدمه

نضع بين يـدى قرائنا الكرام كتاب الأزمنه و الأمكنه فهو كتاب جامع شامل الموضوعات لها من الأهميه شأن كبير فى معرفه علوم زاد الاهتمـام بها فى الماضـى كثيرا و ما يزال الاهتمام بها فى العصـر الحاضـر يأخـذ مجالا واسـعا لكونها تبحث فى الطبيعه و فى حركه الكواكب و تسـمياتها و قوانينها و هى قاعده انطلاق أساسـيه فى العصـر الحاضر للتعرف على الفضاء و على معرفه جوانب منه ما زالت غامضه و تشغل الكثير من العلماء فى العصر الحاضر و يعتبر الكشف عنها أو البحث فيها يخدم الإنسانيه فهى مترابطه إلى حد بعيد مع بعضـها فالعلوم جميعا تكمل بعضـها البعض فإثبات صـحه تجربه علميه أحيانا و للتأكد من نجاحها يتطلب إجراء اختبارات لها فى الفضاء لهذا فإن أجدادنا العرب فى الماضى اهتموا كثيرا بالعلوم التى كان لها علاقه مباشره بحياتهم فى حلّهم و ترحـالهم و من أهم هـذه العلوم علم الفلـك الـذى كـان له دور كبير و مرتبطـا ارتباطـا وثيقا بهم لمعرفه أحوال الجو و للاهتـداء بالنجوم و الكواكب فى السـير و لمعرفه الزمن و أقسامه، و أدركوا مدى الارتباط بين الزمان و المكان و أهميه هذا الترابط الوثيق بينهما لدرجه أنه لا يمكن لأحدهما أن يكون بدون الآخر.

و قد قسّم الكتاب إلى أبواب و فصول اشـتملت على مضـمون الكتاب حسب تسلسل الحروف الأبجديه و قد بدأها فى ذكر الآى المنهيه من القرآن على نعم اللّه تعـالى على خلقه فى آناء الليل و النهار و فى ذكر أسـماء الزمان و المكان و متى تسـمى ظروفا و معنى قول النحويين الزمـان ظرف الأفعال. المهم أن العناوين تجسـدت فيها روح النصوص و لم تنفصل عن بعضـها البعض فكلها أعطت للكتاب أهميه خاصه فى جعله وحده متكامله مثل أسـماء الشـمس و أسماء القمر و ختمها فى ذكر مشاهير الكواكب التى تسمى الثابته و غيرها المتحركه.

أما المؤلف فقد كان له باع طويل فى رفد العلم بمؤلفاته الفريده فى فنون العلوم فقد

ذکره الذهبی فی سیر أعلام النبلاء ج ۱۷/ ۴۷۵ فقال إمام النحو أبو علی أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقی و ذکره یاقوت الحموی فی معجم الأدباء ۵/ ۳۴، ۳۵ کما ذکره صاحب کتاب انباه الرواه و غیره و قد عاش أبو علی و عمر طویلا فقد قارب التسعین عاما و توفی فی ذی الحجه سنه إحدی و عشرین و أربع مائه و کان له أکبر الأثر فی إتحاف المکتبه العربیه بمؤلفاته العلمیه و الأدبیه.

[مقدمه المصنف]

(الجزء الأول) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الحمد للّه الذى لا تحصى آلاؤه بتحديد، و لا تعد نعماؤه بتعديد، خالق الظّلم و الأنوار بعجائب صنعته، و مالك المدد و الأقدار بغرائب حكمته، فله فى كلّ ما أنشأ و ابتدع، و فى جميع ما أوجب و اخترع، عند تناسخ الأزمنه فى أهاليها و تعاقب الملل و الدّول بين مترفيها، آماد و رتب و آيات و عبر لا يجمع جملها إلّا إدراكه و علمه، و لا ينوّع تفاصيلها إلّا إحصاؤه و حفظه، و إن كان كثير منها يحصله العيان و يصوّره الأذهان من الأفلاك و بروجها، و منازل النّيرين فيها و استمرار مسيرها فى حدى الاستقامه و الرّجعه و البطر، و السّرعه، و تكوير اللّيل على النّهار، و تكوير النّهار على اللّيل و تبدّل رطوبتها و بردها و حرها و يبسها و لينها، و تغيّر أدوار النّجوم فى طلوعها و أفولها، قال اللّه تعالى: فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوارِ الْكُنَّسِ وَ اللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ وَ الصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ [سوره التكوير: الآيات ۱۵- ۱۸] و فى الاختفاء عن بعض الأمصار و ظهورها و تساوى الجميع فى الدّلاله على حكم الآثار، و له الخلق و الأمر، و إليه المرجع و المستقر، تبارك اللّه أحسن الخالقين و صلاته على من اختاره للنّذاره، و تبليغ الرّساله، فصدع بأمره و أدّى حقّ نعمته فى خلقه محمد و آله و أصحابه أجمعين.

أما بعد: فإنّ الإنسان و إن كان ذا لدد و خصام، و جدال فيما يهوى و جذاب بتيقن الحوادث بوجه الثّبت، و يتسبّب إلى الازدياد، بحب التّوسع فيرى جلائل الأقدار كأنّها تواريه أو تلاعبه، و يحسب غوائل الأخطار كأنّها تساوفه أو تسابقه، ترشح بما رشح له عناصره عند الاختبار، و تجليه لما هيئ له مكاسره لدى الاعتبار، فهم فيما يتردّدون فيه طلعه خباءه، و عن صفايا غنائمهم غفله نومه لا يردون مستنكرا، و لا يجدون عند الزّله مستمسكا، نجدهم على تفاوت من أجسامهم، و أقدارهم، و مناشئهم، و مدارجهم، و أسماحهم، و إيابهم، و مآخذهم فى استقراء مآربهم، و فى أداتهم، و لغاتهم، و صورهم و هيآتهم و اقتراحاتهم و شهواتهم و أقواتهم، و مطاعمهم و حرفهم و مكاسبهم، و تباين ألسنتهم و ألوانهم، و على تنافس بينهم شديد، و تحاسد فى خلال أحوالهم عجيب، و تضاغن يلوح من مستكن سرائرهم، و تباغض يبوح به تدانى جوارهم.

قد جبلوا على ما إليه سيقوا، و خلقوا لما عليه أدبروا، متوافقين فى الانجذاب إلى مدى من حب الوطن و السّكن، و الصّبر على مرارى الزّمن، و الاستظهار فى تخليد الذّكر باتّخاذ المصانع المؤبّده، و المبانى المشيّده، كالخورنق، و الحضر، و الأبق الفرد، و غمدان، و المشقر، و الهرمين، و منف، و هو مسكن فرعون و تدمر و الشّعراء ذكروها فى ذلك قوله:

اشرب هنيئا عليك التّاج مرتفعافى رأس غمدان دار أمنك محلالا

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فما ذا بعد أبوالا

و قول الآخر: شعرا:

ما ذا أؤمّل بعد آل محرّق تركوا منازلهم و بعد إياد

أهل الخورنق و السّدير و بارق و القصر ذى الشّرفات من سنداد

أرض تخيّرها الطّيب مقيلهاكعب بن مامه و ابن أمّ داود

و قول الآخر شعرا:

و أخو الحضر إذ بناه و إذدجله نحيى إليه و الخابور

شاده مرمرا و جلّله كلسافللطّير فى ذراه و كور

و قول النابغه:

و خيّس الجنّ إنّى قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصّفائح و العمد

و كإيوان كسرى أنوشيروان، و هى من الأبنيه القديمه و التّهالك فى مناصب القرون الخاليه، و الأرزاء بمناصبهم و طلب التقدّم عليهم فيما حمدوا فيه و إن كان كلّ منهم يذمّ زمانه و يحمد زمان غيره حتى روى قول لبيد شعرا:

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم و بقيت فى خلف كجلد الأجرب

و من قول عائشه رضى اللّه عنها فيه ما روى:

و سار متى قصروا عنه ذمّواو إن ما هم استأنسوا فيه ملّوا

لا جرم أنهم ابترموا مما اختبر لهم فيجمعوا أيديهم عليه مؤثرين لقبوله، و مقتنعين بحصوله كمن اطّلع على ما أبدله فى القسم

فاغتنمه، و أوذن بما أعدله عند السّوم فاختصبه، فترى ذكر الزّمان فى المكان فى جميع ما يندرجون فيه شقيق أرواحهم و مشرع الرّوح لأفئدتهم و مستمد لذّاتهم، و مشتكى أحزانهم، به يكشف البلوى و يستنزل المطر، فليسوا

بشى ء من حظوظهم أقنع منهم باجتماع الوطن و المطر، و استطلاع المستنجد من العين و الأثر، لذلك قال شاعرهم:

و كنت فيه كممطور ببلدته فسر إن جمع الأوطان و المطرا

و قد قيل: ليس الناس بشى ء من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم، فلولا ما منّ اللّه تعالى به على طوائف الأمم و عصائب الزّمر من الألطاف فى تحبيب ما حب و تأنيس من أنس، و المنع من الاستيثار و الاقتدار، و الاجتهاد بنهمه الاقتار، لما رضيت المهج الكريمه بمجاوره البلاد و الدّيار، و لا سكنت القلاع، فى قلل الجبال و التّلاع، و لا عمرت المهارى و الأرانب فى مساكن الأسود و الضّباع، و لا نبت حبال الألفه.

و نقطع نظام ما له فسبحان من جعل الاختلاف سببا للائتلاف، و بدل التنافر فصيّره داعيا إلى التّوافق، و للّه الحمد على ما أمضى و قدر، و نسأله التّوفيق فيما أتى و غبر، و قل عن اشتمام الأبنيه الرّفعه إلى غايه ما فى نفوسهم، بل يدّعون منه شياحين يلزمهم اسم التمام و الفراغ ليس للكلام نهايه، و لا لاختلافهم غايه، لأنّ عددهم كثير، و النّظر فيهم قديم و طبائعهم مختلفه، و قواهم متفاوته و ألسنتهم مرسله، و خواطرهم مطلقه، و لو كان الفاسد يشعر فساده، و المنقوص يجد مسّ نقصه لكان الفاسد صالحا و النّاقص وافرا.

و روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «من باع دارا أو عقارا، فلم يجعل ثمنها فى مثلها كان كرماد اشتدّت به الريح فى يوم عاصف».

و ذكر أحمد بن أبى طاهر أنه سمع آذرباد المؤبد يقول: إنّه وجد فى حكم الفرس تربه الصّبى تغرس فى القلب حرمه كما تغرس الولاده فى الكبد رقه، و مما قيل فى الوطن:

عجبت لعطار أتانا يسومنابدسكره القيوم دهن البنفسج

فويحك يا عطار هلّا أتيتنابضغث حزار أو بخوصه عرفج

و قالوا: خلق اللّه آدم من تراب فهمته فى التّراب، و خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم فهمتها فى الرّجال، و مما يعرف به موقع الوطن و الزّمن من ذوى البصائر السليمه و العقائد الصّحيحه قول جرير:

سقى اللّه البشام و كلّ أرض من الغورين أنبتت البشاما

فيا نعمى الزّمان به عليناو يا نعمى المقام به المقاما

فجمعهما فى قول، و أنشدنى أبو أحمد العسكرى، قال أنشد الصّولى:

سقى اللّه دار الغاضريّه منزلاترفّ عليه الرّوض خضر الرّفارف

و أيامنا و الغاضريّون خضرو عيشى بهم يهتز لدن المعاطف

و رأينا اللّه تعالى قسم مصالح خلقه و لذائذهم بين المقام و الظّعن فجعل أكثر مجارى الأرزاق مع الحركه و الاضطراب، و اغتنام الأرباب بعد التقادى فى البلاد لذلک قال الشاعر:

فألقت عصاها و استقرّت بها النّوى كما قرّ عينا بالإياب المسافر

و قال آخر:

سررت بجعفر و القرب منه كما سرّ المسافر بالإياب

و قد شهد أصحاب المعانى لابن الرومى، فقالوا: لم يبن أحد العله فى الحنين إلى الوطن إبانته حين قال:

و حبّب أوطان الرّجال إليهم مآرب قضّاها الشّباب هنالكا

و قد قال الأسدى أيضا شعرا:

أحبّ بلاد اللّه ما بين منعج إلىّ و رضوى أن نصوب سحابها

بلاد بها نيطت علىّ تمائمى و أوّل أرض مسّ جلدى ترابها

و أخذه ابن ميّاده فقال:

بلاد بها نيطت علىّ تمائمى و قطّعن عنّى حين أدركنى عقلى

و قال بعض أصحاب المعانى: العلّه التى من أجلها تساوت الطّباع المختلفه فى الحنين إلى الألّاف، و حب ما مضى من الزّمان هى أنّ الذّوات فينا و منا لما كانت لا تحصل إلّا فى مكان و زمان صارت لتضمّنها لهما و لكونهما ناشئه حياتها و فاتحه شبيهتها، و طالعه نمائها، تشوقهما و تستنشئ على البعد أرواحهما حتى كأنّهما منها.

و فسّر بعضهم قول ابن الرومى، فقال: يريد بالمآرب المقضيّه للشبّاب ما أقامه الصبىّ من روادف الهوى، و قد ظفر بالمرتاد، أو كان على استقبال من العمر و قوه من الركن، و استعلام من الأمل، و استخبار من الأجل، و تماسک من الجوارح و تساعد من الأعضاء الحوامل، و رخاء من البال و أمن من عوارض الآفات.

و الذى شرحه هذا المفسر الزائد فيه على مذهبهم كالواصل إليه لاجتماعهما فى غواشى العشق و الصّبر تحت بيان الحب رجاء الفوز بالمراد، و أظنّ جميعه فى قول امرئ القيس:

و هل ينعمن إلا خليّ مخلّدقليل الهموم ما يبيت بأوجال

و هـذا فى قضايـا الأوقات كما اقتصّ الجاحظ من تعصّيبه لمصـره، فقال: من فضـله البصـره ما خصّت به من أرض الصّيدقه إنه لا يسوغ تغيّرهـا و لاـ يتهيّأ تبـديلها، و من المـد و الجزر المبخر خصوصا لأهلها المجمول نوما بين قاطنها و مسافرها، و مصـعدها، و منحـدرها على مقابلاـت من الأوقـات و مقـادير من السّاعـات، و على منـازل القمر فى زيـاده النّور و امتلاـئه، و نقصـان ضوئه و استسـراره، فلا يعرف مصـر جاهلى، و لا إسـلامى أفضل من البصره، و لا أرض جرى عليها الآثار أشرف من أرض الصّدقه، و لا شجره أفضل من النّخله و لا بلد أقرب برا من البصـره، فهى واسطه أبجر، و خضراء من بداو، و ريعاء من فلاه، و قانص وحش من صائد سمک، و ملاحا من جمال من البصره.

فهى وسـطه الأرض و فرضه البحر و مضـبض الأقطار، و قلب الدّنيا فساحله بعض المتقضيه للغيث، و بلاده بأن قال: الكرمه أفضل الأشـجار، و العنب سيّد الثمار، ناعمه الورق كأنّها سـرقه ناضـره الخضـره بديعه الشـكل، سـلسه الأفنان، رقيقه الجلد عند المذاق يسـرح فى البـدن نورها، و فى القلب سـرورها، مع ذكاء العرق و صـحّه الجوهر إن عرشت على عمد الخشب، و طبقات القصـب تضاعف علتها، و تكامل حسـنها و دخلها و رأفه جهارتها و أنق ينعها، و إن بسـطت أغصانها على الدّار التى هى فيها أظلّت و إن مـدّت على الجـدران و قيـدت إلى حـدود الجيران سامحت قائدها و قلّ اعتياضـها تغنى عن الشارات و الفساطيط، و تكفّ صـيد الحر فى حماره القيظ، و احتدام الشـمس أوان الحاجه إلى الرّوح و تردّ عواصف الرّياح و قواصـفها، بكثافه ورقها، و ضفاقه ظلّها فى كلام يتّصل بين الفريقين و لا ينقضى.

و ليس من همتى و لا سـدمى إنما أردت التّنبيه على أنّ كلّ ذى أرب همّته فى نظريه بلـدته طبعا لا تكلفا و كل ذى سـبب نهمته فى تزكيه ممكنه عمـدا لاـ سـهوا، ثم حسن الشّى ء و قبحه و فضـله و نقصه لما عليه فى نفسه لا لجوى راصـد أو ألف جاذب. و الحديث شـجون، و الفخر بالشـى ء فنون، لكنّ اللّه تعالى لمّا ذكر الدّيار فخبر عن موقعها من عباده حتّى سوّى بين قتل نفسـهم و الخروج من ديارهم فى قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَـكُمْ [سوره النساء: ۶۶] و فى موضع آخر: وَ ما لَنا أَلَّا نُقاتِلَ فِي سَبِيـلِ اللَّهِ وَ قَـدْ أُخْرِجْنـا مِنْ دِيارِنا وَ أَبْنائِنا [سوره البقره: ۲۴] جعـل لهم فى الأـرض بيتا نسـبه إلى نفسه بإزاء البيت المعمور لملائكته، و صيّره حرما و أمنا، و مثابه للناس، و مطافا يلوذ به الخائف و لو كان من الوحش.

كما يأوى إليه الهارب من الأنس عظيما شأنه منيعا جاره لا يغشى أهله غضاضه الامتهان، و لا سأمه الابتذال، فهم على مر الأيام و كله و حمس فى أديانهم متمنعه، و قد كان من الفيل و الحبشه ما أرّخ به الزّمن كما أرّخت الحوادث و النّحل، و كما قيدت أيام النّبوات

بما يكشفها من أنباء الفترات و أحوال الأنبياء و المعجزات، و ذكر اللّه تعالى النعمه على قريش، فانبأ عن رحله الشّتاء و الصّيف بعد أن دعا إبراهيم عليه السلام لسكان مكّه فقال:

رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ [سوره البقره: ١٢۶]، و قد كان قال:

رَبَّنا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ [سوره إبراهيم: ٣٧] فاستجاب اللّه دعوته فهم يصيفون (الطائف)، و يشتون (جدّه) و أنواع الخير منهم بمرصد و فعل مثل ذلك فى الزّمان فعظّم ليله القدر و جعلها خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ بما ضمّنها من تنزّل الملائكه بقضاياه إلى رأس الحول، و لأنّها ليله السّلامه و الأمن من كل داء و بلاء إلى مطلع الفجر.

فالحمد للّه الذى بنوره اهتدينا و بفضله غنينا، حين أدب الأخلاف بما درج عليه الأسلاف، و قرن العباده باعتبار ما أمضى عليه القرون الماضيه فى الدّهور الخاليه فإنهم و إن مضوا سلفا فقد السّبيل عليهم، و النّاس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم، و قد أكثرت، و ظهر الفرض فيما أبدأت، و أعدت، و التّرفيه عن المطبه أعون فى إملاء قطع الدود أنّ من نكص عن المنهاج تاه فى الفجاج، فإنّما هذا الكلام وصله إلى كتاب فى الأزمنه و الأمكنه، و ما يتعلّق بهما من أسماء اللّيل و النّهار و البوارح(١)، و الأمطار، و المزالف، و المآلف، و ما أخذ أخذها مما تعداده يطول و ينطق به الحدود بعد هذا.

و الفصول فقد قدّمت ذكرها، و قد غبرت مده من الزّمان، و هذا الكتاب منّى ببال أ تصفّح ورقه بأيدى فكرى، و أتصوّر مضمونه فى مطارح فهمى، فينيلنى إذا صادفته جموحا، و يولينى إذا صافحته ازورارا، و شسوعا، كأنه يطلب لنفسه حظا زائدا على ما أوتيه، و سهما عاليا لما أجيله فأعطيه إلى أن تبوأ من علو الوكد، و الاهتمام فى أعلى الرّبى، و من مرتقى التّوفر فى الاعتناء فى أسنى الذرى.

فحينئذ أطلع اللّه على ضميرى نور الأستاذ النفيس أبى على إسماعيل بن أحمد أدام اللّه رفعته، و برهان سلفه قرنا بعد قرن، و كابرا عن كابر من كمال النبل، و جماع الفضل و الجمال الظّاهر، و الكرم الغامر، و النّهوض بأعباء الرّئاسه، و الاستظهار فى أنحاء السّياسه، و تدبير المسالك و المهالك، و المدائن و الممالك، و الميل إلى ذوى الأخطار، و أعلام الآداب.

فهم يكرعون من جداهم فى أعذب المشارع، و أكرم الموارد.

هذا إلى ما حباه اللّه فى خاص و عام قصده من محببات القلوب، و مزيات القبول. فإنّ العزيز الشريف و النّبت الرّفيع إذا أشر بالدّونه المعطف، و سهوله الملتقى، و المختبر ترجما عن الكمال، و وفرا ابهه الجلال. و هذا الثناء منّى ليس على طريقه المادحين فأتجوّز، و لا

١- البارح: الريح الحاره فى الصيف- قاموس.

قصدی فیه قصد المجتدیر فأتسّمح، بل إملاء طول الصّحبه بلسان الخبره، فعلیه فیه حکم الحق و المعلوم مع تواطؤ الأخبار عنه و شهاده الإثار له، و توارد الوسائل فأقبل بتغایر أبوابه، و انثال علیّ و تسابق أجزائه، و فصوله تنساق إلیّ کأنه کان من رباط الشّد فی عقال فأنشط، و من حفاظ المنع فی وثاق فأهمل، و بید اللّه تعالی أمره تسهیل المراد و تعجیل الفراغ بحوله و منه.

و اعلم أنّ رؤساء الأمم أربعه بالاتفاق: العرب، و فارس، و الهند، و الروم و هم علی طبقاتهم فی الذکاء و الکیس، و الدّهاء، و الکید، و الجمال، و العناد و تملک الممالک و البلاد، و السّیاسه و الإیاله، و استنباط العلوم و إثاره الحکم فی جوامع الأمور و معلوم شأنهم معروف أمرهم، و ما فی علی طبقاتهم فی الغباوه و العظاظه و سوء الفهم و الدّرایه و القسوه، و الغذامه، و النّوک، و الجهاله مراعون لما رهنوا به و قیضوا له، و قد صاروا إلی وجوه المعاش، و فنون الممارسات، و الإغراب فی أسرار الصناعات، و الإبداع فی أنواع التّرکیبات، انفتح لهم من أبواب المعرفه، و حسن التّوفیق فی الإصابه، ما لم ینفتح لهم فی سواه و ذلک ما لا یدرک غوره من غرائب حکمه اللّه تعالی فیما دبر، و امضی و إن کان للعرب خاصه طبع عجیب فی الأخبار، و الاستخبار، و المباحثه، و الاستکشاف، و سرعه إدراک ما یسفر عن الأواخر عند النّظر فی الأوائل، فحصل لهم بذلک أخلاق عادت مفاخر، و أفعال صارت مناقب، مع ثبات فیما یعز، و جلد، و بیان و لدد، و افتنان فی الخطب و الشّعر و الرّجز علی اختلاف أنواعها و تصاریف أسالیبها، و علی کثره الأمثال الحکیمه، و طرائف الآداب الکریمه.

ثم لهم الفراسه الصّحیحه، و الکهانه العجیبه، و صدق الفأل الحسن، و الحسّ المصیب مع العلم بأثر القدم فی الصّخر الأصم، و القاع العفراء، و قیافه الأثر مع قیافه البشر، لیست لغیر العرب لأنّهم یرون المتفاوتین فی الطّول و القصر، و المختلفین فی الألوان و النّعم فیعلمون أنّ هذا الأسود ابن هذا الأبیض، و هذا القصیر ابن أخ هذا الطّویل، مع الرّعایه لأنسابهم و أیّامهم، و محاسن أسلافهم و مساوئ أکفائهم، للتّعایر بالقبیح و التّفاخر بالجمیل، و لیجعلوه مبعثه علی اصطناع الخیر، و مزجره عن ادخار الشّر، و لهم تبین أحوال النّجوم سعدها و نحسها، و الأنواء و مقتضیاتها و الأمطار و مواقیتها، و بوارح الرّیاح فی إبّانها و حینها، و الزّجر المغنی عن التّنجیم و حسن الاهتداء فی المسالک المهلکه، و المرامی غیر المسلوکه.

و هم علی کلّ حال من عیشهم یخافون مأثور الحدیث و یتجرّعون من غوارب البحار، و یحبّون المادحین و تقریظهم، و یؤثرون علی أنفسهم الخیل، و علی عیالهم الضّیفان أصحاب حیاء و أنفه، وجود، و فروسیه، و فخر، و همه لا تطل دماؤهم و لا یعجز طوائلهم، و لا

ينسيهم طول الأيام دفائن أحقادهم، يراعون الذّمم، و يوفون بالمواثيق، و يوجبون الجوار باعلاق الدّلو بالدلو و شد الطّنب بالطّنب حتى قال زهير:

و جار سار معتمدا علىناأجابته المخافه و الرّجاء

فجاور مكرما حتّى إذا مادعاه الصّيف و انصرم الشّتاء

ضممنا ما له فغدا علىناجميعا نقصه و له النّماء

ثم لم يرضوا لأنفسهم بالاسم الواحد، و الكنيه الواحده، و النّعت الشّريف و الذّكر الرّفيع و المنصب المفخم، و الفخر المقدّم حتى تنقلوا فى أسامى و كنى كما اكتنى حمزه بن عبد المطّلب بأبى يعلى- و أبى عماره، و عبد العزى بن عبد المطلب بأبى لهب- و أبى عتبه، و صخر بن حرب بأبى سفيان- و أبى حنظله، و حسان بن ثابت بأبى الوليد و أبى الحسام، و عثمان بن عفان بأبى عبد اللّه و أبى عمرو، أو أبى ليلى و عبد اللّه بن الزّبير بأبى بكر، و أبى خبيب و أبى عبد الرّحمن.

و الذين أسماؤهم كنى كثير فى العرب يسمّى بعضهم بعضا بسمات تفيد التّفخيم و التّعظيم كقولهم: ملاعب الأسنه، و سم الفرسان و زيد الخيل، و محكم الأقران و أشباه ذلک. فهذه الخصال تختصّ بهم إلى كثير ممّا إن شغلنا الكلام به خرجنا عن الغرض المنصوب و للّه تعالى فى خلقه أن يفعل ما شاء، و يصطفى بفضله من شاء، و هو الحكيم العليم، و لو لا اهتزازى لتقديم ما يتعلق به همّه برّ أشاد النّفيس، و سرعه إجابتى إذا أهاب لما رهبته، و ليحصل لى به الفأل الحسن و الذّكر المؤبّد، و الالتذاذ بالدّخول فى جمله أهل الفضل و الاستنان بسننهم فى إذاعه ما تكسيهم الأيام و يفيدهم الاجتهاد لبقيت فى حجر الفن بما أورده لما أرى فى أهل الزّمان من اطراح العلم، و احتقار أهل الفضل، و لا أزيد على هذا مخافه الخروج إلى ما يعد سرفا، بل أنشد قول الأول شعرا:

إذا مجلس الأنصار حفّ من أهله و حلّت مغانيه غفار و أسلم

فما النّاس بالناس الذين عهدتهم و لا الدّهر بالدّهر الذى كنت أعلم

و اعلم أنّ قرب الشى ء فى الوهم ليس بموجب حصوله، و لا بعده فيه يقتضى بطوله، و هذا الكتاب ليس اختيارى لعلمه لغلبته، و لا اشتغالى به عن شبهه لكنّى حصنته تحصين الحزم، و صنته صون العرض المكرم، فهو مذخوره المتلهف، و عقد المعتال المحتكم، ثمره عند الينع لا يخلف، و ماؤه على الميح لا يكدر.

و قد قيل لحاضنک عليک حق اللّبن، و لتربتک حبّ الوطن، و لنسلک حرمه السّكن، و لطربک خلع الرّسن، كما أنّ لما تخلد به ذكرک من نثر أو نظم عليک شرف التّحليه، و حسن

النّعت و التّسميه، و جمع الفوائد الزّكيه، و هجر الهوى و العصبيّه، و بيد اللّه تبليغ المراد و توطير المرتاد.

و اعلم أنّ مدار الأدب على الطّلب، و عمدته البحث، و مصرفه الرّغبه، و الحث و أزمه الجميع بيد القريحه فإذا سلمت القريحه من عوارض الآفات و تملست من شوائب الأقذار، و العاهات، و ترقّت فى مدارجها من دلائل الرّسوم إلى حقائق الحدود أقبلت تصنع فى نيل المطلوب صنعه من طبّ لمن حبّ، و إنى و إن أنشأت هذا الكتاب فما فى نفسى ادعاء الفضل على الأسلاف؛ و كيف أستجيز ذلك و من ذكرتهم ننفق، و بشهاداتهم نتوثّق، و بين المسلم و المنازع ما بينهما من برزخ التّضاد، و لكن لمن ضمّ النّشر، و سوّى فى البناء النّضد و تأنق فى الإثاره، ثم بلغ و تناهى إلى الغايه، فسدّد حقه من العمل. نسأل اللّه تعالى حسن التّوفيق فيما نأتى و نذر، و عليه المعوّل فى إيزاعنا شكر نعمته، و إعانتنا على ما تعرب من رحمته، و نعم المولى و نعم النصير.

هذا و بيان ما يختلف من أحوالها و يتّفق من أسمائها، و صفاتها، و أطرافها، و إقطاعها، و متعلقات الكواكب منها فى صعودها و هبوطها و طلوعها و غروبها، و جميع ما يأخذ أخذها، أو يعدّ معها، أو لا ينفكّ فى الوقوع و الاستمرار منها، أو متسبّب بضرب من ضروب التّشابه، أو قسم من أقسام التّشارك إلى الدّخول فى أثنائها موشّحه بما يصححها من أشعارهم و أمثالهم، و أسجاعهم و مقامات وقوفهم و منافراتهم جادّين و هازلين، و من كلام روّادهم و ورّادهم و كتّابهم فى ظعنهم و إقامتهم و تتبعهم مساقط الغيث و بوارح الرّيح، و عند ما يقيمون من الجدب، و الخصب و السلم و الحرب، و قرى الضّيف فى الشّتاء و الصّيف، و أعيادهم، و حجهم، و نسكهم، و وجوه معايشهم و مكاسبهم، و آدابهم.

و قد صدرته بجميع آى من كتاب اللّه تعالى بعض حقائقه لتردد المعانى إذا شافهت الالتباس، بين الوجوب و الجواز و الامتناع فيتّسع أمد القول و يمتد نفسه بحسب الحاجه و على قدر العنايه، و من أنكر فى طلب الحق واجبا، أو رد جائرا، أو جحد ممتنعا فقد صافح الخذلان. كما أنّ من قصر و كده على ما لا يرد من دينه فائتا و لا يعمر ثابتا، فقد جانب حسن التّوفيق. و على اللّه فى الأحوال كلها المعوّل و التّكلان.

و بعد الفراغ من ذلك أتبعته بالكلام فى حقيقه الزّمان و المكان، و الرّد على من تكلّم بغير الحق فهما بعد تتبع لما أصله شديد، و بحث عنه بليغ، و ردّ للسّابق من دعاويهم على اللّاحق(١) على الوارد إذ كانا عندى كالأصل فى إلحاد أكثر الملحدين من الأوائل

١- خرم فى الأصل ١٢.

و المتأخّرين، و إذ كنت قد شيّدت من قبل فصول ما ذكرت، و وصوله بلمع من الكلام فى المحكم و المتشابه و الاستدلال بالشّاهد على الغائب، و بيان أسماء اللّه تعالى و صفاته، و ما يجوز إطلاقه عليه أو يمتنع لأنّ أطراف هذه الأبواب متعلقه بموارد الآى التى تكلّفت الكلام فيها و مصادرها، و مستقيه من العيون التى تحوم أطيارها حوله، و فى جوانبها و لأنّ الاشتغال به هو الغرض المرمى فى تأليف حل هذا الكتاب و ترتيبه، و تنسيقه هذا إلى غير ذلك مما خلا منه مؤلفات اللّغويين و النّحويين و الباحثين عن طرائق العرب، و ما يراعونه من معتقداتهم فى الأنواء و غيرها، و إيمان من آمن منهم بالكواكب حتى عبدوها لما ألفوه من استمرار العادات بهم و اطرادها على حد سالم من التبدّل و التحوّل.

ثم شرعت فى الكتاب و تبويب معاطفه و تنويع أساليبه و مدارجه، و أستعين اللّه تعالى على بلوغ ما يزلف عنده، و يستحقّ به مزيد الإحسان و أصحاب التوفيق الكامل منه، و هو حسبنا و نعم الوكيل.

ذكر أبواب الأزمنه و الأمكنه، و فصولها

هى ثلاثه و ستّون بابا، و نيّف و تسعون فصلا:

أ: فى ذكر الآى المنهيه من القرآن على نعم اللّه تعالى على خلقه فى آناء اللّيل و النّهار، و بيان النّسى ء، و فى ذكر أخبار مرويه، و فى ذكر الأنواء، و ذكر معتقدات العرب فيها و فيما يجرى مجراه، و ذكر فصل فى جواب مسائل للمشهد من الكتاب و السّنه، و فى بيان المحكم و المتشابه و غيرهما، و بيان أسماء اللّه تعالى و صفاته، و هو يحوى تسعه و عشرين فصلا.

ب: فى ذكر أسماء الزّمان و المكان، و متى تسمى ظروفا، و معنى قول النّحويين الزّمان ظرف الأفعال، و الرّد على من قال فهما بغير الحق من الأوائل و الأواخر، و يحتوى على فصول أربعه.

ج: هو يشتمل على بيان اللّيل و النّهار، و على فصول من الإعراب تتعلق بظروف الأزمنه و الأمكنه، و فصوله ثلاثه.

د: ذكر ابتداء الزّمان، و أقسامه، و التّنبيه على مبادئ السّنه فى جميع المذاهب، و ما يشاكل من تقسيمها على البروج.

ه: فى قسمه الأزمنه و دورانها و اختلاف الأمم فيها.

و: فى ذكر الأنواء و اختلاف العرب فيها، و منازل القمر مقسّمه الفصول على السّنه، و أعداد كواكبها، و تصوير مأخذها ضاره، و نافعه، و فصوله أربعه.

ز: فى تحديد سنىّ العرب، و الفرس، و الرّوم، و أوقات فصول السّنه.

ح: فى تقدير أوقات التّهجد التى ذكرها اللّه تعالى فى كتابه عن نبيّه و الصّحابه، و تبيين ما يتصل بها من ذكر حلول الشّمس فى البروج الاثنى عشر.

ط: فى ذكر البوارح، و الأمطار مقسمه على الفصول، و البروج، و فى ذكر المراقبه، و هو فصلان.

ى: فى ذكر الأعياد و الأشهر الحرم و الأيّام المعلومات و الأيام المعدودات، و الصلوات الوسطى، و هو فصلان.

يا: فى ذكر سحر، و غدوه، و بكره، و ما أشبهها و الحين و القرن و الآن و أيان، و أوان، و الحقبه، و الكلام فى إذ، و إذا، و هما للزّمان و إبان، و أفان، و هو فصلان.

يب: فى لفظه أمس، و غد، و الحول، و السّنه، و العام، و ما يتلو تلوه، و لفظه حيث، و ما يتّصل به، و الغايات كقبل و بعد، و ذكر أول و حينئذ، و قط، و إذ، و إذا المكانيه، و منذ، و مذ، و من، و على و هو فصلان.

يج: فيما جاء مثّنى من أسماء الزّمان، و اللّيل، و النهار، و من أسماء الكواكب و ترتيب الأوقات و تنزيلها، و هو أربعه فصول.

يد: فى أسماء الأيام على اختلاف اللّغات و قياسات اشتقاقها و تثنيتها و جمعها.

يه: فى أسماء الشّهور على اختلاف اللغات، و ذكر اشتقاقاتها، و ما يتّصل بذلك من تثنيتها و جمعها، و هو فصلان.

يو: فى أسماء الدّهر و اقطاعه، و ما يتّصل بذلك، و هو فصلان.

يز: فى اقطاع الدّهر، و أطراف اللّيل و النّهار، و طوائفهما و ما يتّصل بذلك من ذكر الحوادث فيها، و هو ثلاثه فصول.

يج: فى اشتقاق أسماء المنازل، و البروج، و صورها، و ما يأخذ مأخذها، و هو فصلان.

يط: فى اقطاع اللّيل، و طوائفه، و ما يتّصل بذلك و يجرى مجراه.

ك: فى اقطاع النّهار، و طوائفه، و ما يتّصل بذلك و يجرى مجراه.

كا: فى أسماء السّماء و الكواكب، و الفلك و البروج، و هو ثلاثه فصول.

كب: فى برد الأزمنه، و وصف الأيّام و اللّيالى به.

كج: فى حرّ الأزمنه، و وصف الأيّام، و اللّيالى به.

كد: فى شدّه الأيّام و رخائها و خصبها و جدبها، و ما يتّصل بذلك.

كه: فى أسماء الشّمس و صفاتها، و ما يتعلّق بها.

كو: فى أسماء القمر و صفاته، و ما يتصل بها من أحواله، و هو فصلان.

كز: فى ذكر أسماء الهلال من أول الشهر إلى آخره، و ما ورد عنهم فيها من الأسجاع، و غيرها.

مو: فی صفه ظلام اللّیل و استحکامه، و امتزاجه.

مز: فی صفه طول اللّیل و النّهار و قصرهما، و تشبیه النّجوم فیهما.

مح: فی ذکر السراب، و لوامع البروق، و متخیّلات المناظر، و وصف السّحاب.

مط: فی تذکر طیب الزّمان، و التّلهف علیه و الحنین إلی الألّاف، و الأوطان.

ن: فی ذکر أنواع الظلّ و أسمائه و نعوته.

نا: فی ذکر التّاریخ و ابتدائه، و السّبب الموجب له و ما کانت العرب علیه لدی الحاجه إلیه فی ضبط آماد الحوادث و الموالید، و هو فصلان.

نب: فیما هو متمم لما عند العرب و من داناهم و أدرکوه بالتفقد و طول الدّربه، و لم یدخل فی أسجاعهم.

نج: فی انقلاب طبائع الأزمنه، و ثباتها، و امتزاجها، و الاستکمال و الامتحاق، و أزمان مقاطع النّجوم فی الفلک، و معرفه ساعات اللّیل من رؤیه الهلال، و مواقیت الزّوال علی طریق الإجمال.

ند: فی اشتداد الزّمان بعوارض الجدب، و امتداده بلواحق الخصب.

نه: و یشتمل من حدّها علی ذکر ما فی إعرابه نظر من حدیث الزّمان.

نو: فی ذکر الکواکب الیمانیه، و الشّمامیه، و تمییز بعضها عن بعض، و ذکر ما یجری مجراها من تفسیر الألقاب.

نز: فی ذکر الفجر، و الشّفق، و الزّوال، و معرفه الاستدلال بالکواکب و تبین القبله.

نح: فی معرفه أیّام العرب فی الجاهلیه، و ما کانوا یحرفونه و یتعایشون منه، و ذکر ما انتقلوا إلیه فی الإسلام علی اختلاف طبقاتهم.

نط: فی ذکر أفعال الرّیاح لواقحها، و حوائلها، و ما جاء من خواصها فی هبوبها و صنوفها.

س: فی ذکر الأیام المحموده للنّوء و المطر و سائر الأفعال، و ذکر ما یتطیّر منه، أو یستدفع الشّربه.

سا: فی ذکر الاستدلال بالبرق، و الحمره فی الأفق و غیرهما علی الغیث.

سب: فی الکواکب الخنّس، و فی هلال شهر رمضان.

سج: فی ذکر مشاهیر الکواکب التی تسمّی الثابته، و هذه التّسمیه علی الأغلب من أمرها إذ کانت حرکه مسیرها خافیه غیر محسوسه.

الباب الأول [فی تعظیم شأن القرآن و فصل بیانه بالنّظم العجیب و التّألیف الرّصیف]

اشاره

اعلم أنّ اللّه تعالی عظّم شأن القرآن، و فصل بیانه بالنّظم العجیب و التّألیف الرّصیف علی سائر الکلام، و إن وافقه فی مبانیه، و معانیه ثم أودعه من صنوف الحکم، و فنون الآداب و العذر، و جوامع الأحکام و السیر، و طرائف الأمثال و العبر، ما لا یقف علی کنهه ذوو القرائح الصّافیه، و لا فی بعد فوائده أو لو المعارف الوافیه، و إن تلاحقت آلاتهم، و توافقت أسباب التّفهم و الافهام فیهم، فتری المشتغل به المتأمّل له، و قد صرف فکره إلیه، و قصر ذکره علیه، قد یجد نفسه أحیانا فیه بصوره من لم یکن سمعه، أو کان بعد السّماع نسیه استغرابا لمراسمه، و استجلاء لمعالمه، و ذلک أنه تعالی لما أنزله لیفتتح بتنزیله التّحدی به إلی الأبد، و یختتم بترتیله و آدابه البذاره إلی انقضاء السّند، علی ألسن الرّسل، جعله من التّنبیهات الجلیّه و الخفیّه، و الدّلالات الظّاهره و الباطنه ما قد استوی فی إدراک الکثیر منها العالم بالمقلد، و المتدبّر، و المهمل.

و إن کان فی أثنائه أغلاق لا تنفتح الأشیاء بعد شی ء بأفهام ثاقبه، و فی أزمان متباینه، لیتّصل أمد الإعجاز به إلی الأجل المضروب لسقوط التّکلیف، و لتجدّد فی کل أوان بعوائده و فوائده ما یهیج له بواعث الأفکار، و نتائج الاعتبار، فیتبیّن ثناؤه الرّاسخ المتثبّت، و النّاظر المتدبّر عن قصور الزّائغ المتطرّف و تقصیر الملول الطّرف. لذلک اختلفت الفرق، و استحدثت المذاهب و الطّرق، فکلّ یطلب برهانه علی صحه ما یراه منه، و إن ضلّ عن سواء السّبیل من ضلّ لسوء نظره و فساد تأنّیه، و عدو له عن منهاج الصّحابه و التّابعین و صالحی الأسلاف، فلما کان أمر القرآن الحکیم علی ما وصفت، و کان اللّه تعالی فیما شرع من دینه و حدّ علیه من عبادته، و دعا إلیه من تبیّن صنعه و تنبّه ما أقامه من أدلّته. قال: خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَهً لِلْمُؤْمِنِینَ [سوره العنکبوت، الآیه: ۴۴] مبیّنا أنه اخترعها بما یشتمل علیه حقا لا باطلا و حتما لا عبثا لتوفّر علی طوائف خلقه منافعها، و مثبتها من یصدق بالرّسل، و یمیز جوامع الکلم علی بعد غورها فی قضایا التّحصیل و تراجع الأفهام، و الأوهام عن تقصی مأخذها بأوائل التّکلیف.

ثم كرّر ذكرها فى مواضع كثيره فى جملتها ما يقتضى الكشف عن نظومها و تصاريفها لما يكشفها من الغموض، و كان مبنى التأليف الذى هو مبنى على كتب لا يتم من دون الكلام عليها بترتيبه، بأن جعلتها مقدّمه ثم تجاوزت إلى ما سواها و اللّه المعين على تسهيل المراد منه بمنه.

فمن ذلك قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ يَوْمَ يَقُولُ [سوره الأنعام، الآيه: ٧٣] الآيه، وصف اللّه تعالى نفسه فيما بسط من كلامه هنا بفصول أربعه، كلّ فصل منها عند التأمّل جمله مكتفيه بنفسها عن غيرها، و داله على كثير من صفاته التى استبدّ بها.

فالفصل الأول قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِ، و المعنى فى قوله: بالحق، أنّ الحكمه البالغه أوجبت ذلك، ففطرها ليدلّ على نفسه بها و يظهر من آثاره العجيبه فيها ما تحقّق إلهيته و تثبت قدمه، و ربوبيته و يظهر أنّ ما سواه مدبر مخلوق و مسخّر مقهور، و أنه الحق تمّ له ما أحدثه، و أنشأه لا بباطل، و وجبت له العباده من خليقته بقول فصل لا بهزل، فحجّته بيّنه و آياته محكمه، لا تخفى على النّاظر، و لا تلتبس على المتأمّل المباحث إذ كانت الأبصار لا تدركه، و الحواس لا تلحقه، فعرّف عباده قدرته، و ألزمهم بما غمرهم من منافعه و نعمه عبادته، فلا مانع لما منح، و لا واهب لما ارتجع، أو حرم تسليما لأمره و رضى بحكمه.

و الفصل الثانى قوله: وَ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُ [سوره الأنعام، الآيه: ٧٣] قوله: و يوم نصب على الظّرف، و العامل فيه ما يدل عليه قوله الحق، و لا يجوز أن يكون العامل قوله: يقول لأنه قد أضيف اليوم إليه، و المضاف إليه لا يعمل فى المضاف. و قوله:

فيكون معطوف على يقول، و ما بعد القول، و هو جمله تكون حكايه فى كلامهم، و كن فى موضع المفعول ليقول، و قد أبان اللّه هذا المعنى فى قوله: إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْ ءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [سوره النّحل، الآيه: ۴] لأنّ معنى الحكايه ظاهر فيه و مفهوم منه، و إذا كان الأمر على هذا فقوله: كن، حكايه، و المعنى فيه إيجاب خروج الشّى ء المراد من العدم إلى الوجود. و قوله: فيكون بيان حسن المطاوعه من المراد و تكوّنه، و ليس ذلك على أنّه مخاطبه المعدوم، و لكنّ اللّه تعالى أراد أن يبين على عاده الآمرين إذا أمروا كيف يقرّب مراده إذا أراد أمرا، فأخرج اللّفظ على وجه يفهم منه ذلك، إذ كان لا لفظ فى تصوير الاستعجال، و تقريب المراد أحضر من لفظه كن فاعلمه. و تلخيص الآيه و إذا كان يوم البعث و النّشر و السّوق إلى الحشر يوجب وقوع المكون بقولنا: كن، فيقع بحسب الإراده لا تأخير فيه و لا تدافع، لأن حكمنا فيه المحقوق الذى لا يبدّل، و لأنّ الملك فيه للملك الذى لا يغالب و لا

يمانع، فقوله فى الفصل الأول: بالحق- أى بما وجب فى الحكمه و حسن فيها. و قوله فى الفصل الثّانى قوله الحق- أى المحقوق الذى لا يحول و لا يغيّر إذ كان البدء لا يجوز عليه، و أوائل الأمور فى علمه كأواخرها.

و الفصل الثالث قوله: وَ لَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ [سوره الأنعام، الآيه: ٧٣] يريد به أنه فى ذلك الوقت متفرّد بتدبير الفرق و الأمم و تنزيلهم منازلهم من الطّاعه و المعصيه، كما أبدأهم فكما كان تعالى الأوّل لقدمه يكون الآخر لبقائه، لا مشارك له، و لا مؤازر، و أبين منه قوله فى موضع آخر: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ [سوره غافر، الآيه: ١٦] و هذا حال المعاد، و المعنى إذا أردنا سوقهم بعد الإماته للنّشر لم يخف علينا شى ء من أحوالهم لأنّا نملكهم، فأمرنا حتم لا تخيّر وفور لا تأخير، و الإحصاء يجمعهم، و الإدراك يعمهم. و قوله: وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ [سوره الأنعام، الآيه: ٧٣] لم يشر به إلى وقت محدود الطّرفين و لكن على عاده العرب فى ذكر الزّمان الممتد الطويل باليوم، فهو كما يقال: فعل كذا فى يوم فلان، و على عهد فلان.

الفصل الرابع: قوله: عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَهِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ [سوره الأنعام، الآيه: ٧٣] يريد أنّه لا يخفى عليه ما فيه لأنّه العالم لنفسه فلا يغرب عنه أمر، و الغائب عنده كالحاضر و البعيد كالقريب و هو حكيم فيما يقضيه عليم فيما يقضيه. لا يذهب عليه شى ء من أحوال عباده، و من مواعيده فيحشرهم جميعا، و يوفّيهم مستحقّهم موفورا.

و منه قوله تعالى: وَ آيَهٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ [سوره يس، الآيه: ٣٧] إلى يسبحون، قوله: نسلخ منه النّهار أى نخرجه منه إخراجا لا يبقى معه شى ء من ضوء النّهار، أ لا ترى قوله فى موضع آخر: آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها [سوره الأعراف، الآيه: ١٧٥]، و فى هذا دلاله بيّنه على ما تذهب إليه العرب من أنّ اللّيل قبل النّهار لأنّ السّلخ و الكشف بمعنى واحد يبين ذلك أنّه يقال: كشطت الإهاب، و الجلد عن الشّى ء، و سلخته أى كشفته، و السّلاخ الإهاب نفسه، و سلخت المرأه درعها نزعته، و سلخت الشّهر: صرت فى آخر يوم منه، و سلاخ الحيّه جلدها، و إذا كان ذلك، و كان اللّه تعالى قال: اللّيل نسلخ منه النهار، و المسلوخ منه يكون قبل المسلوخ فيجب أن يكون اللّيل قبل النّهار، كما أنّ المغطّى قبل الغطاء قوله: فإذا هم مظلمون- أى داخلون فى الظّلام يقال: أظلم اللّيل إذا تغطى بسواده، و أظلمنا دخلنا فى ظلمات، و هذا كما يقول: أجنبنا و اشملنا- أى دخلنا فى الجنوب و الشّمال، و أنجدنا، و أتهمنا أى أتيناهم، ثم قال: وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها [سوره- يس، الآيه: ٣٨] و هذا يحتمل وجوها من التّأويل.

أ- أن يكون المراد جريها لاستقرار يحصل له إذا أراد اللّه وقوفها للأجل المضروب

لانقضاء وقت عادتها فی الطلوع و الأفول.

ب- أن یکون المراد بالمستقر وقوفها عنده تعالی یوم القیامه، و الشّاهد لهذا قوله فی آیه أخری: کَلَّا لا وَزَرَ، إِلی رَبِّکَ یَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ [سوره القیامه، الآیه: ۱۰، ۱۱] فهو کقوله فی غیر موضع: ثُمَّ إِلَیْهِ مَرْجِعُکُمْ، وَ إِلَی اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ* [سوره الحدید، الآیه: ۵]، وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ* [سوره البقره، الآیه: ۲۴۵].

ج- أن یکون المعنی أنها لا تزال جاریه أبدا ما دامت الدّنیا تظهر و تغیب بحساب مقدر کأنها تطلب المستقر الذی علمها صانعها فلا قرار لها؛ و یشهد لهذا الوجه قراءه من قرأ و الشّمس تجری لا مستقر لها، و ذلک ظاهر بیّن یوضحه قوله تعالی بعقبه: ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ* [سوره یس، الآیه: ۳۸]، أی تقدیر من لا یغالب فی سلطانه و لا یجاذب علی حکمته، قوله: وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ [سوره یس، الآیه: ۳۹]، الآیه. برفع القمر علی، و آیه لهم اللّیل و إن شئت علی الابتداء، و ینصب علی، و قدّرناه و العرجون) عود لعذق الذی تسمّی الکباسه ترکبه الشّماریخ مثله الأثکول و العثکول من العذق، فإذا جفّ و قدم دقّ و صغر و حینئذ یشبهه الهلال فی أول الشهر و آخره.

و قال أبو إسحاق الزّجاج: وزنه فعلول لأنّه من الانعراج، و قال غیره: هو فعلول لأنه کالفثلول، و معنی الآیه و قدّرنا القمر فی منازله الثمانیه و العشرین، و فی مأخذه من ضوء الشّمس، فکان فی أوّل مطلعه دقیقا ضئیلا، فلا یزال نوره یزید حتی تکامل عند انتصاف الشّهر بدرا، و امتلائه من المقابله نورا، ثم أخذ فی النقصان بمخالفته لمحاذاه، و تجاوزه لها حتی عاد إلی مثل حاله الأولی من الدّقه و الضؤله و ذلک کلّه فی منازله الثمانیه و العشرین لأنه ربّما استتر لیله، و ربما استتر لیلتین فمشابهه الهلال للعرجون فی المستهل و المنسلخ صحیحه.

فأما قوله: حتی عاد فکأنه جعل تصوّره فی الآخر بصورته الأولی فی الدّقه مراجعه، و معاوده. و القدیم یراد به المتقادم کما قال فی قصه یعقوب علیه السلام: إِنَّکَ لَفِی ضَلالِکَ الْقَدِیمِ [سوره یوسف، الآیه: ۹۵]. و قال الفرّاء القدیم یقال لما أتی علیه حول. و قیل أیضا:

معنی عاد صار، و یشهد لذلک قول الشّاعر:

أطعت العرس فی الشّهوات حتّی تعود لها عسیفا عبد عبد

و لم یکن عسیفا قط، و قال امرؤ القیس:

و ماء کلون البول قد عاد آجناقلیل به الأقوات ذی کلأ مخل

أی صار، و قال الغنوی:

فإن تكن الأيام أحسن مرهإلىّ فقد عادت لهنّ ذنوب

قوله: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ [سوره يس، الآيه: ۴۰]، يعنى ينبغى لها.

أى: لو كانت تطلب إدراك القمر لما حصلت لها بغيتها، و لا ساعدتها طلبتها يقال: بغيت الشى ء، فانبغى لى. أى طلبته، فأطلبنى، و إذا لم ينبغ لها لو طلبت، فيجب أن لا يحصل الفعل منها البتّه، لأنّ الإدراك معناه اللّحوق و سببه الذى هو البغاء ممنوع منه، فكيف يحصل للسّبب؟ و أيضا فإنّ سرعه سير القمر و زيادته على سير الشّمس ظاهر فهو أبدا سابق لها بسرعته، و تلك متأخره لبطئها، و قوله: وَ لَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ [سوره يس، الآيه: ۴۰] محمول على وجهين.

الأول: أن يكون المعنى بالسّبق أوّل إقباله و آخر إدبار النّهار.

و الثانى: أن يكون المعنى آخر إدبار النّهار و أول إقبال الصّبح، و سبق اللّيل النّهار بإقباله أن يقبل أول اللّيل قبل آخر إدبار النّهار و هذا ما لا يكون.

و أما سبقه إيّاه بإدباره، فإن سبق آخر إدبار اللّيل أوّل إقبال الصّبح قبل كونه، و هذا أيضا لا يكون، و لا يجوز كونه لأنهما ضدّان يتنافيان و يتعاقبان فلذلك لم يجر سبق اللّيل النّهار فى شى ء من أحواله.

و قيل معنى: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ أى ليس لها أن تطلع ليلا، و لا القمر له أن يطلع نهارا لأنّ لكلّ منهما شأنا قدّر له و وقتا أفرد به، فلا يقع بينهما زاجر فيدخل أحدهما فى حد الآخر قوله: وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ [سوره يس، الآيه: ۴۰] أى كلّ واحد منهما له فلك يدور فيه فلا يملك انصرافا عنه؛ و لا تأخّرا إلى غيره، و لفظ الفلك يقتضى الاستداره أى و كلّ له مكان من مسبحه مستدير يسبح فيه أى يسير بانبساط، و منه السّباحه، و قال تعالى لنبيّه: إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا [سوره المزمل، الآيه: ۷] و لا يمنع أن يكون يشير بقوله: فى فلك إلى الذى هو فلك الأفلاك، و إذا جعل على هذا فهو أبهر فى الآيات، و أدلّ على اقتدار صانعه و إنّما قال: يسبحون لأنّه لمّا نسب إليها على المجاز و السعه أفعال العقلاء المميّزين جعل الاخبار عنها على ذلك الحد، و مثله: رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ [سوره يوسف، الآيه: ۴] و هذا كثير.

و منه قوله تعالى: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ [سوره الإسراء، الآيه: ۱۲] الآيه نبه بهذه الآيه، و بقوله إنّ عدّه الشهور الآيه على نعمه على خلقه فيما إن شاء حالا بعد حال لهم، و ابتدعه و ما عرف مصالحه وقتا بعد وقت، فيما قدّر لهم فكر و ذكر و نصب للحاضره و الباديه من الأعلام و الأدله بالمنازل و الأهلّه، و مطالع النّجوم السّياره و غير السّياره حتى جعلت

مواقيت و آجالا، و مواعيد، و آمادا، فعرفوا حلالها و حرامها و مسالمها و معاديها و ذا العاهه منها مما لا عاهه معها؛ و تبيّنوا بطول التّجارب أضرّها أنواء، و أعودها أمطارا، و أعزّها فقدانا، و أهونها أخلاقا، فأخذوا لكلّ أمر أهبته، و لكلّ وقت عدّته، إلى كثير من المنافع و المضار التى تتعلق باختلاف الأهواء و تفاوت الفصول و الأوقات؛ و من تدبّر قوله: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ [سوره الإسراء، الآيه: ۱۲]. ثم فكّر فى تميز أحدهما عن الآخر باختلاف حالهما فى النّور، و الظّلمه، و الظّهور و الغيبه، و لما ذا صارا يتناوبان فى أخذ كلّ واحد منهما من صاحبه، و يتعاقبان فى إصلاح ما به مصالح عباده و بلاده؟ و كيف يكون نموّ القمر من استهلاله إلى استكماله و نقصه، و انمحاقه من ليالى شهره و أيامه؟ و أنّى يكون اجتماع الشّمس و للقمر، و افتراقهما، و تساويهما، و تباينهما، ظهر من حكمه اللّه تعالى له إذا تدبّره، و ردّ آخره على أوّله، و ولى كلّ فصل منه ما هو أولى به.

ثم سلك مدارجها، و تتبع بالنّظر معالمها و مناهجها أدّاه الحال إلى أن يصير من الرّاسخين فى العلم به تعالى و بمواقع نعمه، و آثار ربوبيته، أ لا ـ ترى أنّه لو جعل اللّيل سرمدا، أو جعل النّهار أبدا لانقطع نظام التّعايش، و انسدت أبواب النّمو و التزايد، و تأدّى انقلاب التّدبر إلى ما شرحه بتعذر فسبحانه من حكيم رءوف بعباده رحيم.

و قد سئل النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن نقصان القمر و زيادته، فأنزل اللّه تعالى أنّ ذلك لمواقيت حجكم، و عمرتكم، و حل ديونكم و انقضاء عده نسائكم، و قوله تعالى:

آيَةَ اللَّيْلِ، و آيَةَ النَّهارِ إضافتهما على وجه التّبيين و الشّى ء، قد يضاف إلى الشى ء لأدنى علاقه بينهما، قال تعالى: فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ [سوره العنكبوت، الآيه: ۵]. و لما كان هو المؤجل، و قال فى موضع آخر: فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ* [سوره الأعراف، الآيه: ۳۴] لما كان الأجل لهم، فكذلك قوله: آيَةَ اللَّيْلِ، و آيَةَ النَّهارِ، يعنى الآيه التى يختصّ بهما هذا فى إضافه الغير إلى الغير.

فأما إضافه البعض إلى الكل فقولك: خاتم حديد، و ثوب خز، فلا يمنع دخوله فيما نحن فيه، و يكون المعنى أنّ الآيه الممحوه كانت بعض اللّيل، كما أنّ الخاتم، يكون بعض الحديد، كأنّ اللّيل ازداد بالمحو آيتها سوادا، و يقال؛ دمنه ممحوه إذا درست آثارها و آياتها، و يقال: محوت الشى ء، أمحوه، و أمحاه و فى لغه على محيته، و حكى بعضهم: محا الشى ء و محاه غيره، و كتاب ماح، و ممحو و محوه، اسم لريح الشّمال لأنها تمحو السّحاب، و المحوه المطره التى تمحو الجدب و من كلامهم تركت الأرض محوه إذا جيدت كلها.

و قال بعضهم: يجوز أن يكون عنى بآيه النّهار الشّمس، و بآيه اللّيل القمر، و عنى بالمحو ما فى ضوء القمر من النّقصان، و حكى عن السّلف أنّ المراد بالمحو الطّخاء الذى

فى القمر قوله: وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً [سوره الإسراء، الآيه: ١٢] هو على طريق النّسبه أى ذات إبصار، و فى موضع آخر: وَ النَّهارَ مُبْصِراً* [سوره يونس، الآيه: ٦٧] أى مضيئا و كما يقال هو ناصب أى ذو نصب، و يجوز أن يكون لما كان الإبصار فيها جعله لها، كما يقال رجل مخبت إذا صار أصحابه خبتا، و نهاره صائم، و ليله قائم.

و قال أبو عبيد يريد قد أضاء للنّاس أبصارهم، و يجوز أن يكون كقولهم: أصرم النّخل أى أذن بالصّرام، و أحمق الرّجل إذا أتى بأولاد حمق و قوله: لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ [سوره الإسراء، الآيه: ١٢] مثل قوله فى موضع آخر: جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهارَ مُبْصِراً* [سوره يونس، الآيه: ٦٧] و مثل قوله: جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً وَ النَّوْمَ سُباتاً وَ جَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً [سوره الفرقان، الآيه: ٤٧] و فى آخر: وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً [سوره النبأ، الآيه: ١١] و مثل قوله: جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ [سوره القصص، الآيه: ٧٣] و هذه الآى، و إن تشابهت فى معانيها، فقد اختلفت تفاصيل نظومها، فقوله: جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً أى يغشى كلّ شى ء من الحيوان و غيره فيصير ذا دعه و سكون و انقطاع عما يعالجه فى النّهار لابتغاء الفضل فيه، وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً أى وقت معاش، و المعاش، و المعيش ما أعان على الحياه به ممّا الحياه به، و ليس الحياه، قال أميه:

ما أرى من معيشى فى حياتى غير نفسى

و قد قال أبو العباس محمد بن يزيد: ثم يرى تفسيرهما جمله ثقه بأنّ السّامع يرد كلّا إلى ماله يريد مثل قوله: جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ، ثم قال: لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا و السّكون فى اللّيل، و الابتغاء فى النّهار، و مثله: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ [سوره الرحمن، الآيه: ٢٢] و إنّما هو من أحدهما، فإن قال قائل: ما تصنع على هذا بقول سيبويه:

لا يقول لقيته فى شهرى ربيع إذا كان اللقاء فى آخره قال: و كذلك لا يجوز أن يقول لقيته فى يومين، و اللقاء فى أحدهما. قلت: هذا الذى قال صحيح لأنّ ذكرك الشّهر الذى لم يكن فيه اللّقاء، فصل و لكن لو و صفت الشّهرين بما يكون فى واحد منهما فجمعت الصّفه فيهما كان جيدا، و ذلك قولك فى الشتاء يكون المطر و يقعد فى الشّمس أى هذا و هذا، و كذلك فى شهرى ربيع تأكل الرّطب و التمر أى هذا فى أحدهما، و هذا فى أحدهما كما يقول: لو لقيت زيدا و عمرا لوجدت عندهما نحوا أو خطّا، إن كان النّحو عند أحدهما، و الخط عند الآخر فليس هذا بمنزله الأوّل لأنّ اللقاء فى أحد الشّهرين و الآخر لا معنى لذكره البتّه.

قال أبو العبّاس: و من ذلك قوله تعالى: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ [سوره الرحمن، الآيه: ١٩] بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ [سوره الرحمن، الآيه: ٢٠] ثم خبر بفضائلهما فقال:

يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ [سوره الرحمن، الآیه: ۲۲] و إنما خرج من الملح لا من العذب و لكنه ذكرهما ذكرا واحدا فخبر بما يتضمّنانه. و كذلک قوله: وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ [سوره القصص، الآیه: ۷۳]، فالسّكون فی اللّیل و الاكتساب فی النّهار، و لكن كما جمعهما فی الذّكر ابتداء جمعهما فی الخبر انتهاء، افتنانا فی النظم و تبحرا فی السّبک و ثقه بأنّ اللّبس عنه بعيد كيف رتب و فی قوله تعالی:

لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ* [سوره الإسراء، الآیه: ۱۲] إشاره إلى التّواريخ و ضبط مبالغ الدّيون و المعاملات و آمادها و مواقيتها، و ما فيه معاشهم و رياشهم و عليه تبتنی منافعهم و مصالحهم، و قد دخل تحت ما ذكرنا ما أشار تعالی إليه بقوله: وَ كُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلًا [سوره الإسراء، الآیه: ۱۲] و إن كانت هدايته أبلغ، و مجامع بيانه من اللّبس أبعد، فأما قوله تعالی من الآيه الأخرى التی أوردتها مستشهدا بها جعل اللّيل لباسا أی للتّودع و السّكون يقال فی فلان ملبس أی مستمتع.

قال امرؤ القيس شعرا:

ألا إنّ بعد العدم للمرء فنيهو بعد المشيب طول عمر و ملبسا

و قال ابن أحمر:

لبست أبی حتّى تملّيت عمره و ملّيت أعمامی و ملّيت خاليا

و يجوز أن يريد باللّباس السّتر لأنّ الليل عطاء كل شیء و ستره كما قدّمنا، و الأحسن الأول يدل على ذلک قوله تعالی: أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلى نِسائِكُمْ، هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَ [سوره البقره، الآیه: ۱۸۷] و جعل العله فيما أحل منهنّ لهم من الرّفث إليهنّ كون الجميع لباسا أی مستمتعا و قوله: وَ النَّوْمَ سُباتاً أی راحه و أمنا و يقال: رجل مسبوت إذا استرخى و نام و سبت فلان العمل بالفتح إذا ترک العمل و استراح و انسبتت البسره، إذا لانت و قوله: وَ جَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً [سوره الفرقان، الآیه: ۴۷] مثل قوله: إِنَّ لَکَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا [سوره المزمّل، الآیه: ۷] أی ذهابا و تصرّفا فی طلب الرّزق، و لمّا كان النّشور فی النّهار جعله على المجاز نفسه، كقولک: فلان أكل و شرب على تقدير هو ذو أكل فحذف المضاف، أو لغلبه الفعل عليه، جعله كأنه الفعل على هذين الوجهين يحمل قوله شعرا:

ترتع ما رتعت حتّى إذا ادّكرت فإنّما هی إقبال و إدبار

و هو يصف وحشيه. قال بعض أصحاب المعانی النّشور فی الحقيقه الحياه بعد الموت بدلاله قوله شعرا:

حتی يقول النّاس مما رأوايا عجبا للميت النّاشر

و هو فی هـذا الموضع الانتباه من النوم و الاضـطراب من الـدّعه، و کما سـمّی اللّه تعالی نوم الإنسان وفاه بقوله تعالی: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها [سوره الزمر، الآیه: ۴۲] کذلک وفّق بین إبقاء من الموت فی التّسمیه بالنّشور.

و منه قوله تعالی: أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَ [سوره الفرقان، الآیه: ۴۵] الآیه قوله أ لم تر لفظ استفهام و حقیقه البعث علی النّظر و المعنی انظر حتی تتعجب إلی ما مـدّه اللّه من الظّل و إنّما قلنا هـذا لأنّ المـد مـدرک متبیّن و تبیّن کیفیته یبعـد فی الوهم فکیف فی الإدراک فلا یعلمه إلا اللّه و هذا علی عادتهم فی التّفاهم بینهم یقولون: أ رأیت کذا، و المراد أخبرنی و أ رأیتک و أ لم ترک کـذا و هل رأیت کـذا، و لم تر إلی کـذا، و أ لم تر کیف کذا؟ و الفصل فی أکثره أن تعق المخاطب علی ما تجب منه من المـدعو إلیه، و قـد استعمل هـل رأیت معـدولا به من حیث المعنی علی ظـاهره أیضـا؟ و ذلـک کقول القائـل: متی إذا جنّ الظلام، و اختلط جاءوا بمـذق؟ هل رأیت الـذئب قط؟ و یسـمّی مثل هـذا التّصویر لأنّ المعنی جاءوا بمذق أورق فصوّروا الورقه بلون الـذئب، فأمـا قوله تعالی: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ [سوره البقره، الآیه: ۲۵۸] فمعناه أ رأیت کالذی حاجّه بین ذلـک ما عطف علیه من بعـد لأنه تعالی قال: أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ [سوره البقره، الآیه: ۲۵۹] لأنّ المعنی علی ذلک، و الکلام جار علی التعجب، و لفظه إلی تأتی إذا حملت أ رأیت علی النظر.

فأما قوله تعالی: أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ [سوره الفیل، الآیه: ۱] فالمعنی أ لم تعلم و لا یحتاج إلی ذکر إلی.

و المراد بالظّل عنـد بعضـهم الذی یکون بعد طلوع الفجر فی انبساط و قبل طلوع الشّـمس و ظهورها علی الأرض، و قد قال أهل اللغه فی الفرق بین الظّل و الفی ء إنّ الظّل یکون بالغـداه و العشیّ، و الفی ء، لا یکون إلا بالعشـی لأنه اسم للـذی فاء من جانب إلی جانب. و منه قولهم فی ء المسـلمین للغنائم و الخراج الرّاجعه إلیهم. و قد جاء ما یفید فائدته فی صـفه الظّل فی مواضع، منها أکلها دائم و ظلّها. و منها قوله: و ظلّ ممدود، فجعل ما فی الجنه ظلالا فیئا، و کان رؤبه یقول: الظل ما لم تنسـخه الشّـمس، و هو أول و الفی ء مـا نسـخته الشّـمس، و هو آخر، و قـالوا: الظل بالغـداه و العشـی، و الفی ء بالعشـی، و قیل أیضا: الظل یکون لیلا و نهـارا، و الفی ء لاـ یکون إلّا بالنّهار، و ما نسـخته الشـمس ففی ء و کان فی أول النهار فلم تنسـخه الشّـمس، و قیل الظّل للّیل فی کلام العرب قال:

و کم هجرت و ما أطلقت عنهاو کم ربحت و ظلّ اللّیل دان

فجعل للّیل ظلا و قول الآخر و تفیئوا الفردوس ذات الظّلال، اتّساع أیضا لأنه جعل للأفیاء ظلالا فأما قوله شعرا:

فلا الظّل من برد الضّحى نستطيعه و لا الفى ء من برد العشى نذوق

فقد فصل بينهما قوله: وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً [سوره الفرقان، الآيه: ۴۵] سئل عنه متى كان متحركا فقيل: معنى السكون هاهنا الدوام و الثبات، أ لا ترى أنك تقول للماء الساكن الواقف ماء دائم و راكد و يمكن أن يقال: إنّ السّاكن هاهنا من السّكنى لا من السكون أى لو شاء لجعله ثابتا لا يزول كما أنّ سكنى الرجل الدّار يكون إذا قام و ثبت.

و قوله: ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا [سوره الفرقان، الآيه: ۴۵] يراد به أنّه لو لا الشّمس لما عرف الظل، فاللّه تعالى يقبضه و يبسطه فى اللّيل و النّهار، و على هذا يكون الدّليل بمعنى.

الدّال.

و قال بعضهم المعنى دللنا الشّمس على الظّل حتى ذهبت به و نسخته أى أتبعناها إياه قال: و يدلّك على ذلك قوله: ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً [سوره الفرقان، الآيه: ۴۶] أى شيئا بعد شى ء فعلى طريقته يكون دليلا فعيلا فى معنى مفعول لا فى معنى الدّال، و روى عن الحسن أنه كان يقول: يا بن آدم أما ظلّك فسجد للّه، و أما أنت فتكفر بالله.

و قال بعضهم: و قد أحسن ما قال: الظلّ من آيات اللّه العظام الدّاله بإلزامه الإنسان منه ما لا يستطيع انفكاكا عنه، فدلّ بذلك على لزوم القمر له و لسائر الخلق قال اللّه تعالى:

أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلى ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْ ءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَ هُمْ داخِرُونَ [سوره النحل، الآيه: ۴۸] فظلال الأشياء تمتد عند طلوع الشّمس من المشرق طولا ثم على حسب ارتفاع الشّمس فى كبد السّماء تقصر حتى ترجع إلى القليل الذى لا تكاد تحس، و حتى يصير عند انتصاف النّهار فى بعض الزّمان بمنزله النّعل للابسها، ثم يزيد فى المغرب شيئا شيئا حتى تطول طولا مفرطا، قبيل غروب الشّمس و إلى غروبها. ثم يدوم اللّيل كلّه، ثم يعود فى النّهار إلى حاله الأولى، فالشّمس دليل عليه لو لا الشّمس ما عرف الظّل، فاللّه بقدرته القاهره يقبضه و يبسطه فى اللّيل و النّهار. و إنّما قال: قَبْضاً يَسِيراً لأنّ الظّل بعد غروب الشّمس لا يذهب كلّه دفعه واحده، و لا يقبل الظلام كلّه جمله واحده، و إنّما يقبض اللّه تعالى ذلك الظّل قبضا خفيا و شيئا بعد شى ء، و يعقب كل جزء منه بقبضه بجزء من سواد اللّيل حتى يذهب كلّه، فدلّ اللّه على لطفه فى معاقبته بين الظّل و الشّمس و اللّيل، و من كلامهم وردته و الظّل عقال و طباق و حذاء. و قال:

و لو احقت أخفافها طبقاو الظّلّ لم يفضل و لم يكر

أى لم ينقص، و يقولون: لم يزل الظّل طاردا أو مطرودا، و محولا، و ناسخا، و منسوخا، و سارقا، و مسروقا، و كلّ الذى ذكرت عند التّحصيل بيان و تفصيل لما أجمل فيما قدّمته، و سيجى ء من صفات الظّل و أسمائه فى بابه ما تزداد به أنسا بما ذكرناه.

و أما قوله تعالى: أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلى ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْ ءٍ [سوره النحل، الآيه: ۴۸] الآيه فقوله: من شی ء من دخلت للتّبيين كدخولها مع المعرفه فی قوله: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ [سوره الحج، الآيه: ۳۰] و المعنى من شی ء له ظلّ كالشّخوص، و من هذه قد تجی ء مع النّكره فتلزم و لا تحذف تقول: من ضربک من رجل و امرأه فاضربه. هذا فی الجزاء كقوله تعالى: أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلى ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْ ءٍ و إنّما كرهوا حذف من لأنهم خافوا أن يلتبس الكلام بالحال إذا قلت إلى ما خلق اللّه شيئا، و معنى الحال هاهنا بعيد فألزموه من ليعلم به أنه تفسير و تبيين لما قد وقع غير مؤقت يكشف هذا أنّک لو قلت: للّه درّه من رجل، جاز أن يقول: للّه دره رجلا، و من رجال فإنک قد أمنت الالتباس بالحال إذا لم يكن ذلک موضعه.

فأما قولک: للّه درک قائما، فإنّما جاز سقوط (من) لأنّ الذى قبله مؤقت فلم يبال التباسه بالحال، قوله تعالى: يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمائِلِ [سوره النحل، الآيه: ۴۸] معناه ما قدّمته فی بيان قوله تعالى: كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً [سوره الفرقان، الآيه: ۴۵] و كشفه أن جميع ما خلقه عزّ و جلّ ظلّه يدور معه و يمتدّ لا ينفک منه حتى لو رام انسلاله من دونه لما قدر عليه يصحبه مقبلا و مدبرا، و كيف مال زائدا عليه و ناقصا منه ليذكره عجزه، و يصوّر له أنه على تصرفه المتين فی لزام أضعف قرين و ذلک تفيؤه أی ترجعه يمنه و يسره و متنعلا من تحت، و معتليا من فوق على حسب اختلاف الأحوال، فيكون للأشخاص فی ء عن اليمين و الشمائل إذا كانت الشّمس على يمين الشخص، كان الفی ء عن شماله، و إذا كانت على شماله كان الفی ء عن يمينه، و قيل: أول النّهار عن يمين القبله، و فی آخره عن شمال القبله، و معنى قوله: سُجَّداً لِلَّهِ وَ هُمْ داخِرُونَ [سوره النحل، الآيه: ۴۸] انها بآثار الصّنعه فيها خاضعه للّه تعالى، و ذكر السّجود قد جاء فی هذا المعنى فی غير هذا الموضع قال: (غلب سواجد لم يدخل بها الحصر)، و قال آخر:

بجمع تضلّ البلق فی حجراته ترى الأكم فيها سجّدا للحوافر

و المراد الاستسلام بالتسخير و الانقياد.

فأما قوله تعالى: وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذا طَلَعَتْ تَزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذاتَ الْيَمِينِ [سوره الكهف، الآيه: ۱۷] بعد أن قال: فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً [سوره الكهف، الآيه: ۱۱] فمعنى ضربنا على آذانهم أی أمتناهم، و منعناهم الإدراک، و يقال فی الجارحه: إذا أبطلتها ضربت عليها، و فی الممنوع عن التصرف فی شی ء ضربت على يده، و معنى تزاور، و تزور تنحرف عنهم، أی تطلع على كهفهم ذات اليمين و لا تصيبهم، و العرب تقول: قرضته ذات اليمين، و قرضته ذات الشمال، و قرضته قبلا و قرضته دبرا، و حذوته ذات اليمين و ذات الشمال، أی كنت بحذائه من كلّ ناحيه، و أصل القرض القطع- أی تعدل عنهم و تتركهم.

و قيل: إنّ باب الكهف كان بإزاء بنات نعش فلذلك لم يكن الشّمس تطلع عليه و إنما جعل اللّه تعالى ذلك آيه فيهم، و هو أنّ الشّمس لا تقربهم فى مطلعها و لا عند غروبها. و قال اللّه تعالى: وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ [سوره الرحمن، الآيه: ۶] و قد بيّن اللّه المراد بما ذكرنا فى آيه أخرى فقال تعالى: وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ ظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ [سوره الرعد، الآيه: ۱۵] يريد الانقياد فى الطاعه من الملائكه و المؤمنين فى السّماوات و الأرضين، و أنه يستسلم من فى الأرض من الكافرين كرها و خوفا من القتل، و ظلالهم بالغدوّ، و الآصال يؤدّى ما أودع من آيات الحكم و غرائب الأثر فسبحانه من معبود حقّت له العباده من كلّ وجه، و على كل حال فلا يتوجه إلا إليه و إن قصد بها غيره، و لا تليق إلا به دون من سواه و الدّاخر: الصّاغر، و يقال: تفيّأت الشّجره بظلها إذا تميلت. فأما قوله شعرا:

تتبع أفياء الظّلال عشيّهعلى طرق كأنّهن سبوب

فإنما أضاف الأفياء إلى الظّلال لأنه ليس كلّ ظل فيئا، و كل فى ء ظل، و تحقيق الكلام تتبع ما كان فيئا من الظلال، و مثله فى الاتساع قول الآخر:

لمّا نزلنا نصبنا ظلّ أخبيهو فاز باللّحم للقوم المراجيل

لأن المنصوبه هى الأخبيه، و يقال: أظلّ القوم عليهم أى أوقعوا عليهم ظلالهم، و إنما قال: و هم داخرون، لأن المنسوب إليها من أفعال العقلاء، فأعيرت عبارتهم، و قد مضى مثل هذا.

و منه قوله تعالى: فَسُبْحانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ [سوره الروم، الآيه: ۱۷] إلى تظهرون.

اعلم أنّ قولك: سبحان مصدر كقولك: كفران، و غفران إلا أنّ فعله لم يستعمل، و لو استعمل لكان سبح مثل كفر و غفر، و معناه التّبعيد من أن يكون له ولدا، و يجوز الكذب عليه و التّنزيه له، و البراءه من السّوء و كل ما ينفى عنه إلا أنه التزم موضعا و لم يجر مجرى سائر المصادر فى التّصرف و الاستعمال. و ذلك أنّه لا يأتى إلا منصوبا مضافا و غير مضاف، لكنّه إذا لم يضف ترك صرفه فقيل: سبحان من زيد، قال الأعشى شعرا:

أقول لمّا جاءنى فخرفسبحان من علقمه الفاخر

فلم يصرفه لأنّه معرفه فى آخره ألف و نون زائدتان فهو كعثمان، و سفيان كأنّه أجرى مجرى الإعلام فى هذا، و هم يحملون المعانى على الذّوات فى تخصيصها بأشياء كالأعلام لها، و على ذلك أسماء الأفعال، فأمّا قولهم: سبّح تسبيحا، فهو فعل بنى على سبحان، و معنى سبّح اللّه، أى قال: سبحان اللّه فهو عروض قولهم: بسمل إذا قال بسم اللّه، و قد

أطلق سبّح فی وجوه سوی هذا.

منها الصلاه النّافله يشهد لهذا قوله تعالی: فَلَوْ لا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ [سوره الصافّات، الآيه: ١۴٣] أی من المصلّين، و هو مستفيض أنّ السّبحه هی النافله، و كان ابن عمر يصلی سبحته فی موضعه الذی يصلی فيه المكتوبه.

و منها الاستثناء كقوله تعالی: قالَ أَوْسَطُهُمْ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لا تُسَبِّحُونَ [سوره القلم، الآيه: ٢٨] أی لو لا تستثنون. و قيل: هی لغه لبعض أهل اليمن و ليس للكلام وجه غيره لأنّه تعالی قد قال: قبل ذلک: إِنَّا بَلَوْناهُمْ كَما بَلَوْنا أَصْحابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحِينَ، وَ لا يَسْتَثْنُونَ [سوره القلم، الآيه: ١٧- ١٨] ثم قال: قالَ أَوْسَطُهُمْ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لا تُسَبِّحُونَ [سوره القلم، الآيه: ٢٨] فأذكرهم تركهم الاستثناء، و المراد من اللّه تعالی أن يعرفنا عبادته و يعلمنا حمده و ما يستحق به إذا أقمناه و كأنه قال: سبّحوا اللّه فی هذه الأوقات و تذكّروا فی كلّ طرف منها ما يجدد عندكم من أنعامه، ثم قابلوا عليه بمقدار وسعكم من الحمد و التّسبيح. قوله: حين تمسون و حين تصبحون- أی إذا أفضيتم إلی الصّباح و المساء و حق النّظم أن يكون حين تمسون و حين تصبحون و عشيا و حين تظهرون، لكنه اعترض بقوله تعالی: لَهُ الْحَمْدُ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ [سوره الروم، الآيه: ١٨] و مثل هذا الاعتراض إلا أنه أبين الفعل و الفاعل قوله شعرا:

و قد أدركتنی و الحوادث جمّهأسنّه قوم لا ضعاف و لا نكل عزل

و فی القرآن: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ، وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ [سوره الواقعه، الآيه: ٧۵- ٧۶- ٧٧]، ففصل بين اليمين و جوابها كما تری، و حسن ذلک لأن المعترض يؤكد المعترض فی الأوّل، و الحمد إذا اقترن بالتّنزيه و التّسبيح صار الأداء أوفر بهما و أبلغ، و الصّبح، و الصّباح، و الإصباح كالمسی ء، و المساء، و الإمساء، و هذا مما حمل فيه النّقيض علی النّقيض، و علی هذا المصبح و الممسی، و جاء فالق الإصباح، و يعنی به الصّبح و صبّحت القوم أتيتهم صباحا، أو ناولتهم الصّبوح، و يقولون: يا صباحاه إذا استغاثوا، و المصباح السّراج، و اصطبحت بالزّيت، و الصّباح قرط المصباح الذی فی القنديل و العشی آخر النهار، فإذا قلت عشيّه: فهی ليوم واحد، و العشی السّحاب لأنه يغشی البحر بالظّلام الذی يتلخّص به الآيه أن يعلم أنّ المساء منه ابتداء الظّلمه كما يكون من الصّبح ابتداء النّور، و الظّهيره نصف النّهار، و فلان يرد الماء ظاهره إذا ورد كلّ يوم نصف النّهار يقول، فعلموا اللّه تعالی بما يدلّ عليه آياته فی الصّباح و المساء، و الغدو، و الرّواح فإنّ فی معنی كلّ لمحه من هذه الأوقات بما يحويه من غرائب صنع اللّه فی تبديل الابدال، و تحويل الأحوال و إيلاج اللّيل فی النهار و النّهار فی اللّيل إيجاب شكره علينا معشر عبيده مؤتنف،

و إلزام حمده ببقاء الزّمان متّصل قوله تعالى: وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ [سوره الروم، الآيه: ١٨] يريد به فى أهل السّماوات و الأرض، فهو على حذف المضاف كقوله تعالى: وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ و المراد أهلها، و المعنى أنه محمود فى كلّ مكان و بكلّ لسان.

و ذكر بعض المفسرين أنّ قوله: فَسُبْحانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ [سوره الروم، الآيه: ١٧] الآيه دالّه على أوقات الصلاه، و هذا سائغ و إن كانت الفوائد فيما ذكرناه أعمّ و قد قال اللّه تعالى فى موضع آخر: أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ [سوره الإسراء، الآيه: ٧٨] الآيه، منبها على أوقات الصلاه مجملا، و تاركا تفصيلها و بيانها للنبى صلى اللّه عليه و سلم، و الدّلوك مختلف فيه فمنهم من يجعله الزّوال و منهم من يجعله الغروب، و هذا كما اختلفوا فى الآيه الأخرى و هى:

حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى [سوره البقره، الآيه: ٢٣٨]، فمنهم من قال: أراد بالوسطى العصر، و منهم من قال: أراد بها الفجر و يجوز أن يكون المفروض بقوله: أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ [سوره الإسراء، الآيه: ٧٨] أربع صلوات فى النّهار صلاتان: الظهر و العصر، و فى اللّيل صلاتان: المغرب و العشاء الآخره.

و قوله تعالى: كانَ مَشْهُوداً [سوره الإسراء، الآيه: ٧٨] أى يشهده الملائكه، و يجوز أن يكون المراد حقه أن يشهد، و الغسق الظّلمه. فأما اختصاص السّماوات و الأرض بالذّكر من بين الأشياء كلّها فلشمولها لكل مخلوق، و مثله قوله تعالى: وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَ فِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ [سوره الأنعام، الآيه: ٣] و المعنى و هو الذى يحق له العباده، و إذا كان كذلك فكلّ مذكور معلوم داخل فيهما، و يكون قوله: يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ [سوره الأنعام، الآيه: ٣] خبرا ثانيا أى هو إله فى الأرض كما هو إله فى السّماء لا يخفى عليه خافيه.

و يحتمل أن يكون المراد و هو اللّه فى السّماوات أى هو معبود فيها، و قد تم الكلام و يكون قوله: وَ فِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ [سوره الأنعام، الآيه: ٣] على أنه خبر ثان، و المراد أنه معبود فى جميع ذلك عالم بالسر و الجهر. و قيل فى قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلهٌ [سوره الزخرف، الآيه: ٨۴] أنّ الخلق يؤلهون إليه- أى يفزعون فى الشدائد إليه مستعينين به(١) و أهل الأرض متساوون فى حاجتهم إلى رحمته و جميل تفضله. فأما قوله: فِي السَّماءِ إِلهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلهٌ [سوره الزخرف، الآيه: ٨۴] فإله مشترك غير مخصوص و جاز فيه الجمع كما جاء: اجشاء الآلهه إلها واحدا.

و كما قال: اجشاء لنا إلها كما لهم آلهه و هو يعمل عمل الفعل، أ لا ترى أنّ قوله:

١- كذا فى الأصل، و الظاهر، و أهل السّماء، و أهل الأرض ١٢ الحسن النعمانى.

وَ هُوَ الَّذِی فِی السَّماءِ إِلهٌ الظّرف فیه متعلق بما فی الإله من معنی الفعل و فی تقدیره و إعرابه عده وجوه: منها أن یقال: إنّ العائد إلی الـذی محـذوف کأنّه قال: و هو الذی هو فی السّـماء إله و فی الأرض إله، و ساغ حذف العائد بطول، و هی قوله فی السّـماء إله و فی الأرض إله، و هـذا کما حکی عنهم ما أنا بالـذی قائل لک شیئا، و قـد قال الخلیل: إنی أستحسـنه إذا طال الکلام فهذا وجه، و یجوز أن یقال: إنه مرتفع بالابتداء و خبره فی السّماء و فی الأرض و العائد إلی الذی هو الذی یعود إلی إله لأنّ الذی هو فی المعنی و الحمـل علی المعنی مـذهب أبی عثمان، و قال مع ذلک لو لا کثرته لرددته، و مثله قول القائل: أنت الـذی فعلت، و قوله:

(أنا الذی سـمتنی أمی حیدره) و القیاس فعال، و سمته و قوله: وَ هُوَ اللَّهُ فِی السَّماواتِ وَ فِی الْأَرْضِ یَعْلَمُ سِرَّکُمْ وَ جَهْرَکُمْ [سوره الأنعام، الآیه: ۳] الظّرف لاـ یتعلق بالاـسم أعنی لفظه اللّه علی حـد مـا یتعلق بـإله إلاـ علی حـد ما ذکره لک، و هو أنّ الاسم لما عرف منه معنی التّدبیر للأشیاء و إبقائها بحفظ صورها فی نحو: أنّ اللّه یمسک السّماوات و الأرض أن تزولا، و نحو:

و یمسـک السّـماء أن تقع علی الأـرض إلاـ بـإذنه، و نحو: أمن جعل الأرض قرارا، و جعل خلالها أنهارا، صار إذ ذکر کأنه ذکر المـدبّر و الحافـظ فیجوز أن یتعلّق الظّرف بهـذا الـذی هو الاسم العالم بعـد أن صار مخصوصا و فی حکم أسـماء الأعلام التی لا معنی فعل فیها، فهذا بمعنی الاسم، و ما کان یدل علیه من قبل من معنی الفعل.

و علی هـذا تقول: هو حـاتم جوادا، و هو أبو حنیفه فقیهـا، و هو زهیر شـاعرا، فتعلق الحـال مما دخل فی هـذه الأسـماء من معنی الفعل لاشتهارها بهذه المعانی، فلا تری أنک لا تقول: هو زید جوادا ما لم یعرف بذلک و علی هذا تقول: هو حاتم کلّ الجواد، و هو أبو حنیفه کل الفقیه.

و منه قوله تعـالی: إِنَّ رَبَّکُمُ اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ السَّمـاواتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّهِ أَیَّامٍ* [سوره یونس، الآیه: ۳] الآـیه، لما کان اللّه تعالی خالق الأشـیاء و مبتـدعها، و مدبّر الأفلاک و مسـخّرها، و کانت الأبصار لا تدرکه، و الأقطار لا تحده، و أراد مع ذلک أن یعرف نفسه إلی من یتعبّده من خلقه لتسـکن نفوسهم إلی مصطنعهم فیعتصموا به و یتمسکوا بدعائه أحالهم علی مراده من ذلک بآثاره و آیـاته فی أرضه و سـمائه، إذ کـان الطریـق إلی معرفه الشـی ء إمـا أن یکـون بمـا یـؤدی إلیه رواتب الحس، و هی الأجسـام و الأعراض، أو بما یبرهن علیه دلائل الصّـنع، و هو ما یکشف عند الاسـتدلال، فأعلم المشرکین فیما أنزله أنّ الذی یجب تعظیمه و یحق ربوبیته هو خالق السّـماوات و الأرض فی سـته أیام، فتوصّـلوا إلی معرفه ما نصـبه من أدلّته، فسیشـهد لکم من جلائل قوّته و عزّته ما یزیـد فی البیان علی ما یصل إلیه الواحد منکم بحاسّـته و یصوّر لکم النّظر بما مهل فی أوائل عقولکم ما تمیّز الشّک من الیقین لکم و تخلّص الصفو من الکدر

فی معتقدکم، فالآله تامه، و العلّه منزاحه، و ما کلف بما کلفتم إلّا بحکمه بینه، و طریقه فی فنون الصّواب ثابته، و إنما خلقهما فی سته أیام لیعرف عباده أن الرفق فی الأمور، و ترک التّعجیل هو المرضی المختار فی التّدبیر لأنّه تعالی لو شاء أن یخلقهما فی أدنی اللّمحات، و أوحی(۱) الأوقات لما مسّه فیما یأتیه إعیاء و لا لغوب، و لا أعجزه کلال و لا فتور.

و إنّما أراد أن یحدثه حالا بعد حال لتدرک ثمرات عبرهم شیئا بعد شی ء، و لیتأدّب أولو البصائر بآیاته، و حمله قرنا بعد قرن، یبیّن هذا أنه تعالی نهی نبیّه علیه السلام فیما یتلقّاه من وحیه، و لا تعجل بالقرآن من قبل أن یقضی إلیک وحیه وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً [سوره طه، الآیه: ۱۱۴] و قال أیضا: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْقُرْآنَ تَنْزِیلًا فَاصْبِرْ لِحُکْمِ رَبِّکَ [سوره الإنسان، الآیه: ۲۳- ۲۴]، ثم جعل فیما نزّله مجملا و مطلقا و لو شاء لجعل الکلّ مفسرا، و نعی علی الکفار لما قالوا: لو لا نزل علیه القرآن جمله واحده. و قال: کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا [سوره الفرقان، الآیه: ۳۲] و هذا أحسن.

و قال بعض مشایخ أهل النّظر: لو أراد اللّه تعالی أن یخلقها و یخلق أضعافا کثیره معها لفعله، و هو علیها قادر لکنه جعلها فی سته أیام لیعتبر بذلک ملائکته الذین کانوا یشاهدونه، و هو یحدث شیئا بعد شی ء فی هذه الأیام السّته عبره مجدده، و یستدل بکل ما یحدث دلاله مستأنفه و لیکون ذلک زیاده فی بصائرهم، و الحجه التی یقیمها علیهم، فقیل له فی ذلک: إن کان ذلک حکمه فیجب أن یطرد فی جمیع ما خلقه و لیس الأمر علی هذا علی أنّ ذلک لیس بسائغ لأنّ الملائکه لا یستغنون عن مکان یحویهم و إذا کان لا مکان فی العالم إلّا السّماء و الأرض فلیس یعقل کون الملائکه قبل کونهما.

و یمکن أن یقال: فی هذا و اللّه أعلم أنه تعالی أعلمنا أنه أحدث شیئا بعد شی ء حتی وجدت عن آخرها فی ستّه أیام، و بیّن لنا بذکر الأیّام السّته ما أراد أن یعلّمنا إیاه من الحساب الذی لا سبیل لنا إلی معرفه شی ء من أمور الدّنیا و الدّین إلا به، کما قال: وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِینَ وَ الْحِسابَ [سوره یونس، الآیه: ۵] الآیه. فأصل جمیع الأعداد التّامه سته، و منها: یتفرع سائر الأعداد بالغا ذلک ما بلغ إذ کان ما عداها من الأعداد ناقصا، أو زائدا.

أ لا تری أنّ لهذا النّصف و هو ثلاثه و الثّلث، و هو اثنان، و السّدس، و هو واحد، و إذا حسبت جمیعها کانت سته، و عند من یعتنی بهذا الشأن أن نظیر السته من العشرات ثمانیه و عشرون، و کذلک لها فی کل من المائتین و الألوف نظیر واحد، فالسّته أول الأعداد التامه

۱- أی أسرع الأوقات ۱۲ قاموس.

كما أنّ التسعه منتهى الأنواع كلها الآحاد و العشرات و المئات و الألوف لاشتمالها على الفرد، و هو واحد و الزّوج و هو اثنان و الزّوج و الفرد، و هو ثلاثه و الزّوجين، و هو أربعه، و قد انتهى أنّ ما يجى ء من بعد يكون مكررا، و إذا حسبت الجميع كان تسعه، فكأنه سبحانه من حكيم أراد أن يكون انتهاء خلقه للعالم بأسره إلى عدد تام فيما يحصى كما أنّه فى نفسه تام لا بخس فيه و لا شطط فيما يروى و يتلى.

و نظير هذه الآيه قوله تعالى فى موضع آخر: و إن كان فيه زياده بيان، و سنحكم القول فى جميعه لأنّ ما فيه من زياده بيان نقيضه إن شاء اللّه تعالى.

و قوله تعالى: قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ [سوره فصّلت، الآیه: ۹] إلى فِی أَرْبَعَهِ أَیَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِینَ [سوره فصلت، الآيه: ١٠] يريد ما أضيف إليه لو لا ذلك لما كان لقوله سواء للسائلين معنى فكأنه قال فى تمام أربعه أيام سواء لمن يسأل عن ذلك، ثم قال: ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ [سوره فصّلت، الآيه: ١١] إلى فِی یَوْمَیْنِ [سوره فصّلت، الآيه: ١٢].

و اعترض بعض الملاحده فقال: هذا باطل إنكم وفقتم بين التفصيل فى هذه الآيه و بين الإجمال فى الآيه المتقدّمه، بأن تقولوا: قوله فى أربعه أيام، يريد مع اليومين الذين خلق الأرض فيهما، فما قولكم فى قوله: ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ الآيه. فدلّت هذه الآيات على أنه خلق الأرض قبل السّماء.

و قال فى موضع آخر: أَمِ السَّماءُ بَناها إلى وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها [سوره النازعات، الآيه: ٢٧، ٣٠] فدلت هذه الآيه على أنه خلق السّماء قبل الأرض.

و الجواب أنه إنما كان يحد الطّاعن متعلقا لو قال: و الأرض بعد ذلك خلقها، أو أنشأها و إنّما قال: دحاها، فابتدأ الخلق فى يومين، ثم خلق السّماوات و كانت دخانا فى يومين، ثم دحا بعد ذلك الأرض أى بسطها و مدها و أرساها بالجبال و أنبت فيها الأقوات فى يومين فتلك سته أيام و ليس أحد أنه تعالى لها فى سته أيام إلا كتكوينه إياها فى غير مده و لا زمان لكن الحكمه التى دللها عليها أوجبت تقسيمها و الإتيان بها على ما ترى.

و قال فى موضع آخر: خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّهِ أَیَّامٍ* [سوره يونس، الآيه: ٣] و كان عرشه على الماء، و هذا أبلغ فى الأعجوبه أن يكون العرش هذا البناء العظيم على الماء و إنما يراعى فى أسباب الأبنيه و وضع قواعدها أن يكون على أحكم الأشياء فهو مثل ابتداع أعيانها و إقامتها بلا عهد و لا علاقه. و قوله: ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ [سوره فصّلت، الآيه: ١١] أى قصد خلق السّماء كما خلق الأرض سواء، و عمد إليها بعقب خلقها من غير

حائل بينهما و ذلک تکوينه لهما جميعا كما أراد. و هذا كما يقال: فعلنا كذا، ثم استوينا على طريقنا، أو استمررنا فيها سائرين و لم يشغلنا عن الامتداد شاغل. قال زهير فی مصداق ذلک:

ثم استمرّوا و قالوا إنّ موعدكم ماء بشرقی سلمی فيد أو ركک

و يروی ثم استووا، و تنادوا، و قد كان اللّه تعالی قبل تسويته إياها علی ما هی عليه خلقها دخانا، فكون بعد ذلک من الدّخان سماء و شمسا و قمرا و كواكب و منازل و بروجا و قوله: اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ* [سوره يونس، الآيه: ۳] يريد الاستيلاء، و الملک يدل عليه قول بعيث:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهراق

يعنی بشر بن مروان لما ولی العراق، و العرش يحتمل أن يكنی به عن الملک و إن كان الأصل فيه ما يتخذه الملوک من الأسرّه، و لهذا قيل لقوّام أمر الرّجل العرش، و إذا اضطرب قيل ثلّ عرشه، و يحتمل أن يراد به السّماوات و الأرض لأنّ كلها سقف عند العرب، و يقال:

عرشت الشی ء، و سمكت، و سقفت، و سطحته بمعنی، و يكون مجی ء ثمّ علی هذا النّسق خبرا علی خبر لا لترتيب وقت علی وقت و مثل هذا قول الشاعر:

قل لمن ساد ثمّ ساد أبوه ثم قد ساد بعد ذلک جدّه

و ذكر بعض شيوخ أهل النظر أنّ ثم إنما هو لأمر حادث، و استيلاء اللّه علی العرش ليس بأمر حادث بل لم يزل مالكا لكل شی ء، و مستوليا علی كل شی ء فيقول: إنّ ثم لرفع العرش إلی فوق السّماوات و هو مكانه الذی هو فيه فهو مستول عليه و مالک له فثمّ للرفع لا للاستيلاء، و الرّفع محدث، قال و يشبه هذا قوله تعالی: وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ [سوره يونس، الآيه: ۳۱] لأنّ حتّی يكون لأمر حادث و علم اللّه ليس بحادث. و إنّما المعنی يجاهد المجاهدون و نحن نعلم ذلک و إنّما قال هذا لأنه لم يعرف ما ذكرناه من الوجه الثّانی فی ثم، و معنی يغشی اللّيل النّهار أی يغطی ضياءه و نوره، فهو كقوله: يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ* [سوره لقمان، الآيه: ۲۹] قوله: يطلبه حثيثا أی يطلب اللّيل النّهار، و الحثيث السّريع، و ذلک كما قال: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ [سوره يس، الآيه: ۴۰] جعل التّعاقب كالطّلب و قد مرّ القول فی ذلک مستقصی.

قوله تعالی: مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ* [سوره النحل، الآيه: ۱۲] أی بإرادته و انتصب القمر و ما بعده بالفعل، و هو خلق، و مسخّرات انتصبت علی الحال أی سخّرت بالسير، و الطّلوع و الغروب. قوله تعالی: أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ [سوره الأعراف، الآيه: ۵۴] المراد بالخلق

المخلوق و للأمر فی اللغه وجوه تجی ء و معناه الإراده و الحال و مصـدر أمرت، و تختص هنا بالإراده علی ذلک قوله تعالی: لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ [سوره الروم، الآیه: ۵۴].

و المعنی الأـمر کله له لا شـریک معه فی شـی ء و لا معین، و لا وزیر، و لا ظهیر. و إنّ إرادته هی النافـذه لا ترتـد و لا تبوء، و لا تتوقّف، و لا تکبو، بل یحصل المراد علی الوجه الذی یریده بلا تعب و لا نصب.

قوله تعـالی: فَتَبـارَکَ اللَّهُ رَبُّ الْعـالَمِینَ [سوره غافر، الآیه: ۶۴] تمجیـد و تجلیـل، و هـذا تعلیم من اللّه کیف یمجـد کما أنّ قوله تعـالی: الْحَمْـدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ [سوره الفاتحه، الآیه: ۲]، تعلیم کیف یحمـد، و العـالمین الخلائق. و قال بعضـهم: هو من العلامه لأنه بآثار الصّنعه فیه یدل علی الصّانع فهو کالعلامه له فی الأشیاء، و قیل هو من العلم کأنه علم الصانع جری مجری قولهم الخاتم و الطّـابع لأـنه یختم بهمـا الشـی ء و یطبع، ثم اختیر له جمع السـلامه لغلبه العقلاء النّاطقین. و قوله تعالی من الآیه الأخری: ذلِکَ رَبُّ الْعالَمِینَ [سوره فصّـلت، الآیه: ۹] بعـد قـوله: لَتَکْفُرُونَ بِـالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ تبکیت للمخـاطبین و إزراء بهم. و إنّ أمثال کیـدهم لا یعبأ بها و لا تأثیر لها مع خالق أصـناف الأشـیاء کلّها علی اختلاف فطرها. و تلخیص الکلام أ تکفرون بمن هذه آثاره، و تجحدون نعمه علیکم، مع ادعاء شرکاء له ذلک رب الأرباب و خالق الأرض و السّماوات، و هو لنا و لکم بمرصاد.

و معنی قوله تعالی: فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِیا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً [سوره فصّـلت، الآیه: ۱۱] بیان التکوین، و قوله تعالی: قالَتا أَتَیْنا طائِعِینَ [سوره فصّـلت، الآـیه: ۱۱] بیـان حسـن الطـاعه، و سـرعه التکـوّن لکنه لمّـا جعـل العبـاره مبنیه علی الابتـداء و الجـواب بالألفـاظ المسـتعاره و الأمثـال المضـروبه لتمکـن فی نفوسـهم و تعشـش فی صـدورهم جریـا علی عـادتهم فی أفـانین الکلاـم، و أسـالیب التّصاریف فی الاستفهام و الأفهام، و إخراجهم ما لا نطق له البتّه فی صوره النّاطق حتی صارت أجوبه أسـند لهم إذا واجهوها، و إن کانت من عندهم کأنها من مخاطب، إذ کان اعتبارهم یغنی عن الجواب و المجیب، حتّی قال بعضهم: إذا وقفت علی المزارع المرفوضه و الـدّیار الـدّارسه المتروکه فقـل: أین من شـقق أنهـارک و غرس أشـجارک، و جنی ثمارک؟ أین من بنی دورک و أسّـس ربوعک و عرّش سـقوفک؟ فإنها إن لم تجبک جوارا أجابتک اعتبارا. فعلی هـذا الـذی رتّبنا الکلام صار ظاهر بناء الأمر بالإتیـان طوعـا أو کرهـا إیجابـا لحصول الفعـل حتی لاـ معـدل عنه إذا کان وقوع الفعل من الفاعلین لا یقع إلّا علی أحـد هـذین الوجهین، و هذا کاف لمن تدبّر.

فأمّـا الطّوع و الکره و الطائع و المکره و اسـتعمال النّاس لهما فیما یثقل أو یخف و یهون أو یشـتد فظاهر، و قـد قال اللّه تعالی فی قصه ابنی آدم: فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِیهِ [سوره

المائده، الآيه: ۳] أى سهّلته عليه و دمثته. و أما التأنيث فى قال لها و قالتا فللفظ السّماء و الأرض و كونهما فى لغتهم مؤنثين، و أما جمع السّلامه فى طائعين فلما أجرى عليهما من خطاب المميزين، و قد مضى مثله. و روى فى التّفسير أنّ ابتداء خلق الأرض كان فى يوم الأحد، و استقام خلقها فى الاثنين، و بارك فيها و جعل فيها رواسى فى تتمه أربعه أيام مستويات تامّات للسائلين عنها ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ [سوره فصّلت، الآيه: ۱۱] أى عمد فقضاهن سبع سماوات فى يومين أى أحكمهما و فرغ منهما قال الهذلى:

و عليهما مسرودتان قضاهماداود أو صنع السّوابغ تبّع

و قيل: اللّام فى للسائلين تعلق بقوله تعالى: وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها [سوره فصّلت، الآيه: ۱۰] و المعنى قدر الأقوات لكلّ محتاج إليها سائل لها، و الأول أحسن فى النّظم و أجود، و يجوز أن يكون المراد بقوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ أى قصد لبنائها من غير فصل و لا- زمان كما يقال لمن كان فى عمل و أريد منه إتمامه و ترك الانقطاع عنه استقم ما أنت عليه و معنى: جَعَلَ فِيها رَواسِيَ [سوره فصّلت، الآيه: ۱۰] أى جبالا ثوابت تمسكها، و هذا كما قال تعالى: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً وَ الْجِبالَ أَوْتاداً [سوره النبأ، الآيه: ۶، ۷] و قوله: سَواءً المنتصب على المصدر أى استوت سواء، و استواء، و يجوز الرفع على معنى و هى سواء أى مستويات. و يجوز الخفض على أن يكون صفه لقوله فى: أَرْبَعَهِ أَيَّامٍ سَواءً [سوره فصّلت، الآيه: ۱۰] و المعنى مستويات.

و قوله تعالى: وَ أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها [سوره فصّلت، الآيه: ۱۱] المراد بالوحى الإراده و التكوين، و المعنى أخرج كل واحده من السّماوات على اختلافها على ما أراد كونها عليه و قدّرها من مراده قال تعالى: وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً [سوره الأحزاب، الآيه: ۳۸] و كما جعل السّماوات سبعا شدادا كذلك خلق الأرض سبعا طباقا بدلاله قوله تعالى: وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَ [سوره الطلاق، الآيه: ۱۲] و قوله: وَ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَ حِفْظاً [سوره فصلت، الآيه: ۱۲] يريد جعلنا الكواكب زينه للسماء و حفظناها من مسترقه السّمع، فالمصابيح يستضاء بها فى الأرض ليلا و نهارا، و قال: وَ حِفْظاً لأنها باللّيل رجوم للشياطين، و انتصب بفعل مقدّر كأنه. قال: زيّنت بمصابيح، و حفظت بها حفظا، ثم ختم القصّه بأن قال: ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [سوره فصلت، الآيه: ۱۲] نبه على حكمته فيما فعل و قدرته و أنه العالم بعواقب الأشياء حتى تقع وفق إرادته.

و منه قوله تعالى: تَبارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُرُوجاً [سوره الفرقان، الآيه: ۶۱] إلى شُكُوراً أراد بالبروج الحمل، و الثّور إلى الحوت، فالفلك مقسوم بها، و كل برج منها ثلاثون قسما، و يسمى الدّرج و إنما قسّم الفلك بهذه القسمه ليكون لكلّ شهر برج منها لأنّ

القمر يجتمع مع الشّمس فى مده هذه الأيام اثنتى عشره مره، فجعلت السّنه اثنى عشر شهرا، و هى التى تسمّى الشهور القمريه، و جعل الفلک اثنى عشر برجا لأنّ الشّمس تدور فى هذا الفلک دورا طبيعيا فمتى انتقلت من نقطه واحده بعينها عادت إلى تلک النقطه بعد ثلاث مائه و خمسه و ستين يوما و قريب من ربع يوم و يستعد فيها فصول السّنه التى هى الرّبيع و الصّيف و الخريف و الشّتاء. و لهذه العله سميّت هذه الأيام سنه الشّمس.

فلمّا كانت العرب تراعى القمر و منازله، و هى ثمانيه و عشرون منزلا فى قسمه الأزمان و الفصول و الحكم على الأحداث الواقعه فى الأحوال و الشّهور مراعاه عجيبه. و لهم فى ذلک من صدق التأمّل و استمرار الإصابه ما ليس لسائر الأمم حتى تستدل منها على الخصب و الجدب، و يعتمد منها على ما تبنى أمورهم عليه فى الظن و الإقامه ذكّرهم اللّه تعالى بنعمته عليهم فيها، و على جميع الخلق و دعاهم إلى إقامه الشّكر عليها ليستحقّوا المزيد، فقال تعالى فى موضع آخر: أَ لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً [سوره نوح، الآيه: ۱۵] و قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً [سوره يونس، الآيه: ۵] فقوله: تَبارَكَ تعليم منه أى قولوا تبارک، و المعنى دام ذكره و ثبت بركته عليكم و يمنا و استدامه الخير و نفعا.

و أصل البروج فى اللّغه الحصون، فاستعيرت على التّشبيه و قوله تعالى: جَعَلَ فِيها سِراجاً [سوره الفرقان، الآيه: ۶۱] أى الشّمس و قد كرر ذكر الأنوار و الظّلم فى عده مواضع؛ و لم يجعل لفظه السّراج من بينها إلّا للشّمس، و ذلک لشى ء حسن و هو أنّ الضّياء و النّور و المصباح و ما أشبهها من أسماء ما يستضاء به لا يقتضى شى ء منها أن يكون فى الموصوف به اتقاد و حمى إلّا الشّمس، فتبّه تعالى على ذلک فيه بأنّ سماه سراجا، و لا تسمى سراجا حتى يكون محرقا، و كشف اللّه تعالى عن المراد بقوله فى موضع آخر: وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً [سوره النبأ، الآيه: ۱۳]. و الوهج ضوء الجمر و اتّقاده، فلهذا خصّ الشّمس بأن و صفت بالسّراج و هذا بيّن. قوله: جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرادَ شُكُوراً [سوره الفرقان، الآيه: ۶۲] أى مختلفه يجى ء هذا خلف هذا، و هذا خلف هذا، و يجوز أن يريد به أنها تجى ء و بعضها يخلف بعضا لأنها لا تستقرأ إلا بهذا بل تتابع و تختلف فى قصورها و يكون شاهد هذا الوجه قوله تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ [سوره آل عمران، الآيه: ۱۹۰]. و انتصاب خلفه يجوز أن يكون على الحال، و قوله: لِمَنْ أَرادَ مفعولا ثانيا لجعل، و المعنى صير اللّيل و النّهار على اختلافهما لمن أراد تذكرا، أو تشكرا، و اللّام فى لمن تعلق بجعلنا، و يجوز أن ينتصب خلفه على أنه مفعول ثان لجعل، و اللّام فى لمن تعلق بها حينئذ أى صيّر خلفه لهم و من أجلهم و الوجه فى تفسير خلفه حينئذ أن يكون من الخلافه لا من الاختلاف فاعلمه،

و قوله تعالى: لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ روى عن الحسن فيه أنه قال: من فاته(۱) عمله من التّذكّر و التّشكر كان له فى اللّيل مستعتب و من فاته باللّيل كان له فى النّهار مستعتب.

و تلخيص الآيه من أراد الاستدلال على اللّه، فتفكر فى آلائه التى لا تضبط و تذكر أنعمه التى لا تحصى كانت أوقات اللّيل و النّهار ميسره له مهيأه، فليأت منها كيف شاء، و الشّكر كل ما كان طاعه و ثناء على اللّه، و يكون بالفعل و القول جميعا قال تعالى: اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ [سوره سبأ، الآيه: ۱۳] قال تعالى: وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ* [سوره القمر، الآيه: ۱۷] و من تأمّل هذا التّوسيع من اللّه عليه حتى لا وقت من أوقاته إلّا و له أن ينقطع فيه إلى اللّه من غير تضيق و لا مدافعه على أنّ اللّه تعالى شكور كريم يقبل الإنابه كيف اتفقت، فنعمته عند إنعام من شكره مثل نعمته حين يبتدئ من صنيعه، فسبحانه من منعم فى كلّ حال.

و منه قوله تعالى: انْطَلِقُوا إِلى ما كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ [سوره المرسلات، الآيه: ۲۹] إلى لِلْمُكَذِّبِينَ قوله تعالى: انْطَلِقُوا لم يرد به الأمر بالانطلاق و إنما هو مقدمه يأس من المأمور و بعث على الأخذ فى غيره على هذا قوله تعالى: وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا [سوره ص، الآيه: ۶] و هذا فى المعنى كقولهم: طفق يفعل كذا، و أقبل يأمر بكذا، و قم بنا نفعل و إن لم يكن، ثم اقبال و قيام و يقولون: ذهب يقول فى نفسه و إن لم يكن منه ذهاب لأنّ المراد ما كان مهيأ لذلك و فى صورته و على هذا قولهم: تعال نفعل كذا و هلم نأخذ فى كذا قوله تعالى: إِلى ما كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ الذى كذّبوا به فى الدّنيا هو البعث و النّشور و ملائكه اللّه و كتبه و رسله و شى ء من ذلك لم يوجهوا إليه إنّما المراد صيروا إلى ما كنتم تحذرونه و تخوفون له فلا تعبئون به و لا تنزجرون لمكانه و هذا تبكيت و تقريع.

قوله تعالى: انْطَلِقُوا إِلى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ [سوره المرسلات، الآيه: ۳۰] ذكر أهل التّفسير أنه يخرج لسان من النّار فتحيط بهم كالسّرادق، ثم تنشعب منه ثلاث شعب من الدّخان فيظللهم حتى يفرغ من حسابهم و يساقون إلى النّار و لا يمنع أنّ يكون المراد انطلقوا إلى ما كنتم به تكذّبون من شدائد عقابه و أليم سخطه. و يكون انطلقوا الثّانى شرحا للأوّل، و كالتّفسير له و المراد انطلقوا من العذاب إلى ما يلزمكم لزوم الظّل و لا روح فيه و لا راحه من الحركه، كما كنتم ألفيتموه فى الدّنيا عند الحرب من لفح الهاجره و لهب الحرور إلى الظّلال الثابته بل يرمى بشرر يتطاير، و كأنّها فى عظمها جمالات صفر، و الجمالات جمع جماله، و زيدت التاء توكيد التأنيث الجمع. و هذا كما يقال: بحر و بحاره و ذكر و ذكاره، و قد قرأ ابن

۱- كذا فى الأصل، و الظاهر من فاته باليوم- الحسن النعمانى.

مسعود جماله، و قرئ جمالات و هو أكثر فى القراءه و أقوى و لا تمنع فى قراءه ابن مسعود أنّها الطائفه منها، و يراد بالجمالات الطّوائف، و هذا كما يقال: جمال، و جمالات، قال: عند التفرق فى الهيجاء جمالات، و يكون جمالات، و جمال كحبال، و حبالات، و بيوت، و بيوتات للطّوائف، و قد قيل: رجال و رجاله كرجالات فى كلامهم يريدون ما فسرت و بينت لأنّ رجال نهايه الجمع و رجاله إذا جعلتها للطّائفه فهى دونه، و معنى صفر سود قال: هى صفر ألوانها كالزّغب.

و قد قيل: جعلها صفرا لأنّ لون النّار إلى الصّفره قوله تعالى: بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ [سوره المرسلات، الآيه: ٣٢] قيل فيه: واحد القصور و التّشبيه بها لعظمها، و قيل: القصر بسكون الصاد جمع قصره، و هى الغليظ من الشّجر و قرئ كالقصر بفتح الصاد و هى أعناق الإبل.

فأما تكرير التّشبيه و جعلها أولا كالقصر و فى الثانى كالجمالات فكأنه أراد بالقصر الجنس فتحصل الموافقه لأنّ الجنس كالجمع فى الدلاله على الكثره؛ أو أراد تشبيه الشّرره الواحده بالقصر، فإذا توالت شررا كثيرا فهى كالجمالات، فعلى هذا حصل التّشبيه للواحد و للجمع و اللّه أعلم.

و قوله تعالى: لا ظَلِيلٍ فهو كقولهم: داهيه دهياء، و نهار أنهر، و ليل أليل، و ليله ليلاء يتبعون الشى ء بصفه مبنيه منه. و المراد المبالغه و التأكيد. و قال: ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ [سوره المراسلات، الآيه: ٣٠] لأنها محيطه بأهلها من جميع الجوانب إلّا القفاء لأنها لا تقفى نفسها و على هذا كل ذى ظل إذا تأملته و يشهد للإحاطه قوله تعالى: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ [سوره الزمر، الآيه: ١۶]. و قال تعالى: يَوْمَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ [سوره العنكبوت، الآيه: ۵۵]، و قال بعض أصحاب المعانى: فى (ثلاث شعب) المراد أنه غير ظليل، و أنه لا يغنى من اللّهب و أنّها ترمى بالشّرر كالقصر، و تحصيل هذا ذى ثلاث صفات.

و منه قوله تعالى: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ [سوره الواقعه، الآيه: ٧۵] إلى الْعالَمِينَ قوله: فَلا أُقْسِمُ يجوز أن يكون قوله: فَلا نفيا لشى ء قد تقدّم، و تكون الفاء عاطفه عليه و ابتداء اليمين من قوله: أُقْسِمُ و يجوز أن تكون لا دخلت مؤكّده نافيه كما جاء فى قوله تعالى: لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ [سوره الحديد، الآيه: ٢٩]، و المعنى لأن يعلم، و قال بعضهم: لا دخلت لنفى الأقسام، و قال لأنّ الإيمان يتكلّفها المتكلم تأكيدا للإخبار، و إزاله لما يعترض فيها من التّجوز و التّسمح؛ و إذا كان الأمر على هذا فقوله: فَلا أُقْسِمُ يجوز أن يراد به أنّ المحلوف له فى الظّهور و خلوصه من الشّك أبين و أوضح من أن

یتکلّف إثباته بالإیمان. و علی هذا یکون قوله: و إنّه لقسم یراد به أنّ الحلف بمواقع النّجوم عظیم ممّن أقسم بها، و قوله: لَوْ تَعْلَمُونَ بعث علی الفکر فی المحلوف فیه و بما یتضمّنه مما یعظم موقعه فی الصّدور عند تأمّل الأحوال المبهجه للاستدلال؛ و قیل: أراد بالنّجوم الأنواء و ما یتعلق بها من حاجات النّفوس و من المآرب و الهموم علی اختلاف المعتقدات فیها. و قیل: بل المراد بها فرق القرآن لأنّ اللّه تعالی أنزله نجوما لما عرفه من مصالح المکلّفین و المدعوّین إلی الدّین، و یکون الشّاهد لهذا الوجه قوله: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ [سوره الواقعه، الآیه: ۷۷]، و یکون الطّریق فیمن جعلها الأنواء التّنبیه علی وجوه النّعم فی الأنداء و الغیوث، و ما به قوام الخلق فی متصرفاته. قوله تعالی: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ جواب الیمین عند من أثبته یمینا و فِی کِتابٍ مَکْنُونٍ [سوره الواقعه، الآیه: ۷۸] یجوز أن یرید به اللّوح المحفوظ لأنه أودع التّنزیل اللّوح، ثم فرّق منه نجوما و یشهد لهذا قوله تعالی: وَ إِنَّهُ فِی أُمِّ الْکِتابِ لَدَیْنا [سوره الزخرف، الآیه: ۴] و ذکر الأم کما قیل فی المجرّه أم النّجوم، و کما قیل مکه أمّ القری، و معنی کریم أنّه خلص من جمیع الأدناس، و طهّر من الشّوائب، یشهد لهذا قوله تعالی فی صفه المؤمنین: وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا کِراماً [سوره الفرقان، الآیه: ۷۲].

و هذا کما یقال: فی صفه الشی ء العظیم الخطیر هو مکرم علی أی یجلّ موقعه، و المراد بقوله تعالی: لا یَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ [سوره الواقعه، الآیه: ۷۹] الملائکه إذا جعلت الکتاب اللّوح المحفوظ، و المعنی لا یصل إلیه و لا یقرّبه غیرهم و ذلک علی حسب ما یصرفون فیه عند تنزیله، و إن جعلت الکتاب المکنون ما حکم اللّه به من قضایاه و تعبّد به عباده من أصناف العبادات، و شاهد هذا قوله تعالی: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ [سوره الحجر، الآیه: ۹] و إنّ حفظ الشی ء و صیانته و کنه واحد، و الشّاهد فی أنّ الکتاب المکنون هو الحکم المفروض. قوله تعالی: وَ لَوْ أَنَّا کَتَبْنا عَلَیْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَکُمْ [سوره النساء، الآیه: ۶۶]، و قوله تعالی: کُتِبَ عَلَیْکُمُ الصِّیامُ کَما کُتِبَ عَلَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ [سوره البقره، الآیه: ۱۸۳]، فحینئذ یکون معنی لا یمسّه لا یطلبه کما قال:

مسسنا من الإباء شیئا و کلّناإلی حسب فی قومه غیر واضح

و قد حکی أنّ اللمس و الالتماس و المس متفقات، و الحجه فی أنّ اللمس مثل الالتماس قوله تعالی: وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ [سوره الجن، الآیه: ۸]. و قول الشاعر:

ألام علی تبکّیه و ألمسه فلا أجده

فقوله: لا أجده یشهد بأنّ المراد بالمس الطّلب لا غیر، و قد أحکمت القول فی هذا:

فی (شرح الحماسه)، و قال بعض النّظار: قوله تعالی: لا یَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ [سوره الواقعه، الآیه: ۷۹]، لفظه لفظ الخبر، و المراد به النهی، و المعنی لا یتناولن المصاحف إلّا

المطهّرون، فليس يجوز للجنب و الحائض مسّ المصاحف، تعظيما لها و إجلالا- قوله تعالى: تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ [سوره الواقعه، الآيه: ۸۰] تصديق للنبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى جميع ما دعا إليه من الإيمان بالله تعالى أو فى إبطاله دعاويهم و شهاداتهم فى القرآن و سائر العبادات، و ارتفع تَنْزِيلٌ على أنّه صفه لقوله: لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، أو على أنّه خبر مبتدأ محذوف.

و منه قوله تعالى: قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ [سوره الإسراء، الآيه: ۴۲]، كما يقولون إلى حَلِيماً غَفُوراً ذكر اللّه تعالى فيما وعظ من قبل قوله: وَ لا- تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتُلْقى فِي جَهَنَّمَ [سوره الإسراء، الآيه: ۳۹] ثم أتبعه بقوله تعالى: وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا [سوره الإسراء، الآيه: ۴۱]، و الإنذار بالتّبكيت الشّديد و الوعيد الممض إلزاما للحجّه، و إظهارا للعناد منهم، و أنه هداهم فلم يهتدوا، و ذكّرهم فلم يعبئوا إعجابا برأيهم، و ذهابا عند التّدبّر، و النّظر ليومهم و غدهم و دنياهم و آخرتهم، ثم أخذ عزّ و جلّ يحاجهم على لسان نبيّهم فقال: قل لهؤلاء الذين ضلّوا عن الرّشاد، و عموا عن الصّواب، إنّ اللّه تعالى لو شركه فى ملكه غيره كما تدّعون لفسدت الأحوال، و تقطّعت الوصل و الأسباب. و لعلا بعضهم على بعض و كان يطلب كلّ الاقتسار، و تسليم الأمر له، كما قال هو: لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا [سوره الأنبياء، الآيه: ۲۲]. و كان لا- ينفع الاستثناء فيما بينهم و ترك الخلاف و إظهار الرّضاء، لأنّ الاستبداد، أو طلبه و إن لم يظهر فعلا من واحد منهم فلا مهرب من تجويزه عليهم؛ و جوازه لن يحصل إلّا عن تقدير استضعاف، و من قدر فيه ضعف فإنه لا يكون إلها و هذا بيّن. قوله تعالى: إِذاً لَابْتَغَوْا إِلى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا [سوره الإسراء، الآيه: ۴۲]، أى لطلبوا إلى أخصّهم بالملك، و أولاهم بالأمر منازعته و مجاذبته و مساواته و مسامته؛ قوله:

ذِي الْعَرْشِ يجوز أن يريد به ذا السلطان و العزّ، و يجوز أن يريد به ذا السّرير الذى حمله فى السّماء و الملائكه يطوفون حوله. كما أنّ البيت المعمور فى السّماء الرابعه. و قال بعضهم: أى العرش، و أنشد قول الشّماخ: (فأدمج دمج ذى شطن بعيد). قال: يريد أدمج شطن، فزاد ذى، فكذلک قوله: إلى ذى العرش، يريد إلى العرش، و المعنى لطلبوا إلى الاستيلاء على العرش، و الاستواء عليه طريقا، قال و مثله لفظ حى أنشد أبو زيد:

يا قرّ إنّ أباک حيّ خويلدقد كنت خائفه على الإحماق

يريد أنّ أباک خويلد، فزاد قوله: حى، و قوله تعالى: عَمَّا يَقُولُونَ الظّالمون بمعنى علا، و المعنى جلّ، و ارتفع عما يقول المشركون أكده بقوله: عُلُوًّا، و وصف العلو بالكبر مبالغه فى التّبعيد. قوله تعالى: وَ إِنْ مِنْ شَيْ ءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ [سوره الإسراء، الآيه: ۴۴]. يريد ما من شى ء إلّا و بما فيه من أثر الصّنعه يدلّ على قدره اللّه تعالى و يشهد.

بإلهيته، و يدعو إلى عبادته و ينفى عنه مشابهه لخلقه، و جميع ما لا يليق بحكمته. و معنى يسبّح بحمده أى ينزهه، إما إعرابا باللّسان، أو دلاله بواضح البرهان، و فائده قوله: يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ أى فيما يظهر من حكمته فى خلق ما خلق. و الأنعام على من أنعم حمدا له إذا لم يكن إعداد الشّكر فى مقابله النّعم أكثر من إضافه النّعم إلى المنعم، فإذا كان الحمد توليه النعمه ربّها و إشاده ذكره و نسبتها إليه، فآثار النعم حامده شاكره لمسديها. أ لا ترى إلى قول القائل: (و لو سكتوا أثنت عليك الحقائب). فنسبه الثناء إلى الحقائب كنسبه التّسبيح بالحمد للّه إلى الدّال عليه و المقيم له. و هذا حسن بالغ. قوله تعالى: وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ [سوره الإسراء، الآيه: ۲۲] أى تجحدونه، أو تعرضون عنه فعل من لا يفهم و هذا كقوله تعالى يصفهم: لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها [سوره الأعراف، الآيه: ۱۷۹]، ثم قال: أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُ [سوره الأعراف، الآيه: ۱۷۹]. قوله تعالى: إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً [سوره الإسراء، الآيه: ۴۴]، يريد هو حليم حين لم يعاجلهم فيما ادّعوه بالعقوبه و لكن تركهم إمهالا و رفقا، و هو غفور لمن أناب و إن ارتكب كلّ منكر قبيح رحمه منه لعباده و حسن تفضّل.

و منه قوله تعالى: لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ [سوره الحديد، الآيه: ۲] إلى عَلِيمٌ، أثبت اللّه لنفسه أنه القادر الغالب، فهو يملك و جميع ما تدركه الأبصار و الأوهام من أصناف العالم جليلها و دقيقها، خيرها و شرّها، يتصرّف فيها كما شاء؛ و اختار تصرّف الملاک، فهو ملك مالك يبدئ، و يعيد، و يحيى و يميت، و قد أقرّت له الصعاب.

و تذلّلت له الرّقاب. لا يمتنع عليه مراد و إن عزّ و شقّ. و لا يوجد عنه ذهاب فيما ثقل أو خفّ. إليه آماد الأعمار، و الأرزاق، و مصارف البقاء و الفناء فهو القادر الحكيم، و العالم الغنى، لا يخفى عليه معلوم و إن دقّ، و لا يعزب عن الظّهور له مطلوب و إن رقّ، الأول فى الوجود لقدمه لا عن ابتداء مده، و الآخر بعد فناء كل شى ء خلقه فى الدّنيا لبقائه لا إلى غايه، لم يزل و لا يزال على ما هو عليه من ديموميته، و حكمته، و صواب فعله و قدرته، يحيى الأموات إذا شاء، و يميت الأحياء إذا شاء، و يفنى المخلوقات إذا شاء، و يعيدها إذا شاء. الظّاهر بما له من آياته التى لا تخفى، و عبره التى لا تفنى، و الباطن لأنه لا تدركه الأبصار و لا تحصله الحواس، و هذا وجه فى الآيه. و قيل: أراد بالظّاهر أنّه غالب على كل شى ء، بما دلّ به على نفسه، من أصناف صنعه كما قال تعالى: فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظاهِرِينَ [سوره الصف، الآيه: ۱۴]، أى عالين غالبين، و يقال: ظهرت على الجلى الواضح الذى هو كالجمر. و قيل فى الباطن التى هى فى خفائها كالسّر فهو بما تجلّى منها ظاهر، و بما خفى منها باطن، و هذه آيه لها جوانب تقتضى الكلام عليها و أنا إن شاء اللّه أبلغ الغايه بمقدار فهمى.

اعلم أنّ اللّه تعـالی قال فی موضع من کتابه: کُلُّ مَنْ عَلَیْها فانٍ وَ یَبْقی وَجْهُ رَبِّکَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِکْرامِ [سوره الرحمن، الآیه: ۲۶، ۲۷] مـا قال علی الموت لأنّ الموت إنّما نعـدم به الحیاه، و اللّه تعالی قال: کلّ من علیها، و لم یقل حیاه من علیها، و قال بعـده: وَ یَبْقی وَجْهُ رَبِّکَ، و المیت جیفه تبقی، و إذا کان کـذلک فلا فضـیله فی البقاء مع الشـرکه فیه، و إذا سـقطت الفضـیله فلا تمدّح لرب العالمین، و قال تعالی فی موضع آخر: کُلُّ شَیْ ءٍ هالِکٌ إِلَّا وَجْهَهُ [سوره العنکبوت، الآیه: ۸۸]. و ذکر فی صفات نفسه هو الأول، و الآخر، و الظّاهر، و البـاطن. و کلّ هـذه الآی دالّه علی أنّه تعالی یصـیر منفردا بالوجود، کما کان منفردا به من قبل أن یخلق الخلق و أنه تعـالی یفنی کـل ما خلقه إفناء لا یبقی له أثر و لا رسم حتی یصـیر بالفناء فی حکم ما لم یخلق و لم یوجـد، و قال تعالی: هُوَ الَّذِی یَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ [سوره الروم، الآیه: ۲۷] و فی آخر: کَما بَدَأَکُمْ تَعُودُونَ إِنَّهُ هُوَ یُبْدِئُ وَ یُعِیدُ [سوره الأعراف، الآیه: ۲۹]، و المعاد هو وجود علی صـفه لا زیاده علیها، و هو أن یتقدّم الوجود للشـی ء فیبطل، ثم یعاد إلی الذی کان علیه من الوجود، و إذا کان السمع قد أثبت معادا، و حقیقه المعاد ما ذکرناه من أنّ ما سمّیناه فی الأول إحداثا و محدثا سمّیناه، و قد بطل و استجد الجاده فی الثانی معادا، و مستجدا فقد وضح معنی قوله: کُلُّ مَنْ عَلَیْها فانٍ و الآی التی معها.

فإن قیل الذی یعرفه أهل اللغه من معنی الفناء هو نفاد المرکب قلیلا قلیلا کنفاد الزّاد و الاضمحلال و الهزال هو تحلّل الأجزاء؛ و الاسـتحاله هو تغیّر مزاج الشـی ء. قلت: الفناء بطلان الشی ء دفعه واحده، و هو ضد الإنشاء و الاختراع فإذا تجاوزت هذا الموضع فاسـتعماله علی ضرب من التّشبیه به فقوله تعالی: کُلُّ مَنْ عَلَیْها فانٍ [سوره الرحمن، الآیه: ۲۶]، یرید أنّ جمیع ما خلقه قبل الوقت الموعود للثّواب و العقـاب یبطله بمعنی یخزعه، إذا حصـل فنی به الأجسـام، و الأعراض کلّهـا. فناء الضّد بالضّد، و لیس ذلک المعنی بمقدور للعباد. و البقاء لا یجوز علیه، فإذا أفناهم بعزته الغالبه بذلک المعنی أعادهم بقدرته الواسعه کما کانوا قبل الفناء، و لا یصـح مـا أجمع علیه المسـلمون من أمر المعـاد و الفنـاء إلّا علی ما ذکرناه، و هو اللغه و الشّرع، و النّاظر فیما ذکرناه بیّن له معرفه الفناء مثل ما بین له من معرفه المعاد.

و حکمه وضـع اللّغه لأنّ الـذی ینقطـع وجوده بـالموت کـالحی منّا ظـاهر التمیز عمـا لا ینقطع وجوده بالفنـاء، و مـا أشـبهه من الأعراض. و إذا کان کذلک فإنّا نثبته بالسّمع کما ثبت جواز کونه و خلق اللّه له بالعقل و لکلّ معرفه حقیقه إلی اللّه تعالی، کما قـال: وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی [سوره الإسـراء، الآیه: ۸۵]. و یکون من جمله مـا اسـتأثر بعلمه، و إذا أعادهم حشرهم النّظر فی أعمالهم فی مواقف مختلفه، کما قال تعالی: إِنَّ إِلَیْنا إِیابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا حِسابَهُمْ [سوره الغاشیه، الآیه: ۲۵، ۲۶]. و کما قال تعالی: فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ [سوره إبراهیم، الآیه: ۴۷]، و کما قال تعالی: إِنَّ یَوْمَ الْفَصْلِ کانَ

مِيقاتاً [سوره النبأ، الآيه: ١٧] إلى سَراباً فإن سأل سائل عن معنى قوله: فَكانَتْ أَبْواباً [سوره النبأ، الآيه: ١٩]. و عن وجه التشبيه بالسّراب قلت: معنى قوله: أبوابا يريد كانت ذات أبواب مفتّحه، و ليس المعنى صارت كلّها أبوابا، كما أنّ قوله: كانت فراخا بيوضها صارت كلّها فراخا، لأنها إذا صارت كلّها أبوابا عادت فضاء، و خرجت من أن تكون أبوابا.

و أما التّشبيه بالسّراب، فالمراد به بيان إلماعها، و تخلخلها فى نفسها، و السّراب هو الذى يتخيّل للنّاظر نصف النّهار كأنه ماء يطرد، و يقال: سرب الماء يسرب، إذا سال، و المراد ما يتداخل النّفس من تغير المعهود، و قد أخرج اللّه تعالى صفه القيامه فى معارض مختلفه لاختلاف أحوال المسوفين، و كرر ذكرها، و حذّر منها، و نبّه من أمرها على كثير مما يكون فيها ليبين فظاعتها فقال تعالى: فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ [سوره المرسلات، الآيه: ٨] إلى لِيَوْمِ الْفَصْلِ، و قال تعالى: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ [سوره الحجر، الآيه: ۴٨] الآيه، فتبديل الأرضين و السّماوات و إطفاء الضّوء و تفريج السّماء و تحليل عقدها حتى تصير أبوابا و طمس نجومها؛ و انتشار كواكبها، و نسف جبالها كلّ ذلك، أو أكثرها مما تؤكد حال الفناء، و إزاله معاقد الأرض و السّماء. و قد درج تعالى فى هذه الصفات لأنه تعالى ردّدها متفننه فى أوقاتها بين أوائلها، و وسائطها، و أواخرها فمن ذلك قوله تعالى: يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ [سوره النازعات، الآيه: ۶] إلى بِالسَّاهِرَهِ. و قال تعالى: ذلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُ أى الوعد به صدق، أو يراد به أنه يوم حق لا باطل معه إذا قام الأوّلون و الآخرون، و يجتمع متفرّق الأسباب، و متمزّق الأجلاد، و يعود غائب الأرواح، و يحشر الأفواج. و قد قال تعالى: فَإِذا جاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرى [سوره النازعات، الآيه: ٣۴] و الطّامه هى العاليه على ما قبلها.

و قال تعالى: إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ [سوره الانفطار، الآيه: ١] إلى وَ أَخَّرَتْ، و قال تعالى: إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ [سوره الانشقاق، الآيه: ١] إلى وَ تَخَلَّتْ و إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ [سوره التكوير، الآيه: ١] و إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ، و إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها [سوره الزلزله، الآيه: ١]، و قال تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَهِ أَيَّانَ مُرْساها [سوره الأعراف، الآيه: ١٨٧] إلى آخر السوره. و هذا السؤال، و الجواب مثل سؤالهم عن الرّوح فقوله: فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراها إِلى رَبِّكَ مُنْتَهاها [سوره النازعات، الآيه: ۴۴] مثل قوله تعالى: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی و قال تعالى: إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَ يُعِيدُ [سوره البروج، الآيه: ١٢] و الإبداء إبداعه الخلق كلّه لا من شى ء و الإعاده ما وعد به من الإحياء بعد الإماته، و البعث، و الحشر، و إعداد الثّواب و العقاب.

و حكى عن الأصمعى أنه قال: إذا قال الرجل: أول امرأه أتزوّجها فهى طالق لم يعلم هذا من قوله حتى يحدث بعدها أخرى، فإن ماتت لم تكن أول لكنه لا تشركها أخرى.

قال أبو العباس المبرّد: و هـذا خطأ لأنّ قوله: أول هو موقع لما بعـده و ذلك أن تأتى بعـده بما شئت، و لا يكون آخر إلّا لشـى ء قبله غيره، و إنّما هو مأخوذ من آخره. و قيل: لما كان لا أول له. قال المبرد: و لا يجوز هـذا إلّا فى صـفه القديم تعالى، فهو الأوّل و الآخر و الظّاهر و الباطن. و قال الفقهاء: إذا قال الرجل: أوّل عبـد أملكه فهو حر، فملك عبدين جميعا معا لم يعتق واحد منهما، و إن ملك بعـد ذلك عبـدا آخر لم يعتق أيضا لأنه ليس بأول، و لو قال: أوّل عبـد أملكه فهو حر، فملك عبدا و نصف عبد عتق العبـد و لم يعتق النّصف لأنّ هـذا أول عبـد ملكه، و النّصف لا يسـمّى عبـدا واحدا، و لو قال آخر: امرأه أتزوّجها من النّساء فهى طـالق، فتزوّج امرأه، ثم تزوّج أخرى، ثم طلّق الأـولى، ثم تزوّجها، ثم مات فإنّ الطّلاق يقع على الثانيه التى تزوّجها و ما يقع على التى تزوّجها أول مره و ليست بآخر، و التزوج بها ثانيا لا يخرجها من كونها أول امرأه.

أ لاـ ترى أنه لو نظر إلى امرأتين، فقـال: آخر امرأه أتزوّجهـا منكمـا فهى طـالق، فتزوّج إحـداهما، ثم تزوّج الأخرى طلقت الثانيه حين يتزوجهـا لأنهـا آخر امرأه تزوّجهـا منهما و لو تزوّج الأولى بعـد الثانيه لم تطلق، و كان المبرد إنما قال: لا يجوز هـذا إلّا فى صفه القديم لمكان الآخر لأنه لم يزل و لا يزال، أولا و آخرا، و الواحد منّا ليس كذلك فاعلمه.

و منه قوله تعالى: وَ أَقِمِ الصَّلاهَ لِذِكْرِی [سوره طه، الآیه: ۱۴] و فى موضع آخر أَقِمِ الصَّلاهَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ [سوره الإسراء، الآیه: ۷۸] إلى مَقاماً مَحْمُوداً، و قوله تعالى:

وَ أَقِمِ الصَّلاهَ يريـد أدمها و اثبت عليها فلان لا يقوم لكـذا، و هـذا يقوم على بكذا، فله تصـرّف فى الأمر واسع. قوله تعالى: وَ أَقِمِ الصَّلاهَ لِذِكْرِی يحتمل وجهين: أحدهما أقم الصّـلاه لتذكرنى بها أى الصّـلاه ذكرى لقوله تعالى: إِنَّ الصَّلاهَ تَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ [سوره العنكبوت، الآیه: ۴۵] و قوله تعالى: وَ أَقِمِ الصَّلاهَ لِذِكْرِی أى إذا ذكرتنى، فأقم الصّلاه كأنه يرجع النّسيان كالذّكر فى الوجه الأول تسبيح اللّه و تمجيده بصـفاته الكريمه، و فى الوجه الثانى الرّجوع إليه بعد ذهول يسـبق و نسيان يلحق، و اللّام من قوله:

لذكرى أى عند ذكرى، و كذلك قوله تعالى: أَقِمِ الصَّلاهَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ أى عنده و لام الإضافه يدخل فى الكلام لوجوه.

أ- التمليـك: كقوله تعـالى: وَ لِلَّهِ مـا فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ* [سوره النجم، الآیه: ۳۱] و كقوله تعالى: وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ [سوره الجن، الآیه: ۱۸].

ب- أن يكون الشى ء سببا لغيره، و علّه له مثل قوله تعالى: إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ [سوره الإنسان، الآیه: ۹].

ج- أن يكون دخوله لمعنى الإراده كقولك: قمت لأضرب زيدا أى قمت إراده

لضربه، و لکی أضربه أی قمت من أجل هذه الإراده، و قد یحذف اللام من هذا و أشباهه.

د- أن یکون بمعنی فی کقوله تعالی: هُوَ الَّذِی أَخْرَجَ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ مِنْ دِیارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ [سوره الحشر، الآیه: ۲] أی فی أول الحشر.

ه- أن یکون لمرور الوقت علی الشی ء کقول النابغه شعرا:

توهّمت آیات لها فعرفتهالستّه أعوام، و ذا العام سابع

أی عرفتها و قد أتت علیها سته أعوام، أو توهّمتها لذلک، و یقال أتی للصّبی سنتان علیه و کم سنه أتت لک؟

و- أن یکون لمعنی بعد کقوله صلی اللّه علیه و آله و سلم: «صوموا لرؤیته»، و قوله تعالی: فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ [سوره الطلاق، الآیه: ۱] و العده هاهنا ظرف للطّلاق و بمنزله وقت له لا عله و لا سبب، کما لم یکن الحشر عله لإخراج الذین کفروا إنما کان عله إخراجهم کفرهم، و الدلیل علی ما قلنا أنه قال: لأول الحشر جعل له أولا.

ز- أنه یدخل لما ذکرناه أولا، و هو قوله تعالی: أَقِمِ الصَّلاهَ لِذِکْرِی و أَقِمِ الصَّلاهَ لِدُلُوکِ الشَّمْسِ أی لاصفرارها عند غروبها دلکت فهی دالک و قال ابن عباس: لدلوک الشّمس لزوالها الظهر، و العصر و أنشد:

شادخه(۱) الغرّه غراء الضّحک

تبلج الزّهراء فی جنح الدّلک

فجعل الدّلک غیبوبه الشّمس، و قال أبو حاتم: روی عن أبی عمرو أنّ دلوکها زوالها فعلی هذا یجوز أن یکون المفروض بالآیه أربع صلوات الظّهر- و العصر، و المغرب، و العشاء- باللّیل. و یجوز أن یکون إلی غسق فی موضع مع، فیدل علی فرض صلاتین من اللّیل و النّهار، و ثالثه یدل علیها: وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ کانَ مَشْهُوداً [سوره الإسراء، الآیه: ۷۸].

ثم سائر الصّلوات یدلّ علیها بغیر هذه من الآیات و قوله: وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ [سوره الإسراء، الآیه: ۷۸] یرید، و أقم قرآن الفجر، و المعنی أقم الصلاه بالقراءه، و هذا یدل علی أن الصلاه لا تکون إلا بقراءه، فالضمیر فی به یرجع إلی القرآن، و معنی کانَ مَشْهُوداً أی حقّه أن یشهد أی یخرج له إلی المساجد، و یقام مع الجماعه فیشاهد و قیل أراد تشهده الملائکه، و قوله تعالی: وَ مِنَ اللَّیْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَهً لَکَ [سوره الإسراء، الآیه: ۱۷] معنی تهجد اسهر یرید استیقظ، و معنی به أی بالقرآن و یقال هجّد أیضا بمعنی نام.

۱- انتشرت الفرّط من النّاصیه إلی الأنف.

قال:

هجدنا، فقد طال السّرى و قدرنا أنّ خنا الدّهر غفل

يريد يومنا و مثل هجد، و تهجّد قولهم حنث و تحنّث لأنّ معنى حنث لم يبر فى اليمين، و معنى تحنث ألقى الحنث عن نفسه.

و هذا الأمر اختص به النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تفضيلا له على جميع الخلق.

و معنى نافله لک عطاء لک و تكرمه لـذلک أتبعه بقوله تعالى: عَسى أَنْ يَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً [سوره الإسراء، الآيه: ۷۹] أى افعل ذلک رجاء أن تثاب هذا الثواب العظيم.

و قيل فى المقام المحمود إنّ المراد به الشفاعه للمذنبين، و الذى عليه الناس أنّ الدّلوک مغيب الشّمس، و يذهب العرب لذلک إلى أنّ قول القائل:

هذا مقام قدمى رباح غدوه حتى دلکت براح

يدل على صحه قولهم و أصله أنّ السّاقى يكترى على أن يسقى إلى غيبوبه الشّمس، و هو فى آخر النّهار يتبصّر هل غابت الشّمس. قوله: براح أى يضع كفه فوق عينه و يتبصر، قال: و يسلم للحديث ما جاء أنّ ابن عباس قال: إنّ غسق اللّيل ظلمته الأولى للعشاء و المغرب، فإذا زادت قليلا، فهى السّدفه، و قوله: (نافله لک) ليست لأحد نافله إلّا للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم لأنه ليس من أحد إلا يخاف ذنوبه غيره فإنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر فعمله نافله.

و منه قوله تعالى: أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ [سوره هود، الآيه: ۱۱۴] إلى الْمُحْسِنِينَ، و قوله تعالى: قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا [سوره المزمل، الآيه: ۲] الآيه طرفا النهار النهار الفجر و العصر و كما ثنى الطرف هنا جمع فى قوله تعالى: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ* [سوره الحجر، الآيه: ۳۹] إلى وَ أَطْرافَ النَّهارِ لَعَلَّکَ تَرْضى [سوره طه، الآيه: ۱۳۰] لذلک اختلف النّاس فبعضهم جعله من أوقات الصلوات المفروضه، و القائل بهذا يكون عنده الفجر من النّهار محتجا بأنه ابتداء الصوم لقوله تعالى: وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ [سوره البقره، الآيه: ۱۸۷] و الذين يخالفونه يجعلونه من اللّيل، و يدعون أنّ ابتداء النّهار طلوع الشمس و انتهاءه غروبها، و إذا زالت الشّمس انتصف النّهار فأما قوله تعالى: وَ أَطْرافَ النَّهارِ [سوره الحجر، الآيه: ۳۹] فيجوز أن يجعل النهار للجنس حتى يصير له أطرافا، و يجوز أن يجعل الجميع مستعارا للتثنيه لأنّ أرباب اللغه قد توسعوا فى ذلک أ لا ترى قوله: يا ناحه و دخيلا، ثم قال: طرفا فتلک لهما تنمى، و كقوله تعالى: فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما [سوره التحريم، الآيه: ۴] و ليس

بمستنكر أن تسمى الساعات أطرافا، كما قيل أصيلاله و عشيّات فى آخر الأصيل، و العشيه.

قال أبو العباس ثعلب أطراف النّهار قيل يعنى صلاه الفجر، و الظهر، و العصر، و هو وجه أن جعل الظهر، و العصر من طرف النّهار الآخر، ثم يضم الفجر إليهما فيكون أطرافا، و قال أبو العباس المبرد: معناه أطراف ساعات النّهار أى من اللّيل سبّحه و أطعه فى أطراف ساعات النّهار (الآناء) الساعات واحدها أنى، و يكون من آنيت- أى أخّرت و من قول الشّاعر:

و أنيت العشاء إلى سهيل أو الشّعرى فطال بى الإناء

و قال العجّاج: طال الإناء، و انتظر النّاس الغير من أمرهم على يديك، و التور طال الإناء و زايل الحق الأشر. و فى القرآن: غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ فأما قوله تعالى: وَ زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ [سوره هود، الآيه: ۱۱۴]، فالزّلف السّاعات و من أبيات الكتاب:

طىّ اللّيالى زلفا فزلفاسماوه الهلال حتّى احقوقفا

و الزّلفه واحده الزّلف، و يقال لفلان عندى زلفه، و زلفى، و هى القربه، و فى القرآن:

وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ* [سوره الشعراء، الآيه: ۹۰] أى قرّبت، و سميت المزدلفه لاقتراب النّاس إلى منى بعد الإفاضه من عرفات، و انتصب سماوه على المفعول من طى اللّيالى، و المعنى أنّ اللّيالى طوت شخص الهلال، و نقصته شيئا شيئا حتى ضمر و دقّ.

قوله تعالى: إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ [سوره هود، الآيه: ۱۱۴] يجوز أن يريد أنّ الحسنات من أفعال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و المؤمنين يبطلن سيئات الكفّار و المجرمين، و هذا بشاره من اللّه للمؤمنين بأنه سيعلى كعبهم، و ينفذ كلمتهم كما قال: بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ [سوره الأنبياء، الآيه: ۱۸] و يجوز أن يكون مثل قوله تعالى: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ [سوره النساء، الآيه: ۳۰] و يكون هذا مثل قوله تعالى: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ* [سوره التوبه، الآيه: ۳۳]، و قوله تعالى: ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ [سوره هود، الآيه: ۱۱۴] أى أخبرناك بما أخبرنا من ضمان النّصره، و قمع الباطل، و إعلاء كلمه الحق لكى تتذكر به فيزداد حرصا على الإدخار و الإصلاح و لأنك إذا أقررت به و التزمته فتذكرته تيسّر لك المطلوب و قد قال تعالى: إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ [سوره ق، الآيه: ۳۷] يريد أنّ المأمور بهذا، أو الموعوظ إذا قبله حصل لك بذلك ذكر فى الذّاكرين، و هذا ترغيب لأنّ ما يبقى به الذّكر ليس كما يلغى و ينسى. قال:

فقال له هل تذكرنّ مخبرايدل على غنم و يقصر معملا

أى هل تعتد بهذا الخبر فتذكره به، فأما قوله تعالى: قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا [سوره المزمل، الآيه: ٢] أى من النّصف، أو زد عليه، فانتصاب اللّيل إلّا قليلا أى قبله بقليل أو بعده بقليل لأنّ بيان أو انقص منه، أو زد عليه ذلك، و المعنى قم نصف اللّيل، أو انقص من نصفه حتى يرجع إلى الثلث، أو زد على نصفه حتى يبلغ الثلثين، و فى هذه الأشياء منها أنّه جعل نصف اللّيل قليلا منه سواء جعلته بيانا للقليل المستثنى، أو جعلته بيانا للباقى الواجب لأنّ الكلام يقوم على الوجهين جميعا و منها أنّ قوله: أو انقص منه قليلا- بمعنى إلّا قليلا فى التّحصيل و لكنّه ذكر مع الزّياده، و كان كالمكرّر، و كثير من أهل النّظر يذهبون إلى أنّ القله تقع على ما دون الثلث لقوله عليه السّلام لسعد فى الوصيّه:

«و الثلث كثير» و منها أنّ هذا التّنويع يدل على أنّه تعالى لم يفرضها عليه لكنّه على سبيل التّرغيب لأنّ الفرائض التى يفرضها اللّه على عباده ليس يجعل الأمر فيها إليهم فينقصوا ما شاءوا، و يزيدوا فيها ما شاءوا، و قد قيل: إنّ اللّه تعالى كان فرض على رسوله و على المؤمنين قيام اللّيل، ثم نسخه إذ كان شقّ عليهم فقال تعالى: إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَ طائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَ اللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ [سوره المزمل، الآيه: ٢٠] أى يعلم مواقيتها و يعلم أنكم لن تحصوه أى لن تطيقوا معرفه حقائق ذاك و القيام فيه، فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسّر من القرآن، قالوا: و هذا فى صدر الإسلام، ثم نسخ بالمكتوبات الخمس.

و قوله تعالى: أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ يجوز أن يكون من دنا الشّى ء إذا سفل، فنزل كما قال: ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى أى نزل، و منه قوله تعالى: يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَ [سوره الأحزاب، الآيه: ٥٩] أى يرسلن، و قال بعضهم: معنى أدنى أدون، لكنّه قلب فقدّم اللّام و قوله تعالى: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا [سوره المزمل، الآيه: ٥] يجوز أن يكون المعنى قولا- يثقل العمل به، و يجوز أن يريد به قولا- له وزن، و خطر بين الكلام إذا ميّز أى ليس بالسّفساف الدّون، و معنى يلقى ينزل فيتلقنه. و منه قولهم: ألقيت على فلان مسأله كذا، فأعييته. و قوله تعالى: وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقائِهِ [سوره السجده، الآيه: ٢٣] فبعضهم يجعله من هذا أى لا- تلك فى شك من نزول هذا الكتاب قبلك، و كان شيخنا أبو على ينكر أن يكون القيت من لقيت، و يقول: إن لقى يتعدّى إلى مفعول واحد يقول: لقيت زيدا فلو كان ألقيت من لقيت لوجب أن يتعدّى إلى مفعولين. كما أنه إذا دخل على ما لا يتعدى إلى المفعول عداه إلى واحد يقول: خرج زيد و أخرجته و ذهب زيد، و أذهبته.

و تقول فى المتعدى: قرأ كذا و أقرأته أنا كذا، و سمع زيد شرا، و أسمعته أنا خيرا. و إذا كان كذلك، و وجدنا لقى يتعدّى إلى مفعول واحد، و ألقيت مثله يتعدّى إلى مفعول واحد

و علمنا أنهما من أصلين فاعلمه. قوله تعالى: إِنَّ ناشِئَهَ اللَّيْلِ [سوره المزمل، الآيه: ۶] يريد السّاعه منشأ الحدوث و يقال فلان ناشئ و نشأت السّحابه من قبل البحر، و يجوز أن يكون ناشئه يراد بها الحدث لا الفاعل فيكون كاللاغيه فى قوله تعالى: لا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَهً [سوره الغاشيه، الآيه: ۱۱] أى لغوا و كالكاذبه فى قوله تعالى: لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَهٌ [سوره الواقعه، الآيه: ۲] أى كذب و مثل ذلک قم قائما أى قم قياما. قوله تعالى: هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِيلًا [سوره المزمل، الآيه: ۶] أى أبلغ فى القيام و أبين فى القراءه لما فى اللّيل من السكون و القرار، و يجوز أن يريد أنها أشد على الإنسان و أشقّ لأنّ اللّيل للتودّع و الرّاحه.

و قرئ و طاء بالواو و المد و المعنى أشدّ مواطاه للقلب إذا نقله السّمع.

و منه قوله تعالى: فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ [سوره الانشقاق، الآيه: ۱۶] إلى لا يَسْجُدُونَ أول السوره إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ و الانشقاق و الانفطار، و الانفتاح يتقارب فى المعنى و ذلک من أهوال القيامه، و ما يتغيّر فيها من الأمور، و يتبدّل. و قيل: المراد انشقّت بالغمام كقوله تعالى فى موضع آخر: وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ [سوره الفرقان، الآيه: ۲۵]. و جواب إذا محذوف لما يدل عليه ما عرف من أهوال القيامه و شدائدها و تخمر فى النفوس و تقرّر.

و المراد إذا انشقت السّماء كان من أشراط القيامه فيكم ما عرفتموه، و تكرر عليكم وصفه، و قيل جوابه فى قوله تعالى: إِنَّکَ كادِحٌ إِلى رَبِّکَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ [سوره الانشقاق، الآيه: ۶] و قيل جواب إذا مضمر مقدم، و المراد اذكر إذا حدثت هذه الحوادث. و قيل جوابه أذنت، و الواو زائده. و النّحويون على اختلافهم يردّون هذا و كأنّ قائله شبهه بقوله تعالى: حَتَّى إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها [سوره الزمر، الآيه: ۷۱] لأنّ المعنى عنده فتحت و الأجود عندى أن يكون جواب إذا قوله تعالى: يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّکَ كادِحٌ إِلى رَبِّکَ [سوره الانشقاق، الآيه: ۶] أى فى ذلک الوقت يكون ذلک حالک، و معنى أذنت لربّها أطاعت، و استمعت، و أجابت، و حقّت أى وجب ذلک عليها، و كانت محقوقه بالانشقاق.

و قوله تعالى: وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ [سوره الانشقاق، الآيه: ۳] كأنّه بسط مجموعها و أخرج مضمونها و موعدها حتى تخلّت. قوله تعالى: يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ [سوره الانشقاق، الآيه: ۶] عموم دخلت الكافه تحته، و قوله تعالى: إِنَّکَ كادِحٌ إِلى رَبِّکَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ [سوره الانشقاق، الآيه: ۶] يشير إلى ما قاساه مده حياته و اكتسبه فى متصرّفاته و نيل فيه من سعاده و شقوه و حياه و إماته، و ما تزوّده من دنياه و أعدّه لأخراه، أى تسعى سعيا قد أتعبک و تلاقى له كل ما قدّمته من عملک و تصير من حميته إلى ما تستحقّه بفعلک. قال:

و ما الدّهر إلّا تارتان فمنهماأموت و أخرى أبتغى العيش أكدح

و قوله: فَمُلاقِيهِ من قولک: لاقيت من كذا جهدا و أذى، و قاسيت من كذا

مكروها. و الضّمير فى ملاقيه إن شئت جعلته للكدح و الأجود أن تجعله للرّب، و المعنى تلاقى جزاءك منه فيكون على حذف المضاف. و الشفق الحمره تبقى من الشّمس فى المغرب إلى وقت العشاء. و قال بعضهم: هو البياض الذى إذا ذهب صلّيت العشاء الآخره لأنّ الحمره تذهب عند الظّلام.

قال الفرّاء: سمعت بعض العرب يقول: عليه ثوب مصبوغ كأنه الشّفق و كأن أحمر.

قوله تعالى: وَ اللَّيْلِ وَ ما وَسَقَ [سوره الانشقاق، الآيه: ۱۷] أى جمع و أدرك من مقتضياته، و هوله و يجوز أن يكون وسق بمعنى، طرد يريد و ما جاء به و احتمله، و الوسيقه الطّريده.

و قوله تعالى: وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ [سوره الانشقاق، الآيه: ۱۸] يريد استتبّ، و استوسق لثلاث عشره و أربع عشره، و يجوز أن يريد باتّساقه استمراره فى سيره و تناهيه فى ازدياد ضيائه:

لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ [سوره الانشقاق، الآيه: ۱۹] كما قيل سادوك كابرا، عن كابر، و المعنى كبيرا عن كبير أى يتردّدون بعد أحوال مختلفه، و يخرجون من بعضها إلى بعض من نشر و حشر و فناء و إعاده؛ و (الطّبق) الشّده قال: (قد طرقت ببكرها أم طبق).

و قال:

فلو رآنى أبو حسّان و انحسرت عنىّ الأمور إلى أمر له طبق

يقال: رغب، و رهب أنت بينهما حب الحياه، و هول الموت و الشّفق و فائده القسم تأكيد الوعيد على المخاطبين بهذا الكلام، و هو قوله تعالى: لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ [سوره الانشقاق، الآيه: ۱۹] و قرئ لتركبنّ جعل الخطاب للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و المراد لتركبنّ طبقا من طباق السّماء.

و قوله تعالى: فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ [سوره الانشقاق، الآيه: ۲۰] لفظه استفهام معناه الإنكار، و التبكيت يقول: ما الذى منعهم من الإيمان، و قد وضحت الدلائل و السّبل، و تكرّرت الآيات و النّذر، و ضاقت المعذره و حقّت الكلمه. قوله تعالى: وَ إِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ [سوره الانشقاق، الآيه: ۲۱] اكبارا و إعظاما و إيمانا، و إيقانا و هو من المعجزات الباهره و الإلزامات المسكته. و هل ذهابهم عن تدبّره و اشتغالهم إلّا عناد فبشّرهم بعذاب أليم. أصل البشاره من البشره استبشر بشى ء انبسط جلده، و نضر وجهه، و هذا و أمثاله إذا استعملت فى غيره كقوله: تحيه بينهم ضرب وجيع. أى يقيمون بدل التّحيه عند اللّقاء ذلك، فأما قوله تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ [سوره القمر، الآيه: ۱] فإنما معناه سينشق القمر، و من أثبت ذلك دليلا لا ختص به عبد اللّه بن مسعود، و إنّ سائر النّاس لم يروه لأنّ اللّه حال بينهم و بين رؤيته بغمامه، أو غير ذلك. و يجوز أن يكون غير عبد اللّه بن مسعود قد رأى ذلك، فاقتصر فى نقله على رؤيه عبد اللّه، و على ما نطق به القرآن من ذكر،

و كـان الجاحـظ ينفيه و يقول: لم يتواتر الخبر به و يقول أيضـا: لو انشق حتى صـار بعضه فى جبـل أبى قبيس لوجب أن يختلف التقويمات بالزيجات لأنه قد علم سيره فى كلّ يوم و ليله فلو انشقّ لكان وقت انشقاقه لا يسير.

و منه قوله تعالى: الَّذِی خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً [سوره الملك، الآيه: ۳] إلى وَ هُوَ حَسِيرٌ أوّل السوره تَبارَكَ الَّذِی بِيَدِهِ الْمُلْكُ [سوره الملـك، الآيه: ۱] و ليس تفاعـل هـذا كتفاعـل الـذى يفيـد التكلّف للشـى ء عن غير موجب له نحو تخـازر، و تعـارج، و تساموا، و تجاهلوا لكنّه بمعنى فعل و أصل البركه البقاء و الزّياده، و كذلك لفظه تعالى فى صفه اللّه، فهى بمعنى علا و مثله لعلا و تكبّر بمعنى كبر و علا، و هـذا كما يقال: علا قرنه، و اسـتعلاه و قال زهير: و كان أمرين كلّ أمرهما يعلو. و مثله قرّ و اسـتقر، و هزأ، و اسـتهزأ، و يشـهد لما قلنا قول امرئ القيس: تجبر بعد الأكل فهو نميص. و إنّما يصف نبتا قد رعى ثم عاد منه شى ء فتجبر بمعنى جبر من قوله: قد جبر الدّين الإله فجبر.

و قـد كشف عن المراد بقوله: فهو نميص أى لقصوه كـأنّه ينمص بالنّماص، و هو المنقاش، و متى جعلت تجبر صار كالجباره، و هى النّخله التى فاتت اليد طولا و أوقع آخر الكلام أوّله لأنّ المنموص لا يتجبّر و لا يطول. و على هذا قوله تعلّى الندى فى متنه و تحـدّرا يريد علا و حدر، و أنشد أبو عبيده: تخاطأت النّبل أحشاءه معناه أخطأت، فهذا شاهد تبارك و تعالى، و مثل هذا أجاب، و استجاب و قوله تعالى: بِيَدِهِ الْمُلْكُ [سوره الملك، الآيه: ۱] أى يملك الملك الذى يمكّن عباده منه، و يصرفهم فيه، فالبقاء له و القـدره و التمكّن، و القمر بأمره و حكمه، و إضافه الفعل إلى اليد ضـرب من التّوسع يقال: و فى يدى و ملكى و فى قبضـى، و هو قبضـى. قال تعالى: وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ [سوره الزمر، الآيه: ۶۷] أى يحكم فيها حكما لا قصور فيه عن المراد، و لا تجاوز إلى أكثر من المرتاد، ففعله وفق إرادته و وفق قصده و إرادته، فخلق الحياه لمن يريد اسـتبقاءه ليعبده، و الموت إلى غير ما هو عليه إخبارا منه لطاعه المطيع منهم، فيشـيبه و معصـيه العاصى منهم فيعاقبه، و هو العزيز فلا يفوته الهارب، القدير فلا يعجزه المغـالب. قوله تعـالى: خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقـاً أى بعضـها فوق بعض و على حـده، فيطابقه، و يشابهه، و لا يخالفه فيباينه و قال الشاعر شعرا:

إذا نزل الظلّ القصير بنحره فكان طباق الخف أو قل زائدا

و يقال: طابق فلان فلانا على كذا إذا وافقه عليه. و يقال: النّاس طبقات أى بعضـهم فوق بعض. و منه قولهم: طابق البعير إذا وضع خفىّ رجليه فى موضع خفّى يـديه. و قـد قال تعالى: وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ [سوره فصـلت، الآيه: ۱۲] فقوله الدّنيا يدل على أن

بين السّماوات تقاربا، و تباعدا، و أن التى هى فوق هذه ليست بالدّنيا منه، قوله تعالى: ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ [سوره الملک، الآيه: ٣] و قرئ من تفوت أى بنى ما خلقه على حكمه فلا يفوت بعضه بعضا و لكنه يتعادل، و فى هذا المعنى قالوا: وجه مقسم إذا كان الحسن مقسوما فيه فأعطى كل جزء نصيبه منه حتى لا استبداد فيه، و قالوا: ما أحسن قسمه وجهه و هذا بخلاف ما ذكرناه فى تفسير المتفاوت لأنّ المتفاوت ما يزيد على الاعتدال، أو يخرج عن القدر الملائم بالانتقاص، و ذلک ضد التقدير و قوله تعالى: فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ [سوره الملک، الآيه: ٣] المراد به أيّها الإنسان قد أعطيت من الآلات، و رتّب فى عقلک و تحصيلک من البيّنات ما تدرک به حينا، أو تقديرا تراکيب الأشياء و سلامتها مما يشينها إذ دخولها فيما يجتذب وجوه الفساد إليها، فتأمّل ما صنعه اللّه و اخترعه فى هذا الخلق العظيم و اقتف آثاره فيها، و ردّد طرفک و عقلک فى ظواهرها و بواطنها و مفرداتها؛ و مرکباتها و تأمّل بعد تقصّى و سمک و استفراغ جهدک، ورد المجمل على المفصّل و المشاع على المقسوم، هل تجد فيه خللا، أو هل تتبيّن فيه عيبا؟ و قوله تعالى: ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خاسِئاً [سوره الملک، الآيه: ۴] بعث على الكشف و البحث و تأكيد فى المبالغه فيهما و إنّما قال هذا لما يعتقده العرب من أنّ النظره الأولى حمقاء فينبغى أن لا يكتفى بها فى المزاولات، و التتبع فى المستكشفات حتى أنّ بعضهم قال فى صفه امرأه شعرا:

لها النظره الأولى عليهم و بسطهو إن كرّت الأبصار كان لها العقب

يقول لهذه المرأه، على من يستقرى محاسنها النّظره الأولى، فإن لم يقنعهم ذلک، فأخذوا يستنبطون فى المعاوده، و يحيلون الطّرف فى العين و الأثر كان لها البسطه أيضا، فإن أبوا إلّا أن يكرروا الأبصار، و ردّدوا النّظر حالا بعد حال كان لها العقب، و هو ما يسلم على التّعاقب من أواخر البحث فقوله تعالى: كَرَّتَيْنِ تأكيد على ما ذكرناه، و حكى لى عن بعض أهل النظر أنه قال: إنّ اللّه تعالى أمر بكر البصر ثلاث مرات لأنه قال: ارجع البصر، ثم ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ، و هذا الذى ذكره و عوّل عليه من ذكر الكرّتين لا يحصل له المراد، بل يفسد عليه ما اعتمده لأنّه قال تعالى: فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ [سوره الملک، الآيه: ٣] و هذا لا يقتضى إلّا مره واحده، و قال من بعد: ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ [سوره الملک، الآيه: ۴]، و لو اقتصر الكلام على فارجع البصر، و لم يأت بذكر المرّتين لكان للسامع أن يتجاوز إلى ما فوقها من الكرّات لأنّ ثم لا يقتضى الحصر، و لا يوجب الوقوف.

فلما قال: كرّتين علم أنه أكّد به ما ذكر من الرّجعتين على أنّ قوله تعالى: فَارْجِعِ الْبَصَرَ ليس قبله فعل مذكور فيكون الرّجوع عن ذلک الفعل لأنه قال تعالى: ما تَرى فِي

خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَـرَ [سوره الملک، الآيه: ۳] فكـان المراد انظر، فارجع، ثم ارجع أى لا ترض بالنظره الأولى و لكن راجع بعـدها، ثم راجع، و إذا كـان التكرار هو الرّجوع إلى الأول، و الأول هنا النّظر المضـمر فقوله تعالى: فَارْجِعِ الْبَصَـرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ كرّر أوّل إلى النظر المسـتدل عليه، و قـوله: ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَـرَ كَرَّتَيْنِ، و إذا كـان الأـمر على هـذا لم تحصـل ثلاـث كرّات فلذا اتّبع الكلام بقوله كرّتين و هذا جيد بالغ، و قوله تعالى: هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ أى من شقوق و صدوع.

و قوله تعالى: يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَـرُ خاسِـئاً [سوره الملک، الآيه: ۴] المعنى إنـك إن أدمت النّظر، و اتبعت البصـر تطلب العيب فى حكمه اللّه و الفطور فى صـنعه رجعت من مطلوبـک خاسـر الصـفقه، صاغر الرجعه، خائب الطلبه بعيـدا من البغيه، و الخاسـئ من قولـك خسـأت الكلب إذا طردته و بعـدته خسـأ و لاـ تقـل انخسأ، و الحسـير الكال المعى. و يقال: إبل حسـرى لأنّ حسـيرا فعيل بمعنى مفعول، فهو كجريح، و جرحى.

و منه قوله تعالى: فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ [سوره الرحمن، الآيه: ۳۷] الآيه، و قوله:

وَ يَوْمَ تَشَـقَّقُ السَّمـاءُ بِالْغَمـامِ وَ نُزِّلَ الْمَلائِكَهُ تَنْزِيلًا [سوره الفرقـان، الآيه: ۲۵] خضـراء ملسـاء متّصـله الجوانب و الأكناف مرتبه الوسائط، و الأطراف محفوظه من مسترقه السّمع بما أعدّ لها من الارصاد.

و تلخيص هذا يبين إذا ضمّ إلى قوله تعالى: وَ يَوْمَ تَشَـقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ و إلى قوله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِنَ الْغَمـامِ وَ الْمَلائِكَهُ [سوره البقره، الآيه: ۲۱۰] لأنّ المعنى يأتيهم أمر اللّه، و السّـماء كالورده، و قـد انفطرت بالغمام أى تنشق بهـا، و الملاـئكه تنزل منهـا فى الغمـام فكأنهـا تنشق، و هم فى تكـاثفهم، و تراكمهم بما معهم كظل من الغمام و هـذا كما يقال: رعف الباب بفلان- أى جاه من قبله، و سال الوادى ببنى فلان إذا خرجوا منه، و كقول الشاعر:

و سالت بأعناق المطىّ الأباطح

و كما قال:

ألا صرمت حبائلنا الجنوب ففرّقنا و مال بنا قضيب

قضـيب: واد باليمـامه، و المعنى أنجـدنا لمـا افترقنا، و انهمت هـذه المرأه و يقال: نزل بقارعه الوادى- أى أعلاه، و قوله: مال بها، كقوله: سـالت الأباطـح بأعنـاق المطى قوله تعالى: فَكانَتْ وَرْدَهً كَالـدِّهانِ [سوره الرحمن، الآيه: ۳۷] يريـد تحوّلها عما كانت، و الورد الأحمر و ليس بمشبع قال:

فهو ورد اللّون فی ازبئرارو کمیت اللّون ما لم یزبئر

و قال الفراشیه: تلوّن السّماء تلون الورده من الخیل لأنّها تکون فی الرّبیع إلی الصفره، فإذا اشتدّ البرد کانت ورده حمراء، فإذا کانت بعد ذلک کانت ورده إلی الغبره قال عبد بنی الحسحاس شعرا:

فلو کنت وردا أحمرا لعشقتنی و لکنّ ربّی شاننی بسوادیا

و قیل فی الدّهان: إنها جلود حمر، و قیل: هی جمع دهن- أی تمور کالدّهن صافیه، و الشاهد لهذا قوله تعالی: یَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً [سوره الطور، الآیه: ۹] أی تتمیع.

و قال تعالی: یَوْمَ تَکُونُ السَّماءُ کَالْمُهْلِ [سوره المعارج، الآیه: ۸] و هو الصفّر المذاب، و کان التّشبیه وقع بالذّوب، فیکون المور و الذّوب علی طریقه واحده، و قوله تعالی: یَوْمَ یَرَوْنَ الْمَلائِکَهَ لا بُشْری یَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِینَ [سوره الفرقان، الآیه: ۲۲]، و قوله تعالی فی سوره الرّحمن: عند ذکر وعید الکفار، و الإنذار من یوم الحشر، و المعاد و ما یجری مجراه من الاقتصاص، و الأمر بالعدل و الإنصاف: فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ* [سوره الرحمن، الآیه: ۱۳]. سأل سائل: أی شی ء فی هذا من الآلاء حتی ذکره اللّه ممتنا به فی جمله ما عدّده من صنوف النّعم، و وجوه القسم فی الأولی و الآخره.

و الجواب إن اللّه تعالی منعم فی کل حال و مذکّر بما یزید المتعبد استبصارا فی الأمر الأولی و نفورا، و زهدا فی الدّنیا، و واعظ بما یکون السّامع له أقرب إلی الطّاعه فیما یعمله من الاستطاعه، و إذا کان الأمر علی هذا فنعمه علی خلقه فی الإنذار و الإعذار مثل نعمه فی التّبشیر و التّحذیر إذ کان الصّارف عن الشر بلطفه مثل الباعث علی الخیر بفضله، و قد توعّد اللّه جاحدی نعمه و المهملین لآیاته و نذره بالخسف و الرّجف و الخزی الثّابت، و البعث المفاجئ، و المسخ المرصد و الرّیح العاصف و الزّلازل، و الصّواعق بعد أن أمضی بها أو بأکثرها الحکم علی من حقت علیه الکلمه فمن سعد و وعظ بغیره فأجاب حین دعی، و أدرک لما بصر و نفعته المهله و الإملاء، و استسعد بالإعاده، و الإبداء و نبهه ضرب الأمثال و المبالغه فی الإبلاغ.

ثم عرف حال أولئک المستمرین فی الضّلاله و الذّاهبین عن طریق الهدایه و مصائر أحوالهم، فإنه إذا راجع نفسه دری عظم نعم اللّه علیه فیما وفقه، أو یسرّ أخذه به من العدول عن سلوک مناهجهم، و أوجب علی نفسه شکرین (الأول) لاهتدائه، (و الثّانی) لما زاده اللّه من الاستضاءه بنور الهدی و قربه من التقوی.، أ لا تری قوله تعالی: حاکیا عن أهل الجنه و قد استقروا فی منازلهم منها: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی هَدانا لِهذا وَ ما کُنَّا لِنَهْتَدِیَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللَّهُ [سوره الأعراف، الآیه: ۴۳] قوله تعالی: وَ قُضِیَ الْأَمْرُ [سوره البقره، الآیه: ۲۱۰] نصف

عقبى حالهم وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ [سوره يونس، الآيه: ١٠] و قال تعالى بين أحوالهم قبل ذلك: فَوَ رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ الشَّياطِينَ [سوره مريم، الآيه: ۶۷] إلى وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا [سوره مريم، الآيه: ۷۲] فعلى هذا الذى بنينا الكلام عليه قدر اللّه نعمه على الجن و الإنس فى دنياهم، و أخراهم، ثم قال: يا أيها تكذبون و كل ما تتصرفون فيه من حياه و ممات و نعمه و نقمه و تيسير و تعسير، و تقريب و تبعيد آثار إحسانى فيها ناطقه و أعلام آلائى فيها سنه واضحه و هذا بمن اللّه ظاهر.

و منه قوله تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ [سوره البقره، الآيه: ۱۶۴] إلى لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [سوره البقره، الآيه: ۱۶۴] الخلق هو الاحداث على تقدير من غير احتذاء مثال و لذلك لا يجوز إطلاقه إلّا فى صفه اللّه تعالى لأنه لا أحد جميع أفعاله على ترتيب من غير احتذاء أمثال إلّا اللّه و إنما جمع السّماوات، و وحّد الأرض لأنّ الأرضين لتشاكلها تشبه الجنس، و الواحد كالرّجل، و الماء الذى لا يجوز جمعه إلّا أن يراد الاختلاف، و ليس يجرى السّماوات مجرى الجنس المتفق لأنه دبّر فى كل سماء أمرها بالتّدبير الذى هو حقّها قوله تعالى: وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ [سوره البقره، الآيه: ۱۶۴] يجوز أن يكون من الخلاف كالسّواد و البياض لأنّ أحدهما لا يسدّ مسد الآخر فى الأحوال.

و يجوز أن يكون من الخلف لأنّ كل واحد منهما يخلف صاحبه على طريق المعاقبه و النّهار فى اللغه يفيد الاتساع أيضا، و يقال: انهرت العنق إذ أوسعته، و ذكر اللّه تعالى هذه الآيات مجموعه معظما شأنها ليصرف بكريم عطفه و حسن نظره أوهام المخاطبين بها إليها، و إلى النظر فى تراكيبها و ابتداع خلقها مدرجا إلى الاستدلال بها على خالق لا يشبه الأشياء و لا يشبه من جهه أنه لا يقدر على خلق الأجسام إلا القديم الذى ليس بجسم و لا عرض، إذ جميع ذلك محدث و لا بدّ له من محدث لاستحاله التسلسل، فتقديم السماوات و الأرضين فى الذّكر لأنها المعظم فى المشاهدات و الأصل و ما عداها تبع لها، و لتكون الحواس إلى تمييزها أسرع، و الأذهان إلى تبحثها أميل، و النّفوس فى الكشف عن سرائرها أرغب، و العقول عنها أفهم، و اختلاف اللّيل و النّهار يدلّ على عالم مدبر لأنه متقن فى الصنع محكم فى التدبّر قريب التحوّل بعيد التأخر، فهو أبلغ أداء و أبين مأخذا، و أفصح برهانا، وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ [سوره البقره، الآيه: ۱۶۴] لأنه فعل منعم عالم بما يكون قبل أن يكون هيأ اللّه لمنافع الناس و من جرى مجراهم لكى يفكروا، مع كثره بلواهم بها، و مع تعذر فعل مثلها عليهم منها و ليعلموا بمواقع حاجاتهم و تيسر مرافقهم بها أنّ اللّه لهو الحكيم الرءوف المحدث لهم، و المنشئ و المصرف و المسخر.

فأما الماء المنزل من السّماء، فيدل على الرازق المنعم المبدع لما شاء لا يعجزه شى ء

مروم، و لا يتكأده مطلوب، لا يخطئ تدبيره، و لا يقصر عن الحاجه تقديره آخر مراده وفق أوله لائق بآخره.

و أما إحياء الأرض بعد موتها فتمثيل للحشر و البعث، و تنبيه على أنه تعالى تتجدد منحه حالا بعد حال، و وقتا بعد وقت ليكون للعائشين بها أهنأ، و فى إظهار القدره عليها أحكم، و يجوز أن يقال: و صفت الأرض بالحياه لينشأ النبات عنها كنشوء النتاج عن الحيوان فقيل: إذا كانت عامره حيّه، و إذا كانت هامده ميته، و يجوز أن يقال: و صفت بذلك لأنّها تخرج ما تحيى به النّفوس من الثمار و الزّروع. قوله: وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ [سوره البقره، الآيه: ۱۶۴] يريد من جهه السّماء و من نحو السّماء، و فى موضع آخر: وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً [سوره الفرقان، الآيه: ۴۸] يجوز أن يكون بدلا من الماء، أو تبيينا له و تفسيرا، أو يكون كالفطور و أمثاله فلا يدل على الكثره، و إذا جاز ذلك فيه فليس لأحد من الفقهاء أن يتعلق بظاهر الآيه فيقول: إنّ طهورا فعول، و هو صفه للماء فيجب أن يدل على الكثره و المبالغه فى الحكم الذى يجب فى فعول إذا كان صفه لأنّ فعولا قد يكون كالفطور فلا يدل على الكثره، و لأنه قد يجوز أن لا يكون صفه للماء بل يكون بدلا و تفسيرا، و يسقط التعلّق بظاهر الآيه.

و أما قوله تعالى: وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ [سوره البقره، الآيه: ۱۶۴] فيستدلّ به على الاقتدار على ما لا يتأتى للعباد إن ميسرها لأوان فقرهم إليها إن شاء جعلها السّبب فى إهلاكهم بها، فهو مذكّر واعظ و مبشّر قادر، و معنى تصرفها تحوّلها من حال إلى حال و من جهه إلى جهه، و كذلك صرف الدّهر تقلبه، و قال الحسن: الصّرف النافله، و العدل الفريضه.

قوله تعالى: وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّهٍ [سوره البقره، الآيه: ۱۶۴] أصل البث التفريق، ثم توسع فيه فقيل بث فيه الشّراب و السّم، و يريد بالفلك السّفن إذا أصعدوا فى البحر للتجارات و ما يجرى مجراها، و يقع على الواحد، و الجمع قال تعالى: فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ* [سوره الشعراء، الآيه: ۱۱۹] و إذا أنث فلأنه أريد به الجمع، و أصله الدّوران، و منه تفلّكت الجاريه إذا استدار ثديها، و إنّما استوى الواحد، و الجمع فيه لأنّ فعلا و فعلا يشتركان كثيرا كمثل قولهم: العرب العرب، و العجم، و العجم، و البخل، و البخل، فمن قال: فى أسد أسد، قال: فى فلك فلك، فجمعه على فعل، و مثل هذا قولهم: هجان لأن فعيلا و فعالا يشتركان فى الجمع، كقولك: قضيب و قضب، و كتاب و كتب، فمن قال: كريم و كرام، و طويل، و طوال يلزمه أن يقول: هجين، و هجان. فإن قال قائل: لم جمعت اللّيل و لم يجمع النهار؟ قلت: النّهار بمنزله المصدر، فهو كقولك: الضّياء و الظّلام، فوقع على القليل

و الكثير، و اللّيله مخرجها مخرج الواحد من اللّيل على أنه قد جمع فى الشذوذ على نهر قال:

لو لا الثّريد إن هلكنا بالضّمرثريد ليل و ثريد بالنّهر

و أصل التّسخير: التّذليل، و المراد إنّ اللّه يمسكه، و تسكين الأجسام الثقال بغير دعامه و لا علاقه فعل من لا شبيه له و لا نظير، فهو القادر الذى لا يعجزه مراد قوله تعالى: لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [سوره البقره، الآيه: ١۶۴] يريد أنّ هذه البراهين على التّوحيد، و بطلان التّشبيه يستدل بها العقلاء، فيصلون إلى العلم بما يلزمهم، ثم العمل بها ففيه مدح المفسرين المتأملين، و ذمّ لمن سلك غير طريقهم، فأهملوا مع المهملين.

و منه قوله تعالى فى سوره النّمل: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ [سوره النّمل، الآيه: ۵۹] إلى قوله:

بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ [سوره النمل، الآيه: ۶۶].

اعلم أنّ هذه الآى تشتمل على فوائد كثيره و مسائل جمه عجيبه. فمنها بيان الفائده فى قوله تعالى: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ، و كيف جعل قرآنا متلوا؟ و الظاهر أنه من كلام جبرائيل مخاطبا للنبىّ صلى اللّه عليه و سلم عند أداء المنزل إليه، و منها: كيف مورد قوله: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلامٌ عَلى عِبادِهِ [سوره النّمل، الآيه: ۵۹] و القصد إلى تبكيت المعاندين و إنذارهم و جمع الحجّه عليهم و قل إنكارهم بدلاله قوله: آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ [سوره النمل، الآيه: ۵۹] إلى غير ذلك مما سنبيّنه شيئا بعد شى ء إن شاء اللّه تعالى، فنقول و بالله التوفيق.

أما لفظه قل: فحيث ما جاء فى التّنزيل مبتدأ كان، أو متوسطا، فهو أماره كونه من كلام اللّه خطابا للنّبى صلى اللّه عليه و سلم تبصيرا عند افتتاح القول، و تهذيبا، أو إسقاطا للسؤال، يوجهه المعاندون نحوه امتحانا، فكان النّبى صلى اللّه عليه و سلم ينتظر فى مثل هذه الأحوال ما يلقنه من وحى فيدفع به مضرّتهم، أو يبطل به حجّتهم، أو يتوصّل به إلى تعجيزهم و رد كيدهم فى نحورهم، أو يستظهر به داعيا عند طلب السّلامه عليهم ظهر الابتداء المعقب بقل و اللّه يمده بما يعلو به أمره، و يشتد به أزره فلا يجى ء لفظه قل فى القرآن إلّا و هو تلقين للنّبى صلى اللّه عليه و سلم و كموعد ينتظر إنجازه على هذا قوله تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی [سوره الإسراء، الآيه: ٨۵] و قوله تعالى: ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ [سوره الأحقاف، الآيه: ٩]، و كقوله تعالى: قُلْ إِنَّما أَنَا مُنْذِرٌ [سوره ص، الآيه: ۶۵] و قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ [سوره الكافرون، الآيه: ١] و قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ [سوره الإخلاص، الآيه: ١] و قُلْ أَعُوذُ* [سوره الفلق، الآيه: ١] و ما أشبهها.

و أما قوله تعالى: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلامٌ عَلى عِبادِهِ فإن القوم لما تقرر الكلام عليهم و استمرارهم فى لزوم الجحد و مباينتهم لنهج الحق جعل اللّه ابتداء الكلام خطبه على عاده العرب فى مقاماتهم و عند تصرّفهم فى منافراتهم لأنهم يبدءون فى مقارضاتهم بحمد اللّه، و الثّناء عليه و الصّلاه على رسوله يأخذون فى مآربهم و يستقرّون فى وجه القول مدارجهم لتكون طرق البيان بها أوسع، و براهين الموجبات فيها أثبت فقوله تعالى: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ أى ابتدأ بالثناء على اللّه فيما آتاك من فضله و اختصك به من كرامته، ثم اتبعه بالتّسليم على إخوانك من الأنبياء الذين اصطفاهم اللّه كما اصطفاك، و حمّلهم من أعباء الرساله مثل ما حمّلك، ثم سل هؤلاء الذين ينازعونك الأمر، و يرادونك فيما تدعو إليه القول، و قل اللّه خير أم ما تجعلونه شركاءه.

و مثل هذا من الكلام يستعمل مع من حقت عليه الشّماته و لزمت الحجه و تبرأت منه المعذره فيقرع لسوء اختياره به و يرى بعد ما بين أمريه فيه، ثم أخذ تعالى فى إحصاء نعم اللّه التى تفرد بإنشائها يقرّرهم على ما يضطرون إلى تسليمها و نقص يد المنازعه فيها من خلق السّماء و الأرض و إنزال الغيث الذى تنبت به الحدائق، و يحيى به الموات، و يعيش منه الناس و الأنعام كما قال تعالى فى موضع آخر: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِي الْأَرْضِ [سوره الزمر، الآيه: ٢١] الآيه. يقول: انظر كيف أنزل الغيث، و كيف أحيى به الأرض؟ ثم جعله فيها ينابيع إلى أن أخرج به المرعى فجعله غثاء أحوى.

و وجه التّقرير بهذا تأنيسهم بما كانوا لا ينكرونه لأنهم كانوا معترفين بأنّ ما يدعونه من الشّركاء لم ينبتوا شجرها، فكيف ما عداها، و أنّ مثل الشّركاء فى العجز عنها مثلهم فى أنفسهم لا تباين و لا تمايز لتساوى أحوالهم و تقارب آماد قواهم، فقال ذات بهجه، و لم يقل ذوات لأنه لمّا كانت الجموع مؤنثه اكتفى بالتأنيث عن الجمع و مثله القرون الأولى، و الأسماء الحسنى قوله تعالى: أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ [سوره النمل، الآيه: ٦٠] أم فيه لتحوّل الكلام، عن حال إلى أخرى فهى أم المنقطعه لا المعادله، و فى قوله تعالى: آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ هى المعادله و المفسره بأى، و فى كلّ منهما تبكيت شديد و تعنيف بليغ و إن اختلف طريقاهما لأنّ قوله تعالى: أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ [سوره النمل، الآيه: ٦٠] ممتزج بوعيد و تعجيب. و قوله تعالى: آللَّهُ خَيْرٌ [سوره النمل، الآيه: ٥٩] ممتزج بتسخير و لو قيل إلها بإضمار فعل جاز. و مثله:

أ عبدا حلّ فى شعبى غريباأ لؤما لا أبا لك و اغترابا

و قوله تعالى: بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ [سوره النمل، الآيه: ٦٠] حكم بأنّ الكلمه حقّت عليهم لعبادتهم أ لا ترى أنه تابع بين البراهين السّاطعه و الإلزامات الدّامغه، فأخذ يسألهم عن

الأرض و مصيرها قرارا للخلق و ما فى خلالها من الأنهار، و ما ثبت بها من الجبال، و عن البحرين و الحاجز بينهما، و عن إجابه المضطر، و إغاثه الملهوف من يقيمها فيقول: من أنشأها و جعلها كذلك تكرّر التفريع، و مثل هذا من القول مع المصر الجاحد أبلغ من كل وعيد، و أوعظ من كلّ نكير. قوله تعالى: قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ [سوره النمل، الآيه: ۶۲] يجرى مجرى الالتفات فى كلام البلغاء لأنه تعالى بعد تعداد آلائه عليهم و على جميع الخلق معهم، و بعد إظهار الآيات البيّنه و ذهابهم عن المناهج المستقيمه و أنّهم لا يرجون بالنّذر و لا يرعون للعبر.

قال: بلغت المقال فى نكوصهم إليهم و يقبح فيما يؤثرونه من صوابهم لديهم: قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ، و هو لا يثبت بالقليل شيئا و إنما هو نفى خالص فكأنه قال: لا تذكرون شيئا، و يجوز أن يكون انتصاب قليلا على الظّرف و على أن يكون صفه لمصدر محذوف قوله تعالى: أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ [سوره النمل، الآيه: ۶۳] يريد من يسيّركم و يرشدكم إلى القصد و السّمت فى تلك الحال، وَ مَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ [سوره النمل، الآيه: ۶۳] أى أمام الغيث ناشره، أو مبشره، فقد قرئ نشرا بالنّون، و بشرا بالباء، و معنى النّشر ضد الطى أى تفتح الأرض، و تعرج أطباقها للمطر و النّبات كما قال تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ [سوره الحجر، الآيه: ۲۲]، و ختم الكلام بإعاده التّبكيت لأنّ هذه المسائل لا أجوبه لها تعالى اللّه عما يشركون، ثم قال تعالى: أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ [سوره النمل، الآيه: ۶۴] جعل الخطاب فى هذا الفصل، و فى فصلين قبله و هما: أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ [سوره النمل، الآيه: ۶۲] و أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بلفظ المستقبل بعد أن ساق فى أول الفصول الكلام على بناء الماضى فقال: أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ [سوره النمل، الآيه: ۶۰] و أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً [سوره النمل، الآيه: ۶۱] لأنّ بعض أفعاله تعدم و حصل محصل المستكمل المفروغ منه، و فعل ما يساء فى خلقه حالا بعد حال، فهو كالمتّصل الدائم لذلك خالف الآخر الأول، و قال بعد المسائل التى رتّبها معجزاتها: قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ [سوره النمل، الآيه: ۶۴] على مقالتكم، و استأنف تعليم النّبى صلى اللّه عليه و سلم بما يورده عليهم فى إنكارهم البعث و استعجالهم من النّشور بعد الموت لما قالوا: أَ إِذا كُنَّا تُراباً [سوره النمل، الآيه: ۶۷] وَ آباؤُنا أَ إِنَّا لَمُخْرَجُونَ [سوره النمل، الآيه: ۶۷] لَقَدْ وُعِدْنا هذا نَحْنُ وَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ [سوره النمل، الآيه: ۶۸] فقال تعالى: قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ [سوره النمل، الآيه: ۶۵] فما غاب عنكم كيف تحكمون عليه بالبطلان و الامتناع، و قد استوى المخلوقون فى استبهام أمر الساعه عليهم فلا يشعرون متى يبعثون أ لا تسمع قوله تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ [سوره الأعراف، الآيه: ۱۸۷] و إذا

كـان القيامه من الغيب الـذى اسـتأثر اللّه بعلمه لما تعلق بخفائه من مصالـح المكلفين، فالمتكلم فيه أمّن الكفار واقف من مطلوبه موقف الخزى و الخيبه، و الرّاجع من مرتاد القيامه يفوت السّلامه.

قوله تعـالى: بـل أدرك علمهم فى الآـخره اسـتهزاء بهم جعـل علمهم كـالثّمر المنتظر ينعه و تكامله، فإذا تم بلوغه قيل أدرك، و قرئ بـل إدارك علمهم، و المعنى تـدارك، و هو أبلغ فى المعنى لأـنّ تفاعـل بناء لما يحصل شيئا بعـد شـى ء على هـذا قولهم: تـداعى البنـاء و تلاـحق القوم و مـا أشـبهه، ثم قـال مرزيا بهم و مبطلا لظاهر ما أعطاهم: بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِنْها بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ [سوره النمل، الآيه: ۶۶] فانظر كيف ارتجع منهم ما بذله و على أى ترتيب رتّبه لأنه قال: بل أدرك علمهم بلسان التّهكم و الهزء، ثم حطّهم عن تلك الرّتبه فقال: بل هم فى شك منها فضـعف علمهم و إدراكهم بالشّـبهه العارضه لهم إذ كان الشّك لا يحصل إلاـ لعـارض شـبهه، ثم قـال: يجهلهم و يردّهم إلى أسوأ منـازل الباحث، فقال: بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ، و قال بعض أصـحاب المعانى: بلغنى عن ابن عبّاس أنه قرأ: بلى إدارك يسـتفهم، و يشـدّد الـدال، و هو وجه جيـد لأنه أشـبهه بالاسـتهزاء بأهل الجحد كقولك للرّجل بكذبه و العمى المذكور بإنما هو من الرّى دون البصر، و هذا بيّن و الحمد للّه.

و منه قوله تعـالى: اللَّهُ نُورُ السَّمـاواتِ وَ الْأَرْضِ [سوره النور، الآيه: ۳۵] إلى وَ اللَّهُ بِكُـلِّ شَـىْ ءٍ عَلِيمٌ [سوره النور، الآيه: ۳۵] أراد بقوله تعـالى: اللَّهُ نُورُ السَّمـاواتِ وَ الْأَرْضِ أنّ الآيات الباهره الـداله عليه و على أنه لا نظير له و لا شبيه، و أنّ العباده لا تحق إلا له مبينه مضـيقه لعذر من شـبه بخلقه ظاهره ظهور المصباح لذى وصفه فى المشكاه التى بين أمرها إذا كان اللّه تعالى خالق الظلم و الأنوار، ثم جعل المصباح فى زجاجه صافيه تشرق إشراق الكوكب المضى ء الوقّاد، و قد استصبح ذلك السّراج بزيت من شجره زيتون قد بورك فيها ثابته على خط اسـتواء لا شـرقيه، فيكون خطها منها العشيات فقط بل تستوفى قسطها مما ينمّيها و يربّيها كل وقت حتى إنّ عصيرها إذا اعتصـر يقرب من أن يشرق و إن لم تمسه نار، ثم قال: نُورٌ عَلى نُورٍ [سوره النور، الآيه: ۳۵] يعنى نور المصـباح، و نور الزّجاجه، و نور الزّيت يـدل على أنّ أسـبابه متعاونه فى الإضاءه فكلّ موادها نور مفرد لو اكتفى به فى الإشـراق لأـغنى عن غيره، فيقول: إنّ هـذه الأـنوار المجتمعه المترادفه مثـل لآيـات اللّه فى وضوحهـا، و الـدّلاله على وحـدانيته، فلاـ شـبهه تعرض لناظر و لا مريه يتسلط على خاطر فكلّ من ضل عمّا دعى إليه فإنما أتى من قبل نفسه و سوء تأنّيه، أو من هو يجذبها إلى الضّـلال فيرديه. فـإن قيـل: هل تعرف فى نظوم كلامهم مثل هـذا التركيب، و التّلفيق؟ أو هل تعرف فى الأمثال المضـروبه لتأكيد القصص و الأخبار ما أسس هذا التأسيس؟

قلت: هم يقولون مثل هذا إذا قصدوا التّنبيه على تناهى الشـى ء و بلوغه أقصى مأخذه حتى يستغرق أكثر أوصافه على ذلك قول الأعشى، و هو يهول أمره و يعظمه فيما قاساه فى الغزل حتى بلى فيه بما لا مزيد على شأنه فقال:

علقتها عرضا و علقت رجلاغيرى و علق أخرى غيرها الرّجل

و علقته فتاه ما يخاف لهامن قومها ميت يهذى بها و هل

و علقتنى فتاه ما تلا يمنى فاجتمع الحبّ حبا كلّه تبل

فكلّنا هائم يهذى بصاحبه فآب و دان مخبول و مختبل

فهـذا من الباب الـذى نحن فيه، و قـد فعل اللّه مثل ذلك فيما ضـربه من المثل للكفر و الضّـلال فقال تعالى: أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍ الآيه، فكما ضرب للهدى المثل بالنّور على ذلك الحدّ من التأكيد ضرب للكفر مثله و على حده.

فأما قوله: يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ [سوره النور، الآيه: ۳۵] فإنه يحتمل وجهين:

(أحـدهما) أن يكون مثـل قوله تعالى: أَ فَمَنْ شَـرَحَ اللَّهُ صَـدْرَهُ لِلْإِسْـلامِ [سوره الزمر، الآيه: ۲۲] و قوّى بصـيرته و نوّر منهـاجه و قصـده، و يجوز أن يريد بالنّور الذى يهديه له ما يفعل اللّه بالمؤمنين من إرشادهم إلى طريق الجنه، كما قال فى صـفتهم: نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ [سوره التحريم، الآيه: ۸]، و مثل قوله تعالى: اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ، قوله تعالى فى صفه النبى صلى اللّه عليه و سلم: إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً* [سوره الفتح، الآيه: ۸] الآيه، و هذا واضح بيّن.

قوله تعالى: وَ أَنَّا لَمَسْـنَا السَّماءَ إلى شِـهاباً رَصَـداً [سوره الجن، الآيه: ۸] يقـال لمس و التمس بمعنى طلب و حمـل عليهما المس أيضـا، فـالحجه فى الأـول قوله الاـم على تبكيه فلاـ أجـده يكشف ذلـك قوله: فلا أجـده، و فعل، و افتعل يتصاحبان كثيرا، و أما المس و خروجه إلى معنى اللمس فقد استشهد له بقوله:

مسسنا من الآباء شيئا و كلّناإلى حسب فى قومه غير واضع

فقيـل المعنى طلبنـا فى نسب آبائنـا هـل فيه مـا يقتضـى مـا أنكرنـاه من أخلاـقهم لأـنّ المس بالجـارحه لاـ يتأتى فى الأنساب، و الأحساب، ثم حمل قوله تعالى: لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ [سوره الواقعه، الآيه: ۷۹]، و قيل معناه لا يطلب النّظر فى أدله اللّه المنصوبه فى كتـابه العزيز للاقتباس من آدابه و حكمه، و الاعتبار بأمثاله، و حججه إلا المطهرون من دنس الشـرك و دغل الكفر، و يكون على هذا التأويل الكلام خبرا.

و قيل فيه أيضا: إنّ المس هو التّناول باليد، و يكون على هذا اللّفظ لفظ الخبر، و المعنى معنى النّهى كأنه نهى الحائض و الجنب، و من جرى مجراهما من تناول المصاحف تنزيها لها، و تعظيما لشأنها، و الوجهان قريبان، فأما الآيه فهى إخبار عن الجن المسترقه للسّمع و أنهم كانوا قبل الإسلام يقعدون من السّماء مقاعد تقرب الاستماع إلى الملائكه و تسهله فى السّماء الدّنيا، فكانوا يلتقطون من تجاورهم و تذاكرهم بما يوحى إليهم امتحانا لهم ما يلقونه على ألسن الكهنه حتى يتصوروا للنّاس بصوره من يعلم الغيب، فيؤمنوا بهم و ذلك من الإضلال، و فساد الأدله ما لا خفاء فيه، فقالوا: قد كان هذا فلما بعث النبى صلى اللّه عليه و سلم منعنا من ذلك بما أرصد لنا من ثواقب النّجوم.

و قد اعتقد قوم أنّ انقضاض الكواكب ظهر فى الإسلام لأنها جعلت رجوما للشياطين فيه، و قد جاء فى الشعر القديم تشبيه المسرع من الخيل و غيرها بمنقضّ الكواكب، فالأقرب فى هذا أنه كثر فى الإسلام، و من قبل كان يتفق نادرا، أو يكون جعلها رجوما إسلاميا و فيما تقدم من الزّمان لم يكن لذلك من الشأن فإنه تعالى قال: وَ جَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ [سوره الملك، الآيه: ٥] و قوله تعالى لا يبدل و لا يدخل التسمح بل هو الوحى المحقق و الخبر المصدق.

فإن قيل: من أين لك أنّ الملائكه كان يرد عليهم الوحى فيتدارسونه بينهم و يجاذبونه حتى توصّلت الشّياطين منه إلى الاستماع. قلت: يدل على مثل ذلك قوله تعالى: وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَهِ إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها [سوره البقره، الآیه: ٣٠] الآیه، فتبیّن أنّه قدّم إلى الملائكه خبر ما أراده من آدم عليه السّلام و ما كان من ذريته فى الأرض امتحانا لهم. قوله تعالى: فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً [سوره الجن، الآیه: ٨] يعنى الملائكه فدعاهم حرسا لما كان منهم من منع الشّياطين من السّمع. و الحرس جمع حارس، و مثله غائب، و غيب. و الشهب جمع شهاب، و هو النّار و لو لا فعل اللّه تعالى ذلك لكان الوحى إلى النّبى يتخلّله الفساد، بما يكون من الجن فله الحمد و الشكر على نعمه فى كل حال و سيجى ء من الكلام من بعد فيه ما تزداد به هذه الجمله انشراحا إن شاء اللّه تعالى.

و منه قوله تعالى: إِنَّ عِدَّهَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ [سوره التوبه، الآیه: ٣٦] الآیه، نبّه اللّه تعالى على عدد الشّهور العربيه، و هى التى تسمّى شهور القمر. و ميزان السنه اثنا عشر شهرا لأنّ القمر يجتمع مع الشّمس فى مده هذه الأيام اثنتى عشره مره، أ لا ترى قوله تعالى: هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً، وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِینَ وَ الْحِسابَ [سوره یونس، الآیه: ٥] و كذلك فعلت الفرس بقسمه أيام السنه باثنى عشر قسما، و جعلوا أيام كل شهر ثلاثين يوما، و زادوا فى آخر (ماه ابان) خمسه أيام سموها اللّواحق، و المسرقه،

و سمّوها الكبيسه و إنما زادوا ذلك لتتم سنه الشّمس.

و كـذلك زادت الرّوم فى أيـام شـهورهم و نقصت، و كبست ليكون أيام سـنتهم موافقه لأيام سـنه الشّـمس، و هى ثلاث مائه و خمسه و سـتون يومـا و ربع يوم، و ذكر بعضـهم أنّ العرب كـانت تعمـل الكـبيسه أيضـا لئلاـ تتغير أحوال فصول سـنتهم، و كـان شتاؤهم أبـدا فى جمادى الأولى، و جمادى الآخره، و يجمـد الماء فى هـذين الشّـهرين و لـذلك سـموهما بهـذا الاسم، و يكون صيفهم فى شـهر رمضان، و شوال، و سـموا رمضان بهـذا الاسم لشـدّه الحر فيه، و وجدوا أيام السّـنه القمريه ثلاث مائه و أربعه و خمسـين يوما، و تنقص عن أيام السّـنه الشّمسـيه نحو أحد عشر يوما، و أحبوا أن تكون فصول سنتهم على حال واحده لا تتغيّر، و كانوا يكبسون فى كل ثلاث سنين شهرا، و يجعلون سنتهم ثلاثه عشر شهرا و يسمّونها النّسى إلى أن بعث محمد صلى اللّه عليه و سلم، و أنزل اللّه تعالى هذه الآيه: إِنَّمَا النَّسِـی ءُ [سوره التوبه، الآيه: ۳۷] الآيه فلم يكبس بعد ذلك، فصار شهر رمضان يتقدم فى كلّ سـنه نحو أحد عشـر يوما، و يدور على جميع فصول السنّه فى نحو ثلاثين سنه، و لا يلزم نظاما واحدا، و هذا الذى حكاه هذا الإنسان يبطله ما ذكره اللّه تعالى، و رواته نقله الأخبار، و سأبيّنه من بعد.

فقوله تعالى: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِی كِتابِ اللَّهِ [سوره التوبه، الآيه: ۳۶] فالكتاب هاهنا هو الحكم و الإيجاب أ لاـ ترى قوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ* [سوره البقره، الآيه: ۲۱۶] و كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ [سوره الأنعـام، الآيه: ۱۲]، و المعنى إنّ الواجب عند اللّه أنّ عدد الشـهور على منازل القمر و أنّ أعياد المسلمين و حجّهم و صلواتهم فى أعيادهم و غير ذلك تـدور و أنه أجراها على هـذا المنهاج: يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ، [سوره التوبه، الآيه: ۳۶] ثم قال تعالى: مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ يريد من الأشـهر، أى جعـل لهـا حرمه كمـا جعـل البلـد الحرام، و البيت الحرام ذلِـکَ الـدِّينُ الْقَيِّمُ [سوره التوبه، الآيه: ۳۶] يريد دين الإسـلام قوله تعالى: فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَـكُمْ [سوره التوبه، الآيه: ۳۶] أى لا تـدعوا مقاتله عدوكم إذا قاتلوكم فى هذه الأشـهر، فتكونوا معينين على أنفسـكم و ظـالمين لهـا بكشف هـذا قوله تعـالى: يَسْـئَلُونَکَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتـالٍ فِيهِ [سوره البقره، الآـيه: ۲۱۷]، و المعنى عن قتـال فى الشـهر قُـلْ قِتـالٌ فِيهِ كَبِيرٌ [سوره البقره، الآيه: ۲۱۷] و قـد تم جواب السؤال لكن اللّه تعـالى زاد فى الكلام ما انشرحت به القصه و أتى من وراء القصه، فقال: وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ [سوره البقره، الآيه: ۲۱۷]، فقاتلوهم فإنكم معذورون، و معنى قوله تعالى:

كَافَّةً جميعا، و محيطين بهم و مجتمعين. و انتصابه على الحال، و مثل كافه قولهم: قاموا معا لا يـدخلها الألف و اللام، و كـذلك قاموا جميعا، و قال الزّجاج: اشتقت من كفه الشى ء

و هی حرفه و كأنها مأخوذه من كف لأنّ الشی ء إذا انتهی إلی ذلک كفّ عن الزّیاده و لا يثنّی و لا يجمع لأنّها مصدر فی الأصل كالعاقبه، و قم قائما، و كقولهم: العامّه و الخاصه.

و من هذا قولهم: لقبته كفه كفه، و المعنی كفه ككفه، أو كفه إلی كفه، قوله تعالی:

وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ [سوره التوبه، الآيه: ۳۶] ضمان منه يقال لنصره المؤمنين قوله تعالی: إِنَّمَا النَّسِي ءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ [سوره التوبه، الآيه: ۳۷] النّساء، التأخير، و قال: نسأ اللّه فی أجله، و منه النّسی ء فی تأخير الدّين يقول: فالذی يفعله الكافرون فی تقديم الأشهر الحرم علی أوقاتها التی جعلها اللّه لها و تأخيرها زياده فی كفر الكافرين، و استمرار فی ضلالهم و ذهاب عن الواجب عليهم و إنّما كانوا يفعلون ذلک فيحلّون الشهر من هذه الشّهور فی بعض الأعوام و يحرّمونه فی العام الآخر ليوافقوا بالتّحليل تحريم اللّه تعالی فيحلّوا الحرام و يحرّموا الحلال.

قوله تعالی: زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمالِهِمْ [سوره التوبه، الآيه: ۳۷] أی استحسنوا من ذلک ما هو سيئ و أتی بلفظ الخبر، عن المفعول و لا فاعل، ثم و مثله قولهم: أعجب بنفسه، و عنی بكذا و هذا كان من عادتهم كما كانوا يفعلونه فی البحيره و السائبه، و الوصيله، و الحامی حتی أبطلها اللّه تعالی بما أنزل فيه: (و البحيره) كانت النّاقه إذا انتجت خمسه أبطن، و كان آخرها ذكرا شقّوا أذنها، و امتنعوا من ركوبها و نحرها، و لا تمنع عن ماء و كلاء و لا يركبها المعی إذا لقيها.

و السّائبه: كان الرّجل إذا نذر لقدوم من سفر، أو برء من علّه يقول: ناقتی سائبه، أو عبدی سائبه فلا يستعان بعد ذلک به و لا يحادث عما يريده.

و الوصيله: هی الغنم إذا وضعت أنثی كانت لهم و إن وضعت ذكرا جعل لآلهتهم، و إن ولدت ذكرا، و أنثی قالوا؛ وصلت أخاها فلم يذبحوا الذّكر لآلهتهم.

و الحامی: كانوا إذا نتجت من صلب الفحل عشره أبطن قالوا: حمی ظهره فلا يحملون عليه و لا يمنعون من ماء و مرعی.

فصل فی بيان النسی ء

فيما قاله النّاس نقله الأخبار و المفسرون ذكروا أنه كان قوم من بنی كنانه يقال لهم بنو فقيم يتولّون ذلک إذا اضطروا إليه عند اتفاق حرب عظيمه و داعيه خطب قويه يری فی الواجب عليهم الاشتغال فی المحرّم به، فكان فی ذی الحجه إذا اجتمعت العرب لموسمهم يقوم مناد فينادی: الآن استنسانا، و استفرضنا إلا أن المحرم صفر، و أنّ صفر هو المحرم

الأكبر، فكانوا يحلّون فى المحرم ما كان فيه من قتال و سفك دم و استباحه حريم، و يحرمون فى صفر ما كان مباحا عندهم و فى مذهبهم ليواطئوا العده، و يبلغوا فيما رأوه من الإراده، و المواطاه: الموافقه.

و حكى ثعلب أنّ الكنانى كان يقال له: نعيم بن ثعلبه، و كان رئيس الموسم فى الجاهليه فيقوم إذا أرادوا الصّدر عن منى فيقول: أنا الذى لا أعاب و لا أخاب، و لا يرد لى قضاء فيقولون: صدقت انسينا شهرا، و يريدون أخّر عنّا حرمه المحرم، و اجعلها فى صفر فيفعله، و لهذا ذكره أبو عبيده معمر بن المثنى أنّ الأشهر الحرم كانت فى الجاهليه عشرون.

من ذى الحجه، ثم المحرم، ثم صفر، و شهر ربيع الأول، و عشر من شهر ربيع الآخر، و فى الإسلام هى ذو القعده، و ذو الحجه، و المحرم، و رجب ثلاثه متناسقه، و واحد منفرد، و كانت العرب تعظم رجبا، و تسميه منضل الأسنّه، و منضل الآل لأنّهم كانوا ينزعون الأسنّه من الحراب و الرّماح توطينا للنّفوس على الكف عن المحظور فيه فى مذهبهم و يسمّونه أيضا شهر اللّه الأصم لأنه كان لا يسمع فيه تداعى القبائل و لا قعقعه السلاح.

قالوا: فلما قام الدّين لمحمد صلى اللّه عليه و سلم أنزل اللّه فى النسى ء ما أنزل و لتأكيد الأمر فيه ذكره صلى اللّه عليه و سلم فى خطبه الوداع فقال: «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السّماوات و الأرض السّنه اثنا عشر شهرا منها أربعه حرم ثلاثه متواليه ذو القعده، و ذو الحجه، و المحرم، و رجب مضر الذى بين جمادى و شعبان». ثم انتسب الناس بعد فراغه مما أراد تأكيدا للقول فيه فقال: فى أى يوم يخطب؟ و من أى شهر هو؟ حتى أجابوه فأشهد اللّه على ما فعل فقال: «ألا هل بلغت اللهم فاشهد».

فهذا الأمر النسى ء، و معنى قوله عليه السلام: قد استدار كهيئته هو أنهم كانوا يحلون المحرم و يحرمون صفرا كما ذكرنا.

ثم كانوا يحتاجون فى سنه أخرى إلى تأخير صفر إلى الشّهر الذى بعده كحاجتهم فى المحرم فيؤخرون تحريمه إلى ربيع، ثم يمكثون بذلك دعه، ثم يحتاجون إلى مثله، ثم كذلك، و كان يتدافع شهرا شهرا حتى دار التّحريم على شهور السّنه كلّها. و قد رجع المحرم إلى موضعه الذى وضعه اللّه به و ذلك بعد دهر متطاول، فكان النبى صلى اللّه عليه و سلم أراد رجعه الأشهر إلى مواضعها و بطل النسى ء.

و روى عن مجاهد أنه قال: كانت العرب فى الجاهليه يحجّون عامين فى ذى القعده، و عامين فى ذى الحجّه، فلمّا كانت السّنه التى حج فيها أبو بكر رضى اللّه عنه كان الحج فى السنه الثانيه من ذى القعده، و هى حجه قراءه براءه قرأها على كرّم اللّه وجهه على النّاس، ثم

حج النبیّ صلی اللّه علیه و سلم فلما کانت السّنه التی حجّ فیها النبیّ صلی اللّه علیه و سلم عاد الحج إلی ذی الحجه، فذلک قوله: «إنّ الزّمان قد استدار کهیئته یوم خلق اللّه السّماوات و الأرض».

ثم قال لما فرغ من خطبته: «أیّ یوم هـذا»؟ قالوا: یوم حرام، قال: «أی شـهر هـذا» قالوا: شـهر حرام. قال: «أی بلـد هـذا؟» قالوا: بلد حرام، فقال: «ألا إنّ دماءکم و أموالکم و أعراضـکم علیکم حرام کحرمه یومکم هـذا فی شـهرکم هـذا فی بلدکم هذا اللهم هل بلّغت».

و مراد النبیّ صـلی اللّه علیه و سـلم أنه قـد ثبت الحـج فی ذی الحجه علی ما کان علیه فی أیام إبراهیم علیه السّـلام، فهـذا أیضـا طریقه، و الأول أشبه و أشهر و جمیع هذا، أو أکثره حکاه أبو عبید القاسم بن سلام أیضا. و قیل: إنما قیل رجب مضر لأنّها کانت تعظّمه، و تحرّمه، و لم یکن یستحلّه العرب إلّا حیّان خثعم و طی ء فإنهما کانا یستحلان الشهور، فکان الذین ینسئون الشّهور أیام الموسم یقولون حرمنا علیکم القتال فی هذه الشهور إلّا دماء المحلّین.

فصل فی تأویل أخبار مرویه عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و الصّحابه و بیان ما یحمد و یذم من معتقدات العرب فی الأنواء و البوارح

و هذا الفصل لائق بما قدّمناه من التّنزیل، فلذلک جعلناه من تمامه. روی عن رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سلم أنّه قال: «ثلاث من أمر الجـاهلیه الطعن فی الأنسـاب، و النّیـاحه، و الاستسـقاء بالأنـواء». فالاستسـقاء بها منکر، کما قال صـلی اللّه علیه و سـلم إلّا أنّ العرب مختلفون فیما یراعونه من قسـمه الأزمان و الفصول و الحکم علی الأحداث الواقعه فی الأحوال و الشّهور، و لهم فی ذلک من صـدق التأمل، و اسـتمرار الإصابه ما لیس لسائر الأمم، یـدل علی ذلک أنّ کل ما حکموا به قدیما عند طلوع هذا المنازل من تحت شـعاع الشّمس بالغدوات فی ناحیه المشرق و سقوط نظائرها فی المغرب من أحوال فصول السّنه، و أوقات الحر، و البرد، و مجی ء الأمطار و الرّیاح فإنّها تجری علی ما حکمت به إلی أن لا یتغیر و لا یتبـدل إلّا علی طریق الشذوذ، و علی وجه لا یحصـل به الاعتداد و علی ذلک فهم مختلفون.

فمنهم من اعتقـد أن تلک الحوادث من أفعال الکواکب، و أنها هی المدبره لها و الآتیه بها حتی صارت کالعلل فیها و الأسـباب؛ و أنّ للأزمنه تأثیرا فی أهلها کما أنّ للأمکنه تأثیرا فی أهلها و لـذلک أخذ قرن عن قرن النّاس بزمانهم أشـبه منهم بآبائهم، قالوا: فتصاریف الأزمان تؤثّر فی الخلق و الأخلاق و الصّور و الألوان و المتاجر، و المکاسب و الهمم و المآرب و الـدّواعی و الطّبائع و اللّسن؛ و البلاغات و الحکم و الآداب، فـذمّ اللّه تعالی طرائقهم و نعی علیهم عقائـدهم، و قال حاکیا عنهم: ما هِیَ إِلَّا حَیاتُنَا الدُّنْیا نَمُوتُ وَ نَحْیا وَ ما یُهْلِکُنا إِلَّا الدَّهْرُ [سوره الجاثیه، الآیه: ۲۴] الآیه، و هذا تجهیل من اللّه تعالی لهم، و ذکر بعضهم أنّ

الـذی یـدلّ علی أنّ شـأنهم کان تعظیم الرّجال و الاستسـلام للمنشإ و الـذّهاب مع العصبیّه و الهوی ما نجـد من اعتقاد أکثر أهل البصـره و سوادهم لتقـدیم عثمان، و اعتقاد أهل الکوفه لتعظیم علی، و من اعتقاد أکثر الشامیین لدین بنی أمیه و حب بنی مروان حتی غلـط قوم فزعموا أنّ هـذا لا یکون إلّا من قبل الطالع، أو من قبل التّربه، کما تجـد لأهل کل ماء و هواء نوعا من المنظره و الرّأی و الطّبیعه و اللّون و اللّغه، و النّشوء و البلده و لو کان ذلک کما ظنّوا لما حسن الأمر و النّهی و لا کان لإرسال الرّسل معنی، و لما جاز الثّواب و العقاب بلی لاستماله النّاس بالتّرغیب و التّرهیب و الاصطناع و التّقریب؛ و الذّهاب مع المألوف شأن عجیب.

و ذکر بعض المفسـرین و هو عبـد اللّه بن عبـاس فی قوله تعـالی: وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ [سوره الواقعه، الآیه: ۸۲] أنه القـول بالأنواء و قرأ علی، و تجعلـون شـکرکم أنکم تکـذبون، فأمـا قوله تعـالی: إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ [سوره البقره، الآیه: ۷۸] فإنّ للالف و العاده سـلطانا علی النّفوس و القلوب قویا و أخذا بالبصائر، و العیون عزیزا. و کانوا إذا اسـتهجنوا مسـتکرما، و اسـتقبحوا مستحسنا، و عدلوا عن مألوف إلی متروک، و عن معمول إلی مرفوض و تنقلت بهم الأحوال و تبدّلت لهم الأبدال طلبوا المعاذیر و العلل، و صـرفوا الفکر فی الأسباب و الدّواعی من جوانب الالف و العاده لا من نواحی النّظر و التّدبر لطلب الإصابه، فرضوا بأن یعملـوا الظّنون، و الأوهـام، و تحمّلوا تلـک الأفاعیـل علی الأسـماء فضـلا عن الـذّوات ثقه بمـا یشاهـدون و اغـترارا بـآرائهم فیما یحکمون لـذلک قال النبی صـلی اللّه علیه و سـلم: «لا تسـبوا الدّهر فإنّ اللّه هو الدّهر» لأنه رآهم یقولون لذلک الاعتقاد الفاسد: أباد بنی فلان الدّهر، و أفناهم اللیالی کقول بعضهم شعرا:

یا دهر قد أکثرت فجعتنا إذابسراتنا و وقرت فی العظم

و سهلتنا ما لست تعقبنا به یا دهر ما أنصفت فی حکم

و کقول الآخر:

و إنّ أمیر المؤمنین و فعله لکالدّهر لا عار بما فعل الدّهر

و معنی قوله صلی اللّه علیه و سلم لا تسبّوا الدّهر أی لا تسبّوا الذی یفعل هذه الأشیاء فإنّکم إذا سببتم فاعلها فإنّما یقع السّب علی اللّه تعـالی. و منهم من اعتقـد أنّ تلـک الحوادث من فعله تعـالی لکنّه أجری العاده بأن یفعلها عنـد طلوع تلک النّجوم، أو أفولها لأنّهم مختلفون فی ذلـک أیضا کأنهم یعـدّون تلک التّغیرات أوقاتا لها، و أمارات و سـمّوها الأنواء باتّفاق منهم لأنّ النوء یکون السّقوط و الطّلوع، و هـذا قریب فی الـدّین و العقل لا إنکار فیه، و علی هذا یحمل قول عمر للعبّاس حین استسـقی: یا عمّ رسول اللّه کم بقی من نوء الثّریا. فإنّ العلماء بها یزعمون أنها تعرض فی الأفق سبعا لأنّ هذا أمر عیان علی مجار قائمه و مسیر مرکب، و قد جعل اللّه

تعالی فی علم هذا و ما أشبه مما ضمّنه هذا الفلک عبرا کثیره، و آیه مبصره، و دلاله صادقه عم بجلیله أکثر هذا الخلق، و خصّ بلطیفه خصائص منهم مدحهم حین تبینوه و أقاموا الشّکر علیه فقال تعالی: وَ جَعَلْنَا اللَّیْلَ وَ النَّهارَ آیَتَیْنِ فَمَحَوْنا آیَهَ اللَّیْلِ وَ جَعَلْنا آیَهَ النَّهارِ مُبْصِرَهً أی مضیئه: لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّکُمْ [سوره الإسراء، الآیه: ۱۲] الآیه، و قرأ بعضهم مبصره فیکون مثل قول عنتره: و الکفر مخبثه لنفس المنعم.

و إذا وضعت مفعله فی معنی فاعل کفت من الجمع و التأنیث یقولون: الولد مجبنه، و هذا العشب ملینه مسمنه فاعلمه.

و قال فی آیه أخری: وَ هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِی ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ [سوره الأنعام، الآیه: ۹۷] الآیه، و قد علمنا أنّ خلقا کثیرا هلکوا بتفویض التّدبیر إلی النّجوم و لإفراطهم فی الأنواء قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «ما أنعمت علی عبادی من نعمه إلا أصبحت طائفه منهم بها کافرین یقولون مطرنا بنوء کذا فأمّا من آمن بی و حمدنی علی سقیای فذلک الذی آمن بی و کفر بالکواکب».

و روی عنه أیضا من وجه آخر: «لو أن اللّه عز و جل حبس المطر عن النّاس سبع سنین ثم أرسله لأصبحت طائفه بها کافرین یقولون مطرنا بنوء المجدح» و مما یدل علی ذلک قول الشاعر شعرا:

یا سحم من نتج الذّراعین أنأقت مسائله حتّی بلغن المناجیا

المناجاه المکان المرتفع لا یبلغه السّیل.

و قال آخر شعرا:

و أخلف نوء المرزم الأرض قرّهلها شبم فیه شفیف و جالد

و قال آخر:

تربّع من جنبی قنا فعوارض نتاج الثّریا نوؤها غیر مخدج(۱)

و لو کان مرادهم بقوله: مطرنا بنوءه کذا: أی مطرنا فی نوئه علی التّشبیه بقول النّاس:

مطرنا فی غرّه الشّهر لم یکن مکروها، و کذلک مذهبهم فی تأمّل الغیث أن لو کان علی نحو توقّع النّاس أیاما للأوقات المعروفه بالمطر لم یکن به بأس، لأنّ النّاس جمیعا یعلمون أنّ للحر و البرد و المطر و الرّیح من السّنه وقتا جرت العاده بتقدیر اللّه تعالی أن یکون فیه أکثر ما

۱- غیر ناقص.

يكون، و إن كـان اللّه تعـالى يـأتى به إذا شـاء لو لا ذلك ما عرفوا وقت حرث و لا بـذر و لا ركوب بحر و لا بر، و لا انتظر حين لمجى ء شـى ء و لاـ لانصـراف شـى ء، و لكـانوا و من يعـاملهم كـذلك فى أجهـل الجهل فمما هو ظاهر فى زوال المكروه عنه قولهم: إذا طلعت الشّـعرى سـفرا و لم يروا مطرا فلا تعدون أمره و لا أمرا، لأنّهم وجدوا ذلك مستمرا فى العاده و منه قول الشّاعر شعرا:

إذا ما قارن القمر الثّريالخامسه فقد ذهب الشّتاء

لأنّ مقارنه الثّريا فى الليله الخامسه من مهلّه لا يكون أبدا إلّا فى قبل الدجفاء و كقول الآخر شعرا:

إذا كبد النّجم السّماء بشقوهعلى حين هرّ(١) الكلب و الثّلج خاسف

لأنه موافاته كبـد السّـماء فى أوّل اللّيل يكون فى صـباره الشّـتاء و مما يكون على العكس من هـذا فى موافقه المكروه قول الآخر شعرا:

هنأناهم حتّى أعان عليهم عوافى السّماك ذى السّجال السّواجم

قال أبو حنيفه الدينورى: هذا الشّعر لجاهلى و اتبع أثره بعض الإسلاميين فقال:

هنأناهم حتّى أعان عليهم من الدّلو أو عوّا السّماك سجالها

قـال و هنوء القـوم أن يكفّهم مئونه و قـد يجى ء من كلاـمهم مـا يغمض، فيرد بالتّأويـل إلى كـل واحـد من النّـاس، و للقـائلين بالأحكام فى النّجوم مضاهاه للقوم فى إثباتهم السّعد و النحس بمقتضيات الكواكب إلا من عصمه اللّه تعالى و للّه الأمر و الحكم يفعل ما يشاء، و يحكم ما يريد لا رادّ لأمره، و لا مناص من قضائه.

و قد روى عنه صلى اللّه عليه و سلم: «من تعلّم بابا من النّجوم تعلّم بابا من السّحر و من زاد استزاد».

كما روى عنه صـلى اللّه عليه و سلم فى بعض خطبه أنه قال: «ما بال أقوام يقولون إنّ كسوف هذه الشّمس، و خسوف هذا القمر و زوال هـذه النّجوم عن مطالعهـا لموت رجـال قـد كـذبوا». الزّوال، و الزّولان بمعنى و هـذا يمكن حمله على قوله: إنّ من البيان لسـحرا، فيكون الكلام مدحا لهذا العلم، و للمشـتغلين به إذا تبرءوا من الحول و القوه و مما يدخلهم فى الإشـراك بالله و التّسـليم إلى الكواكب.

و قال ابن عباس لعكرمه مولاه اخرج فانظر كم مضـى من اللّيل؟ فقال: إنى لا أبصـر النّجوم فقال له ابن عبّاس: نحن نتحـدى بك فتيان العرب و أنت لا تعرف النّجوم، و قال:

١- هرّ الكلب: صات دون نباح.

وددت أنى أعرف هفت، و دوازده يريد النّجوم السّبعه السيّاره، و البروج الاثنى عشر، و قال معاويه لدغفل بن حنظله العلّامه و قد ضمه إلى يزيد علّمه العربيه و الأنساب و النّجوم: أ ترى هؤلاء حضّوا على الضّلاله، و رغبوا فى السّفاهه، فتأمّل ما ذكرته فإنه واضح.

فإن قيل: إذا كان القول فى قضايا النّجوم على ما ذكرته فما وجه قول إبراهيم عليه السلام مخاطبا لقومه و هم يعبدون الأصنام ليقربهم إلى اللّه زلفى: فَما ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقالَ إِنِّي سَقِيمٌ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ [سوره الصافات، الآيه: ۸۷- ۹۰] قلت: قد تكلم النّاس فى هذا فقال بعضهم النّجوم جمع نجم، و هو ما نجم من كلامهم لما سألوه أن يخرج معهم إلى عيدهم، و نظر نظره معناه تفكّر ليدبّر حجّه فقال: إنى سقيم يريد سقيم من كفرهم و إيمانهم بغيره، و هذا كما يقال أنا مريض القلب من كذا و إنما تخلف عنهم لما أضمر من كيد أصنامهم لأنّ حجته عليهم فى تعطيل عيدهم فلمّا غابت عيونهم جعلها جذاذا.

و سئل ابن الأعرابى عن معنى قوله تعالى: سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ [سوره الأنبياء، الآيه: ۶۰] معنى يذكرهم يعيبهم و أنشد:

لا تذكرى فرسى و ما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الأجرب

قال أبو إسحاق الزّجاج: قال ذلك لقومه، و قد رأى نجما فقال: إنى سقيم يوهمهم أنّ به الطّاعون، فتولّوا عنه مدبرين فرارا من أن يعذبهم الطّاعون، و إنّما قال: إنى سقيم لأنّ كل أحد و إن كان معافى لا بدّ له من أن يسقم و يموت. قال تعالى: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [سوره الزمر، الآيه: ۳] أى أنك ستموت فيما تستقبل فكذلك إنى سقيم أى سأسقم لا محاله.

و روى فى الحديث لم يكذب إبراهيم عليه السّلام قط إلا فى ثلاث و إنّ هذه الثلاث وقعت فيها معارضه. و ذلك قوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا على معنى إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ [سوره الأنبياء، الآيه: ۶۳] فقد فعله كبيرهم، و قوله فى ساره: هى أختى فى الإسلام. و قوله: إِنِّي سَقِيمٌ [سوره الصافات، الآيه: ۸۹] على ما فسرناه، و قال أبو مسلم: عطف بالفاء هذا الكلام على ما تقدم من أمره فى مخاطبه قومه بقوله: ما ذا تعبدون، قال: و نظره فى النّجوم هو الذى أخبر اللّه تعالى به عنه إذ يقول اللّه: وَ كَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ [سوره الأنعام، الآيه: ۷۰] إلى وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ [سوره الأنعام، الآيه: ۷۹] فكانت نظرته تلك للتبين.

فلما أراه اللّه الآيات فى نفسه، و فى الآفاق كما قال اللّه تعالى: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ الآيه، قال لقومه: أَ إِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ [سوره الصافات، الآيه: ۸۶] و ذلك حين قال: إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ [سوره

الأنعام، الآيه: ۷۹] الآيه، و كان قوله: إِنِّی سَقِیمٌ قبل التّبین، و أراد بالسّقیم أنه لیس علی یقین و لا شفاء من العلم و یقول الرّجل إذا سأل عن شی ء فصدّق عنه و بین له: شفانی فلان فلما کان العلم و الیقین شفاء صلح تسمیه الحال التی قبل کنه البیان سقما.

و قد قال اللّه تعالی فی قوم لم یکونوا علی إیمان محض: فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ* [سوره البقره، الآیه: ۱۰]، و هذه الحال التی انتسب فیها إبراهیم علیه السّلام إلی السّقم هی الحال التی فیها البلوغ، و وقوع التّکلیف من اللّه عزّ و جلّ و لزوم أمره و نهیه، و الفاء فی قوله تعالی:

فَتَوَلَّوْا فاء عطف أیضا ینعطف بها ما هی معه من الکلام علی قوله: أَ إِفْکاً آلِهَهً دُونَ اللَّهِ تُرِیدُونَ فَما ظَنُّکُمْ بِرَبِّ الْعالَمِینَ، فلما دعاهم إلی اللّه تعالی، و أنکر علیهم عباده ما یعبدون دون اللّه تولوا عنه مدبرین.

و زعم قوم لا یعقلون أنّ إبراهیم علیه السّلام کذب ثلاث کذبات هی واحده منها، و حاش للرّسول الذی اتّخذه اللّه خلیلا أن یکذب، أو یأتی بالقبائح، و الذی توجبه التلاوه و شهاده بعض القرآن لبعض، و یحسن فی أوصاف أنبیاء اللّه و صفوته من عباده هو ما ذکرناه، و تلخیص ما فی هذه القصّه منذ ابتداء ذکر إبراهیم إلی حیث انتهینا أنّ اللّه تعالی أثنی علی إبراهیم بأنّه وافق نوحا فی الإیمان و الإخلاص حتی توفّاه اللّه علی ذلک سلیم القلب لئلا یشرک به شیئا و أنه نظر فیما خلق اللّه من النّجوم فاستدلّ علی خالقها بها و تبیّن له بالتأمل لها أنّ إلها و آلهه واحد لیس کمثله شی ء و هو رب العالمین، و خالق الخلق أجمعین و دعا قومه إلی مثل ما أراد اللّه، و هداه له وزری علیهم، و عاب اختیارهم فی عباده الأصنام لا تسمع و لا تبصر و لا تغنی عنهم و لا عن أنفسها شیئا، فتولّی القوم عنه مدبرین عند ذکره ربّه کما قال تعالی فی الکافرین من قوم النبی صلی اللّه علیه و سلم: وَ إِذا ذَکَرْتَ رَبَّکَ فِی الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلی أَدْبارِهِمْ نُفُوراً [سوره الإسراء، الآیه: ۴۶] و قال تعالی: فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْکِرَهِ مُعْرِضِینَ [سوره المدثر، الآیه: ۴۹] الآیه. و قال تعالی: وَ إِذا ذُکِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ [سوره الزمر، الآیه: ۴۵] الآیه. و قال بعض أهل النّظر إنه علیه السّلام رآهم یعتمدون فیما یعن لهم و یحدث و فیما یستأنفون من مبادئ الأمور، و مفاتحها علی النّظر فی النّجوم و أحکامها، فاقتدی بهم تأنیسا لهم و أخذا بعادتهم لیسکنوا إلیه بعض السّکون و إن لم یرکنوا کلّ الرّکون.

قوله: إِنِّی سَقِیمٌ، و إن قاله متأوّلا، ففیه استبناء، و رجاء رفق منهم إمّا لعله، و إما للتّربص به حتی یأمنوا شرّه، و یشهد لهذا قوله: فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِینَ [سوره الصافات، الآیه: ۹۰] و هذا حسن قریب.

و قال بعضهم: قوله تعالی: فَنَظَرَ نَظْرَهً فِی النُّجُومِ [سوره الصافات، الآیه: ۸۸] یعنی به ما ینجم من نبات الأرض کأنه کان یقلب الأدویه متخیرا منها ما یقرب الشّفاء عنده، و قیل

أیضا أراد نظر فیما کان ینزل علیه من نجوم الوحی کیف یتوصّل إلی ما یهم به فی آلهتهم، و بما ذا ابتدئ و من أین مخلصه إذا أقدم و یکون قوله: إِنِّی سَقِیمٌ اختداعا منه لهم و إیذانا منه بأنه مشغول بنفسه تارک لما کان لا یؤمن من مکاید، و هذا نهایه ما یقال. فأما قوله تعالی: فَراغَ عَلَیْهِمْ ضَرْباً بِالْیَمِینِ [سوره الصافات، الآیه: ۹۳] یرید مال علیها بالضّرب، کما تقول: التقی الفریقان فراغ أحدهما: أی عزل عن الحرب یقال دار فلان رائغه عن الطّریق أی عدله، و قوله: بالیمین قیل: بیده الیمنی، و قیل: هی یمین کان حلف بها، و هی قوله تعالی: تَاللَّهِ لَأَکِیدَنَّ أَصْنامَکُمْ [سوره الأنبیاء، الآیه: ۵۷] و قیل بالقدره کما قال:

إذا ما رایه رفعت لمجدتلقاها عرابه بالیمین

و قیل: راغ معناه أقبل مستخفیا کروغان الثّعلب، و کذلک قوله: فَراغَ إِلی أَهْلِهِ فَجاءَ بِعِجْلٍ أی لم یرد أن یشعروا به.

فصل آخر [فی بیان معنی الرؤیه لله تعالی الوارده فی القرآن]

و ذکر أبو علی الفارسی فیما سمعته منه أنّ قول النّبی صلی اللّه علیه و سلم: «ترون ربکم کما ترون القمر لیله البدر لا تضامون فی رؤیته» [سوره الذاریات، الآیه: ۲۶] أنّ هذا لیس من الرؤیه التی هی إدراک البصر بل هی بمعنی العلم و ساغ حذف المفعول الثانی الذی تقضیه تلک لأنّ الکلام قد طال ما هو بمعنی المفعول الثانی لو أظهر، أ لا تری أنّ قوله: کما ترون القمر لیله البدر تأکید، و تشدید للتّیقن، و تبعید من اعتراض الشّبه علی العلم به تعالی، و إذا کان بمنزله ما بمنزله المفعول الثانی إذا جری ذکره فی الصّلات نحو: علمت أنّ زیدا منطلق، و أحسب النّاس أن یترکوا فلمّا سدّ ما جری فی الصّلتین مسد المفعولین، و من قال: إنه یضمر فی الموصولین مفعولا ثانیا کان قیاس قوله: أن یضمر هنا مفعولا ثانیا کأنّه ترونه متیقنا، و نحو ذلک و أن یقال: إنّ ما ذکر سدّ مسد المفعول الثّانی أقیس.

أ لا تری أنّ ما جری فی صله أن بعد لو فی قولک: إنک لو جئتنی قد سدّ مسدّ المفعول الذی یقع بعد لو حتی لم یظهر ذلک الفعل معه، و اختزل فکذلک المفعول مع الموصولین فی هذا الباب، و مثل هذا قوله: أ عنده علم الغیب فهو یری لأنّ القول فی یری أنها التی تتعدی إلی مفعولین لأنّ علم الغیب لا یوجب الحسن حتی إذا علمه أحسّ شیئا، و إنما المعنی عنده علم الغیب مثل ما یشهده لأنّ من حصل له علم الغیب یعلم ما یغیب کما یعلم ما یشاهد.

فإن قلت: فکیف حذف المفعولین جمیعا؟ قیل: المعنی أ عنده علم الغیب، فهو یری الغیب مثل المشاهد و المبتدأ و الخبر قبل دخول رأیت علیه کان الغیب فیهما مثل المشاهده، ثم حذفا للدّلاله علیهما و قد قال الأعشی:

فأنبئت قيسا و لم أبله كما زعموا خير أهل اليمن

و قال الكميت: (ترى حبّهم عارا على و تحسب)، فالدّلاله من الفحوى و المعنى فى الآيه على المفعولين المحذوفين كالدلاله عليهما فى البيتين لجرى ذكرهما فيهما و إنما ذكرنا ما قاله لغرابته.

فصل آخر فى جواب مسائل للمشبهه من الكتاب و السّنه مما تستدل به المشبهه

أنهم قالوا قال اللّه تعالى: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ [سوره غافر، الآيه: ۷] و قال: وَ تَرَى الْمَلائِكَهَ حافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ [سوره الزمر، الآيه: ۷۵] ثم قال: الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى [سوره طه، الآيه: ۵] و قال: ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ* [سوره يونس، الآيه: ۳] كما قال: وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ [سوره يونس، الآيه: ۱۰۰] و لا فصل بين الكلامين و قال أيضا: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ [سوره البقره، الآيه: ۲۵۵] و الكرسى و العرش بمعنى و مما جاء فى الخبر قول النبىّ صلى اللّه عليه و سلم حيث حكم فى بنى قريظه: «لقد حكمت بحكم اللّه من فوق سبع سماوات» (و عنه) حين قال: «فأقوم على يمين العرش» و لا يكون يمين إلا لما له يسار، قالوا فقول اللّه: وَ مَنْ حَوْلَهُ و حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ فيه دلاله على أنّ العرش مطاف يطاف به، و دوار يدار عليه و هذه المواضع و أشباهها عمدهم.

و الجواب عنها أنّ للعرش مواضع عده فى كلام العرب منها الملك و العز و قوام أمر الرّجل و ملاكه و يشهد له قولهم ثل عرش فلان إذا أزيل و حطّت رتبته و منها سرير الملك و يشهد له قوله تعالى: وَ لَها عَرْشٌ عَظِيمٌ [سوره النمل، الآيه: ۲۳] و قوله: أَ هكَذا عَرْشُكِ قالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ [سوره النمل، الآيه: ۴۲] و يجمع على العرشه و الاعراش. و منها سقف البيت و ما يستظل به و العرش كذلك، و منه قيل عرش المكرم فهو عرش و قالوا عرش السّماك لكواكب أربعه تشبّها به لأنه على صوره النّعش. و منها طى البير بالخشب بعد ما يطوى موضع الماء منها بالحجاره، و يقولون عرّشوا بيركم و إذا ثبتت هذه الوجوه حقيقه و تشبّها فى لفظه العرش، فالواجب حملها حيث جاءت على الأليق بالمعنى مع قرائنه و الأقرب فى الاستعمال و الأشبه فى قضيه السّمع و العقل و هذا الذى ذكرناه هو الميزان عند طلب الرّجحان حيث حصل الاشتراك فى الألفاظ و غيرها.

فأما الخبر المروى و هو: «لقد حكمت بحكم اللّه من فوق سبع سماوات» فقوله من فوق ظرف لقوله حكم اللّه و متعلق به فهو كما يقال حكم اللّه العالى المكان الرّفيع المحل

و القـدر و أنت تصف الحكم و لاـ يجوز أن يكون متعلقا بلفظه اللّه لأنه تعالى لا تحويه الأماكن و لا تحيط به الأقطار و الجوانب و المعنى بحكم يشبه حكم اللّه الذى محلّه و مكانه من الإصابه و الغلبه و العلو فوق سبع سـماوات و قوله تعالى: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ [سوره غافر، الآیه: ۷] و منهم من يطوف به و كلّهم يسبح للّه بالحمد له و الاعتراف بنعمه و الإيمان بجميع ما تعبـد اللّه به خلقه و يستغفرون لمن فى الأـرض إلى الشـفاعه التى قـال اللّه تعالى ما حالهم وَ لا يَشْـفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضـى و قوله تعـالى: وَ يَحْمِـلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِـذٍ ثَمانِيَةٌ [سوره الحاقه، الآيه: ۱۷] يَوْمَئِـذٍ تُعْرَضُونَ لاـ تَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ [سوره الحاقه، الآيه: ۱۸] يريـد أن جميع من خلق اللّه من البشـر فى ذلـك اليوم يعرضون بأعمـالهم و أقوالهم، و كـلّ مـا أعلنوه و أسـرّوه أيـام حياتهم فيحاسـبون عليه، و ذلك كما يسـتعرض السـلطان جنده بأسلحتهم و دوابهم و آلاتهم، فأما العدد المذكور فهو مما استأثر اللّه به و مثله ممـا رأى اللّه تعالى إيهام الأمر فيه و الكف عن بيانه كثير، و ذلك لتعلّق المصـلحه بأن يكون حازما و سائر ما سألوا عنه إذا أجملناه.

فإنّا نقول فى جوابهم الشامل لمقالهم المسـقط لكلامهم لمّا أن كان أسـفل الأشـياء الثّرى و كان أعلى الأشـياء السّماء السّابعه ثم الكرسـى ثم العرش فكان اللّه تعالى قـد جعل للأعلى فى القلوب من التّعظيم و القـدر و الشّرف ما لم يجعل للأسـفل، كما عظّم بعض الشّهور و بعض الأيام و بعض اللّيالى و بعض السّاعات، و بعض البقاع و بعض المحال، و كان قد جعل للعرش ما لم يجعل للكرسـى و جعل للكرسى ما لم يجعل للسّـماء السّابعه ذكر العرش و الكرسـى و السّماء بما لم يذكر به شيئا من سائر خلقه فذكر مره العرش و الكرسى و السماء فى جمله الخلق، و أنّه عال على جميعها بالسلطان و القدره و القوّه حيث قال تعالى:

أَنَّ اللَّهَ عَلى كُـلِّ شَـيْ ءٍ قَـدِيرٌ [سوره البقره، الآيه: ۱۰۶] و حيث قـال تعـالى: وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَـيْ ءٍ مُقْتَـدِراً [سوره الكهف، الآيه: ۴۵] و قـد يقول الرّجل فلان شديد الإشـراف على عمّاله و ليس يذهب إلى اشـراف بدنه و رأسه، قد خبّر اللّه أنه على كلّ شى ء قـدير و مقتدر و حافظ و ظاهر، و قد قال: هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَـيْ ءٍ عَلِيمٌ [سوره الحديد، الآيه: ۳] و العرش شـى ء هو عال عليه بالقـدره، و الظّاهر عليه بالسّـلطان و إنّما خصّه بالذكر إذ كان مخصوصا عندنا بالنّباهه و أنّه فوق جميع الخلق فذكر مره فى الجمله و مره بالإبانه قال تعالى: وَسِعَ كُرْسِـيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ [سوره البقره، الآيه: ۲۵۵] فخبّر أنه عـال عليه و حافظ له و مانع له من الزّوال و قوله كُرْسِـيُّهُ كقوله بيته و لو كان متى ذكر أنّ له كرسـيا و عرشا فقد أوجب الجلوس عليهما كان متى ذكر بيته فقد أوجب أنّه ينزله و يسكنه و ليس بين بيته و عرشه و كرسيه و سمائه فرق، و لو كنّا إذا قلنا: سماؤه فقد جعلناه فيها كنّا إذا قلنا أرضه فقد جعلناه فيها قال تعالى: مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ

وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ [سوره البقره، الآيه: ۹۸] فأدخلهما فى جمله الملائكه ثم أبانهما إذ كانا بائنين من سائر الملائكه، و كذلك سبيل القول فى العرش و الكرسى و السّماء و الأرض و الحوت، و الثّرى، لأنّ الكرسى إذا كان مثل السّماوات و الأرض و العرش أعظم منه فمتى ذكر أنّه عال على العرش و ظاهر عليه فقد خبّر أنّه على كل شى ء قدير، و قد يكون العلوّ بالقدره و الاعتلاء، فمره يذكر العرش، و مره يذكر الكرسى دون العرش، و مره يذكر السّماء دون الكرسى و مره يقول: وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَ فِي الْأَرْضِ [سوره الأنعام، الآيه: ۳] بعد أن قال: أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذا هِيَ تَمُورُ و ترك ذكر الأرض فلو كان إذا ذكر السّماء دون الأرض كان ذلك دليلا على أنه ليس فى الأرض كان فى ذكره أنه على العرش، دليل على أنه ليس فى السّماء و قد قال: أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ [سوره الملك، الآيه: ۱۷] و مره يذكر معاظم الأمور، و جلائل الخلق، و كبار الأجسام و أعالى الأجرام، و مره كلّ شخص كيف كان و حيث ما كان كقوله تعالى: ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ [سوره المجادله، الآيه: ۷] الآيه. و قد قال أيضا على هذا المعنى: وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ و قال: نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ [سوره الواقعه، الآيه: ۸۵].

فإن زعم القوم أنّه إنما ذهب إلى معنى القدره و العلم لأنّ قربه منهم كقربه من العرش قلنا: فقد صرتم إلى المجازات و تركتم قطع الشّهاده على ما عليه ظاهر الكلام، فكيف نعيتم ذلك علينا، حين زعمنا أنّ تأويل قوله: الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى [سوره طه، الآيه: ۵] ليس على كون الملك على سريره بل هو على معنى العلو و القدره و الحفظ و الإحاطه و الظهور بالسلطان و القوّه و هذا بين و الحمد للّه.

فإن قالوا: ما تأويل استوى؟ و ما فائده على؟ قلنا: قد زعم أصحاب التفسير عن ابن عباس و هو صاحب التّأويل و النّاس عليه عيال، أنّ تأويل قوله: استوى استولى، و قد قال تعالى لنوح: فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ [سوره المؤمنون، الآيه: ۲۸] و لم يرد اللّه تعالى أنّهم كانوا مائلين فاعتدلوا، و إنما معناه فإذا صرتم فى السّفينه فقل: كذا و كذا، و قد يقول الرّجل: قلت كذا و كذا ثمّ استويت على ظهر الدّابه بعد أن لم أكن عليها فقلت كذا و قال تعالى: وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوى آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً [سوره يوسف، الآيه: ۲۲] و إنما يريد: فلما انتهى و بلغ جعلناه حكيما، و كما يقال للغلام المقدود: هذا غلام مستو فإن قالوا: قد عرفنا هذه الوجوه و لكن ما معنى قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ [سوره فصلت، الآيه: ۱۱] قلنا معناه: ثم عمد إلى السّماء فخلقها كما قال ابن مقبل شعرا:

أقول و قد قطعن بنا شرورى عوامد و استوين من الضّجوع

أی خرجن، و قال الآخر:

استوت العیر إلی مروان مسیر شهر قبله شهران

و لفظه علی تختلف مواقعها، فمنها قوله تعالی: إِنَّ إِلَیْنا إِیابَهُمْ [سوره الغاشیه، الآیه: ۲۵] ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا حِسابَهُمْ [سوره الغاشیه، الآیه: ۲۶] و قوله تعالی: إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ [سوره القیامه، الآیه: ۱۷] فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ [سوره القیامه، الآیه: ۱۸- ۱۹] و قوله تعالی: وَ عَلَی اللَّهِ قَصْدُ السَّبِیلِ وَ مِنْها جائِرٌ و المراد فی الجمیع اللّزوم و الوجوب و منها قول الفرزدق شعرا:

و لو أنی ملکت یدی و نفسی لکان علیّ للقدر الخیار

و إنّما قال هذا حین ندم علی تطلیق امرأته نوّار و أوّله:

ندمت ندامه الکسعیّ لمّاغدت منّی مطلّقه نوار

و المعنی لو ملکت أمری فکان علیّ أن أختار للقدر، و لم یکن علی القدر أن یختار لی، و منها قوله تعالی: فَإِذَا اسْتَوَیْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَکَ عَلَی الْفُلْکِ [سوره المؤمنون، الآیه: ۲۸] و قوله تعالی: وَ کانَ عَرْشُهُ عَلَی الْماءِ [سوره هود، الآیه: ۷] و هذا کما أنّ السّماوات بعضها علی بعض، و یجوز أن یکون علیه علی جهه الالتزاق. و منها قوله تعالی:

وَ عَلَی الْوارِثِ مِثْلُ ذلِکَ [سوره البقره، الآیه: ۲۳۳] و هذا من قولهم: علی فلان نذر، و علیه حتم و علیه یمین. و منها قوله:

سلام اللّه یا مطر علیهاو لیس علیک یا مطر السّلام

و منها قول الآخر شعرا:

و لا الحیّ علی الحدثان قومی علی الحدثان ما تبنی السّقوف

یقول: لا ألوم قومی أن یحنوا علیّ و أن یحدثوا الأحداث. فعلیّ احتمال ذلک بنی بیت السّؤدد. و منها قوله تعالی: أَوْ کَالَّذِی مَرَّ عَلی قَرْیَهٍ وَ هِیَ خاوِیَهٌ عَلی عُرُوشِها [سوره البقره، الآیه: ۲۵۹] فمعنی مر علی قریه مر بجنباتها، و لم یرد أنّه مر فوقها، و قوله: هی خاویه علی عروشها: یرید و هی خالیه علی عروشها أی هی علی ما بها من السّقوف خالیه کما یقال: زید علی کثره محاسنه متواضع. و قال بعضهم: أراد بقیت حیطانها لا سقوف لها و ما قلناه أشبه. و قال أبو عبیده، هی الخیام و بیوت الأعراب، و منها قولهم: علیک الجاده و الطریق الأعظم فی الإغراء بها و فی القرآن: عَلَیْکُمْ أَنْفُسَکُمْ لا یَضُرُّکُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَیْتُمْ [سوره المائده، الآیه: ۱۰۵] هذا ما حضر من مواضع علی.

فصل آخر و هو بيان قوله تعالى: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ [سوره الأنعام، الآيه: ۱۲۴]

و بيان قول القائل: اللّه أعلم بنفسه من خلقه و الفصل بينهما.

أما قوله تعالى: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ [سوره الأنعام، الآيه: ۱۲۴] فلا يجوز أن يكون انتصاب حيث على حد انتصابه إذا كان ظرفا لأنّ علمه تعالى فى جميع الأماكن على حدّ واحد لا يدخله التّزايد و التّناقص، و إذا لم يستقم حمل أفعل على زياده علم فى مكان فيجب أن يحمل على انتصابه انتصاب المفعول به، و يكون العامل فيه فعلا مضمرا يدلّ عليه قوله: (أعلم) و يحصل الاكتفاء بقوله: اللَّهُ أَعْلَمُ ثم أعلم يدل على يعلم مضمر أو التّقدير اللّه أعلم العالمين يعلم حيث يجعل رسالاته فيختار لأدائها من يصطفيه و مثل هذا قول الشّماخ شعرا:

و جلاهما عن ذى الأراكه عامرأخو الحضر يرمى حيث تكوى النّواجر

فقوله: حيث مفعول لأنه هو المرمى إذ لم يجز أن يكون المعنى يرمى شيئا فى ذلك المكان و هذا مثل قول الآخر:

أكروا حمى للحقيقه منهم و اضرب منّا بالسيوف القوانسا

انتصب القوانس بفعل مضمر دلّ عليه قوله و اضرب منا.

و أما قول القائل: اللّه أعلم بنفسه من خلقه حتى قيل: لم يزل معلوما لنفسه فاعلم أنّ هذا الكلام له منصرفات بعضها يجوز و يحسن فى وصفه تعالى، و بعضها يمتنع، فإن أردت بقولك نفسه صفه لأنه به حسن، و جاز و يكون هذا كقوله فى صفه قدرته و تدبيره و عظمته و إرادته و كرمه و رحمته: يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ [سوره الرحمن، الآيه: ۲۹] و كذلك إن أردت أنّ علم العبد قد يعترض فيه الشّك و يتسلّط عليه النّسيان و يعتريه الآفات كالغشى و النّوم و الموت فتعطله و علم اللّه يدوم و يثبت على حد واحد كان صوابا و قائما و صحيحا (و إن أردت أنّ علمه بذاته متكامل فهو يسعها و علم خلقه بها متناقص فيعزّ عن الإحاطه بها كان غير لائق به و ممتنعا من تجويزه فيه، و كذلك إن أجريت مجرى قول القائل إنّ جبرائيل أعلم بالله من الإنسان، تريد أنّ علمه أعلق به و ألزم له كما يزداد حبّا على حبّ، و يكون تعين أثبت من تعين امتنع أيضا و ذكر النّفس ليس يثبت به شى ء غير الذات و كذلك الوجه فى قوله تعالى: وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ [سوره الرحمن، الآيه: ۲۷] و ليس ذلك على ما ينسب إلى المحدثين من الأعضاء و كذلك العين إذا قلت عين الشى ء و يصح أن يقال:

اللّه أعلم بنفسه من خلقه و يراد أنه أذكر لوجوه القدره و صنوف ما تدل عليه الحكمه و العظمه

و لجميع صفاته العلى و أسمائه الحسنى فلا أمد لعلمه، و لا نهايه و لا مدد و لا غايه. و شاهد هذا قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ [سوره لقمان، الآيه: ۲۷] الآيه، و هذا لأنّ العبد لا يكون ذاكرا من وجوه القدره و الحكمه كلّها إلّا ما علم منها و اللّه تعالى ذاكر لها كلّها، و يكون هذا كما يقال فلان أعلم بالله من فلان، و يراد أنه قد عرف أنّ الدّنيا محدثه من وجوه عده، و أنّ الآخر لا يعرف ذلك إلا من وجه واحد، و قد ظهر بما بيّناه الفصل بين ما يسأل عنه فى الموضعين جميعا.

فصل فى تبيين المحكم و المتشابه

من قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ و الحكمه فى إنزاله مقسما بين الوجهين المذكورين و الكلام فى المعارف و المعجز.

اعلم أنّ اللّه تعالى لمّا ابتلى العقلاء بتكاليف الدّين بعد إزاحه العلل و تسهيل السّبل و بعث الرّسل رتّب فى مراسمه مراتب، و جعل لكلّ مرتبه قدرا من الجزاء و المثوبه ترغيبا فى الاستكثار من طاعته، و حضّا على التّنافس فى أشرف المنازل لديه و من أجل تلك المراسم ما ندب إليه من تدبّر كتابه الحكيم الجامع للأوامر و النّواهى و أصول الحلال و الحرام، و المندوب إليه و المباح، و قصص الأمم السّالفه، و أخبار الأنبياء معهم، و المواعظ و الأمثال، و الحكم و الآيات و النّذر و المثلات، و العبر و الامتنان بأنواع النّعم، و الإخبار بالشى ء، قبل كونه و التّنبيه على مغيبات الأمور و سرائر القلوب من دونه، هذا و قد أنزله علما لنبيّه يتحدى زمان الفصاحه، و أوان التّبلغ بالبلاغه جعل بعضه جليا واضحا و بعضه خفيّا متشابها، ليعمل من تسمو نفسه إلى أعلى الدرجات فكره، فيمتاز فى العاجل بما يستنبطه و يثيره من جليل العلم و دقيقه عن غيره ممن لم يسع سعيه، و إن جاهد فى ربه و يجتاز فى الأجل عند اللّه من الزّلفه و جزيل المثوبه ما يقرب من غايات الأنبياء و ذوى العزم و النّصيحه فلولا حكمه اللّه فيما ذكرته لبطل التّفاضل فيما هو أشرف و تدانت الأقدار فيما هو أفخم.

أ لا ترى أنّ الصّبر فى أعمال القلب و أعمال الفكر و كد الرّوح لنتائج النّظر ليس كالصّبر فى إتعاب الجوارح و إنصاب الآراب و المفاصل، لذلك قال تعالى: وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا [سوره العنكبوت، الآيه: ۶۹] فأما ما روى من أن لكل آيه ظهرا و بطنا و مطلعا فالمعنى لكلّها لفظ و معنى، و مأتى أى طريق يؤتى منه فيتبيّن علمه من ذلك الطّريق و قيل أيضا فيه: الظّهر للإخبار عن مخالفه الأمم و هلاكها و البطن يكون تحذيرا أى لا تفعلوا فعلهم فتهلكوا هلاكهم.

و حکی عن النّظام أنه قال القرآن کلّه أو بعضه جاء علی کلام العامّه فی أمثالهم إیاک أعنی فاسمعی یا جاره. و قد ظهر وجه الحکمه بما بینّاه فی تنزیله بعض الکتاب محکما و بعضه متشابها فأمّا التّنبیه علی کلّ نوع منهما فإنّا نقول و بالله التّوفیق:

اعلم أنّ المحکم من الآی هو الذی لا یحتمل إلا معنی واحدا فیوافق ظاهره باطنه إذا تأوّل کأنّه أحکم أمره و منع متدبّره من تسلیط الشّبهه علیه کما منع هو فی نفسه من أن یتورده الاحتمال، و أصل الأحکام المنع. و منه حکمه الدابه فإن قیل: إنّ اللّه تعالی قد وصف آیات القرآن کلّها بمثل هذه الصفه لأنه قال تعالی: الر کِتابٌ أُحْکِمَتْ آیاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ خَبِیرٍ [سوره هود، الآیه: ۱] و إذا کان کذلک فالمتشابه محکم أیضا و یؤدّی ظاهر الآیتین إلی تناقض قلت: إنّ قوله: أُحْکِمَتْ آیاتُهُ معناه أتقنت و أتی بها علی حدّ من الوثاقه فی النّظم و الإصابه فی المواضع لا یتخلّلها اختلال، و هذا کما یقال للبناء الوثیق محکم. و قد قال اللّه تعالی فی موضع آخر: الر تِلْکَ آیاتُ الْکِتابِ الْحَکِیمِ [سوره یونس، الآیه: ۱] فجعل الکتاب حکیما بما تضمّنه من الحکمه و إذا وضح ذلک فقد سلم ما قلناه و لم یحصل بحمد اللّه تناقض، و یشهد لما تأوّلنا علیه المحکم أنّه جعل فی مقابله المتشابه.

و جوّز بعض المتأوّلین أن یکون معنی أحکمت آیاته أجملت من حیث جاء بعده، ثم فصّلت إذ کان الإجمال و التّفصیل یتعاقبان، و هذا الذی قاله لا یعرف فی اللغه، و المتشابه هو الذی دخل فی شبه غیره فیعتوره تأویلات أو أکثر، و من شرطه أن یرد إلی المحکم فیقضی به علیه، لهذا قال تعالی فی صفه ثمر الجنه: وَ أُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً [سوره البقره، الآیه: ۲۵] فقیل المعنی یشبه بعضه بعضا فی الجوده و الحسن. و قال المفسرون: یشبه بعضه بعضا فی الصّوره و مختلف الطعوم و قد وصف تعالی الکتاب کلّه بالمتشابه کما وصفه بالحکیم، و کما وصف آیه بالإحکام فقال: کتابا متشابها و المعنی یصدّق بعضه بعضا فلا یختلف و لا یتناقض. و قل علیّ لابن عباس حین وجّه به إلی الشّراه(۱) قبل القتال لا تناظروهم بالقرآن، فإنّ القرآن حمّال ذو وجوه، و لکن ناظروهم بالسّنه فإنّهم لا یکذبون علیها فقوله:

حمّال أی: یحمل علیه کل تأویل، و هذا یترجم عن معنی المتشابه و مثال المحکم نحو قوله تعالی: ادْعُ إِلی سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ [سوره النحل، الآیه: ۱۴۵] و کقوله تعالی: إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِیتاءِ ذِی الْقُرْبی وَ یَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْکَرِ وَ الْبَغْیِ [سوره النحل، الآیه: ۹۰].

فأمّا وجوه المتشابه فمختلفه، (منها) اتّفاق اللّفظین مع تنافی المعنیین فی ظاهر آیتین کقوله تعالی: هَلْ مِنْ خالِقٍ غَیْرُ اللَّهِ [سوره فاطر، الآیه: ۳] فهذا محکم لفظه استفهام

۱- قال فی القاموس: الشراه الخوارج، و الجبل و الطّریق و جبل بنجد لطیّ.

و معناه نفی، و المراد لا منشئ إلا اللّه. ثم قال تعالی فی موضع آخر: فَتَبارَکَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ [سوره المؤمنون، الآیه: ۱۴] فقلنا الخلق فی کلامهم یکون الإنشاء و یکون التّقدیر یقال: خلقت الأدیم إذا قدّرته قال: و لأنت تعزی ما خلقت و بعض القوم یخلق ثم لا یعزی، و الآیه النّافیه تقضی علی المثبته بأنّ الخلق یکون فیه التّقدیر لا غیر لأنّ الذی یخلص للّه تعالی من معنی الخلق فلا یشارک فیه هو الإنشاء و مثله قوله تعالی: وَ أَنَّ الْکافِرِینَ لا مَوْلی لَهُمْ [سوره محمد، الآیه: ۱۱] مع قوله تعالی: ثُمَّ رُدُّوا إِلَی اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِ [سوره یونس، الآیه: ۳۰] لأنّ المولی فی اللغه یقع علی السیّد و العبد و المعتق و الولی و النّاصر و ابن العم، فمعنی لا مولی لهم: لا ناصر، و لا ولی و معنی مولاهم الحق الإله و السّید الذی لا شک فیه یوم یکون الحکم و الأمر له و هذا بیّن. (و منها): التّنافی بین المعنیین فی ظاهر آیتین و إن لم یکن عن اتفاق لفظین مثل قوله تعالی: یَوْمَئِذٍ یَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتاتاً لِیُرَوْا أَعْمالَهُمْ [سوره الزلزله، الآیه: ۶] مع قوله تعالی: وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً [سوره الکهف، الآیه: ۹۹] و هاتان حالتان إحداهما حاله الورود و هی عند البعث و النّشور، و الأخری حاله الصّدور و الانسیاق إلی المعد من الثّواب و العقاب، و هذا معنی لیروا أعمالهم فالمحکمه التی یرد إلیها یصدر الناس أشتاتا قوله تعالی: وَ یَوْمَ تَقُومُ السَّاعَهُ یَوْمَئِذٍ یَتَفَرَّقُونَ [سوره الروم، الآیه: ۱۴] فَأَمَّا الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَهُمْ فِی رَوْضَهٍ یُحْبَرُونَ وَ أَمَّا الَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا وَ لِقاءِ الْآخِرَهِ فَأُولئِکَ فِی الْعَذابِ مُحْضَرُونَ [سوره الروم، الآیه: ۱۵- ۱۶] و هذا واضح و مثله قوله تعالی: وَ یَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ کُلِّ أُمَّهٍ فَوْجاً مِمَّنْ یُکَذِّبُ بِآیاتِنا فَهُمْ یُوزَعُونَ [سوره النمل، الآیه: ۸۳] أی یدفعون و یستعجلون مع قوله تعالی: وَ کُلُّهُمْ آتِیهِ یَوْمَ الْقِیامَهِ فَرْداً [سوره مریم، الآیه: ۹۵] و معنی فردا لا عدد معه و لا عضد و لا عدّه و لا ذخیره و المحکمه التی ترد إلیه هذه قوله تعالی: وَ نَرِثُهُ ما یَقُولُ وَ یَأْتِینا فَرْداً [سوره مریم، الآیه: ۸۰] و إذا کان کذلک انتفی التّشابه.

و منها استغلاق الآیه فی نفسها و بعدها باشتباهها عن وضوح المراد منها و من جعل وجه التّشابه هذا و ما یجری مجراه استدل بقوله تعالی: وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلَّا اللَّهُ [سوره آل عمران، الآیه: ۷] و جعل وجه الأحکام ظهور المعنی و تساوی السّامعین فی إدراک فهمه و لذلک مثل کثیر من أهل العلم المحکمات بالآی الثّلاث التی فی آخر الأنعام و هی قوله تعالی:

قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّکُمْ عَلَیْکُمْ [سوره الأنعام، الآیه: ۱۵۱] إلی ذلِکُمْ وَصَّاکُمْ بِهِ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ [سوره الأنعام، الآیه: ۱۵۳]، و المتشابهات بقوله تعالی: الم*، و الر*، و کهیعص، و طه و ما أشبهها. و منها ألا یعلم السّبب الذی نزلت الآیه فیه علی کنهه و حقه لاختلاف قدیم یحصل فیه بین الرّواه، و ادّعاء بعضهم النّسخ فیه و لغرابه القصّه و قلّه البلوی بمثلها و الصّواب عندی فی مثل هذا أن یؤثر ما یکون لفظه الکتاب أشهد له و أدعی إلیه،

و مثاله قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ [سوره المائده، الآيه: ۱۰۶] إلى وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اسْمَعُوا [سوره التغابن، الآيه: ۱۶].

و منها أن يروى فى تفسير الآيه عن طرق كثيره و عن رجال ثقات عند نقّاد الآثار و رواتها، أخبار يختلف فى أنفسها و لا يتّفق و لا يستجاز مخبرها أو يستبعد، ثم تجد إذا عرضتها على ظاهر الكتاب لا تلائمه من أكثر جوانبها و لا توافقه و ذلك مثل قوله تعالى:

هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَهٍ وَ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إِلَيْها [سوره الأعراف، الآيه: ۱۸۹] إلى فَتَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ [سوره الأعراف، الآيه: ۱۹۰] و مثل قوله تعالى:

وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ [سوره الأعراف، الآيه: ۱۷۲] إلى أَ فَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ [سوره الأعراف، الآيه: ۱۷۳] و الوجه فى الآيتين و أشباههما عندى أن يراعى لفظ الكتاب بعد الإيمان به و يبدل المجهود فى انتزاع ما يتفق فيه أكثر الرّواه من جهه الأخبار المرويه و ما هو أشبه بالقصه، و أقرب فى التدين، ثم يفسر تفسيرا قصد لا يخرج فيه عن قصه الرّوايه و اللفظ و لا يترك الاستسلام بينهما للجواز و الانقياد للاستبشار لما عرف من مصالحنا فيما يمنعنا علمه أو يقنعنا عليه أ لا ترى قوله تعالى فيما استأثر بعلمه: يَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی [سوره الإسراء، الآيه: ۸۵] و قوله: وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَهً وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَهً لِلَّذِينَ كَفَرُوا [سوره الأعراف، الآيه: ۸] بعد قوله تعالى: لَوَّاحَهٌ لِلْبَشَرِ [سوره المدثر، الآيه: ۲۹] عَلَيْها تِسْعَهَ عَشَرَ [سوره المدثر، الآيه: ۳۰] و مثل هذا الاستبشار ما فعل اللّه من الصّرفه بيعقوب و بنيه حين انطوى عليهم خبر يوسف و كان بينه و بينهم من المسافه ما كان بينهم. و يشبهه الصّرفه التى ذكرناها ما يفعل اللّه من سلب الانبساط من الكفّار فيكون ذلک سببا للتسلّى فيما يبتلون به من العقاب و ذلك قوله تعالى: وَ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِی الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ [سوره الزخرف، الآيه: ۳۹].

و منها الالتباس حال التاريخ أو ما يجرى مجراه فى آيتين تتعارضان أو آيه و خبر فتختلف فى النّاسخه منهما و القاضيه على الأخرى و ذلك كما روى عن مجاهد فى قوله تعالى: وَ أَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ [سوره المائده، الآيه: ۴۹] و هو أمر بالحكم فنسخت ما قبلها و هو: فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ [سوره المائده، الآيه: ۴۲] و هو تخيّر. و روى السدّى عن عكرمه فى قوله تعالى: فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ [سوره المائده، الآيه: ۴۲] قال نسختها: وَ أَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ [سوره المائده، الآيه: ۴۹] و هذا قول أهل العراق و يرون النّظر فى أحكامهم إذا اختصموا إلى قضاه المسلمين و الأئمه، و لما روى من رجم النبىّ صلى اللّه عليه و سلم اليهوديه و اليهود، و أمّا أهل الحجاز فلا يرون إقامه الحدود عليهم يذهبون

إلى أنهم قد صولحوا على شركهم و هو من أعظم الحدود التى يأبون و يتأولون فى رجم النبى صلى اللّه عليه و سلم اليهوديين على أنّ ذلک كان قبل أن يؤخذ منهم الجزيه و المقاره على شركهم و فى هذا القدر بلاغ للمتأمّل.

فأمّا الكلام فى المعرفه بالله تعالى و وجوبها و بيان فساد قول القائلين بالإلهام فإنا نذكر طرفا منه و نقول: اختلف النّاس فى ذلک فزعم قوم أنّ المعرفه لا يجب على العاقل القادر و أنّها تحدث بإلهام اللّه تعالى و كل من لم يلهمه اللّه المعرفه به فلا حجه عليه و لا يجب عليه و قالوا: إنّ الذين قتلهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لم يكونوا كفارا و إنّما قتلوا على سبيل المحنه، كما يقتل التّائب و الطّفل و لا يجب عليهم عقاب لأنّ اللّه تعالى لا يجوز أن يغضب و على من لم يرد إغضابه.

و قال الجاحظ: إنّ المعرفه غير واجبه و لكنّها تحدث بالطبع عند النّظر، و قال: إنّ الذين قتلهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كانوا عارفين بالله معاندين و احتج بقوله تعالى: وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ [سوره النمل، الآيه: ١۴] و قال لا يأخذ اللّه الإنسان بما لم يعلم و لا بما أخطأ فيه أ لا تراه يقول تعالى: لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمانِكُمْ وَ لكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ [سوره البقره، الآيه: ٢٢۵] و استدلّوا على صحه مذهبهم بأن قالوا إن الاعتقاد لا يعلم أنه حسن أو قبيح حتى يعلم أنّه علم أو ليس بعلم فإذا علم أنّه علم فقد علم المعلوم لأنّ العلم بالعلم علما هو علم بالمعلوم فإذا علم المعلوم فقد استغنى عن اكتساب العلم به و إن كان لا يعلم أنه علم فإذا لا يجب على هذا الإنسان فعل ما لا يأمن أن يكون قبحا.

و قال أكثر أهل العلم إن المعرفه واجبه و هى من فعل الإنسان و إنّ أول المعرفه يقع متولدا عن النظر و لا يجوز أن يقع مباشرا ثم ما بعد ذلک لا يجوز أن يقع مباشرا و أنّ كلّ من أكمل اللّه عقله و عرّفه حسن الحسن و قبح القبيح فلا بدّ من أن يوجب عليه المعرفه به، و أن يكلفه فعل الحسن و ترک القبيح و بعضهم يضيف إلى هذه الجمله و قد جعل شهوته فيما قبحه فى عقله و نفور نفسه عما حسنه فى عقله.

و يستدل على وجوب معرفه اللّه فإنه لا يخلو من أن يكون قد كلّفنا اللّه لحسنها و قبح الذّهاب عنها أو لم يكلّفنا و تركنا مهملين، فإن كان قد كلّفنا فهو الذى يزيد، و إن كان تركنا سدى فإنّ الإهمال لا يجوز عليه. و يقال أيضا: نحن نرى على أنفسنا آثار نعم، و نعلم وجوب شكر المنعم، فإذا يجب أن نعرف المنعم لنشكره.

و اعلم أنّ المعجز هو ما لا يقدر عليه فى صفته أو فى جنسه، فأمّا لا يقدر عليه فى جنسه فهو مثل إحياء الموتى و أمّا ما لا يقدر عليه فى صفته فهو فلق البحر. لأنّا نقدر على تفريق

الأجسام المؤتلفه، و لكن على تلك الصّفه و تلك الحاله لا نقدر عليه، فأمّا الخبر عن الغيوب فليس بمعجز و لا وقوع المخبر على ما أخبر به معجز إذ يجوز على الخبر عن الغيب أن يكون صدقا أو كذبا و إذ قد ثبت أن يخبر الإنسان عن الشى ء أنه يكون فيكون و ليس يعلم فى حال الخبر أنّ المخبر به يقع على ما أخبر به عنه و لا يعلم أنه معجز و إنّما العلم بأنّ الشى ء يكون قبل أن يكون يعجز بلى من سمع النبى صلى اللّه عليه و سلم يذكر أنه سيكون كذا و كذا و يخبر عن الغيب ثم يبقى إلى الحاله يكون فيها ما ذكره فحينئذ يكون ذلك دلاله و حجه عليه، فأمّا من لم يبق إلى تلك الحاله فهو ليس تقوم عليه الحجّه فى وقت الإخبار و لا يصح الاستدلال بذلك بل يجب أن يدلّه اللّه بدليل آخر.

فإن قال قائل: كيف يصحّ أن يكون انقضاض الكواكب رجما للشيّاطين و لا يخلو من أن يكون الذى يرمى به الشّيطان ليحرقه كوكب فيجب أن يفارق مكانه و ينقص من عدد الكواكب و قد علمنا منذ عهدت الدنيا لم تنقص و لم تزد أو يكون الذى يرمى به شعاعا يحدث من احتكاك الكواكب و اصطكاك بعضها ببعض فيفصل ذلك الشّعاع من الكواكب و يتّصل بالجنّى حتى يحرقه، إذ لو لم يتّصل به لم يحترق و هذا أيضا لا يجوز لأنّ الكواكب لا تحتك. قيل له: إنّ كل ما ذكرت غير ممتنع قد يجوز أن يكون هناك كواكب لا تلحقها العين لصغرها كما قال قوم فى المجره إنها كلّها كواكب و لا تبين، فيجوز أن يحتك بخاران عظيمان فيحدث الشّعاع و يحترق الجنّى، و كلّ ذلك ليس بمستنكر و على هذا جاء فى القرآن.

و أما انشقاق القمر فإنّ الجاحظ كان ينفيه و يقول: لم يتواتر الخبر به و يقول أيضا لو انشقّ حتى صار بعضه فى جبل أبى قبيس لوجب أن نختلف التّقويمات بالزيجات لأنه قد علم سيره فى كلّ يوم و ليله، فلو انشقّ القمر لكان وقت انشقاقه لا يسير، فأمّا قوله تعالى:

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ [سوره القمر، الآيه: ۱] فإنّما معناه سينشقّ و نحن نثبته و نقول:

يكون ذلك دليلا خصّ به عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه عنه و أنّ سائر النّاس لم يره لأنّ اللّه حال بينهم و بين رؤيته بغمامه أو غيرها و يجوز أن يكون غير عبد اللّه رآه، فاقتصر فى نقله على روايه عبد اللّه و على ما نطق به القرآن من ذكره.

فصل الاستدلال بالشّاهد على الغائب

لأنّه الأصل فى معرفه التّوحيد، و حدوث الأجسام و صدق الرّسل. قال اللّه تعالى:

الم ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ [سوره البقره، الآيه: ۱- ۳] قيل معناه يؤمنون بما غاب عنهم من أمر الآخره و قيل: يؤمنون بما غاب من

البعث و النّشور، و أخبرهم به النبى. و قيل: المراد يؤمنون بالله و رسوله و ما أنزل إليه، يظهر الغيب لا كالمنافقين الذين يقولون للمؤمنين إنا معكم، و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا: إنّا معكم، إنّما نحن مستهزءون، و مثله قوله تعالى: ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ [سوره يوسف، الآيه: ۵۲] و قوله تعالى: الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ* [سوره الأنبياء، الآيه: ۴۹].

و اعلم أن من لا يفعل ذلك لم يجز له أن يعرف شيئا إلا من جهه المشاهده أو ببداهه العقل، أو بخبر ممن شاهده و لو كان كذلك لسقط الاستدلال و النظر، و لما جاز أن يعرف اللّه و لا حدوث الأجسام، و لا صدق الرّسل فيما أتت به من عند اللّه، لأنه يجوز أن يعرف اللّه بالمشاهده و لا ببداهه العقل لأنّه لا يشاهد، و لأنه لو عرف ببداهه العقل لاستوى العقلاء فى معرفته، فوجب بهذا أن لا يعرف اللّه إلّا بدلاله المشاهده، و كذلك حدوث الأجسام، و لسنا نريد باستشهاد الشاهد أن يستدلّ به على ما لم نشاهده إلا بأن نشاهد نظيره، و مثله أ لا ترى أنّا لو شاهدنا فى هذا البلد إنسانا لم نعرف بذلك أن فى غير هذا البلد إنسانا آخر من غير أن نشاهده، و لكن هو أنا إذا وجدنا الجسم فى الشّاهد إنّما كان متحركا لوجود حركته، ثم وجدنا حركته لا توجد إلا فيه، و متى بطلت حركته لم يكن متحركا دلنا ذلك على أن كلّ جسم متحرّك فيما لم نشاهده لم يكن متحركا إلا لوجود حركته، و لا توجد حركته إلا فيه، و متى بطلت حركته لم يكن متحركا؛ لأنّه لو جاز أن يكون متحركا فى الغائب مع عدم حركته لجاز فى الشاهد مثله، و كذلك إذا وجد الجسم فى الشاهد إنّما كان جسما لأنّه طويل عريض عميق و متى عدم طوله أو عرضه أو عمقه لم يكن جسما لزمه أن يعلم بدلاله الشّاهد أنّ الجسم الغائب إنمّا كان جسما لمثل ذلك.

و كذلك إذا وجد الجسم فى الشّاهد لا يكون فى مكانين فى وقت واحد لأن وجوده فى أحد المكانين ينافى وجوده فى المكان الآخر كان علينا أن نجرى القضيه فى الغائب على حده. و كذلك القول فى امتناع اجتماع الضّدين، و الحركه و السّكون و السّواد و البياض، و الاجتماع و الافتراق بحسب أن يراعى حالها فى الشّاهد فيحمل الغائب عليها و إذا كان الأمر كذلك وجب أيضا أن يكون إذا وجدنا الفعل فى الشّاهد لا يوجد إلّا من فاعل، و لا يحصل موجود إلا بفعله له، ثم وجدنا فعلا لم نشاهد له فاعلا أن نعلم بدلاله الشّاهد أنّ له فاعلا و إن كنّا لم نشاهده، و لا يجب إذا لم نجد إلا أجناسا من الأشياء أن لا يثبت فى الغائب خلافا لما شاهدنا، لأنّ الأعمى الذى لم يشاهد الألوان قط لا يجوز له أن يثبت شيئا إلّا من جنس ما شاهده بسائر جوارحه، إذ قد ثبت الألوان التى هى خلاف جميع ما شاهده، و إن كان هو لم يشاهد و كذلك الحياه و القدره و العلم لا يشاهد و لا شوهد نظائرها و لا يجب مع ذلك أن لا نثبتها مع وضوح الأدلّه عليها فلم يجب علينا لمن أراد منّا نفى القديم إذ كنا لم

نشاهد له مثلا و لا نظيرا أن ننفيه من أجل ذلك إذ كان يجوز أن نثبت بالأدلّه ما لا نظير له كما مثّلناه.

و إنّما يجب تكذيب من وصف الغائب لصفه الشّاهد ثم أزال عنه المعنى الذى استحقّ الشّاهد به تلك الصفه، فأمّا متى أثبت فى الغائب شيئا مثبتا من غير أن يكون بصفه المشاهد الذى وجبت له هذه الصّفه لعلّه، و قال مع ذلك: إنه غير مثبت لما شوهد لم يجز أن نبطل قوله بما شاهدنا، إذ كان يجوز أن يكون ما ادّعاه خلافا لما شاهدناه، كما لم يكن للأعمى إنكار الألوان إذا أخبرناه بها من حيث كانت مخالفه لما شاهده بسائر جوارحه، و لم يكن لأحد أن ينكر الحياه و القدره لأنهما خلاف ما شاهده، و لكن يجب أن يطالب بالدّلاله على صحّه الدّعوى، فإذا ثبتت ثبت مدلولهما، و إلا سقطت الدعوى، و هذا أصل القول فى استشهاد الشّاهد على الغائب فاعلمه.

فصل فى أسماء اللّه و صفاته و أحكامه (و بيان الأصوات كيف تكون حروفا، و الحروف كيف تصير كلاما)

اعلم أنّ الأصوات جنس من الأعراض تحته أنواع تعلم، فإذا توالى حدوثها منقطعه بمخارج الفم و ما يجرى مجراها سمّيت حروفا، لذلك قيل: الكلام (مهمل) و (مستعمل).

(فالمستعمل) ما تناولته المواضعه أو ما يجرى مجراها من توقيف حكيم، فجعل عباره عن الأعيان أنفسها و عنها بأحوالها. (و المهمل) ما خالف ذلك، و إنما قلنا هذا لأنّ جنس الصّوت لا يقتضى كونه حرفا و لا كلاما متى لم تطرأ المواضعه عليها، و ما جرى مجراها، و المواضعه لا تصح إلا مع القصد إليها لذلك قيل: ما ينقسم إليه الكلام من الخبر و الأمر و النّهى و الاستخبار لا يكاد يحصل مفيد إلا بإراده غير القصد إلى المواضعه، لهذا متى ورد الكلام من سفيه لم يفد السّامع شيئا، كما يفيده إذا ورد من الحكيم على المخاطب العارف بالمواضعات لمّا تعذرت معرفه قصده و صار الصّدق و الكذب يستوى حالاتهما و تقام صور أنواع الكلام بعضها مقام الآخر حتى يوجب ذلك التّوقف عن قبول الأخبار و ترك القطع على ما يسمع منها إلا مع البينه.

و اعلم أن الحاجه إلى المواضعه بالأصوات هى البيان عن المراد لما كان الكلام المستعمل تنبها عليه، فلذلك يستغنى الحكيم فيما عرف مراده عن الخطاب إلا عند كونه لطفا فى فعل المراد و متى أمكنه بالإشاره و الإيماء بيان غرضه عدل عن الخطاب إلا أن يكون لطفا كما ذكرناه. و لما كان الأمر على ذلك اختلفت العبارات لاختلاف المراد و احتيج إلى التبين بعد ذلك، إذ كان الكلام بنفسه لا يدل على ما وضع له و لا بالمواضعه أو التوقيف.

فإن قيل: فما الفرق بين (المهمل) و (المستعمل)؟ حينئذ قلت: الفرق بينهما أنّ الحكيم متى تكلّم بكلام مستعمل صحّ أن يعرف السّامع لكلامه مراده بما يقارنه من الدليل غير الكلام، و متى تكلم بكلام مهمل لم يجز أن يعلم مراده و إن قارنه ما قارنه و كان وجوده و عدمه بمنزله، و لو كان الكلام دليلا يجوز الاستطراق منه إلى ما وضع له قبلها، لأن الدلاله لا تحتاج فى كونها دلاله يجوز الاستطراق منها إلى مدلولها إلى المواضعه و إنما يحتاج فى تسميتها دلاله إلى المواضعه لأنهم يسمونها دلاله إذا أراد فاعلها عند فعلها الاستطراق منها إليه و لذلك لا يجوز أن يسمّى فعل اللص دلاله عليه، و كذلك فعل البهيمه، و إن جاز الاستطراق منها إليه، و لهذا جاز أن يعرف اللّه بدلائله من لا يعرف شيئا من المواضعات.

و اعلم أنّ الكلام لمّا وضع للإبانه عن مراد المخاطب للمخاطب، لأنّ الغرض فيه إعلامه حدوث الشى ء إذ إعلامه أنّه يريد منه إحداثه أو إعلامه أنه يكره منه إحداثه، و الحدوث لا يكون إلا للذّوات و لم يكن بدّ من إعلامه العبارات عن ذوات الأشياء ليجوز منه أن يفرق الحدوث بها على وجه المراد انقسم الكلام أربعه أقسام:

الأول: عباره عن الأعيان أنفسها و هى الأسماء.

الثّانى: عباره عن حدوث الشى ء و هو الخبر عنه.

الثالث: عباره عن إراده إحداثه و هى الأمر به.

الرّابع: عباره عن كراهيه إحداثه و هى النّهى عنه.

و الأسماء على ضربين:

الضّرب الأول: اسم وضع لتعريف المسمّى به و ليكون علما له دون غيره فيقوم مقام الإشاره إليه عند غيبته، أو لاشتمالها عليه، و يسمّى هذا الضّرب لقبا و لا يفيد فى المسمّى به شيئا و لذلك لا يدخله الحقيقه و المجاز إذ كان لا يتعلّق بفعله و لا بحاله و لا بشى ء، مما يحلّه أو يحلّ بعضه، و لا يوجب الاشتراك فيها اشتراكا فى غيرها كما لا يوجب الاشتراك فى غيرها اشتراكا فيها و قال بعضهم هذا القبيل ثلاثه أقسام:

القسم الأول: وضع تعريفا لآحاد الأشخاص كزيد و عمرو.

القسم الثانى: وضع تعريفا لآحاد أجمل الأشخاص و ليقوم مقام تعداد ذكر جميعها كقولك: إنسان و أسد و حمار و طائر، و لذلك لا يتعلق بشى ء من أوصافها و لا بما يحلّها، و يوجب الاشتراك فيها اشتراكا فى الصوره دون غيرها و تسميه أهل اللّغه الجسم جسما من هذا لأنه وجب له هيئته و تركيبه و لذلك لم يجز إجراءه على اللّه تعالى.

القسم الثالث: وضع تعريفا لآحاد جمل الأجناس المختلفه المشتركه فى باب التّعلق بغيرها على وجه واحد، ليقوم مقام ذكر جميع الأجناس الدّاخله تحتها، و هذا كاللّون و الكون و الاعتقاد و السّهو و ما يجرى مجراها، و هذا النّوع يسمّى جنس الفعل و يلزم الاشتراك فيها اشتراكا فى نوعيتها.

الضرب الثّانى: على وجهين:

الوجه الأول: اسم على المسمّى به تعريفا لجنسه و للتميز بينه و بين ما خالفه و إن شاركه فى التّسميه غيره من طريق القياس لاشتراكهما فى الفائده، و رسم بأنه اسم جنس لمّا كانت المسمّيات به أعدادا كثيره مماثله و هذا كالسّواد و البياض و الحمره و الخضره و الحلاوه و ما جرى مجراها، يوجب مماثله الموصوفين بها فلذلك استحال اشتراك المختلفين بالذّوات فى اشتقاق الوصف بها.

النوع الثانى: اسم جرى على المسمّى ليفيد فيه ما يفارق به غيره مما لم يشاركه فيه من غير أن يكون افتراقهم فى الوصف موجبا لمخالفتهم كما لم يوجب اشتراكهم فى ذلك مما يليهم فى اللفظ بل فى المعنى أوجب ذلك لكونه جواهر و رسم بأنه صفه، و إذا قصد به الإكرام فى التعلق قيل: إنّها مدح كما إذا قصد بها الاستخفاف قيل إنها ذم، إذ كانت لا تخلو من الحسن أو القبح و هى على وجوه:

الوجه الأول: صفه تفيد فى الموصوف معنى حالا فيه و ذلك كقولك: متحرّك و ساكن، و أسود و أبيض، و حلو و حامض، و رسمت هذه الصّفات بصفات المعانى لأنها علل فى إجراء الوصف على محالها من طريق الاشتقاق، فلذلك أخذ الاسم من لفظها، و الاشتراك فى هذه الصفه يوجب الاشتراك فيما أفادته، و يقتضى مماثله الموصوفين فى المعنى لكونها جوهرا.

الوجه الثانى: صفه تفيد كون الموصوف فاعلا لمقدوره و الاسم يجرى عليه مشتقا من لفظ اسم فعله، و هذا كقولك: ضارب و شاتم و متكلم، و رسمت هذه الصّفات لصفات الفعل و لا يوجب الاشتراك فى هذه الصّفه تماثل الموصوفين لا بالمعنى و لا باللّفظ كما أوجب فى الأولى.

الوجه الثالث: صفه تفيد الإضافه و النّسبه و ذلك كقولك: هاشمىّ و بصرىّ و دار زيد، و غلام عمرو، فباتّصال الياء المشدّده بالاسم صار صفه بعد أن كان علما أو غير صفه.

الوجه الرّابع: صفه تفيد وجود الموصوف بها يجرى عليه هذه الصفه و يرجع إلى غيره و هذا كوصف الاعتقاد بأنه علم أو جهل، أو تقليد أو ظن. و وصف العلم بأنه غم أو سرور.

و وصف السّهو بأنه نسيان، و كوصف الكون بأنه حركه أو سكون، أو مجاوره أو مفارقه، و كوصف الحروف بأنّها كلام و الكلام بأنه خبر أو أمر أو نهى. و وصف الإراده بأنّها عزم أو قصد أو خلق و كذلك جميع ما يجرى. و الاشتراك فى هذه الصّفات يوجب اشتراك الموصوفين بها فيما أفادته دون غيرها مما يجرى مجرى تماثل ذواتها و اختلافها.

الوجه الخامس: صفه تفيد كون الموصوف بها على حال من الأحوال و هذا كوصف الشّى ء بأنه معدوم أو موجود، أو حى، أو قادر أو عاجز أو معتقد، أو عالم أو جاهل، أو ساه أو مريد، أو كاره أو سميع أو بصير. و على الأحوال التى إذا كان عليها إدراك المدركات يسمّى به الشّى ء لتهيأ ذكره و الإخبار عنه و هو قولهم شى ء و نفس و عين و ذات. و كذلك الأسماء المضمره و المبهمه نحو هو و أنت، و ذلك و هذا و الهاء فى ضربته و الياء فى ضربنى.

و فرّقوا فى بعضها بين المذكّر و المؤنّث و الواحد و الجمع. و هذه الصّفات و الأسماء التى نوّعناها و أشرنا إليها مقتسمه بين الحقيقه و المجاز، و سنبيّن كيفيه وضعها و استمرارها أو انقطاعها فى البابين إن شاء اللّه تعالى.

فصل آخر [فى أنّ اللغه لا يجوز أن يكون فيها غلط]

اعلم أنّ اللغه لا يجوز أن يكون فيها غلط و ذلك أنه إن كان اللّه تعالى واضعها على ما يذهب إليه أكثر العلماء، و على ما أخبر به عند قوله تعالى: وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها [سوره البقره، الآيه: ۳۱] فلا يجوز أن يكون فيها غلط لأنّ الحكيم الذى بيّنها لعباده لا يجوز عليه الغلط و إن كان يجوز أن يكون قد ذهب عنهم بعض ما بينه لآدم عليه السلام و أحدثوا أبدالا منه، أو زادوا عليه على حسب الدّواعى و الحاجه، و لو كانوا فعلوا ذلك لما جاز أن يعلم أحد تغيّرهم لذلك إلا بخبر من اللّه ينزله على نبى من أنبيائه لأن اللّغات لا تعرف إلا من جهه السّمع و لا تعرف بدلاله العقل، و لو كانوا غيّروها بأسرها لما أنزل اللّه القرآن بها على لسان محمد صلى اللّه عليه و سلم، و إن كان ابتداء اللّغه من كلام العباد و تواضعهم على ما يقوله بعضهم فلا يجوز أن يقع فيها أيضا غلط لأنّهم إنما سمّوا الأشياء بأسماء جعلوها علامات لها لتعرف بها و ليكون التّباين و التّمايز منها، و إذا كان أصل كلامهم و لغتهم جروا فيه على ما بيّنا فلا يجوز أن يكون فيها غلط لأنّ الحكمه تلحقه و لا تفارقه فى الحالتين جميعا، و إذا ثبت ما بيّناه من أمر اللغه و وجدنا انقسامها إلى الحقيقه و المجاز و الحقيقه ما وضع من الأسماء للمسمّيات على طريق اللّزوم لها، و الاطراد فيها لأنّها يحق لها عند التعبير عنها و أمثلتها ما قدّمناه، و المجاز ما أجرى على الشّى ء و ليس له فى أصل الوضع، تجوزا على طريق الاستعاره، و تفاصحا منهم و افتنانا و يكون قاصرا عن الأصل و زائدا عليه و مماثلا له، و كيف اتّفق يكون

مستفاده أبلغ من مستفاد الحقيقه و لذلک عدل إليه نظرنا فوجدنا طريق استحقاق الموصوفين من وجوه أربعه:

الوجه الأوّل: طريق الاختصاص و الاستبداد و هو المرسوم لصفات النّفس ليفيد فی الموصوف أنه مستبد بها، و مستغن بكونه عليها عن غيره و أنه مختص بها من غير أن يجعل نفسه كالعلّه الموجبه للعلل، و لا قائمه مقامها و هذا كوصف المحدث بأنه موجود و حی و قادر و عالم و سميع و بصير و ما جرى مجراها، و لذلک رسمت بصفات التّوحيد لمّا توحّد اللّه بطريق استحقاقها فلم يشاركه فيها غيره مع جواز وصفهم بها لاستحقاقهم لها من غير هذا الوجه.

الوجه الثانی: طريق المعانی الموجبه لها و هو المرسوم بصفات العلل ليفيد فی الموصوف بها أنه مستحقّ لها بالعلّه الموجبه له عند تعلّقها به دون غيره و هذا كوصف المحدث بأنه عالم و قادر وحی و سميع و بصير و وصف كل موصوف بأنه مريد و كاره، و كقولهم مشته و نافر النّفس و ما شاكل ذلک.

الوجه الثالث: من طريق القادرين و هو المرسوم بصفات الفعل ليفيد فی الموصوف بها أنه مستحقّ لها بكون القادر قادرا عند فعله و إيجاده إيّاه دون غيره، و هذا كوصف المحدث بأنه موجود لما كان معدوما و مقدور القادر عليه و ليس فی الأحوال ما يتعلق بالقادر غير المعدوم الموجود.

الوجه الرّابع: من طريق استحاله ضدّها على الموصوف بها و رسمت بالصّفات اللّازمه ليفيد فی الموصوف بها أنه مستحق لها على طريق اللّزوم له من غير أن يكون محتاجا فی ذلک إلى غير ما يوجبها له، كالعلّه و ما يجری مجراها و من غير أن يكون مختصا به كصفات النّفس و هذا كوصف الشّی ء بأنّه معدوم، و معنى المعدوم أنه لاـ يجوز أن يحصل له من أحكامه التی تخصه و صفاته الجائزه عليه شی ء، كما أنّ الموجود هو الذی يكون على حاله يلزمه جميع أحكامه به و الموجبه له، فلذلک قلنا إنّه لا يكون معدوما بفاعل و لا بمعنى و لا بنفسه لمّا لم يكن له واسطه بين الوجود و العدم، فلذلک لزمه العدم عند استحاله الوجود عليه، فأمّا الأوصاف التی تتعلق بالأعيان ممّا لا يكون عباره عن أحوالها بل هی إخبار عنها و عن غيرها لاختصاصها بها فی باب الحلول أو التّعلق أو ما يجری مجراهما فليس لها عله و لا ما يجری مجراها و لا يجوز أن يكون شی ء من ذلک بالفاعل.

و اعلم أنّ أعمّ الأشياء قولنا شی ء لأنّه يتعلّق بالمسمّى لكونه معلوما فقط و مستحيل أن يكون ذات غير معلومه أو ذات على حال غير معلومه عليها أو غير جائز أن يكونا معلومين، فإن كان العلم لا يحصل بالحال التی عليها لأن العلم بالذّات هو الّذی منه يصل إلى العلم

بالحال، و لـذلک كان الـذّات لا يخلو من الوجود و العـدم معا إذ لو لـم يكن الـذّات معلومه فی العدم للقديم تعالی لم يصح منه القصد إلی اختراعها و إيجادها و ليس قولنا شـی ء مثل قولنا موجود، بدلاله أنّک تقول هذا شی ء زيد، فتضيفه و يمتنع أن يقال: هذا موجود زيد، و كان يجوز أن يحدّ القديم بأنه الشـی ء لم يزل و المحدث بأنّه الشی ء عن أول كما يقال هو الموجود لم يزل و الموجود عن أوّل، و إذا كان قولنا معلوم غير متعلق بفائده فيه و إنمّا تتعلّق فائدته بغيره فالواجب أن لا يكون قولنا شـی ء مفيدا من هذا الوجه.

و يمكن أن يقال: إنه يفيـد الـذّات فكلّ ذات يسـمّی شيئا و كلّ شـی ء يسـمّی بـذات، و يمكن أن يقال أيضا إنه يفيـد المعلوم، فصلا بينه و بين ما يسمّی محالا كاجتماع الضّدين لأنّ مثل ذلک لا يصحّ علمه، قال و ليس يخرج الذّات من أن يكون علی حال مع كونه عليهـا يجوز أن يسـتحقّ غيرهـا و لا۔ يجوز، فـإن كـان يجوز عبّر عنهـا بأنهـا موجوده، و إن كـان لا۔ يجوز عبّر عنها بأنها معـدومه، فلـذلک يسـمّی المعدوم بالشّـی ء كما يسـمّی الموجود به لما كانا معلومين فی الحالين جميعا لذلک قلنا: المراد بقولنا موجود إفـاده حال من أحواله أيضا و حاله له أخری و هی العـدم. و فائـده قولنا معلوم أنّ عالما علمه لـذلک جاز أن يقال معلوم زيـد للشّـی ء الـذی هو مجهول عمرو، و الحال واحده و يسـتحيل أن يقال للشـی ء إنه موجود زيد أو معدوم عمرو علی الأحوال كلها.

و اعلم أنّ اللّه تعـالی لمـا أوجب فی حكمته عنـد تكليف المكلّفين مـداواه دائهم بالرّحمه لهم و العطف عليهم و الحلم عنهم، و طلب صـلاحهم من حيث لا۔ يـدرون و يؤلفهم من جانب لا يشـعرون رسم لهم فی تعبّـدهم الرّجوع إليه فی مهماتهم و سوغ لهم دعاءه فی رفع مأربهم فقال: وَ لِلَّهِ الْأَسْـماءُ الْحُسْـنی فَادْعُوهُ بِها [سوره الأعراف، الآيه: ١٨٠] وَ إِذا سَأَلَـکَ عِبادِی عَنِّی فَإِنِّی قَرِيبٌ [سوره البقره، الآيه: ١٨٦] الآيه ثم أنزل فی محكم كتابه من أسـمائه ما بصّرنا و هدانا و من صفاته ما قوّی إيماننا و إرشادنا، لو لا ذلـک و التأسّـی بـالنّبی صـلی اللّه عليه و سـلم فی أفعـاله و قبول أقواله التی بهـا إبطال الضّـلال، و إذا كان كـذلک فإنّ ما أثبتته التّلاوه يضاف إليه ما دوّنته الرّوايه عن الصّـحابه و التّابعين و ما عـدا ذلک مما لهـج به ألسـنه فصـحاء الأمه و الصّالحين من أهل اللغه.

فقـد روی فی التّفسـير أنّ قوله تعـالی: وَ لِلَّهِ الْأَسْـماءُ الْحُسْـنی [سوره الأعراف، الآيه: ١٨٠] أنه تسـعه و تسـعون اسما من أحصاها دخـل الجنه، و جـاء فی الحـديث أنّ: «اسم اللّه الأعظم اللّه» و روی أبو هريره عن رسول اللّه صـلی اللّه عليه و سـلم قال: «للّه مائه اسم غير واحـد من أحصاهـا دخـل الجنه» فيجب أن ينظر فيه فيما سـبكه التّحصـيل، و كما ذكرنا و ينقی من درن الغباوه و يتلقّی بالقبول فيما يجوز إطلاقه علی القديم تعالی، و الباقی يتوقّف فيه و الوصف و الصّفه

جميعا لا يكونان إلا كلاما و قولا فهو كالوعد و العده. و سمعت شيخنا أبا على الفارسى يقول: أسماء اللّه تعالى كلّها صفات فى الأصل إلّا قولنا اللّه و السّلام لأنّ السّلام مصدر، و لفظ اللّه بما أحدث من صفه و لزوم الألف و اللّام له، يعدّ من الصفات فصار متبوعا لا تابعا كالألقاب يريد يتبعه الصفات و يقدم به، و معناه الذى تحق له العباده، فإذا قلنا لم يزل إلها الذى حقّت له العباده من خلقه إذ أوجدهم. و قولنا إله نكره و يجمع على الآلهه قال تعالى:

أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً [سوره القصص، الآيه: ۵] و اشتقّ منه تألّه الرّجل إذا تنسّک، قال:

سبّحن و استرجعن من تألّه لله درّ الغانيات المبدره

و روى عن النبى صلى اللّه عليه و سلم: «أن عيسى عليه السّلام قال له رجل: ما اللّه؟ قال: اللّه إله الآلهه». و روى عن ابن عباس أنه ذو الألوهيه و العبوديه على خلقه أجمعين. و روى فى قوله تعالى: وَ يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ [سوره الأعراف، الآيه: ۱۲۷] أنّ معناه و عبادتک، فالأصل إله حذفت الهمزه منه و جعل الألف و اللّام عوضا منه لازما و أدغم فى اللّام التى هى عين الفعل، فصار الاسم بالتّعويض و الإدغام مختصا بالقديم حتى كأنّه ليس من الإله فى شى ء، قال سيبويه: و مثله أناس و النّاس يريد فى حذف الهمزه لا فى التّعويض بدلاله قوله:

إنّ المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا

فجمع بين الألف و اللّام و الهمزه، و لو كان عوضا لما جاز الجمع بينهما، و قد قيل فى قوله تعالى: هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا [سوره مريم، الآيه: ۶۵] إنّ الاسم الذى لا سمّى له فيه هو قول القائل: اللّه بهذه البنيه الصفيه، و قولهم فى صفات الفعل: يا غياث المستغيثين، و يا رجاء المرتجين، و يا دليل المتحيّرين، موضوع موضع الاسم و كلّ ذلک مجاز و توسّع، و كذلک قولنا: قديم إنما وجب له هذا لتقدمه لا إلى أول، فهو صفه لذاته و ليس ثبت بهذا معنى يسمّى قدما. و قوله تعالى: كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ [سوره يس، الآيه: ۳۹] و فى آخر:

هذا إِفْكٌ قَدِيمٌ [سوره الأحقاف، الآيه: ۱۱] يراد به تقدّم له و إن كان القصد إلى المبالغه.

فإن قيل: فهل يوجب إجراء لفظ القديم على اللّه تعالى و على الواحد منّا كما ذكرت تشبّها به؟ قلت: لا و ذلک لأنّ اللّه تعالى قدم و تقدّم لنفسه و المحدث يقدم بأن الفاعل فعله فى الأوقات المتقدّمه، و إذا كان كذلک فقد اختلف موجب الصّفتين فلم يجب منهما تشبيه، و على هذا قولنا: عالم فى القديم و المحدث و قادر و سميع و بصير وحى و قدير و عزيز و ملک و مالک و مليک، على أنّه لو ساعدت العباره لكان تفرد ما يستحق للذات بعباره تلزمه، و يخالف بها غيره و كانت الحيطه فى ذلک، لكنهم استطالوا ذلک و كان يكتفى بعلم الذات من لا يعلم حالها المختصه بها، فاقتصدوا فى العباره كما اقتصدوا فى الأخبار فى بابى التذكير

و التأنيث، فأجروا ما لا يصح وصفه بالتّذكير الحقيقى و لا التأنيث الحقيقى مجرى غيره فى العباره.

و كذلک فى الاخبار عن اللّه تعالى و إضمار أسمائه فى الاتصال و الانفصال إذ قلت هو و أنت و إياک و رأيته و رأيتک و مثل ذلک اقتصادهم فى صفات ما غاب عنّا من أمور الآخره و أهوال القيامه و طى السّماوات و تبديل الأرض غير الأرض إلى غير ذلک مما أخفيت حقائقه عنّا فاقتصروا فى بيانها على عبارات لا تستوفيها، و على كنهها لا يؤديها، و هى ما نستعمله إذ عبّرنا عمّا نشاهده.

فأمّا الفصل بين السّامع و السّميع حتّى قيل: لم يزل اللّه سميعا و امتنع لم يزل اللّه سامعا فهو أنّ السّميع لا يقتضى مسموعا فيعدى إليه و السّامع لا بدّ له من مسموع، و المسموع لا يكون مسموعا حتى يكون موجودا و ذلک يدافع قوله: لم يزل و هذا كما يقول: هو عالم و عليم فى كل حال ثم تمنع من أن يقول: لم يزل اللّه عالما بأنه خلق زيدا إذ كان ذلک يوجب وجود زيد فى الأزل، و على ما ذكر من الاقتصاد و الاقتصار تركوا العباره عن أشياء و إن أدركها الفهم لقلّه البلوى بها و ذلک تركهم وضع فى الصناعات المستجدّه ما أحدث من الأسماء و وضع فى الشّرع أو نقل ما وضع و نقل.

و أما الأسماء المشتقه من الأعراض التى ليست مهيات كقولهم: فاعل و محدث و عادل و جابر و صادق و كاذب و مريد و كاره فإنها لا توجب تشبها و ذلک أن الإنسان قد يكون فاعلا لفعل لا يحلى به، و الفعل لا يختلف به هيئته عند أحد ممن يدركه، (أ لا ترى) أنّ هيئته لا تختلف لما يفعل فى غيره من الحركات و التأليف و الافتراق و العدل و الجور و لا الإراده و الكراهه و لا الأمر و النّهى فلم يجب أن تكون تسميتنا بهذه الأسماء للمسمّى بها إذا استحقها تشبها له، لأن التّشبه فى الشاهد لا يعقل إلا من وجهين اثنين، أحدهما: اشتباه بالهيئه كالأسود و الأسود و الطويل، أو يشبهان بأنفسهما و أن يكونا من جنس واحد نحو البياض و البياض، و التقدم و التقدم، و التأخّر و التأخّر، و ما جرى هذا المجرى من الأجناس المتفقه بأنفسها، فلما كانت تسميتنا بالفاعل لا توجب جنسيته و لا هيئته لم يوجب تشبها و هذا كقولهم آمر و ناه و قائل و معلوم و مذكور، فأما رحيم و رحمن فهما من الرّحمه و بناءان للمبالغه و حقيقه الرحمه النعمه إذا صادفت الحاجه.

و ذكر بعضهم أنّ الرّحمن هو الاسم الذى لاسم القديم سبحانه فيه و ليس كذلک لأنهم قالوا لمسيلمه رحمن، و قالوا أيضا فيه رحمن اليمامه، و ذكر بعضهم أنه لمّا سمعوا النبى صلى اللّه عليه و سلم يذكر الرّحمن قالت قريش: أ تدرون ما الرّحمن؟ هو الذى كان باليمامه، و إذا كان كذلک فما بقى إلا أن يكون لفظه اللّه هى التى لا سمّى فيها، فإن قيل: فقد نرى الفاعل هيئته يخالف

هيئه من ليس بفاعل و القائل منا له هيئته السّاكت، قيل له: لم تخالف هيئته هيئه السّاكت بالقول و إنما خالفت هيئاتهما بالسكون الذى فى شفتى السّاكت و بالحركات التى فى لسان المتحرك، لا بالكلام، فإذا كان اللّه يفعل الكلام و الأمر و النهى من غير أن تحل فيه حركه صحّ أنه لا تكون تسميتنا إياه آمرا و ناهيا أو متكلما تشبيها.

و على هذا قولنا: العالم و الحى و القادر و السميع و البصير لأن شيئا من ذلك لا يوجب تجنيسا و لا تركيبا و لا هيئه، فإن قال: أ ليس العالم فى الشاهد يحل العلم فيه أو فى بعضه، و كذلك الحى فلم زعمتم أن الحيزين لا يشتبهان لحلول الحياه فيهما؟ قلت: إن الحياه ليست بهيئه لهما فيشتبهان بها عند حلولها فيهما، و لو كانا مشتبهين بسائر هيئاتهما، فإن قال: فيلزمكم أن لا يكون من وصف اللّه تعالى بأنه يحله العلم و الحياه مشتبها بخلقه، قيل:

ليس هو بهذا القول مشبها، و لكن بتجويزه حلول الأعراض فيه يكون مشبها لأن ذلك يرجع إلى الهيئه.

و اعلم أنّ الصفه قد تجرى على الموصوف من وجهين فى أحدهما: يجب له عن اختصاص و استبداد فيكون للذّات و يقترن بما لم يزل و فى الثانى: يقصر غايته فنقف دون موقف الأول، و ذلك كقولنا: بصير و مبصر لأنهما للذات، إلّا أنّ مبصرا يتعدى إلى مبصر موجود، و لذلك لم يجز أن يقال لم يزل مبصرا، كما قيل: لم يزل بصيرا و على هذا قولك رأى يتصرف على وجهين.

فإن أريد أنه عالم قلت لم يزل اللّه رائيا و إن أريد أنه مبصر للمبصرات امتنع منه؛ لأنّ المرئى المدرك لا يكون إلا موجودا، و على هذا قولك الصّمد إن جعلته بمعنى السّيد قلت لم يزل اللّه صمدا، و إن قلت هو من الصّمد إليه من العباد و القصد امتنع أن يقال لم يزل صمدا.

و مثله كريم يراد به العز فيقال: لم يزل كريما و هو أكرم علىّ، و يراد به الإفضال فيكون من صفات الفعل، و مثله حكيم يكون بمعنى عالم فيقال لم يزل حكيما و إن أريد به أنه يحكم الفعل لحق بصفات الفعل، و الصفات المستحقه من طريق اللغه الحقيقيه و المجازيه فإنها تجرى عليه تعالى متى لم يمنع مانع من جهه العقول و الشّرع، فإن التبس الحال يختار الأكرم فالأكرم و الأبعد من التشبيه فالأبعد، و ذلك لمجانبتنا لأنّ نصفه بأنه يعقل أو يحس أو يفقه و يستبصر و يتيقن أو يفطن أو يفهم أو يشعر لما تتضمنه هذه الألفاظ من الأحوال التى حصولها لا يليق بالله تعالى.

فإن قيل: هو شاهد و شاهد كل نجوى و قريب مجيب و مطّلع على الضّمائر قلت:

أجرينا عليه هذه الألفاظ مجازا و توسعا و لأنها بكثره دورانها فى ألسنه السّلف الصالح، و الإشاره بها إلى ما لا يخيل و لا يلتبس من القصود السّليمه انتفى عنها ما يلابس غيرها من

كـل موهم، و لمثل هـذا أجرى قوى فى صـفه مجرى القادر و امتنع فى شديـد و متين و ما أشـبهه من أن يجرى مجراه، فأما قوله تعـالى: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ [سوره البقره، الآيه: ۱۵] و سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ [سوره التوبه، الآيه: ۷۹] و مـا جرى مجراه فمثله فى البلاغه يسـمى المجـانسه و المطـابقه و هـو ضـرب من المجـاز سـمّى الثّـانى فيه بالأول ليعلم أنه جزاؤه و قـد أجرى إلى مثله، و المعنى يجازيهم جزاء الاستهزاء و السّخريه و نحو قوله تعالى: وَ جَزاءُ سَيِّئَهٍ سَيِّئَهٌ مِثْلُها [سوره الشورى، الآيه: ۴۰] و الثانى لا يكون سيئه.

فـإن قيل: فهل يجرى التهاتف و التّهكم مجرى السـخريه فتجيزه عليه اتساعا؟ قلت: لا يجوز ذلك؛ لأن المجاز لا يقاس، أ لا ترى أنّ أربـاب اللغه مجمعون على أنه لا يجوز سل الجبل، و إن جاء سل القريه، و مثل هـذا قوله تعالى: اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ [سوره النور، الآيه: ۳۵] و امتناعنـا من بعـد من أن تقول اللّه سـراج السـماوات، أو شمسـها أو قمرهـا إذ كانت المجازه لها انتهاء تجاوزها إلى ما ورائها محظور، هذا مع توافق الصفات، فكيف إذا اختلفت؟ و يقارب هذا قولهم فى اللّه لطيف و رحيم، و المراد به الإنعام، ثم امتنعوا فيه من رفيق و مشفق لرجوعهما إلى رقه القلب و استيلاء الخوف، فأما الغضب و السخط و الإراده و الكراهه و الحب و البغض و الرضـاء و الطـالب و المـدرك و المهلـك فمن صـفات الفعل، و اللّه يحـدثها لا فى مكان إذ كان جميعها لا يوجب تصويرا و لا تهيئه و لا تركيبا، و إنما تفيـد عقابا للمكلفين أو إثابه أو إيجابا لإيقاع الفعل، أو نفيا له و إذا كانت كـذلك انتفت عن المحال على أنه لو أحدثها فى المحال لعادت المحال الموصوفه بها.

فـإن قيل: فهل يجوز أن تقع منّا إراده لا فى محل؟ قلت: لا و ذلك أنّ أفعالنا تقع مباشـره، أو متولـده عن مباشره، فلا بـدّ لها من محل و أفعال اللّه تعالى بخلافها. فإن قيل:

هل يجوز أن يوصف اللّه بأنه راع، و أنه خفير، و حارس كما وصف بأنه رقيب و حافظ؟

قلت: قـد جـاء رعـاك اللّه و حرسك و حاطك فى دعاء المسـلمين و معانيها صـحيحه، لكن بناء اسم الفاعل منها فى صـفاته لم يجى ء و هم يسـتغنون بالشـى ء عن شـبهه فى اللغه، فيـذهب عن الاسـتعمال و مع ذلـك فوصـفه يجب أن يكون كريما، و لفظه الحـارس و الرّاعى و الحائـط ليس ممـا يسـتكرم فيقرن بيـا للاختصـاص، فيقـال يـا حارس أو يا راعى، أو يا حائط و مما ينفر منه فيترك قـول القائـل فى اللّه يـا معلم و إن كـان قـد جـاء الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ [سوره الرحمن، الآيه: ۱ - ۲] لاشـتهاره فى صفات المحترفين به، على أنّ الفرق بين مـا يجعـل إخبـارا و بين ما يجعل خطابا و يصـدر بحرف النّداء ظاهر. و إذا كان كـذلك فلفظ الخطاب بيا كالمترجم عن تواضع و فاقه فيجب أن يختار معه من الصّفات ما يؤكّد الحال و يحرّر السؤال و يشبه ما نحن فيه أنّهم قالوا فى صفاته علّام الغيوب.

ثم امتنعوا من علامه و إن كانت تاء التأنيث زائده فى المبالغه لما يحصل فى اللّفظ من علامه التأنيث و لا تنحط رتبته عن رتبه التّذكير. و لأنهم جعلوا اللّفظ مؤنثا لاقتران علامه التأنيث فقالوا للبيضتين الاثنيان، و وصف بعضهم المنجنيق و هو مؤنث فى اللّغه فقال و كل أنثى حملت أحجارا، فأمّا الخفير فمعناه لا يصح على اللّه لأنه من السّتر و منه خفرت المرأه.

و قول القائل ثابت فى صفه اللّه قليل الاستعمال و معناه صحيح فيه و هو الكائن الذى ليس بمنتف، و قولهم: وتر، و فرد و فذ جميعه جائز عليه لأنّ معناه معنى التّوحيد، إلا الفذ، لأن معناه القلّه. و قولهم إبراهيم خليل اللّه فمعناه الاختصاص، و لا يقال اللّه خليل إبراهيم، لأنّه يخص اللّه بشى ء و لا يقاس الصّديق و لا الوامق و لا العاشق على الخليل، و لا على المحب، و لا يوصف اللّه بالكامل، و لا الوافر لأنّ معناه الذى تمّت أبعاضه و توفّرت خصاله و لا يوصف اللّه بالفرح، لأن الفرح إنما يجوز على من يجوز عليه الغم على أنه مع ذلك متناوله مذموم و ليس كالسّرور. يدل على ذلك قوله تعالى: إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ [سوره هود، الآيه: ۱۰] و مما يقلّ استعماله وصفه بالسّار و البار، و إن كان معناهما صحيحا إذا كان تعالى يسر أولياءه و يبرّهم سمعه و طوله.

فإن قيل: أ فيجوز أن يقال فى اللّه تعالى: إنه يمكنه أن يفعل، و يستطيع أن يفعل و يطيق أن يفعل؟ قلت: كلّ ذلك جائز إلا قولك: يطيق أن يفعل، لأن الطّاقه استفراغ الجهد فيما يقصده الإنسان و قوله تعالى: ذِي الطَّوْلِ [سوره غافر، الآيه: ۳] حسن جائز لأن معنى ذو الطّول و له الطّول واحد فاعلمه.

و اعلم أنّ قول القائل: ما زال زيد يفعل كذا من العبارات الدّاخله على المبتدأ و الخبر يفيد الزّمان دون الحدث، و إذا كان كذلك فزيد هو الذى كان مبتدأ و هو المخبر عنه، و الخبر ما بعده، و لا يستقل بنفسه كما أنّ المبتدأ لا يستقلّ بنفسه و ما زال مثل كان و أصبح و أمسى فى أنه أفاد الزّمان، إلا أنه بدخول حرف النفى عليه عاد إلى الإثبات، لأن نفى النّفى إثبات، و ممّا صدّر بحرف النفى من إخوانه ما برح و ما فتئ، و ما انفك، و قال سيبويه: تقول زايلته مزايله و زيالا و التزايل تباين الشى ء، و زيلت بينهم فرقت.

فإن قيل: فهل يجوز أن يقال: ما زال زيد يقطع الكلام به، و المراد ثبت زيد. قلت:

إن أخرجته من جمله العبارات الدّاخله على المبتدأ و الخبر و جعلته فعلا تاما يستغنى بفاعله، و يفارق ما لا يتم إلا بخبره، لم يمتنع ذلك فيه، و حينئذ يصير مثل كان الذى يفسر يحدث و جاء فى القرآن: وَ إِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ [سوره البقره، الآيه: ۲۸۰] و على هذا قوله تعالى:

فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ [سوره يوسف، الآيه: ۸۰] لأن تقديره لن أبرح من الأرض لأن برح لا يتعدى مثل زال، و الأرض مخصوص لا يكون ظرفا، و هذا غير المستعمل فى قولهم لم يزل

اللّه واحدا سميعا بصيرا، و مثله أصبح الذى يمثل باستيقظ، و أمسى الممثل بنام.

و قـد فسّـر سـيبويه ما برح بما زال، و لم يجعله من البراح إيـذانا بالفرق بين ما جعل عباره و بين غيره، و قال تعالى: لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسى [سوره طه، الآيه: ۹۱] و فى موضع آخر: وَ إِذْ قـالَ مُوسـى لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ [سوره الكهف، الآيه: ۶۰] و المعنى لا أزال أسير حتى أبلغ، و لو جعل من البراح لدافع قوله حتى أبلغ، لأنّ الثّابت فى موضـعه لا يكون متبلغا، و مما يشرح هذا الذى قلناه امتناعهم من قول القائل: ما زال زيد إلا كذا حتى ردّوا على ذى الرّمه قوله:

حراجيح(۱) ما تنفكّ إلا مناخه

على الخف أو ترمى بها بلدا قفرا

و قالوا الاسـتثناء ممتنع هنا و إنّما هو حراجيـح ما ينفك مناخه أى لا يزال شـخوصا مجهوده، و حمل إلا على الكثره و الجنس، و منهم من قـال: مـا تنفـكّ من قولهم فككته فانفكّ كأنه يخرجه من أن يكون مما يـدخل على المبتـدأ و الخبر، و يجعله مسـتقلا بفاعله مثل كان التامه، و يكون المعنى لا ينخل قواه إلا فى هذه الحاله و على هذا ما فتئ و فى القرآن:

تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ [سوره يوسف، الآيه: ۸۵] أى لا تفتؤ و لا تزال.

فـإن قـال قائل: فهل يجوز أن يوصف اللّه تعالى بأنه ذخر و سـند؟ قلت: هـذا لا يكون إلا مجازا و ما لا يجب من جهه الحقيقه لا يجوز عنـدنا وصف القـديم به إلّما إذا كثر فى كلاـم أهـل الـدين و أخبـار أرباب اللغه فيصـير تبعا فيه لهم، و ذلك أنّ الـذّخر ما يذخره الإنسان و يحرزه لنفسه و ليوم حاجته، و يكون فى الوقت كالمستغنى عنه فيقال: أذخر هذا لطوارق الزّمان و نوائب الدهر و الأيـام و على هـذه الطريقه لاـ يجوز ذلك على اللّه لأنّ الحاجه إليه دائمه فهـذا فى الـذّخر و كـذلك السـند فى الحقيقه هو ما أسـند الإنسـان إليه ظهره و اللّه متعال عن هـذه الصـفه. فإن قيل: فهل يجوز أن يوصف اللّه بأنه نجى و ولى؟ قلت: النجىّ فعيل و يراد به الـذى ينـاجى، و وصف به الجمع فى قوله تعـالى: خَلَصُوا نَجِيًّا [سوره يوسف، الآيه: ۸۰] و إن كان على لفظ الواحـد كما جاء فعول فى قوله تعالى: عَـدُوٌّ لِي* [سوره طه، الآيه: ۳۹] و إذا كان كـذلك فليس هو كالنكير و النّذير لأنهما مصدران، و لكنّه بمنزله العلى و الولى و نحوه مما يكون، و الوالى و الولى بمعنى واحد، قال تعالى: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا [سوره البقره، الآيه: ۲۵۷] و قال تعالى: ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ [سوره الرّعـد، الآيه: ۱۱]، و كـذلك النجىّ و مثله الصّديق و الخليط فى أنه بلفظ الواحد و وصـف به الجمـع، و قـوله: إنى إذا مـا القـوم كـانوا أنجيه. فـأنجيه كقولهم كـثيب و أكثبه و رغيف و أرغفه شـبه الصـفه بالاسـم فكسرت تكسيره

۱- الحرجوح: الناقه السمينه- قاموس.

و قوله تعالى: وَ إِذْ هُمْ نَجْوى [سوره الإسراء، الآيه: ۴٧] وصف بالمصدر كما وصف بالعدل و الرضى، و إذا كان الكلام بيانا عن المعانى فعلى المتكلم أن يبيّن المعانى التى يخبر عنها بكلامه و إلا كان بمنزله من يلغز و يعمّى كلامه لئلا يفهم، و فاعل هذا مختار عابث فأما قولنا: وكيل علينا أى متول لأمورنا و قائم، بحفظنا و نصرتنا، و لا يجوز أن يقال: وكيل لنا لأنّ الوكيل لنا هو النائب عنّا و خليفتنا فيما يليه لنا فأما قولنا: توكلنا على اللّه، فليس من الوكاله فى شى ء و إنما معنى يتوكل يلتجئ و يعتمد و إذا كان كذلك فإنّا نقول: اللّه وكيل علينا، و لا نقول: متوكّل علينا.

فإن قيل: كيف جاز مجى ء تفعل و تفاعل فى صفاته و ممّا من أبنيه التكلّف و التّكلف لا تجيزه على اللّه. قلت: قوله المتكبّر و الكبير المتعالى فى صفاته كالكبير و العالى و المبانى كما يتفرد بالمعانى أو يكثر مجيئها لها فإنها قد تتداخل و تتشارك حتى لا تمايز و لا تباين، و إذا كان كذلك فقول القائل تعلى و تعالى و علا بمعنى واحد قال: (تعلّى الذى فى متنه و تحدّرا) بمعنى علا و حدر و قال شعرا:

و مستعجب مما يرى من إناتناو لو زينه الحرب لم يترمرم

بمعنى عجب. و قال أوس:

و قد أكلت أظفاره الصّخر كلّماتعايا عليه طول مرقى توصّلا

بمعنى أعيا، و هذا كثير ظاهر فاعلمه. و منه قوله تعالى: وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ [سوره الأعراف، الآيه: ١۶٧] بمعنى آذن. و اعلم و قد انتهى هذا الباب و كمل بما ضمّ إليه من أخبار الرّسول صلى اللّه عليه و سلم و غيرها، جامعا إلى الوفاء بما وعدته و مجيئه على المثال الذى خططته، أنى لم آل جهدا فى اختيار ما كانت الحاجه إلى بيانها أمس، و النّفس إلى تبينها أتوق، حتى بلغ حدا يمكن الاستعانه به، مع أدنى تأمّل على فتح كثير مما يستغلق من نظرائه، و كلّ ذلك بعون اللّه و حسن توفيقه، و أنا الآن مشتغل بالباب الثّانى و الكلام فى حقيقه الزّمان و المكان، و الرّد على من تكلّم بغير الحق فيهما و اللّه بحوله و قوّته يعين على بلوغ ما نعرب منه و هو حسبنا و نعم الوكيل.

الباب الثانی فی ذکر أسماء و معان للزّمان و المکان

اشاره

و متی تسمّی ظروفا، و معنی قول النّحویین الزّمان ظرف للأفعال، و الرّد علی من قال فی بیانهما بغیر الحق من الأوائل و الأواخر. و هذا الباب یشتمل علی ما ذکر ماهیه الزّمان و المکان و حکایه أقوال الأوائل فیهما، محقّهم و مبطلهم و إبطال الفاسد منها و ما یتعلق بذلک و فصوله أربعه:

فصل [فی أن أسماء الزّمان و المکان إنما تسمّی ظروفا إذا کانت محتویه لما هی ظروف لها]

اعلم أن أسماء الزّمان و المکان إنما تسمّی ظروفا إذا کانت محتویه لما هی ظروف لها فإن لم تکن محتویه فلیست بظروف، بل هی أسماء تبیّن ما وقعت علیه من غیره کسائر الأسماء، کقولک: مکانکم طیب، و خلفک واسع، و أمامک الصحراء، و یوم الجمعه مبارک، و شهر رمضان شهر طاعه و إنابه، فإنما هذا کقولک: عبد اللّه کریم، و زید مبارک، و موضع کونها ظروفا أن تقول: سرت یوم الجمعه و ضربت زیدا یوم السبت، فالیوم مفعول فیه.

و سنذکر قطعه واسعه من الأزمنه تأتیا بأسمائها إلی أن نتمکن من شرح جملها و تفاصیلها، و نأتی علی حقها و حقیقتها و یندس فی أثنائها الکثیر من مبهمات الأمکنه لأنها هی التی تکون ظروفا دون محدوداتها، و اتّسع باب الأزمان، لأنّ الأحداث انقسمت بانقسامها فهی تتضمنها دون الجثث و الأشخاص، و لذلک قال سیبویه: المکان أشبه بالأناسی فلها صور تثبت علیها و حدود تنتهی إلیها و تتباین بها.

فمن أسماء الزّمان: الیوم و اللّیله و البارحه الأولی و أمس و أول من أمس، و أول من أول من أمس، و إذ مضافه إلی جمله کالفعل و الفاعل و الابتداء و الخبر و قط و عصر و زمان و دهر و وقت فی الزّمان و المکان، و أسبوع و شهر و عام و سنه فیما مضی و حقب، و غد و أبد فی المستقبل، و إذ مضافه إلی فعل و فاعل، و ذات مره، و ذات المرار، و لا یستعملان إلا ظرفا، و ذات العویم و إبّان و إفان و قبل و بعد، و لا یرفعان، و بعیدات بین، و کذلک، و لیس قبل و بعد و لا بعید من أسماء الزّمان، و لا بعیدات بین، و لا من أسماء ساعاته.

و كذلك ذات مرّه لأن قبل و بعد يفيدان التقدّم و التأخر، و بعيدات جمع بعد مصغرا، و لذلك ضعفن، و ذو صباح، و ذو مساء و حرى دهر و ابنا سمير و الملوان و الجديدان و الأجدان، و مل ء من الدّهر، و المرّه، كقولك: ضربه و ما كان اسما فى الدهر للظمإ و الرّعى و غير ذلك مما يعتاد كالوجبه و الغب و الرفه و الثّلث و الرّبع و الخمس و السّدس ما كان ممرا فى اليوم، و اللّيله نحو سحر و بكر و غدوه و هو علم، و بكره و هو مجهول على عدد، و غداه و ضحوه و ضحى و الضحاء ممدود، و نصف النهار و سواء النهار و الهجير و الهاجره و الظّهير و الظّهيره و دلوك الشمس، و غسق الليل، و العصر و قصر العشى و الأصيل، و استعمالهم إيّاه مصغرا تقريبا للوقت، نحو أصيل و أصيلال و أصيلان، و كذلك المغرب فى قولك مغيربان و مغيربانات و العتمه و الغداه و مقصر و ظلام و وهن و هدا و هداه و هدو و صباح و مساء و صباح مساء مبنيين، و سير عليه ذا صباح و شطر الليل و يومئذ و هذا مما حذف منه و صار التّنوين بدلا من المحذوف فيه و حينئذ و ساعتئذ و يوم و حين مضافه إلى متمكن و إلى غيره، و السدف و السدفه و أى حين، و مذ و منذ و متى و أيان، و دخول كم على متى للعدد، و دخول حتّى و إلى للمنتهى على أسماء الزمن و قولك ربّما للتقليل، و ربما بما فى ذلك من اللغات، و قد التى بمعنى ربما، و الساعات و ألقاب أيام الأسبوع و تسميه العرب لها و ذلك قولهم للأحد أول و للاثنين أهون، و للثلاثاء جبار للأربعاء دبار، و للخميس المونس و للجمعه العروبه، و للسبت شيار و قولهم الوهن و الموهن، و تسميتهم سير اللّيل لا تعريس فيه إلا ساد، و سير النهار لا تعريج فيه التّأويب.

و قولهم: لا أكلمك السّمر و القمر، و اختلاف الأزمنه كالصّيف و الخريف و الشّتاء و الرّبيع و ما ينسب إليها من نتاج أو عشب، و تسميتهم بالحر شهرى ناجر، و الشّهرين الموصوفين بالبرد شهرى قماح و قماح، و ما نفع من المصادحينا نحو: مقدم الحاج، و خفوق النّجم، و خلافه فلان، و وقعه فلان، و التواريخ، و تقديمهم اللّيله على اليوم، و قولهم بعد فنك من اللّيل، و هزيع و الأناء و ما واحدها، و أيام الأسبوع و الفصل بينها و الأوان و الآن.

و صفات الزّمان: كقولهم حول كريت و قميط و مجرم و فعله قليلا و كثيرا و طويلا و قصيرا، و قولهم النسى ء فى الأزمنه و النسيئه(١) فى الدّين و اليمين و الشّمال و أعلى و أسفل و خلف و قدّام و أيام العجوز، و هذه تجرى مجرى المقدمات و سيأتى التّفسير عليها منوعه.

١- التأخير فى دفع الثمن.

فصل فی ماهیه الزّمان

ذکر بعض القدماء أن الزمان هو دوران الفلک، و قال أفلاطون: هو صوره العالم متحرکه بعد صوره الفلک. و قال آخر: هو مسیر الشّمس فی البروج حکی جمیع ذلک النّوبختی، و وجوه هذه الأقوال تتناسب. و حکی أبو القاسم عن أبی الهذیل أنّ للزمان مدی ما بین الأفعال، و أنّ اللّیل و النّهار هما الأوقات لا غیره. و زعم قوم أنه شی ء غیر اللّیل و النّهار، و غیر دوران الفلک، و لیس بجسم و لا عرض، ثم قالوا: لا یجوز أن یخلق اللّه شیئا إلّا فی وقت، و لا یفنی الوقت فیقع أفعال لا فی أوقات، لأنه لو فنی الوقت لم یصح تقدم بعضها علی بعض، و لا تأخّر بعضها عن بعض، و لم یبین ذلک فیها و هذا محال.

و قال بعض المتکلّمین: الزّمان تقدیر الحوادث بعضها ببعض، و یجب أن یکون الوقت و الموقت جمیعا حادثین، لأن معتبرهما بالحدوث لا غیر، و لذلک لم یصح التّوقیت بالقدیم تعالی ثم مثل، فقال: أ لا تری أنک تقول: غرد الدیک وقت طلوع الفجر، و تقول: طلع الفجر وقت تغرید الدّیک، فیصیر کلّ واحد من طلوع الفجر و تغرید الدّیک وقتا للآخر و مبینا به للمخاطب حدوثه و هذا علی حسب معرفته بأحدهما و جهله بالآخر، لأنّ ذلک فی التوقیت لا بدّ منه. و قال المحصّل من النّحویین الزمان ظرف الأفعال و إنما قیل ذلک لأن شیئا من أفعالنا لا یقع إلا فی مکان و إلا فی زمان و هما المیقات.

قال الخلیل: الوقت مقدار من الزّمان و کلّ شی ء قدرت له حینا فهو موقت، و کذلک ما قدرت له غایه فهو موقت، قال تعالی: إِلی یَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ* [سوره الحجر، الآیه: ۳۸] و المیقات مصیر الوقت قال تعالی: فَتَمَّ مِیقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِینَ لَیْلَهً [سوره الأعراف، الآیه: ۱۴۲] و الآخره میقات الخلق و مواضع الإحرام مواقیت الحج و فی التّنزیل: یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَهِلَّهِ قُلْ هِیَ مَواقِیتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِ [سوره البقره، الآیه: ۱۸۹] و الإهلال میقات الشّهر و فی القرآن: وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ لِأَیِّ یَوْمٍ أُجِّلَتْ [سوره المرسلات، الآیه: ۱۱- ۱۲] و إنما هی وقّتت و یقال: وقت موقوت و موقت. و الزّمان قد یعلم باسمه. و قد یبین بصفاته، فالأول کالسّبت و الأحد و رمضان و شوّال، و الثّانی کقولک الخمیس الأدنی، و الجمعه الآتیه، و قد یبین بقرینه تضاف إلیه کقولک: عام الفیل، و وقت ولایه فلان. و قد یقصد المتکلم بیان قدر الوقت أو صورته أو اتصاله أو انقطاعه بما یکون نکره کقولک فعلته لیلا و ثابرت علیه حولا، و أقمت عنده شهرا.

و فی الاتصال و الانقطاع یقولون: فعلته لیلا و نهارا أو غدوا و عشیا و زرته ذات مره و بعیدات بین. فأما قول من قال: هو الفلک بعینه فقد أخطأ، لأنّ الأفلاک کبیره فی الحال و لیست الأزمنه کبیره فی الحال، لأنّ الزّمان ماض و حاضر، و مستقبل و الفلک لیس کذلک،

و هـذا ظـاهر، و ذلـك قول من قـال: حركـات الفلـك هى الزّمـان لأـن أجزاء الزّمـان إذا توهّمت كـانت زمانـا، و أجزاء الحركه المستديره إذا توهّمت لم تكن حركه مستديره، و لأنّ الحركه فى المتحرّك و فى المكان الذى يتحرّك إليه المتحرّك، و الزّمان ليس هو فى المتحرّك و لا فى المكان الذى يتحرك إليه المتحرّك، بل هو فى كل مكان ثم قد يكون حركه أسـرع من حركه، أ لاـ ترى أنّ حركه الفلـك الأـعلى أسـرع من حركه زحل و البطء و السّـرعه لا يكونان فى الزّمان لأنّ الحركه السّـريعه هى التى تكون فى زمان يسير و البطيئه هى التى تكون فى زمان كثير.

و حكى حنين بن اسحاق عن الاسكندر أنه قال فى حد الزمان: إنه مده بعدها حركه الفلك بالمتقدّم و المتأخر. قال و العدد على ضربين: عـدد يعـدّ غيره و هو ما فى النفس، و عـدد يعـدّ بغيره، و الزّمان مما يعـد بغيره و هو الحركه لأنّه على حسـبها و هيئتها و كثرتهـا و ثباتهـا، و إنمـا صار عـددا من أجل الأول و الآخر الموجودين فى الحركه، و العـدد فيه أوّل و آخر فإذا توهّمنا الحركه توهّمنـا الزّمـان، و إذا توهّمنـا الزّمان توهّمنا الحركه، و إنّما صار عـدد حركه الفلك دون غيرها لأنه لا حركه أسـرع منها، و إنما يعد الشـى ء و يذرع و يكال بما هو أصغر منه. قال: و الزّمان عدد و إن كان واحدا لأنه بالتّوهم كثير فيكون أزمنه بالقوه و الوهم لا بالوجود و العمل.

و هـذا يقارب ما حكاه أبو القاسم عن أبى الهذيل فى حدّ الزمان، لأن قوله: مدى ما بين الأفعال، و إن اللّيل و النّهار هما الأوقات إذا حصـل يرجع إلى معنى قوله مـده بعـدها حركه الفلـك بالمتقـدّم و المتأخّر، و إن كان لفظ أبى الهـذيل أجزل و أغرب، أ لا ترى أنّ الاسـكندر قال: و البرهان على أن الزّمان ليس بذى كون و لا ابتداء و لا انتهاء و الفرقه التى زعمت أن الزّمان شـى ء غير اللّيـل و النّهـار، و غير دوران الفلـك، و ليس بجسم و لا عرض إلى آخر الفصل، فإنّا سـنتكلم به على الملاحـده و الخارجين من التّوحيد إلى وراء التشبيه إن شاء اللّه تعالى.

اعلم أن العبـاره عن الوقت قـد حصـلت من القـديم تعـالى و لا فلك يـدور و لا شـمس فى البروج تسـير، و عبر أيضا عن أوقات القيامه فمره قال تعالى: فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِـينَ أَلْفَ سَـنَةٍ [سوره المعارج، الآيه: ۴] و مرّه قال تعالى: فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَـنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ [سوره السجده، الآيه: ۵] و قال تعالى: خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِـتَّةِ أَيَّامٍ* [سوره الحديـد، الآيه: ۴] و قـال تعـالى فى صـفه أهـل الجنّه: وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَ عَشِـيًّا [سوره مريم، الآيه: ۶۲] و لاـ بكره ثم و لا عشـيه، فجميع ذلك أجرى لأوقـات مؤقته لمعـانى قـدّرها اللّه تعـالى على أحوال رتّبهـا و مراتب صورهـا فمنها ما هو أطول، و منها ما هو أقصـر، على حسب آماد الأمور المقدوره فيها، فمثّل كلّا بما تقرّر به النفوس غايته و أمده و مقداره و موقعه ممّا

كنّا نعرفه و نـألفه و نشاهـده و نتصـرّف فيه، و إذا كان الأمر على ما ذكرنا و حصل من الحكيم التّوقيت على ما بيّنا ظهر كثير من عاداتهم فيه و أنهم تخيّروا ما كان فى الاستعمال أبين و فى العرف أمتن، و على المراد أدل، و فى التّمثيل أنبّه و أجل.

و اعلم أنّ الحادث متى حصل فقد حصل فى وقت، و المراد أنه يصحّ أن يقال فيه: إنه سابق لما تأخر عنه، و إنّ وقته قبل وقته، أو متأخر عما تقدّمه و إنّ وقته بعد وقته أو مصاحب لما حدث معه، و إنّ وقته هذا هو المراد فقط، و لسنا نريد أنه حدث معه شى ء سمّى زمانا له، أو سبقه أو احتاج فى الوجود إليه، فلو تصورنا أوّل الحوادث و قد اخترعه اللّه مقدّما على المحدثات كلّها لصلح أن يقال فيه: إنه سابق لها و إنه أول لها، و هـذا توقيت، و لو تصوّرنا أنه بقى مفردا بعد حدوثه لم يتبع بغيره لكان يصح تقـدير هذا القول فيه و توهّمه، إذ كان اللّه تعالى قادرا على الإتيان بأمثاله و أغياره معه و قبله و بعده.

و هذا معنى قول النّحوى: الفعل ينقسم بانقسام الزّمان ماض و مستقبل و حاضر، و إذا كان الأمر على هذا فقد سقط مئونه القول فى أنّ الوقت حادث لا ـ فى وقت، و أنه لو احتاج الوقت إلى وقت لأدّى إلى إثبات حوادث لا نهايه لها. و أما من قال: إنّ الزّمان تقدير الحوادث بعضها ببعض و تمثيله بأن القائل يقول: غرد الديک وقت طلوع الفجر، و طلع الفجر وقت تغريد الديک فإنّ كل واحد من التّغريد صار وقتا للآخر، فإنّه جاء إلى فعلين وقعا فى وقت واحد، فعرف الوقت مره بالإضافه إلى هـذا، و جعل ذلک الآخر موقتا به، و مره بالإضافه إلى ذلک، و جعل هـذا مؤقتا به، و لم يتعرّض للزّمان و كشف حده و ضبطه و هـذا كما يقال: حججت عام حج زيد و حج زيد عام حججت.

و من الظاهر أن العام غير الحجين و أنهما إنما وقعا فيه، و هذا بيّن على أن ما أتى به و اشتغل بتمثيله هو من قبيل ما يكون زمانا و هو ما يصلح أن يكون واقعا فى جواب متى و لم يستوفه أيضا، و ترک ما يخرج فى جواب كم رأسا، و ذلک كقولهم: يصوم زيد النّهار و يقوم اللّيل، و ما فعلته قط، و لا أفعله أبدا، و أقمت بالبلد شهرا و هجرت زيدا يوما إلى كثير مما ستراه فى أبواب هذا الكتاب و فصوله.

و اعلم أنّ الزمان و إن كان حقيقه ما ذكرنا، فإنّ الأمم على اختلافها أولعوا فى التّوقيت بذى اللّيالى و الأيام، و الشّهور و الأعوام، لما يتعلّق به من وجوه المعاملات و الآجال المضروبه فى التجارات، و من تقرير العدات، و إدراک الزّراعات، و آماد العمارات، و من فعل أهل الوبر فى المحاضر و المزالف و المناجع و المجامع، و إقامه الأسواق، و توجيه المعاش، و من اشتغال أرباب النّحل بما افترض عليه عندهم من تقرّب و عباده، و دعوا إلى الأخذ به فى دينهم من فرض و نافله، و أمروا بالتوجه إليه من سمت و قبله، و لما أجرى اللّه

تعالى العاده به فيه من حـدوث حر و برد، و جزر و مـد، و تبدّل خصب و جدب، و رخاء عيش و بؤس، و من ظهور نبات و أوان لقـاح، أو ولاد و صـبوب أمطار و هبوب أرواح لـذلك قال النبى صـلى اللّه عليه و سـلم: «تعلّموا من النّجوم ما تعرفون به ساعات اللّيل و النّهار، و هدايه الطّرق و السّـبل» فقدّر أكثر الناس أنّ الزّمان لا يكون غيرها و لا يعدوها إلى ما سواها، و لهذا الّذى تبينته، أو أشرت إليه ذكر أبو الهذيل بعد تحديد الزّمان اللّيل و النّهار هما الأوقات لا غير.

و اعلم أنّ الـذين زعموا أن الزّمـان شـى ء غير اللّيل و النّهار، و غير دوران الفلك و ليس بجسم و لا عرض، ثم قالوا: لا يجوز أن يخلق اللّه شـيئا إلّـا فى وقت و لاـ يفنى الوقت، فيقع أفعال لا فى أوقات لأنه لو فنى الوقت لم يصـح تقـدّم بعضـها على بعض و لا تأخّر بعضها عن بعض، و لم يتبيّن ذلك فيها، و هذا محال قولهم داخل فى أقوال الذين يقولون: إن الزّمان و المكان المطلقين، و يعرب عنهمـا عنـد التّحقيق بالـدّهر و الخلاـء جوهران قائمـان بأنفسـهما، و الكلاـم عليهم يجى ء بعـد تنويع فرقهم و بيـان طرقهم فنقول: بالله الحول و القوه من زعم أنّ الأزلى أكثر من واحد أربع فرق:

الأولى: الذين يقولون هما اثنان الفاعل و الماده فقط و يعنى بالماده الهيولى.

الثانيه: الذين يدّعون أنّ الأزلى ثلاثه الفاعل و المادّه و الخلاء.

الثّالثه: الذين يدّعون أنه الفاعل و الماده و الخلاء و المدّه.

الرّابعه: الفرقه التى زعيمهم محمد بن زكريا، المتطبب لأنه زاد عليهم النّفس الناطقه، فبلغ عدد الأزلى خمسه بهذيانه.

و شـرح مـذهبهم أنه لم يزل خمسه أشـياء، اثنان منها حيّان فاعلان و هما: البارى و النفس، و واحد منفعل غير حى و هو الهيولى الـذى منه كوّنت جميع الأجسام الموجوده، و اثنان لا حيّان و لا فاعلان و لا منفعلان و هما الخلاء و الماده، إلى خرافات لا تطيق اليـد بيانها بالخط، و لا اللّسان تحصـيلها باللّفظ، و لا القلب تمثيلها بالوهم، فمما يزعمه أن البارى تام الحكمه لا يلحقه سـهو و لا غفله، و تفيض منه الحيـاه كفيض النّور عن قرصه الشّـمس، و هو العقل التام المحض، و النفس تفيض منه الحياه كفيض النور، و هى مترجّحه بين الجهل و العقل كالرّجل يسـهو تاره، و يصـحو أخرى، و ذلك لأنها إذا نظرت نحو البارى الذى هو عقل محض غفلت و أفقت، و إذا نظرت نحو الهيولى التى هى جهـل محض غفلت و سـهت، و أقول متعجبا لو لا الكرى لم يحلم و هـذا كما قـال غيرى، أ ليس من العجـائب هـذيانه فى القـدماء الخمسه، و ما يعتقـده من وجود العالم لحـدوث العلّه و ما يـدّعيه من وجود الجوهرين الأزليين أعنى الخلاء و المدّه لا فعل لهما و لا انفعال، فلولا خذلان اللّه إياه، و إلا

فما ذا يعمل بجوهر لا فاعل و لا منفعل؟! و لم يضع الأرواح المقدّسه قباله الأرواح الفاسده، و لم يحدث العله من غير نقص و لا آفه و لم يذكر شيئا ليس فيه جدوى و لا ثمره و هذا الفصل إذا أعطى مستحقّه من التّأمل ظهر منه ما يسقط به سخيف كلامهم، و إن لم يكن مورده مورد الحجاج عليهم.

أ لا ترى أنّ من لم يثبت القديم تعالى فيما لم يزل واحدا لا ثانى له، و عالما بالأشياء قبل كونها و بعده، و قادرا على كل ما يصح أن يكون مقدورا، وحيا لا آفه به، و غنيا لا حاجه به إلى غيره فى شى ء من إرادته، و حكيما لا يبدو له فى كل ما يأتيه و يفعله، فننقل إلى ما هو أعلى منه، بل لا يفعل إلا ما هو حسن و واجب فى الحكمه و الصّواب، فقد جعله قاصرا ناقصا، تعالى اللّه و جلّ عن صفات المخلوقين، و هذا كما أنّ من الواجب أن يعلم أنّ القديم لو لم يبدع العالم أصلا لاستحال أن يتوقّف على وجوده، أو يتوصل إلى إثباته، لأن ذاته لم تكن ظاهره للعيان، و لا مستدركا بالحواس، و أنّ الشى ء قد يصح إثباته من طريق أفعاله كما يصح إثباته من جهه ذاته، و الأسباب و إن كانت متقدمه لمسبباتها بالوجود فلا يمتنع أن يكون فى العقول أسبق إلى الوضوح.

و إذا كان كذلك فالعالم بثبات هذا العالم المحسوس موصول إليه من طريق الإدراك و المشاهده، و العلم بصانعه من طريق النّظر و المباحثه، و قد تكلّم الناس فى المعرفه بالله تعالى و اختلفوا فزعم قوم أن المعرفه لا تجب على القادر العاقل و أنها تحدث بإلهام اللّه، فكل من لم يلهمه اللّه المعرفه فلا حجه عليه، و لا يجب عليه عقاب، لأن عذر من ترك الشى ء لأنه لم يعلم كعذر من ترك الشى ء لأنه لا يقدر عليه، و الذى يدل على أن المعرفه لا تكون ضروره لأنا يمكننا التشكك فيه. أ لا ترى أنه كلما اعتقدنا الشى ء بدليل فاعترضت شبهه فى أصل الدّليل يخرج من العلم بذلك الشى ء حتى تثبت حجّه بمحل تلك الشّبهه، و لو كانت بالضّروره لم يكن التّشكك، و كان العقلاء كلّهم شرعا واحدا فى العلم، كما صاروا شرعا واحدا فى أخبار البلدان المتواتره عليهم، فبان بذلك أنها ليست بضروره، و أكثر الناس على أنها واجبه و هى من فعل الإنسان، و إنما يقع أوّلها متولّدا عن النّظر.

قال البغداديون مستدلين: لا يخلو من أن يكون قد كلّفنا اللّه معرفته أو لا يكون كلّفنا و تركنا مهملين، و تركنا سدى، و إهمالنا لا يجوز عليه و يقال لهم فى ذلك: إنّ الإهمال هو تضييع ما يلزم حفظه، و ترك مراعاه ما يجب مراعاته، أ لا ترون أنّ من لم يحفظ مال غيره لا يقال أهمله، لما كان لا يلزمه حفظه فثبتوا أولا أن المعرفه بالله واجبه، ثم ادّعوا الإهمال إذا لم يكلفناها. و قالوا أيضا: نحن نرى على أنفسنا آثار نعم و نعلم وجوب شكر المنعم، فإذا يجب أن يعرف المنعم لشكره.

فإن قال قائل: فهل يجوز أن نعلم القديم تعالى من طريق الخبر؟ قلت: لا، لأنّ الخبر على قسمين: فمنه ما يضطر السّامع إلى العلم بالمخبر به كالخبر عن البلدان و الأمصار، و قد علمنا أنه لا يجوز أن نعلم اللّه من هذه الجهه، لأنا وجدنا العقلاء يشكون من أنّ لهم صانعا مع إخبار المخبرين به، و لو كان يعلم من طريق الخبر لكان لا فرق بين خبر من زعم أنّ الصّانع واحد و بين من قال اثنان أو ثلاثه، على أنّ الخبر إنّما يضطر إذا كان المخبر يخبر عن مشاهده، لأنه لا يجوز أن يكون حال المخبر يعلم ضروره و من الخبر ما يعلم من طريق الاستدلال، كخبر النبى صلى اللّه عليه و سلم، و لا يجوز أن يعلم اللّه من هذه الجهه، لأنّ القائل بهذا القول أحد رجلين، إمّا أن يقول لا يعلم اللّه إلا من جهه الخبر، فيلزمه أن يكون النبى لا يعرف اللّه إلّا بنبى آخر و ذلك يوجب التّسلسل إلى ما لا نهايه، و إمّا أن يقول: إنه يعلم من جهه النبى و من جهه أخرى أيضا، و هذا فاسد لأنه ليس فى النبىّ أكثر من إظهار المعجزات و المعجزات لا تدل على حكمه فاعلها، فكيف يكون خبر النبى طريقا إلى العلم بالله و إذ قد ذكرنا وجوب معرفه اللّه تعالى و الطريق إليه هاهنا، و ممّا تقدّم فإنّنا ننكر الكلام على الملحده و المتحيرين.

فصل [فى بيان أنواع الضّلال]

اعلم أنّ أنواع الضّلال ثلاثه: المعانده و الحيره و الجهاله.

فالمعانده على الإطلاق ينبغى أن لا يحصل لأحد منّا علم حقيقى و لا معرفه تفضى إلى يقين، و إنما هى ظنون و خواطر لا تسكن النّفس إليها، و تسميتنا لها و لأمثالها بالعلوم توسع و مجاز. و الوجه فى مدافعتهم أن يقال لهم: أ تقولون ما ذكرتم عن خلوص علم، أو تسلط ظن؟ فإن ادّعوا العلم فقد ناقضوا، و إلّا حصلوا على عناد، و قد ذكر أبو عثمان الجاحظ فى الكفار الذين قتلهم النبى صلى اللّه عليه و سلم أنّهم كانوا عارفين بالله معاندين.

و اعترض عليه فقيل: إنّ العناد يجوز على العدد اليسير، فأمّا الجماعه الكثيره فلا يصح عليها ذلك، و نحن نعلم من أنفسنا و قد كنا على مذاهب فتركناها لفسادها أنّا لم نكن فى حال اعتقادنا معاندين و لا كاذبين لأنفسنا، و إنّما تركنا الاستدلال، فكذلك أولئك الكفار قد علموا فيما أظهره النبى صلى اللّه عليه و سلم أنها معجزات، لكنهم تركوا الاستدلال بها على ثبوته و صدقه.

و المتحيرون هم الذين يزعمون أنّ العلم بالمحسوسات قد يصح، و لكن ما عداها مما يحال فيه على العقل نحن شاكون فيه و متوقفون، و الكلام عليهم طريقه أن تقلب عليهم نفس ما أوردوه فيقال: تدفعون مقتضيات العقول بالمشاهدات أو بحجج العقول و لا فلاح لهم أى الطّريقين سلكوا.

و الجاهلون الملاحده و الخارجون من نور التّوحيد و الاستقامه إلى ظلمه الشّرك فرق، و الضّلاله فى عددهم فى ازدياد و وفور، و إفسادهم وجوه و فنون و قد فسّرت فقيل: ربما كانت من الحضانه و التربيه و قله الخواطر و غباوه الخليط و جهد المجاوره، و ربّما كان من تعظيم الأسلاف، أو من وجه الآلاف، أو من غباوه الدّاعيه و نسل صاحب المقاله، و كونه صاحب سن و سمت و إخبات و طول صمت، و للّه تعالى الحجّه البالغه عليهم، و على طوائف المبتدعه من أهل الضّلاه على اختلاف أهوائهم، و سيعلم الجافى على نفسه كيف ينقلب و قد فاته الأمر. ذكر بعضهم حاكيا عن قوم من الأوائل، أنّ الدّهر و الخلاء قائمان فى فطر العقول بلا استدلال، و ذاك أنه ليس من عاقل إلا و هو يجد و يتصور فى عقله وجود شى ء للأجسام بمنزله الوعاء و القراب، و وجود شى ء يعلم التقدم و التأخّر، و أنّ وقتنا ليس هو وقتنا الذى مضى، و لا الذى يكون من بعد بل هو شى ء بينهما، و أن هذا الشى ء هو ذو بعد و امتداد.

و قال: قد توهم قوم أنّ الخلاء هو المكان، و أنّ الدّهر هو الزّمان، و ليس الأمر كذلك بإطلاق، بل الخلاء هو البعد الذى خلا منه الجسم، و يمكن أن يكون فيه الجسم، و أمّا المكان فالسّطح المشترك بين الحاوى و المحوى، و أما الزّمان فهو ما قدرته الحركه من الزّمان الذى هو المده غير المقدره، فصرفوا معنى الزّمان و المكان المضافين إلى المطلقين، و ظنوا أنهما هما و البون بينهما بعيد جدا، لأنّ المكان المضاف هو مكان هذا المتمكّن و إن لم يكن متمكنا لم يكن مكانا، و الزّمان المقدّر بالحركه يبطل أيضا ببطلان المتحرك و يوجد بوجوده، إذ هو مقدر حركته، فأمّا المكان بإطلاق فهو المكان الذى يكون فيه الجسم و إن لم يكن، و الزّمان المطلق هو المده قدّرت أو لم تقدّر، و ليس الحركه فاعله المده بل مقدرته، و لا المتمكّن فاعل المكان بل الحال فيه، قال: فقد بان أنهما ليسا عرضين بل جوهرين لأنّ الخلاء ليس قائما بالجسم لأنه لو كان قائما به لبطل ببطلانه، كما يبطل التّربيع ببطلان المربّع.

فإن قال قائل: إنّ المكان يبطل ببطلان المتمكن قيل له: أما المضاف فإنّه كذلك لأنّه إنما كان مكان هذا المتمكّن، فأمّا المطلق فلا، أ لا ترى أنا لو توهّمنا الفلك معدوما لم يمكنا أن نتوهم المكان الذى هو فيه معدوما بعدمه، و كذلك لو أنّ مقدرا قدّر مده سبت كان، و لم يقدر مده يوم آخر، لم يكن فى ترك التقدير بطلان مده ذلك اليوم الذى لم يقدر، بل التّقدير نفسه، فكذلك ليس فى بطلان الفلك أو فى سكونه ما يبطل الزّمان الحقيقى الذى هو المده و الدّهر، فقد ينبغى أنهما جوهران لا عرضان، إذ كانا ليسا بمحتاجين إلى مكان و لا إلى حامل فليسا إذا بجسم و لا عرض، فبقى أن يكونا جوهرين.

و زاد على هذا الوجه الذى حكيناه بعضهم فقال: طبيعه الزّمان من تأكيد الوجود فى

ذاتهـا و قوّه الثّبـات فى جوهرها، بحيث لا يجوز عـدمها رأسا و لم تكن قط معـدومه أصـلا، فلا بـدء لها، و لا انتهاء، بل هى قاره أزليه.

أ لا ترى أنّ المتوهّم لعـدم الزّمان لم يخلص له وهمه إلا إذا ثبت مـده لا زمان منها، و المده هى الزّمان نفسه، فكيف يوهم عدم مـا تأكّـد لزوم جوهره؟ و يفنى العقل الصّـحيح تصور عـدمه و تلاشـيه؟ أو كيف يسوغ إلحاق عـدمه بالممكنات؟! و وجوده من الواجبـات الأزليـات؟ فهـذا ما حكى عن الأوائل. و ابن زكريا المتطبّب يحوم فى هـذيانه عنـد حجاجه حول ما ذكرناه عنهم و لم يبين بيانهم و لا بلغ غايتهم، فلذلك جعل تابعا لهم و إذ قد أتينا على مآلهم بأتم اسـتقصاد، فإنّا نشـتغل بالكلام عليهم، و إن كان فيما قدّمناه قد صورنا خطأهم تصويرا يغنى عن مقايستهم و محاجّتهم.

ذكر بعض المنطقيين أنّ الزمـان فى الحقيقه معـدوم الـذّات، و احتـج بـأنّ الوجود للشـى ء إمّـا أن يكون بعـامه أجزائه كالخـط و السّـطح أو بجزء من أجزائه كالعدد و القول، و ليس يخفى علينا أنّ الزّمان ليس يوجد بعامه أجزائه إذ الماضـى منه قد تلاشـى و اضـمحلّ، و الغـابر منه لم يتمّ حصـوله بعـد و ليس يصـح أيضـا أن يكـون وجـوده بجزء من أجزائه إذ الآـن فى الحقيقه هـو حدّ الزّمانين و ليس بجزء من الزّمان، و كيف يجوز أن يعد جزءا و لسنا نشك أنّ حقيقه الجزء هو أن يكون مقدارا له نسبه إلى كلّه، كـأن يكون جزءا من مـائه جزء، أو أقل أو أكثر، فأما أن يتوهّم جزء على الإطلاق غير مناسب لكلّه فممتنع محال و ليس الآن فى ذاته بـذى قـدر مناسب لما يفوض من الزّمان الآتى و الماضـى، و لو وجـد له قـدر ما لصـلح أن يجعل قدره عيارا يمسح به الكلّ حسب جواز ذلك على كافه ما يعد جزءا من الشّـى ء و إذا لم يكن الآن فى جوهره ذا مقدار أصلا، و الجزء من الشى ء لا يجوز أن يعرى من المقـدار، فليس الآن بجزء من الزّمان، و إذا كان الأمر على ذلك فالزّمان إذا ليس يصح وجوده لا بعامه أجزائه و لا ببعض أجزائه، و إن شـيئا يكون طبـاعه بحيث لا يوجـد بأجزائه كلّها و لا ببعض منها فمن المحال أن يلحق بجمله الموجودات، و إذا كـان ذات الزّمـان غير موجود أصـلا فليس بجـائز أن نعـده فى الكميـات، فـإنّ مـا لا وجود له لا آنيه له، و الـذى لا آنيه له لا يوصف بوقوعه تحت شى ء من المقولات.

و قولهم فى الزّمان هو المـده التى تفهم قبل و بعـد أجلها، فإن كان المراد أنّ قول القائل: قبل و بعـد يفيـد أنّ تقـدّم المـذكور و تـأخره من غير أن ثبت بهمـا جـوهران ليسـا بجسم، و لاـ يفنيـان و لاـ يجوز أن يخلق اللّه شـيئا من دونهمـا فهو صـحيح، و يكون سبيلهمـا سبيـل لفـظ مع إفادتهمـا معنى الصّـحبه إذا قلت زيـد مع عمرو، و كما تقول للأعيان أحوال ثم لا تصـفها بأكثر من تميز بعضها عن بعض بها، و إن أريد بقبل و بعد غير ذلك فقد تقدّم القول فى بطلانه

و بطلان ما قالوه فی الخلاء و المکان، علی أنا نقول معیدین علیهم إن أردتم أنّ المکان یکون المتمکّن و إن لم یوجد الجسم لم یوجد المکان لأنه قائم بالجسم، و لیس بشی ء ذی وجود فی نفسه فهو صحیح، و إن أردتم للمکان جوهرا یبقی إذا ارتفع المتمکن، و أنّ الذی بطل بارتفاعه هو النّسبه إلیه و الإضافه، و یبقی المکان المطلق مکانا کما کان و هو الخلاء الفارغ و لیس فیه جسم فهذا إحاله علی شی ء لا الإدراک یثبته و لا الوهم یتصوّره. فإن قالوا: المکان حینئذ یکون مکان ما یمکن أن یکون فیه کالزّق الخالی من الشّراب، فإنّه مکان الشّراب الذی یمکن أن یکون فیه.

قلنا: صور فی وهمنا من الخلاء مثل ما نتصوّره إذا توهّمنا الزّق و الشّراب و ذلک مما لا یقدرون علیه، لأنّ کلامهم فارغ لا یفضی إلی معنی محصل، و أیضا فإنّ الأجسام لا یخلو من أن تکون ثقیله فترسب، أو خفیفه فتطفو، و الخلاء عندهم لیس بثقیل و لا خفیف، فیلزمهم أن یکون النقطه هی الخلاء لأنّها لیست بثقیله و لا خفیفه، و یلزمهم علی قولهم بأن المتحرک لا یتحرک إلا فی الخلاء أن یتحرک أبدا و لا یستقر إذا لم یوجد شی ء یضاده أو یسکن دائما فلا یتحرّک إذ لا سبب هناک یوجب تحرکه، أو إذا تحرّک فی الخلاء أن یتحرک إلی جمیع الجهات و لا یختص بجهه دون جهه لأنّ الخلاء کذلک. فإن قالوا: إن الذی تسمیه خلاء هو الهواء، أسقط قولهم بأن الهواء یقبل اللّون و یؤدی الصّوت و الخلاء لیس کذلک و هذا بیّن.

و أعجب من هذا أن الباری مخترع لجمیع ما خلقه و أنه لا یعجزه مطلوب و لا ینکاده معلوم، ثم أقاموا معه فی الأزل الهیولی و هو الماده، و رتّبوا معه الصوره لیکون جمیع ذلک کالنّجار و الخشب و النّجاره و اللّه تعالی یقول: قُلْ أَ إِنَّکُمْ لَتَکْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ [سوره فصلت، الآیه: ۹] إلی قوله: ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ [سوره فصّلت، الآیه: ۱۲] و لم یقل ذلک إلا و أهل العلم إذا فکّروا فیه أدرکوا منه الآیه البیّنه و الحجّه الواضحه، و بیّنوا أنه لیس فی العالم شی ء إلا و هو منتقص غیر کامل، و ذلک هو الدّلیل علی أنه مقهور لا یستغنی به، و لا بدّ له من قاهر لا یشبهه و لا یوصف بصفاته علی حدّها، لأن ذلک آیه الخلق و آیه الخلق لا تکون فی الخالق.

فصل آخر یزداد النّاظر فیه و العارف به استبصارا فیما وضع الباب له

اعلم أنّ الاستدلال بالشّاهد علی الغائب هو الأصل فی المعرفه بالتّوحید و حدوث الأجسام لا یعرف ببداهه العقل و لا بالمشاهده لأنّه لو عرف ذلک لاستوی العقلاء فی معرفته کما استووا فیما شاهدوه، و إنما یتهیأ أن یعرف بما علم من تعاقب الأعراض المتضادّه علیها، و إنّما لا تنفک منها علی حدوثها إلا بمشاهده الأجسام و إذا ثبت حدوث الأجسام فلا

بدّ لها من محدث لا يشبهها، و إذا ثبت ذلک صح أنّ الفاعل للأجسام لا تحلّه الحوادث و أنه سابق لها غير مشبه لها و الحوادث غير مشبهه له.

ثم دلّ خلقه للأجسام أنه قادر حیّ كما دلّت أفعال الأجسام فی الشّاهد أنّها حيّه قادره عالمه و أنّها لو لم تكن كذلک لم تكن فاعله فلما لم يدلّنا على أن الأجسام حيه قادره إلا أفعالها، إذ كانت حياتها و قدرتها لا تشاهد، دلّتنا أفعال اللّه تعالى أيضا على أنه حى قادر، و وجب أن يكون عالما لوجود أفعال محكمه، إذ كانت أفعال الأجسام فى الشّاهد إذ كانت محكمه دلّت على أنّها عالمه و لا يدل على علمها غير أفعالها، إذ كان العلم لا يدرک و لا يشاهد.

و لما دلنا جواز الموت على الأجسام نفى الشّاهد و العجز و الجهل دلّنا ذلک على أنهم إنما كانوا أحياء قادرين بحياه و قدره، و عالمين بعلم، و هذه الأشياء هى غيرهم فلهذا جاز زوالها عنهم و حدوث أضدادها بدلا منها فيهم. و لما كان القديم تعالى لا يجوز شی ء من ذلک عليه وجب بدلاله الشّاهد أنه حيّ بنفسه عالم و لما كان الجسم فی الشّاهد بالتأليف يصير جسما، و نعلمه جسما لم يجز أن يكون جسما فصحّ بهذا أن التّوحيد لا يعرف إلا بدلاله الشّاهد، و كذلک طريق صدق الرّسل لأنه لا يعرف بالمشاهده و لا ببداهه العقل، و لو عرف بذلک لاستوى النّاس جميعا فيه، و إذا كان كذلک فإنّما يعرف بالآيات المعجزات، و لا يعرف ذلک إلا باعتبار أمر الشّاهد و حمل الغائب عليه فاعلمه.

و استدلّ أبو القاسم البلخی على أنّ القديم واحد بأن قال: قد ثبت أنّ المحدثات لا بدّ لها من محدث، فمن هذا الطّريق قد بان أنّ هاهنا صانعا لا بدّ منه و لا أقل من واحد فلذلک نعلمه يقينا و أنّه واحد، و أمّا ما عداه مشكوک فيه فلا يتخطاه إلّا بدليل و هذا قريب صحيح.

انتهى الباب و اللّه محمود على ما سهّله و وفقنا له من تحقيق ما أردنا تحقيقه من شرح فضائحهم و إثاره مقابحهم، و الرّد عليهم فی أصول دعاويهم و فروعها و مسئول إيزاعنا شكر نعمته وصله سعينا بمرضاته.

الباب الثالث و يشتمل على بيان اللّيل و النّهار

اشاره

على فصول من الأعراب يتعلّق بهما و هى ظروف

الفصل الأوّل [فى بيان معنى الليل و النهار]

قال الأصمعى أتيته ليلا و قعلته نهارا. قال تعالى: وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَ بِاللَّيْلِ [سوره الصافات، الآيه: ١٣٧] فقوله: باللّيل خلاف الإصباح. و اعلم أنّ قوله:

وَ بِاللَّيْلِ موضعه نصب على الحال كأنه قال: تمرّون عليهم مصبحين و مظلمين أى داخلين فى الظّلام، فأوقع اللّيل على الجزء الذى فيه الظّلام من اللّيل، و إن كان فى الحقيقه للجنس. و اليوم بإزاء اللّيله يقال: جئتك اليوم و أجيئك اللّيله و يقال: أتيته ظلاما أى ليلا و مع الظّلام. و قال يعقوب: الظّلام أول اللّيل و إن كان مقمرا. و حكى بعضهم أتيته ظلاما أى عند غيبوبه الشّمس إلى صلاه المغرب و هو دخول اللّيل، و هذا يؤيد ما حكاه يعقوب و كأنه جعله الوقت الذى من شأنه أن يظلم، و يقولون: عم ظلاما، كما يقولون: عم صباحا و يقال: نهار أنهر و ليل أليل و ليله ليلاء و قال الفرزدق: و اللّيل مختلط الغياطل أليل. و أنشد المفضل:

مروان مروان أخو اليوم اليمى

قال سيبويه: أراد اليوم فقلب و قدّم الميم و قيل: بل حذف العين تخفيفا و أطلق الميم إطلاقا.

و قال شيخنا أبو على الفارسى: وقت قراءتى عليه هذا الموضع من الكتاب و فى حاشيه نسختى: أخى اليوم اليوم، فاستغربه و قال: يريد أنه بطل يبارز أقرانه و يقول لهم: اليوم اليوم أو هو صاحب هذا اللّفظ فى ذلك الوقت و فى هذا الوجه قلب أيضا و قولهم: يوم فى أبنيه الأسماء غريب نادر، لأن فاءه ياء و عينه واو و مثله فى المبانى يوح اسم للشّمس و باب اليون بالشام.

و قد ذكره ابن الرّقيات فى قصيده يمدح بها عبد العزيز بن مروان أعنى ابن ليلى عبد

العزيز. بباب اليون تغدو جفانه ردما. و قال هميان بن قحافه: فصدقت تحسب ليلا لأيلا.

فقال لأيل و إنما يصفون بما يشتق من لفظ الموصوف بيانا للمبالغه و تنبها عليها على ذلک قولهم ظلّ ظليل، و داهيه دهياء و ما أشبهها. و يقال استأجرته مياومه و ملايله إذا قدر أجرته يوما يوما و ليله ليله.

و حكى أبو عبيده أنّ العرب لا تقول إلا مشاهره، فأما معاويه و مياومه و ما أشبههما فليست من كلام العرب، و إنما هى قياس على المسموع منهم، و يقال: يوم و أيام، و الأصل أيوام لكن الواو و الياء إذا اجتمعا فأيّهما سبق الآخر بالسّكون يقلب الواو ياء و يدغم الأوّل فى الثانى، إلا أن يمنع مانع على ذلک قولهم سيّد و ميّت لأنّهما فيعل من ساد و مات، و الأصل سيود و ميوت هذا فيما السّابق فيه ياء و مما السّابق فيه واو قالوا كويته كيا، و لويته ليا لأن الأصل كوى و لوى و كذلک قولهم أمنيه و ازبيه و قولى إلا أن يمنع مانع احتراز من مثل قولهم: ديوان لأن أصله دووان، ففرّوا من التّضعيف و أبدلوا من إحدى الواوين ياء. فلو طلبوا الإدغام للواو لعادوا من التضعيف مثل ما فروا منه، و مثله سوير و بويع و مثله لوى و رويه إذا خفف همزتاهما، لأنّ الواو فى جميعها لا يلزم، فلم يعتدوا بها واوا.

أ لا ترى أنّها سوير، و بويع منقلبه عن الألف فى سائر و بائع. و فى رويه و نوى مبدلتان من همزه و تلک الهمزه ثابته فى النّيه، و إذا كان كذلک فحكم الواو فيها حكم الألف و الهمزه، فأما ضيون و حيوه فشاذتان عن الاستعمال و متبهتان على أصل بالباب المرفوض على عادتهم فى أمثالها و النّهار و اللّيل لا يجمعان إلا أن يذهب إلى بياض كلّ يوم، و سواد كلّ ليله، فتصورت بينها خلافا لأنّک حينئذ تجمع للاختلاف الدّاخل فى الجنس فيقال: أليال و أليل و أنهر و نهر و على هذا قول الشاعر شعرا:

لو لا الثريدان هلكنا بالضّمرثريد(۱) ليل و ثريد بالنّهر

و الذى يكشف لک أنّ اللّيل و النّهار لا يجمعان أنّ سيبويه قال: لا يجوز أن يقول القائل: إذا كان الليل فاتنى و لا أن يقول: إذا كان النّهار فاتنى لأنهما لا يكونان ظرفين إلا أن يعنى بهما كلّ اللّيل و النّهار. و إذا كانا كذلک فسبيلهما سبيل الدهر فكما لا تقول: إذا كان الدّهر فاتنى كذلک يمتنع فى اللّيل و النّهار و يقال: رجل ليلى و رجل نهارى إذا نسبت، و نهرى أيضا و هذا كما بنوا للنّسبه فاعل و فعال مثل تاجر و لابن و بزّاز و ثمّار و أنشده:

لست بليلى و لكنى نهرمتى أتى الصّبح فإنى منتشر

۱- أثرد الخبز: فتّته ثم بلّه بالمرق.

لا أدلج(۱) اللّيـل و لكن أبتكر و يقـال: ليله و ليـال فكأنها جمعت على ليلات و إن لم يسـتعمل و مثله أهال و فى جمع أهل و إنما هو فى تقـدير أهلى، و على هـذا قـالوا فى التّصـغير ليله و القياس فى جمع ليله ليلاء ليال ليل و الأصل لول لأنه فعل مثل حمراء و حمر، لكنّهم حـاموا على اليـاء لئلاـ يلتبس بنـات اليـاء ببنـات الواو، و مثله قولهم بيض و عين فى جمع بيضـاء و عيناء و ما أنشـده الكسائى من قول الكميت:

و لدنک و البدر ابن عائشه التى أضاء ابنها مستحلكات اللّيايل

فإنه أراد اللّيالى، فقلب، و قدم الياء فلما و ليت الألف همزت كما قيل: صحايف و مثله فيما قلبوه ترقوه و ترائق و الأصل تراقى.

و اعلم أنّهم يتوسّـعون فى ذكرهم اليوم، و اللّيله أ لا تراهم يقولون: فلان اليوم يعـد من الرؤساء و كان فى الدّهر الأول على كذا، و اليوم هو خلافه، و إنما يعنون الزّمان و كما قال تعالى: فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَهٍ مِمَّا تَعُدُّونَ [سوره السجده، الآيه: ۵] يعنى القيامه، و ليس ما أشار إليه من صوره ما نعدّه فى شى ء و قال الشّاعر:

يومان يوم مقامات و أنديهو يوم سير إلى الأعداء تأويب

فقسم دهره يومين، و يقـال: الناس أغراض اللّيالى و يراد الأحـداث و مثله من الـذى يسـلم على الليالى و الأيام فأما قوله تعالى: وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً [سوره الأنفال، الآيه: ۱۶] فـاليوم يعم أجزاء اللّيـل و النّهـار، و الزّجر به حاصل فى كل جزء من أجزاء الزّمان و على هذا قوله:

يا حبذا العرصات يوما فى ليال مقمرات

يريـد وقتا و زمانا فى ليال و كـذلک قوله تعالى: وَ تِلْکَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ [سوره آل عمران، الآيه: ۱۴۰] أى نجعل الدّول فى الأزمان فتحول و تنقل بين الناس على حسب اسـتحقاقهم أو سـببا لامتحانهم. و قد سمّت العرب وقعاتها أياما فيقولون لنا: يوم كذا و يوم كذا، و ساغ ذلک لوقوعها فيها.

فصل آخر [فى بيان قوله اللّيله لليلتک التى أنت فيها، و البارحه لليله يومک الذى أنت فيه]

يقال: اللّيله لليلتک التى أنت فيها، و البارحه لليله يومک الذى أنت فيه، و قد مضت

۱- أدلج: سار اللّيل كلّه أو فى آخره.

و هى من برحت أى انقضت، و منه ما برحت أفعل كذا، و أصله البراح، من المكان و قال الفراء: برحت بالفتح مضت و يقال: برح الخفاء أى زال و منه البارحه و قال قطرب: لا- يقال بارحه الأولى لأنّ الشى ء لا يضاف إلى نفسه، و لا إلى نعته و الجمع البوارح.

و ذكر بعض شيوخنا أنّ قوله: لا أبرح بمعنى لا أنال و لا يجوز أن يكون أصله من البراح من المكان بدلاله قوله تعالى: وَ إِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ [سوره الكهف، الآيه: ۶۰] أ لا ترى أنّه محال أن يبلغ مجمع البحرين و هو لم يبرح من مكانه قال: و إذا لم يستعمل أبرح إلا على أحد هذين الوجهين و بطل أحدهما ثبت الآخر، و يمكن أن يقال فى جوابه معنى لا أبرح حتى أبلغ أى لا أتجاوز هذا الطريق و لا أعدل عن سلوكه و سمته حتى أبلغ هذا المكان، فخذف الطريق و هذا كما يقال: لم أبرح بلد كذا حتّى فعلت كذا و إن كان ينقل فى البلد لأنّ المعنى لم أتغيب و يشهد لهذا أنه لا يستعمل ما برح فى اللّه تعالى لأنّه لا يقال: لم يبرح اللّه قادرا فلو كان لم يبرح بمعنى لم يزل حتى لا فرق بينهما لما امتنع مما دخله، و إذ قد امتنع فلأنه لا يجى ء إلا و أصله البراح من المكان ذكر أو لم يذكر و ذلك لا يجوز على القديم تعالى.

و اعلم أنّ هذه الكلمه فى اللغه مدارها الأكثر على التّجاوز، من ذلك قال الأعشى:

أبرحت ربا و أبرحت جارا أى جاوزت ما عليه أمثالك فى الخلال المرضيه، و البارحه الأولى التى قبل البارحه، و جمع البارحه البوارح، و لم يتجاوزوا ذلك. و أمّا الفائده فما يستقبل بعد ليلتك التى أنت فيها و كأنها مأخوذه من الاستقبال و يقال: قبلت الوادى أقبله إذا استقبلته و يقال: آتيك القابله و المقبله كما يقال: عام قابل و مقبل و أنشد:

أقبلتها الخلّ من حوران مجتهداإنى لأزرى عليها و هى تنطلق

و يقال فعلته ليلا و نهارا أى ضياء و ظلاما، غير مخصوص بوقت معلوم، و فعلته يوما و ليله يريد أنّ من جمله الزّمان ما تنحصر بهذا القدر و ربما جعل بعض أجزاء الليله ليلا و جعل اللّيل لليله واحده قال:

و ودّ الليل زيد إليه ليل و لم يخلق له أبد النّهار

و لم يرد الجنس لأنّ الجنس يستوعب الأوقات، فلا يزاد للأمثله و كذلك قوله: إنى إذا ما اللّيل كان ليلتين، أراد كل واحد من الشّاعرين ليله واحده و أنها فى طولها كانت أوقاتها و ساعاتها لتطاولها و امتدادها و مقاساه ما يعانى منها كليلتين. و غرض الشاعر أن يصف طول ليلته أى كأنها فى طولها مضاعفه متزايده، و إذا جعل اللّيل جنسا فسد المعنى أيضا؛ لأن اللّيل المستوعب لأجزاء جنس اللّيل إذا قيل فيه كان ليلتين و حصر بما يقع فيه التّنبيه من

أجزائه عاد نقصانا لا تضعيفا و قوله تعالى: وَ سَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا [سوره الإنسان، الآيه: ٢۶] المراد به أجزاء ليله طويله من اللّيل لأنه لو أريد الجنس لما صحّ فيه ذكر الطّول و للزم التّسبيح ليله طويله دون ليله قصيره، و إذا أريد الجزء من اللّيل فى كلّ ليله فهو أمر بالتّسبيح جزءا طويلا و أجزاء طوالا.

و قال بعضهم فى قوله تعالى: وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ [سوره إبراهيم، الآيه: ۵] أى بنعمه، و الكوفيون رووا اللّيل ليلك، و اليوم يومك، و يراد به الوقت وقتك، و يقال: الليل ليلك و اليوم يومك، فيجعلون الأولى ظرفا للثانيه، و جعلوا الثّانى جزءا منه لأنّ الظرف وعاء مستوعب، فيجب أن يكون أوسع من ذى الظرف ليوعبه و يشتمل عليه كما يحوى الوعاء ما ضمنه، و أما قوله تعالى: فَأَسْرِ بِعِبادِي لَيْلًا [سوره الدخان، الآيه: ٢٣] و قد علمنا أن السّرى لا يكون إلا ليلا، فالمراد فى جوف اللّيل، و لو قال: فأسر بعبادى، و لم يقل ليلا- لكان مطلقا فى أول اللّيل و آخره و ما بينهما، أ لا ترى أنك تقول: جاءنى فلان البارحه بليل، فيكون المعنى فى استحكام اللّيل، و قد يجى ء ما لا يحتاج فيه إلى تأكيد، تقول: أدلجت فيكون المعنى سرت فى أول الليل، و لو قال: أدلجت فى أوّل اللّيل لساغ فيكون تأكيدا كتكرير الاسم أو الفعل قال زهير شعرا:

بكرن بكورا و استحرن بسحرهفهن لوادى الرّسّ كاليد للفم

فقوله بسحره بكور على وجهين: أحدهما أن يكون الإدلاج لآخر اللّيل و بكرن للسّحر و غيره، فإذا قال بسحره فقد بين أىّ الوقت من آخر الليل، و يكون توكيدا محضا قال تعالى:

فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ* [سوره هود، الآيه: ٨١] على هذا و العرب يقول: أتيتك بقطع من اللّيل، و بعد وهن من اللّيل إذا دخلت فى استحكامه، فأمّا قول ضمره شعرا:

بكرت تلومك بعد وهن فى النّدى سهل عليك ملامتى و عتابى

فقال: بكرت ثم قال بعد وهن، و الوهن لا- يكون إلا- ليلا فالمعنى أول ذلك الوقت و قولهم: بكر عليه إذا لم يسمّ الوقت فإنّما يعنى جاء فى أوله ليلا كان أو نهارا، و بها سميّت الباكوره من الثمر و إن لم تذكر وقتا، و قلت أتانا بكره فإنّما تأويل ذلك أوّل النّهار لا غير، هذا المستعمل بلا شرط، و ما تقدم فإن تذكر ما يدل عليه و كذلك اليوم إذا كان مطلقا إنما تعنى به النّهار دون اللّيل و الألف و اللام يدل على يومك، إلا أن تصله بغيره فتقول: رأيته اليوم الذى مضى.

فصل آخر [فى بيان معنى البكره و العشى]

قوله تعالى: وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَ عَشِيًّا [سوره مريم، الآيه: ۶٢] يريد على ما

اعتادوا فى الدّنيا و البكره ما اتصل بما قبله من الليل، و العشى ما يتصل به اللّيل و لا ليل فى الجنه و لكن على ما ألفوا فى الدّنيا و تعودوه من الأوقات و مثله قوله تعالى: كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً [سوره الإسراء، الآيه: ۹۷] و لا خبو لنار المعاد و لكن عند ما علم من خبو نـار الـدنيا و انقضاء تصرّمها يجـدد لأولئک العـذاب، فأما قولهم المبكر فهو ما جاء فى أوّل الوقت و ليس هو من بكور الغـداه. و منه قوله عليه السـلام: «بكروا بصـلاه المغرب» و التبكير أول أوقـات الصّـِلاه. و منه قوله عليه السـلام: «من بكّر و ابتكر» فبكر يكون لأول ساعات النّهار و يكون لأول وقت من الزّوال و ابتكر لا يكون لأوّل ساعات النهار.

قال أبو العباس ثعلب: يجوز فى قوله: ابتكر أسـرع إلى الخطبه حتى يكون أول دان و سامع، كما تقول ابتكرت الخطبه و القصيده أى اقتضبتها و ارتجلتها ابتداء لم أرد فيه و قول الفرزدق: إبكار كرم تقطف فالمراد حملت أول حملها و أنشدنى شيخنا أبو على، قال أنشدنى أبو بكر السّراج لعنتره العبسى:

إن كنت أزمعت الفراق فإنمازمت جمالكم بليل مظلم

قـال يقول: إنّـک ابنه ملـک فلاـ يرحل بک إلّا ليلا فلـذلک خفى. قال: و يجوز أن يكون المعنى إن كنت أظهرت رحلتک الآن فإنما وقع العزم عليه ليلا، كما قال الحارث بن جلزه شعرا:

أجمعوا أمرهم بليل فلمّاأصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

كان المراد أمرهم فى الارتحال دبر بليل و لم يكن فلته. و قول الشاعر عمرو ابن كلثوم شعرا:

و أيام لنا غرّ طوال عصينا الملک فيها أن ندينا

أراد الأوقات لأنّ معصـيتهم للملک كانت فى اللّيل و النّهار، فإن قلت: كيف تكون اللّيالى غرا إلا ما يـذكر من ليالى الشّـهر يقال ثلاث غرر و ذلک لبياضها بدوام القمر فيها؟

قيل: لم يرد بالغر بياض الوقت و وضوحه بضـياء شمس أو قمر إنما أراد إسفاره و إشراقه و اشتهاره فى مواطن الشّرف و المجد و السّنا و الافتخار، و حميد البلاء، و حسن الآثار و لقاح الغرّه و امتناع الجانب على من يأتيهم و كذلک قول القائل شعرا:

و أيامنا مشهوره فى عدوّنالها غرر معلومه و حجول

و يجوز أن يريـد فى الأوّل بالغر أيضا بياض المقاديم كغرّه الفرس، فأما قولهم: أيامنا طابت ببلد كذا و المراد لياليها، فهو من هذا و لـذلک قيـل: لو أن إنسانا قال: عبـدى حر لوجه اللّه يوم يقـدم علينا فلان أنه يعتق و إن قـدم ليلا، و على هـذا قوله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

دِينَكُمْ [سوره المائده، الآیه: ٣] قيل: أراد يوما بعينه و قيل: أراد زمنا و وقتا قال الدّريدى:

و العرب تقول: كيف أصبحت من نصف اللّيل الآخر إلى نصف النهار؟ و كيف أمسيت من الزّوال إلى نصف الليل؟ و يقولون: فى يومك كان اللّيله كذا إلى الزّوال، فإذا أزالت الشّمس قالوا كان البارحه. و حدّث الجمحى قال: تقول العرب: صبّحتك الأنعمه بطيبات الأطعمه.

و حدّث أبو العباس المبرّد قال: أنشدنى المازنى عن أبى زيد:

كيف أصبحت كيف أمسيت ممّايثبت الودّ فى وداد الكريم

قال: المعنى و كيف أمسيت قال: و يقول العرب فى مثله: ضربت زيدا عمرا لا يريدون بدل الغلط و لكن يريدون الواو. قال: و لو طال الكلام لكان أحسن مثل ضربت زيدا و أحسنت فى ذاك عمر، أو معنى البيت أن كلّ واحده من هاتين اللفظتين و التّحيّتين تغرس الود للمحيى بهما فى قلب المحىّ، و مما استعمل من هذا الباب ظرفا و لم يستعمل اسما قولهم: إنه ليسار عليه صباح مساء معناه: صباحا و مساء و هذا عكس قولهم اللّيل إذا أرادوا به ليل ليله، لأنّ اللّيل أوقع فيه اسم الجنس على الواحد منه، و هذا أوقع فيه الواحد موقع الجنس و الكثره.

الباب الرّابع فی ذکر ابتداء الزّمان و أقسامه

و التّنبیه علی مبادئ السّنه فی المذاهب کلّها و ما یشاکل ذلک من تقسیمها علی البروج یقال: إن اللّه تعالی خلق الخلق کلّه و الشّمس برأس الحمل و الزّمان معتدل و اللّیل و النّهار مستویان، فأوّل الأزمنه فصل الصیف، و هو الذی یدعوه النّاس الربیع و منه ابتداء سنه الفرس فکلما حلّت الشّمس برأس الحمل فقد مضت للعالم سنه عندهم، قال ابن قتیبه:

و لذلک قال أبو نواس شعرا:

أما تری الشّمس حلّت الحملاو قام وزن الزّمان فاعتدلا

و غنّت الطیر بعد عجمتهاو استوفت الخمر حولها کملا

لأن مراده استوفت الخمر حول الشّمس کملا فالهاء فی قوله: حولها کنایه عن الشّمس قد مضی ذکرها، قال ثعلب: حولها تقلبها من حال إلی حال.

و قال المبرد: من ابتداء إبراق الکرم إلی استحکام العنب سته أشهر، و من استحکام العنب إلی استحکام الخمر سته أشهر، و ذلک عند حلول الشّمس برأس الحمل فلذلک حول. و قال بعضهم: حول الخمر سته أشهر و الضّمیر لها فهذا ما فی هذا و قد قال أبو نواس فی قصیده أخری أوّلها شعرا:

أعطتک ریحانها العفارو حان من لیلک السّفار

ثم قال:

تحیّرت و النّجوم وقف لم یتمکّن لها المدار

و فی هذا البیت معنی لطیف ملیح و ذلک أن أصحاب النّجوم و الحساب یقولون: إنّ اللّه تعالی حین خلق النّجوم و جعلها واقعه فی برج، ثم سیّرها من هناک، فیرید أنّ هذه الخمره

تخيرت فى وقت خلق اللّه تعالى الأفلاك، و الرّوم تجعل ابتداء سنتها من الخريف، و هو زمان الاعتدال و الاستواء أيضا، فكلّما حلّت الشّمس برأس الميزان فقد مضت سنه للعالم عندهم، و العرب تجعل السّنه نصفين شتاء و صيفا و تبدأ بالشّتاء فتقدمه على الصّيف كأنّها تعمد على أنّ مبادئ الأقوات فيه و أوائل النّماء فى العالم منه، ثم أوّل الصّيف داخل عليه واصل و ما بعده مزلق منه و فيه يستقبل الأمور و يفتح لأنواع الخلق التدبير و يزدوج الأسباب و تلقح السّحاب و يحيى الأرض بعد موتها و ينشر النّبات غب اندفانها و إلى هذا أشار أبو تمام فى قوله:

لو لم تكن غرس الشّتاء بكفّه لاقى المصيف هشايما لا تثمر

و يشهد لذلك تقديم اللّه تعالى الشّتاء على الصّيف حين ذكر رحلتى قريش للتّجاره و امتنّ عليهم بما مكن لهم فى النّفوس من الإجلال و المهابه لكونهم قطان الحرم و أرباب الأشهر الحرم، حتى أمنوا الزّمان، و كانت العرب من غلب سلب فقال: لِإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَ الصَّيْفِ [سوره قريش، الآيه: ۱- ۲].

فابتداء الشّتاء و هو النّصف الأول من السنّه من حين ابتداء النّهار فى الزياده، و ذلك لحلول الشّمس برأس الجدى و فى برجه إلى انتهائه فى الطّول و ذلك لحلول الشّمس فى برج السّرطان، و ابتداء الصّيف و هو النّصف الثّانى من السّنه من حين ابتداء النّهار فى النّقصان، و ذلك لحلول الشّمس فى برج السرطان إلى حين انتهائه فى القصر، و ذلك لحلول الشّمس فى برج الجدى و يقسمون الشّتاء نصفين.

و الصّيف أيضا نصفين، و منتصف كل واحد منهما استواء اللّيل و النّهار و الاستواء الذى يكون فى نصف الشّتاء يسمّى الاستواء الرّبيعى و هو لحلول الشّمس فى برج الحمل، لأنّ الشتاء كله ربيع عندهم من أجل النّدى، و لذلك تسميه الرّبيعين الأول ربيع الماء و الثّانى ربيع النّبات، و الاستواء الذى يكون فى نصف الصّيف يسمّى الاستواء الخريفى، و ذلك لحلول الشّمس فى الميزان فهذه أرباع السّنه و فصولها الشّتاء و الرّبيع و الصّيف و الخريف، و لكلّ فصل من فصول السنه ثلاثه أبراج من البروج الاثنى عشر لأنها ثلاثه أشهر.

فبروج الشّتاء الجدى و الدلو و الحوت، و بروج الربيع الحمل و الثّور و الجوزاء، و بروج الصّيف: السرطان و الأسد و السّنبله. و بروج الخريف: الميزان، و العقرب و القوس. و أوائل بروج هذه الفصول تسمّى منقلبه و هى الجدى و الحمل و السرطان و الميزان، لأنّ فى أوائل هذه الفصول ينقلب الزّمان من طبيعه إلى طبيعه. و أوساطها و هى الدّلو و الثّور- و الأسد- و العقرب- تسمى ثابته لأن فى أوساط الفصول تثبت طبائع الزّمان على حدّها و أواخرها و هى

الحوت- و الجوزاء- و السّنبله- و القوس- تسمّى ذوات جسدين لامتزاج طبيعه كل فصل بطبيعه الفصل الذى يليه. و ذكر بعضهم أنّ أهل الحجاز يجعل للسنّه سته فصول و سميا و شتاء و ربيعا فهذه أزمنه الشتاء و صيفا و حميما و خريفا فهذه أزمنه الصّيف.

و اعلم أنهم يبدءون من الأوقات باللّيل كما يبتدئون من الزّمان بالشّتاء و لذلك صار التاريخ به من دون النّهار، و إنّما كان عندهم كذلك لأن الظّلمه الأول و الضّياء داخل فيه و كل معتبرهم بمسير القمر فمستهلّه جنح العشاء و طلوعه تحت البيات. فلولا أنّ نوره و نور الشّمس يجلوان الهواء لكان الظّلام راكدا فهو أقدم ميلادا و أسبق أوانا، و ألذّ استمتاعا، و أوثر مهادا و أغزر مطرا، و أروى سحابا، و أندى ظلا، و أهول جنانا، و أطيب نسيما، و أفضل أعمالا. و لذلك قدمه اللّه تعالى فى رتبه الذّكر و رتبه الوصف فقال تعالى: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً [سوره النّبأ، الآيه: ۱۰- ۱۱] فرتبه الذّكر ظاهره من التّلاوه كما ترى، و رتبه الوصف أن السّكن و اللّباس مقدمان على السّبح و المعاش فى متصرفات الأنام.

ثم بعد ذلك هما أخو الهدو و القرار اللّذين منهما يبتدئ النّشاء و النّماء. و قال تعالى عند الأقسام بالزمان: وَ اللَّيْلِ إِذا يَغْشى وَ النَّهارِ إِذا تَجَلَّى [سوره الليل، الآيتان: ۱- ۲] وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً [سوره الإسراء، الآيه: ۱۲] فلا موضع أجرى ذكرهما إلا و اللّيل مقدّم، ثم فضل تبتيل المجتهد و ترتيل القارئ، و ابتهال المستغفر فيه على ما يكون منها فى غيره فقال تعالى: وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ [سوره آل عمران، الآيه: ۱۷] و فى موضع آخر: وَ بِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [سوره الذاريات، الآيه: ۱۸] إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِيلًا [سوره المزمل، الآيه: ۶] كلّ ذلك لأنه الأول المقدم، و الأصل الموصل، و الأوان الممهد للرّاحه و الوقت الموجه للرّفاهيه، و كذلك قالوا عند المدح: ما أمره عليه بغمه و لا ليله عليه بسرمد. و قال النابغه:

فإنّك كاللّيل الذى هو مدركى و إن خلت أنّ المنتأى عنك واسع

فقال: كاللّيل و لم يقل كالصّبح و إن كان المغر من كل لا يطاق و قال بعضهم: إنما قال كاللّيل لأنه كان عليه غضبان. و قد قيل اللّيل أخفى للويل و أخذ الفرزدق قول النّابغه هذا شعرا:

و لو حملتنى الريح ثم طلبتنى لكنت كشى ء أدركته مقادره

جعل الرّيح بإزاء اللّيل و اللّيل أعم، و المستحسن قول النبى صلى اللّه عليه و سلم: «نصرت بالرّعب و جعل رزقى تحت ظل رمحى، و ليدخلن هذا الدّين على ما دخل عليه اللّيل» يعنى الإسلام،

و كما نـدب المتعبـد إلى التقرب فيه إليه. و قال اللّه تعالى للنبى صـلى اللّه عليه و سـلم: وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسـى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً [سوره الإسراء، الآيه: ۷۹] أنبأ عن نفسه تعالى بمثله فيما يبرمه، و يقضـيه، فقال تعالى: فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ [سوره الدخان، الآيه: ۴] يعنى فى ليله القدر التى هى خير من ألف شهر.

ثم قال الناس: هذا أمر دبّر بليل، و ثبت الرأى، و هذا رأى مبيت و ليس القصد تفضـيل اللّيل على النّهار، و إنما المراد التّنبيه على سبقه و على إصابه العرب فى تقديمه، و قد تكلّمنا فى تصـحيح طريقه العرب فيما قدّمناه من الآى التى شـرحناها عند قوله تعالى: وَ آيَهٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهـارَ فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ [سوره يس، الآيه: ۳۷] و ما يقتضـيه لفظه السّـلخ بكلام بين، و ذكر أبو حنيفه الدّينورى عن غير واحد من علماء الرّوايه أن العرب تبدأ فتقسم السّـنه نصـفين شـتاء و صيفا، و تقدم الشّتاء على الصّيف و تجعله أول القسمين و هذا ضد صنيع الجمهور من أهل القرار و علماء الحساب، لأنهم يقدّمون الصّيف على الشّتاء.

و قـد كان بين أهل العلم اختلاف قديما فى أنه أى أرباع السّـنه أولى بالتّقديم حتى رأوا أنّ ربع الربيع الذى أوله حلول الشّـمس برأس برج الحمل أولى بالتّقـديم فأطبقوا على تقـديمه باتفاق، و لـذلك أجمعوا فى عـد البروج على الابتـداء ببرج الحمل. و فى عـد المنـازل على الابتـداء بالشّـرطين، حتى لاـ تجـد فى ذلك مخالفا. هـذا صـنيعهم فى الأزمنه، فأما إذا صـرت إلى سـنى الأمم وجـدتهم فيها مختلفين. فمنهم من يفتتـح السّـنه فى ربع الشّـتاء، و منهم من يفتتحها فى ربع الخريف، و منهم من يفتتحها فى ربع الرّبيع كلّ ذلك قد فعلوا.

و ممن افتتحها فى الخريف أهل الشّام من السّـريانيين، أ لا ترى أوّل سنتهم تشرين الأول و أنه صدر الخريف و ابتداء الوسمى، و لعل العرب أيضا كانت قد ابتدأت السّـنه فى بدء الأمر على مثل ذلك، فجعلوا مفتتحها فى أول الوسـمى كما أنه يقدمه فى قسمه الأزمان و الأنواء. فثبتوا على أمرهم الأول فى تقديم الوسـمى، و انتقل مدخل السّـنه عن موضعه الأول ثمانين عدد أيام سنه القمر و سنه الشّمس من التّفاوت و الفصول إنما تتفضّل بمسير الشّمس لا بمسير القمر.

و إنّما توهّمت هذا من صـنيع العرب من أجل أنّ كثيرا من علماء الرّواه يزعمون أنّ شـهرى ربيع إنما سـمّيا للربيع، و أن جماديين إنما سـميتا للشّتاء و وجود الماء. و أن شعبان إنمّا سمى شعبان لاشتعاب الظّعن إياهم عن المرابع للمحاضر و أنّ شهر رمضان إنمّا سمّى رمضان لشده الحر و الرّمض و أنّ صـفر أنسب إلى الزّمان الذى يسـمّى الصّـفرى، و هذا الذى ذكروا أمر قريب لا يبعد فى الوهم، لأنّا على هـذا الترتيب نجد أزمان السّـنه عندهم، و مما يقوى هذا القول ما حكى عن الغنوى الأعرابى و عن غيره فإنه قال: جمادى عند العرب

الشّتاء كلّه قال: و يقال للحر كلّه شهر ناجر، كما يقال للشّتاء كله جمادى، و كان ينشد بيت لبيد فى الجزء شعرا:

حتى إذا سلخا جمادى ستهجزءا فطال صيامه و صيامها

بخفض سته على إضافه جمادى إليها و قال أراد سته أشهر الشّتاء، و هى أشهر النّدى و الجزء، و كذلك كان ينشده أبو عمر و الشّيبانى خفضا و يقول: أراد جمادى سته أشهر فعرف بجمادى. قال أبو حنيفه، و يشهد للغنوى كثره ذكر العرب جمادى إما ببرد الزّمان و إما بكثره الأنداء و الأمطار، و هذا كلّه من أوصاف الشّتاء و لو كان قصدهم إلى ذكر الشّهر لما تطاول لسرعه انتقال الشّهر.

أ لا ترى أنّه يكون مره فى صباره الشّتاء و مره فى حماره القيظ و إنما حاله فى ذلك كحال سائر الشّهور، و أنت لا تجد جمادى موصوفه بالحر كما تجدها موصوفه بالبرد. قال الشاعر شعرا:

فى ليله من جمادى ذات أنديهلا يبصر الكلب من ظلمائها الطّنبا

قال أبو حنيفه: و زعم بعضهم أنهم إنّما قدّموا الشّتاء على الصّيف لأنه ذكر. و أنّ الصّيف أنثى، و لم يذكروا علّه تذكير الشّتاء، و تأنيث الصّيف، و لا أظنه إلّا لقسوه الشّتاء و شدّته و لين الصّيف و هونه، أ لا ترى أنّ من عادتهم أن يذكروا كلّ صعب من الأمور قاس شديد، حتى قالوا: داهيه مذكار، و إن كانت أنثى فصعّبوها بأن تكون تنتج ذكورا و حتى قالوا أرض مذكار إذا كانت ذات مخاوف و أفزاع، و قالوا: يوم باسل ذكر فى شره و شدته حتى قال الشّاعر شعرا:

فإنّك قد بعثت عليك نحساشقيت به كواكبه ذكور

فجعلها مع نحوستها ذكورا ليكون شرّها أفظع و أصعب و (الصّيف) و إن تلظّى قيظه و حمى صلاه فهو هيّن عندهم إلى جنب الشّتاء، و الشّتاء يبرح بالقوم و لذلك قالت بنت الحسن و قد سئلت عنهما: أيّهما أشدّ فقالت: و ما جعل البئيس من الأديه تقول من يقيس البؤس و الضر إلى أذى فقط أى الشّتاء أشد: (و البئيس و البؤس) واحد قال الفرزدق فى نعت امرأه بيضاء من أهل المدينه (لم تذق بئيسا و لم تتبع حموله مجحد) و لذلك لا تجدهم يشتكون الضّر و سوء الحال و الهزال فى الصّيف و لا يعدون أن يصفوا أواره و صخده و عطشه و إذا صاروا إلى الشّتاء عجّوا من وطئه و نوّهوا باسم من آسى فيه، و احتمل الكلّ و أطعم المصرور.

قال الشّيخ الذى قاله أبو حنيفه فى تعليل تذكير الشّتاء حسن و أقرب منه أن يقال لما

كان إدراك الثمار فى الربيعين و وضع الأحمال من الملاقيح و نتائج الخير فى أصناف المعاش من الزرع و الضّرع فى الصيف، و إن كـانت مبادئها فى أوائل الشّـتاء ثم تمت حالا بعـد حال فكانت تنتظر فى آجالها وقتا بعـد وقت انتظار ما فى بطون الحاملات، فجعلوا الشّتاء ذكرا و الصّيف أنثى. و هذا شرح ما رماه الشّاعر فى قوله:

لو لا الذى غرس الشّتاء بكفه لاقى المصيف هشايما لا تثمر

و ذكر أنّ منهم من يجعل الشّتاء نصفين الشّتاء أوّله و الرّبيع آخره، و كذلك يجعل الصّيف نصفين الصّيف أوّله و القيظ آخره.

و ذكر ابن كنـاسه أبو يحيى أن العرب تسـمّى الشّـتاء الرّبيع الأوّل و الصّـيف الرّبيع الآخر و أن أحـدا منهم لم يـذكر الخريف فى الأـزمنه لأـنّ الخريف عنـد العرب اسم لأمطـار آخر القيظ، و هـذا إذا تؤمل أسـفر عن أنهم يجعلون الرّبيع اسـما للنّـدى و الجزء، لكنّهم فصلوه بالشّتاء لشدّه برده ثم اشتهر الرّبيع اسما لما لان من طرفى الوقت.

حكى ابن الأـعرابى عن الغنـوى أنه قـال: يلقى الرّاعى صـاحبه فيقـول: أين تربّعت العـام إذا سـقطت الصرفه(۱)؟ و سـقوطه عند انصرام نصف السّنه الشّتويه. و قال الفراء ربعيه القوم ميرتهم فى أول الشّتاء، و أبين من جميع ما ذكرنا أنّهم يسمّون الفرع المؤخر فرع الرّبيع و هو من الشّتاء. و قال النّابغه و قد جعل الحرب كالميره:

و كانت لهم ربيعه يحذرونهاإذا خضخضت ماء السّماء القنابل

۱- الصرفه فى القاموس منزله للقمر نجم واحد نير يتلو الدبره سمى لانصراف البرد و بطلوعها، محمد شريف الدين عفا عنه.

الباب الخامس فى قسمه الأزمنه و دورانها و اختلاف الأمم فيها

اعلم أنّ الشّمس تدور فى الفلك دورا طبيعيا، و هى لازمه له و عليها طريقها و القمر- و الكواكب الخمسه، و هى: عطارد- و الزّهره، و المريخ، و المشترى، و زحل. ربما كانت على هذا الفلك، و ربما مالت إلى الشّمال، و الجنوب، و يسمّى هذا الميل عرض الكواكب، و يسمّى هذا الفلك فلك البروج، و هى اثنا عشر: (الحمل)، و (الثور)، و (الجوزاء)، و (السرطان) و (الأسد)، و (السّنبله)، و (الميزان)، و (العقرب)، و (القوس)، و (الجدى)، و (الدلو)، و (الحوت)، و إنما انقسم هذا الانقسام لأنّ الشّمس متى انتقلت فى دورانها من نقطه بعينها عادت إلى تلك النّقطه بعد ثلاث مائه و خمسه و ستّين يوما و ربع يوم.

و فى دورها تستوفى فصول السّنه التى هى الرّبيع، و الصيف، و الخريف، و الشّتاء.

و لهذه العلّه سميّت هذه الأيام سنه الشّمس، و القمر يجتمع مع الشّمس فى مده هذه الأيام اثنتى عشره مره فجعلت الشّمس اثنتى عشر شهرا و سميت الشّهور القمريه، كما جعل الفلك اثنى عشر برجا ليكون لكل شهر برج.

و أسماء شهور العرب: المحرم، و صفر، و الرّبيع الأول، و الرّبيع الآخر، و جمادى الأولى، و جمادى الأخرى، و رجب، و شعبان، و رمضان، و شوّال، و ذو القعده، و ذو الحجّه.

قال الشّيخ: اختلف الناس فى أعداد أيام سنيهم، و هم متفقون فى عدّه الشّهور و اعتماد العرب فيها خاصه على الأهلّه، فكل اثنى عشر هلالا عندهم سنه، فتكون عدد أيامها ثلاث مائه و أربعه و خمسين يوما.

قال أبو الحسن المعروف بالصّوفى: بين أصحاب الحساب من الرّوم، و الهند خلاف يسير فى مقدار هذا الكسر، فكان الأوائل من أهل الروم متفقين فى القديم على ربع يوم فقط، ثم استدركوا فيه شيئا حقيرا.

و قال أبو حنيفه: ليس فى الأمم أحفظ للفصول، و أوقات الأنواء و الطّلوع من الروم، و لذلك من حلّ من العرب فى شق الشّام أعلم بهذا من غيرهم، ثم أنشد لعدى بن الرقاع:

فلا هنّ بالبهمى و إيّاه مذ نشاجنوب لراش فاللّها له، فالعجب

شباطا و كانونين حتى تعذّرت عليهن فى نيسان باقيه الشّرب

و إنما نصف عيرا و أتنارعين البقل فى إبّانه

و إنّما نصف عيرا و أتنا رعين البقل فى إبانه إلى أن هاج، و نضبت المياه. و هم يبدءون فيجعلون أوّل السّنه تشرين الأول، و يجعلونه أحدا و ثلاثين يوما. ثم تشرين الثّانى ثلاثين يوما، ثم كانون الأوّل واحدا و ثلاثين يوما، ثم كانون الثّانى واحدا و ثلاثين يوما و ربع، ثم شباطا ثمانيه و عشرين يوما، غير أنهم يجعلونه ثلاث سنين كلّ سنه منها ثمانيه و عشرين يوما و فى السنه الرابعه تسعه و عشرين يوما، و تلك السّنه تكون فى عددهم ثلاث مائه و سته و ستين يوما، و يسمونها الكبيسه.

و قال الخليل: يكون فى شباط فيما تزعمه الرّوم تمام اليوم الذى كسوره فى السّنين، فإذا تمّ ذلك اليوم فى ذلك الشهر، سمّى أهل الشّام تلك السنه عام الكبيس، قال: و هو يتيمّن به إذا ولد فى تلك السنه، أو قدم فيه إنسان. ثم آذار واحدا و ثلاثين يوما، ثم نيسان ثلاثين يوما، ثم أيار واحدا و ثلاثين يوما، ثم حزيران ثلاثين يوما، ثم تموز واحدا و ثلاثين يوما، ثم آب واحدا و ثلاثين يوما، ثم أيلول ثلاثين يوما، فتكون الزّيادات من الأيام خمسه أيام على ثلاث مائه و ستين يوما.

ثم أحبّوا أن لا تغيّر أحوال فصول سنتهم على السّنين الكثيره و الدّهور المتابعه، فزادوا فى آخر شباط ربع يوم لتصير أيام سنتهم موافقه لأيام سنه الشّمس، و هى ثلاث مائه و خمسه و ستون يوما و ربع يوم، و يكون ثلاث سنين متواليه كذلك فإذا تمّت الأرباع فى أربع سنين تصير سنتهم فى السنه الرابعه التى تليه ثلاث مائه و سته و ستين يوما، و يصير شباط فى تلك السّنه تسعه و عشرين يوما، و تسمى تلك السّنه الرّابعه سنه الكبيسه، فكرهت الفرس أن يزيد فى سنتهم ربع اليوم لأنهم لو فعلوا ذلك لاضطروا إلى الكبيسه فى كل أربع سنين و لم يمكنهم ذلك لأنهم سمّوا أيام الشّهر بأسام.

زعموا أنها أسامى الملائكه الذين يديرون أيام الشّهر و أسامى الأيام، هرمز، بهمن، ارديبهشت، شهرير، اسفندار، مذخرداد، مرداد، يبا، ذر، آذر، أبان، حوزماه، تير، جوش، ديبمهر، مهر، سروش، رشن، فروردين، لوهرام، رام باذ، دنيدين، دين ارد، اشتاذ، اسمان، زامياذ، ماراسفند، انيران.

و أسماء الشهور اعتقدوا فيها مثل ذلك و هی: فروردین ماه، ارد بهشت ماه(۱)، خرداد ماه، تیر ماه، مرداد ماه، شهریر ماه، مهر ماه، ابان ماه، آذر ماه، دی ماه، بهمن ماه، اسفندیارمذماه.

و زعموا أنّ هرمز هو اسم الملک الذی یدبر أوّل یوم من الشّهر، و بهمن اسم الملک الذی یدبر الیوم الثّانی.

و کذلک الأسامی کلّها و سمّوا أیضا الأیام اللّواحق بأسماء الملائکه الذین زعموا أنهم یدبرونها و هی: خونوذکاه، و استوذکاه، و اسفیذکاه، و مشتحزکاه، و شتکاه. و قالوا إنّ کبسنا فی کلّ أربع سنین یوما فجعلنا اللواحق سته أیام فی هذا الیوم بلا مدبر، و سقط أول یوم من آذر ماه و استوحش هرمزد و قدر أنهم یقصدونه ثم کانوا یکبسون فی کلّ مائه و عشرین سنه شهرا واحدا لیسوّوا بین الملائکه، و لا یستوحش أحد منهم و تصیر سنتهم فی تلک السنه ثلاث مائه و خمسه و تسعین یوما و کانوا علی ذلک إلی أن انقضت دوله الفرس و لم یکن فیهم من یمکنه فعل ذلک إلی أن کبس المعتضد مقدار ما کان قد مضی من سنه الکبیسه لکل أربع سنین یوما واحدا و جعل النّیروز الیوم الحادی عشر من حزیران و فیه یقول الشاعر مادحا له شعرا:

یوم نیروزک یوم واحد لا یتأخّر

من حزیران یوافی أبدا فی أحد عشر

و وضع الکبیسه علی رسم الرّوم و لا یعمل ذلک إلا ببغداد، فإنّهم یجعلون أوّل سنتهم فی التقویم یوم النّیروز المعتضدی، و یستعمل فی سائر البلدان النّیروز القدیم.

و ذکر هذا الإنسان و هو أبو الحسین الصّوفی أنّ العرب کانت تکبس أیضا. ثم ذکر النسی ء من قول اللّه تعالی: إِنَّمَا النَّسِیءُ زِیادَةٌ فِی الْکُفْرِ [سوره التوبه، الآیه: ۳۷] و قد تقدّم القول علی ما قاله فیما مضی و بیّنا من تفسیر الآیه و الأخبار المرویّه ما أغنی.

و اعلم أنّ العرب لا تذهب فی تحدید أوقات الأزمنه إلی ما یذهب إلیه سائر الأمم، و تجعل أوّل عدد الأزمنه فی تحدید أوقاتها، إلی ما یعرف فی أوطانها من إقبال الحرّ و البرد، و إدبارهما، و طلوع النّبات و اکتهاله و هیج الکلاء و یبسه، و یذهب فی عدد الأزمنه إلی الابتداء بفصل الخریف و تسمیه الربیع لأنّ أول الرّبیع و هو المطر یکون فیه- ثم یکون بعده فصل الشّتاء- ثم یکون بعده فصل الصّیف- و هو الذی یسمیه النّاس الرّبیع و یأتی فیه الأنوار. و إنما

۱- فی صبح الأعشی: أردیبهشتماه.

سمّوه صيفا لأنّ المياه عندهم تغل فيه و الكلأ يهيج، و قد يسمّيه بعضهم الرّبيع الثّانى، ثم يكون بعد فصل الصّيف فصل القيظ، و هو الذى يسمّيه النّاس الصّيف فأوّل وقت الرّبيع الأول عندهم و هو الخريف ثلاثه أيام تخلو من أيلول. و أول الشّتاء عندهم ثلاثه أيام تخلو من كانون الأوّل، و أوّل الصّيف عندهم و هو الرّبيع الثّانى خمسه أيام من آذار، و أوّل القيظ عندهم أربعه أيام تخلو من حزيران. و الخريف المطر الذى يأتى فى آخر القيظ و لا يكادون يجعلونه اسما للزّمان.

و قال عدى بن زيد فجعله اسما للزّمان فى خريف:

سقاه نوء من الدّلو تدلّى و لم يولّينى العراقى

و سماه خريفا، لاختراف الثمار فيه و الحطيئه ممن يجعله المطر و ذكر امرأه فقال:

و تبدو مصاب الخريف الجيالا. يريد أنّها تنقل إلى البدو لمصاب هذه المطره، فهذه حدود الأزمنه عندهم، ثم يجعلون لكل زمان صميما يخلص فيه طبعه فيذكرون منه شهرين و يدعون شهرا لأنّ نصف شهر من أوله مقارب لطبع الزّمان الذى قبله، و نصف شهر من آخره مقارب لطبع الزّمان الذى بعده، فالخالص منه شهران فيسمّون شهرىّ الشّتاء بالخالص شهرى قماح قال الهذلى:

فتى ما ابن الأغر إذا شتوناو حبّ الزّاد فى شهرى قماح

و سميا بذلك لأن الإبل فيهما ترفع رءوسها عن الماء لشده برده و الإبل القماح هى التى ترفع رءوسها. و قال بشر يصف سفينه:

و نحن على جوانبها قعودنغضّ الطّرف كالإبل القماح

و الإبل إذا رفعت رءوسها عن الماء غضّت أبصارها، و يدعون هذين الشّهرين ملحان و شيبان لبياض الأرض بالصّقيع و الجليد. و قال الكميت:

إذا أمست الآفاق حمرا جلودهالملحان أو شيبان و اليوم أشهب

فهذان شهر الشّتاء فشيبان من الشّيب و ملحان من الملحه و هى البياض و قيل كبش أملح منه.

و قال قطرب: يقال لجمادى الأولى و الآخره شيبان و ملحان من أجل بياض الثّلج، قال: و قولهم مات الجندب و قرب الأشيب أى الثّلج، و يسمّون شهرى القيظ اللّذين يخلص فيهما حره شهرى ناجر و سمّيا بذلك لأنّ الإبل تشرب فلا تكاد تروى لشدّه الحر، و النّجر و البغر متقاربان و هو أن يشرب فلا يروى من الماء يقال نجر من الماء إذا امتلأ منه فكظمه،

و هو على ذلک يشتهيه قال ذو الرمه يصف ماء شعرا:

صرى أجنّ يروى له المرّ وجهه و لو ذاقه ظمآن فى شهر ناجر

و قال الشّماخ شعرا:

طوى ظمأها فى بيضه القيظ بعد ماجرت فى عنان الشّعر بين الأماعز

فهذان شهرا القيظ و لا أعلم أنهم سمّوا شهرى ربيع الثانى باسم، إلا أنّهم يقولون:

حللنا ببلد كذا فى حدّ الربيع يريدون شهريه و قال أبو ذؤيب شعرا:

بها أبلت شهرى ربيع كليهمافقد مار فيها نسؤها و اقترارها

النّسو بدو السّمن و الاقترار أن تحثر بولها و هو من علامات السّمن، قال رؤبه:

شهران مرعاها بقيعان الصّلق مرعى أنيق النّبت مجّاج الغدق

و قال ابن مقبل شعرا:

أقامت به حدّ الرّبيع و حازهاأخو سلوه مسّى به اللّيل أملح

يريد بأخى السّلوه النّدى لأنهم فى رخاء و سكون ما دام النّدى عندهم و قولهم: مسّى به الليل: أى جاء عند مجى ء الليل، و الأملح الأبيض، ربما ذكروا استيفاءها شهور الرّبيع الثّانى كلّها. قال حميد شعرا:

رعين المراز الجون من كلّ مذنب شهورا جمادى كلّها و المحرّما

قال: شهورا جمادى كلّها و هما شهران كما قال تعالى: فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ [سوره النساء، الآيه: ۱۱] يريد أخوين فصاعدا و لم يفعلوا ذلک فى زمن الخريف فيذكروا منه شهرين فيما علمت. و لا أحسب ذلک إلا لأنه لم يدعهم إلى ذكره شى ء كما دعا إليه شدّه البرد فى الشّتاء، و شدّه الحر فى الصّيف و القيظ، و وقت الجزء فى الرّبيع.

قال أبو حنيفه: النّاس مجمعون من تقديم البروج على برج الحمل. و من تقديم المنازل على الشّرطين، و فى ذلک دلاله على تقديم فصل الرّبيع، و ذكره قبل سائر الفصول و هو لحلول الشّمس برأس الحمل، قال: و الفصل اسم جرى فى كلام العرب و جاءت به أشعارهم، قال الشّاعر يصف حمير وحش شعرا:

نظائر جون يعتلجن بروضهلفصل الرّبيع إذ تولّت صبائنه

و سمّى فصلا لانفصال الحر من البرد، و انقلاب الزّمن الذى قبله، و يقال للفصول

أيضا: الفصيان و الواحده فصيه، و هى الخروج من حر إلى برد، و من برد إلى حر. و الفصيه تصلح فى كل أوقات السّنه متى خرجت من أذى إلى رخاء فتلك فصيه، و لا يستعمل الفصل إلّا فى حينه، فأمّا الأصمعى فإنّه قال: الفصيه: أن يخرج من برد إلى حر، و يقال: أفصى القوم و هم مفصون، و يقال: لو أفصينا لخرجت معك. و الشّمس تحل برأس الحمل لعشرين ليله تخلو من آذار و عند ذلك يعتدل اللّيل و النهار، و يسمّى الاستواء الرّبيعى.

ثم لا يزال النّهار زائدا، و اللّيل ناقصا إلى أن يمضى من حزيران اثنتان و عشرون ليله، و ذلك أربع و تسعون ليله، فعند ذلك ينتهى طول النّهار و قصر الليل، و ينصرم ربع الرّبيع، و يدخل الرّبع الذى يليه، و هو الصّيف، و ذلك لحلول الشّمس برأس السرطان، و يبتدئ اللّيل بالزّياده، و النّهار بالنقصان، إلى ثلاث و عشرين ليله تخلو من أيلول، و ذلك ثلاث و تسعون ليله، و عند ذلك يعتدل اللّيل و النهار ثانيه، و يسمّى الاستواء الخريفى، و ينصرم ربع الصّيف و يدخل ربع الخريف، و ذلك لحلول الشّمس برأس الميزان، و يأخذ اللّيل فى الزّياده و النّهار فى النقصان، إلى أن يمضى من كانون الأول إحدى و عشرون ليله، و ذلك تسع و ثمانون ليله، و عند ذلك ينتهى طول اللّيل و قصر النّهار، و ينصرم فصل الخريف، و يدخل فصل الشّتاء، و يبتدئ النّهار فى الزياده، و ذلك لحلول الشّمس برأس الجدى إلى مصيرها إلى رأس الحمل، و ذلك تسع و ثمانون ليله و ربع فعندها ينصرم ربع الشّتاء، و يدخل فصل الرّبيع، فعلى هذا دور الزّمان فاعلمه.

الباب السّادس فی ذکر الأنواء، و اختلاف العرب فيها

اشاره

و منازل القمر، مقسمه الفصول على السنه، و أعداد كواكبها و تصوير مأخذها ضاره و نافعه اعلم أنا نذكر من أمر الأنواء و مذهب جهّال العرب فيها، و من صفه المنازل و البروج ما يحتاج إليه هذا الكتاب، و الدّاعی إليه أنهم كانوا ينسبون الأوقات إليها كثيرا، و كذلك ما نذكره من أحوال الشّمس و القمر، و كان فی العرب من يسرف فی الإيمان بها و نسبه الحوادث إليها، حتى أوهم كلامهم و إفراطهم أنّ السّقيا و جميع ما يحمد منها، أو يذم إلى جميع ما ينقل فيه الأيام من خير و شر، و نفع و ضر، و كلّ ذلك من الأنواء و بها. و هذا كإضافتهم إلى الكواكب أفعال صانعها، و تطابقهم فی التّيمن و التشاؤم بها، لذلك قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «من آمن بشی ء من ذلك فقد كفر بما أنزل علیّ».

و قد مرّ فيما تقدّم من الكتاب فصل كثير بيّن فيه فساد طريقتهم، و أنّ من عدل عنها و جعلها آيات يقيمها اللّه تعالى، تنبيها على حكمته فيها، ليعتبر المعتبرون بها و يشكروا نعمه فيها، فقد برئت من الذّم ساحته، و تباعد عن الإثم منهجه، على مثل ذلك يحمد قول عمر بن الخطاب حين خرج إلى الاستسقاء، فصعد المنبر و لم يزد على الاستغفار، ثم نزل فقيل: إنّك لم تستسق، فقال: لقد استسقيت بمجاديح السّماء. قال أبو عمر و المجاديح و أحدها مجدح، و هو نجم من النّجوم كانت العرب تقول: إنّه يمطر به لقولهم فی الأنواء.

قال أبو عبيد فسألت عنه الأصمعی، فلم يقل فيه شيئا و كره أن يتأوّل على عمر مذهب الأنواء، و قال الأموی: يقال فيه أيضا: المجدح بالضّم و أنشد فيه قوله شعرا:

و أطعن بالقوم شطر الملوك حتّى إذا خفق المجدح

قال أبو عبيد: و الذی يراد من هذا الحديث أنه جعل الاستغفار استسقاء يتأوّل قوله تعالى: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً [سوره نوح، الآيه

: ۱۰- ۱۱] و إنما نرى أنّ عمر تكلّم بهـذا على أنها كلمه جاريه على ألسـنه العرب ليس على تحقيق الأنواء، و لا التّصديق بها، و هذا شبيه بقول ابن عباس فى رجل جعل أمر امرأته بيدها، فطلّقته ثلاثا، فقال خطّأ اللّه نوءها أ لا طلّقت نفسها ثلاثا. ليس هذا منه دعـاء عليهـا أن لاـ تمطر، إنّمـا هو على الكلاـم المنقول. و ممـا بيّن لـك أنّ عمر أراد إبطـال الأـنواء و التكـذيب بهـا بقوله: لقد استسـقيت بمجاديح السّماء التى يستنزل بها الغيث. فجعل الاستغفار هو المجاديح لا الأنواء، و هذا القدر إذا ضمّ إليه ما تقدم فى فصل يشـتمل على تأويل الأخبار المرويّه عن رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سلم و بيان معتقدات العرب فى الأنواء و البوارح، أغنى و كفى فى عذر من يعذر، و ذمّ من يذم منهم و السّلام.

قال أبو حنيفه يقال: ناء الكوكب ينوء نوأ و نوء، أول سقوط يدركه فى الأفق بالغداه قبل انمحاق الكواكب بضوء الصّبح.

و الكـوكب إذا وافـاه الصّـبح و هو مرتفع عن أفق المغرب لاـ يزال الصّـبح يوافيه كـلّ غـداه، و هو إلى الأـفق أقرب، حـتى يوافق موافاته الأفق انمحاق الكوكب لضوء الصّبح، ثم يكون سقوطه بعد ذلك، و الكواكب ظاهره فلا يزال سقوطه يتأخر كلّ ليله إلى أن يكون فى أول اللّيـل، فتراه على الأـفق غاربـا مع ظهوره للأبصـار، ثم يستسـر فلاـ يرى مقـدارا من الليالى ثم يكون أوّل رؤيته غامضـا فى ضـياء الصّـبح حين يبـدو للأبصـار. فالواجب أن يغرق ما بين الغروب الـذى هو أوّل و بين الغروب الـذى له النوء لأنّ الـذى له النوء سـقوط النجم بالغداه فى المغرب بعد الفجر و قبل طلوع الشّـمس و طلوع رقيبه فى المشـرق فى ذلك الوقت، و لا يكون هذا إلا فى غداه واحده من السّنه للكوكب الواحد.

و أما السّـقوط الذى هو أفول و استسـرار، فإنّه يكون من أول الليل و ذلك أنّ هذا النّجم السّاقط بالغداه فى أفق السّـماء يرى بعد اليوم الذى يسـقط فيه متأخّر السّـقوط عن ذلك الوقت، فيسقط قبله و لا يزال يتأخّر فى كل يوم حتى يكون سقوطه فى اللّيل، ثم يتـأخّر فى اللّيـل إلى أن يسـقط فى أوّل اللّيـل فى المغرب، ثم يستسـر بعـد ذلـك فلاـ يرى ليالى كثيره ثم يرى بالغـداه طالعا فى المشرق خفيا، فهذا سقوط الأفول، و قد أحسن الشّاعر فى تحديد ذلك حين قال شعرا:

و أبصر النّاظر الشّعرى مبيّنهلمّا دنا من صلاه الصّبح ينصرف

فى حمره لا بياض الصّبح أغرقهاو قد علا اللّيل عنها فهو منكشف

تهلهل اللّيل لم يلحق بظلمته قوت النّهار قليلا فهى تزدلف

لا ييأس اللّيل منها حين تتبعه و لا النّهار بها للّيل يعترف

فهذا وقت الطّلوع و السّقوط و معنى قوله: تهلهل اللّيل أى تصير فى مشرقه حيث امتزج سواده بياض الصّبح فهى فوت النّهار، لأنّه لم يطمسها بضوئه، و لم يلحق بظلمه اللّيل الخالصه، فهى بينهما، و اللّيل لا يبأس منها، لأنّها فى بقيه منه، و لا النّهار يسلمها للّيل لأنّها فى ابتداء منه، و مراد الشّاعر بهذا الوصف أنّ الأمر الذى وقته كان فى حمارّه القيظ، لأن الشّعرى تطلع بالغداه فى معمعان الحر.

قال الشيخ: أظنّ هذا الشّاعر سلك فى تحديده للاستسرار طريقه زهير حين قال يصف شاهينا و حمامه شعرا:

دون السّماء و فوق الأرض قدرهمافيما تراه فلا فوت و لا درك

فقوله: لا فوت و لا درك، كقول ذاک لا يبأس اللّيل منها، و لا النّهار يعترف اللّيل بها، قال: و قال الكميت فى تحديد وقت الطلوع شعرا:

حتّى إذا لهبان الصّيف هبّ له و أفغر الكالئين النّجم أو كربوا

و ساقت الشّعريان الفجر بعضهمافيه و بعضهما باللّيل محتجب

فجعل طلوعها بين اللّيل و النّهار كما جعله الأوّل. و معنى أفغر النّجم: يريد إذا صارت الثّريا فى وسط السّماء، فمن نظر إليها فغر فاه، أى فتحه، و معنى كربوا: قربوا و طعن قوم على الكميت فى هذا البيت، و حسبوا أنه أراد أن إحداهما طلعت قبل الفجر، فهى فى اللّيل، و أنّ الأخرى طلعت مع الفجر، فهى فيه، فقالوا: لا يجوز ذلک إلا فى ثلاثه فصاعدا، قال أبو حنيفه: و الذى قالوا كما قالوا، غير أنّهم ذهبوا إلى غير مذهب الكميت، و لو أراد الكميت ما توهّموا لكان قد أخطأ فى المعنى أيضا مثل ما أخطأ فى اللّفظ، و ذلک أنّه قال: و ساقت الشّعريان الفجر.

فاعلم أنّ الفجر طلع قبلهما، فكيف يعود فيجعل إحداهما طالعه قبله، هذا بتعجيل، و بعد فإنّ الشّعريين تطلعان معا. و إنّما أراد أنّ بعضهما كلتيهما فى اللّيل و بعضهما كلتيهما فى النّهار، إذا كانتا بين اللّيل و النّهار، قال الشيخ الأكشف فى بصره الكميت أن يقال أراد أنّ بعضيهما فى اللّيل و بعضيهما فى النّهار، فيخرج البعض بالثنيه من أن يكون بمعنى أحد، و يستفاد منها أنّ الشّعريين تطلعان معا، و أنّ القصد فى ذكرهما للتّحديد، إلى أن تكونا بين اللّيل و النّهار، و مع ذلک فقد ضيق على نفسه تضييقا شديدا، فأفرط فى التّحديد إفراطا بعيدا، فإذا سمعتهم ينسبون إلى الطّلوع و السّقوط مرسلا غير مضاف إلى وقت، فاعلم أنّهم إنّما يريدون الطلوع و السّقوط للّذين يكونان بالغداه، و ذلک مثل قولهم إذا طلعت العقرب:

حمس المذنب، و مثل قولهم إذا طلعت الشّعرى: جعل صاحب النّخل يرى، و مثل قول الشاعر شعرا:

فلمّا مضى نوء الثّريا و أخلفت هواد من الجوزاء و انغمس الغضر

و مثل قوله:

هنا ناهم حتّى أعان عليهم عزالى السّحاب فى اغتماسه كوكب

فهذه السّقوط و ما أشبهه هو بالغداه، و إذا ذكر ذلك من نجوم الأخذ خاصه فهو النوء، أ لا ترى أنّهم لمّا أرادوا الطّلوع بالغداه قالوا: إذا طلع النّجم فالحرّ فى خدم، فجاء مرسلا غير مضاف. و لما أرادوا طلوعه لغير الغداه قالوا: إذا طلع النّجم عشاء ابتغى الرّاعى كساء، فجاء مضافا إلى الوقت. و أما قول القائل: حين البارحه حين غاب النّجم و ذهبن ليله كذا، حين طلع السّماك فإنّما المراد بذلك، وقت المجى ء و الذّهاب من تلك اللّيله بعينها، و ليس من الأوّل فى شى ء، و منه قول الشاعر شعرا:

حتى إذا خفق السّماك و أسحراو نبا لها فى الشّدّ أىّ نبال

و مثل قول الآخر:

فعرسن و الشّعرى تغور كأنّهاشهاب غضا يرمى به الرّجوان

و إذا جاء ذكر المغيب مرسلا، فالمراد حينئذ الغيبوبه التى هى ابتداء الاستسرار و ذلك قولهم: غرب الثّريا أعوه من شرفها، و كقولهم: مطر الثّريا صيف كلّه و هذا الغرب غير السّقوط الذى هو النوء، و مطر نوء الثّريّا و سمى و من هذا الجنس قول الشاعر:

فيمّمت سيرا سريع الرّجاء مائل من راجل يركب

مغيب سهيل صدور الرّكاب سيرا يشقّ على المعتب

فهذا كلّه غيبوبه الاستسرار، و لا يكون إلا بالعشيّات على أثر مغيب الشّمس ثم لا تراه بعد ذلك حتى يتمّ استسراره، ثم يكون أوّل ظهوره بالغدوات و قد اختلف النّاس فى معنى النّوء: فبعضهم يجعله النّهوض، قال: لأنه سمى نوى الطّلوع الرّقيب لا لسقوط السّاقط، و هذا ليس بمنكر فى اللّغه، لأنّ هذه اللّفظه تعدّ فى الأضداد، قال أبو حنيفه: هو النّهوض، و لكنّه نهوض الذى كأنه يميله شى ء فيجد به إلى أسفل، و زعم الفراء أنّ النوء السّقوط و الميلان، و أنّ أبا ثروان أنشده فى صفه راع نزع فى قوس:

حتّى إذا ما التأمت مفاصله و ناء فى شقّ الشّمال كاهله

قال: يريد أنه لما نزع مال إليها، و قوله: التأمت مفاصله فإنّه يعنى أنّه لزم بعضه بعضا

لشدّه النّزع. قال: و نرى أنّ قول العرب ما ساءك و ناءك من هذا، و معناه أناءك فألقى الألف للاتباع كقولهم: هنّأنى الطّعام و مرّأنى، و كان ينبغى أن يكون أمرأنى.

قال أبو حنيفه: فأمّا من ذهب إلى أنّ الكوكب ينوء ثم يسقط، و إذا سقط فقد تقضى نوؤه، و دخل نوء الكوكب الذى بعده، فتأويله أنّ الكوكب إذا سقط النّجم الذى بين يديه أطلّ هو على السّقوط، و كان أشبه شى ء حالا بحال النّاهض و لا نهوض به، حتّى يسقط، لأنّ الفلك يجرّه الغور، فكأنّه متحامل عليه، يعنى قد غلبه. و يجمع النوء أنواء و نوانا. قال حسّان بن ثابت رضى اللّه عنه شعرا:

و يثرب تعلم أنّا بهاإذا قحط القطر نواتها

و قال بعضهم: الحق فى ذلك مذهب الخليل الذى حكاه عنه مؤرج، و هو أنّ النّوء اسم المطر الذى يكون مع سقوط النّجم، لأنّ المطر نهض مع سقوط الكوكب، و اسم الكوكب السّاقط النّوء أيضا، فالشى ء إذا مال فى السّقوط يقال: ناء، و إذا نهض فى تناقل يقال ناء به، قال ذو الرمه فى وصف الرياك:

ينون و لم يكسين إلا قنازعامن الرّيش تنواء الفصال الهزائل

و ينوء الحمل الثّقيل إذا مال بالبعير، و يقال: المرأه تنوء بها عجيزتها، قال الشاعر:

لها حضور و أعجاز تنوء بهاإذا تقوم يكاد الخصر ينخزل

و فى القرآن: ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَهِ أُولِی الْقُوَّهِ [سوره القصص، الآیه: ۷۶].

فصل فى ذكر أسماء المنازل و صفاتها

و هى نجوم الأخذ، قال اللّه تعالى: وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّى عادَ کَالْعُرْجُونِ الْقَدِیمِ [سوره یس، الآیه: ۳۹].

و هى ثمانيه و عشرون منزلا لا اختلاف فى ذلك، و تسمّى نجوما، و إن كان منها ما هو كوكب واحد، و كان منها ما هو أكثر، و قد قيل للثّريا: النجم، و هو كالعلم لها و هى ستّه كواكب. و النّجم إن كان كالعلم، و قد شهرت به، فقد يقولون فى النّسبه هذا النّجم الثّريا إذا جعلوه اسما لجماعه كواكبها، و يقولون: هذه نجوم الثّريا إذا جعلوا كلّ كوكب منها نجما، ثم جمعوها. قال ذو الرمه:

لعاليه فى الأدحى بيضا بقفرهكنجم الثّريا لاح بين السّحائب

و قال الأعشى فجعله جمعا:

يراقبن من جوع خلاء مخافهنجوم الثّريّا الطّالعات الشّواخصا(١)

و قال أبو عبيده: يقال النجم، فيفرد اللفظ و المعنى للجمع، و أنشد قول الراعى:

فباتت تعدّ النّجم فى مستجيرهسريع بأيدى الآكلين جمودها

يعنى ضيفه قراها جفنه، قد استجار فيها الدّهم، فهى ترى نجوم اللّيل فيها. و أمّا الكوكب فلا نعلمه يقع إلا على واحد فقط، و قال الآخر فى منازل القمر فسمّاها نجوما:

و أخوات نجوم الأخذ إلّا أنضهأنضه محل ليس قاطرها يثرى

قال أبو عبيده: نجوم الأخذ: منازل القمر، سمّيت نجوم الأخذ، لأخذه كلّ ليله فى منزل. و قال أبو عمرو الشّيبانى: الأخذ: نزول القمر منازله، يقال: أخذ القمر نجم كذا إذا نزل به. و أنشد أبو عمرو شعرا:

و أمست نجوم الأخذ غبرا كأنّهامقطّره من شدّه البرد كسف

و قال: مقطّره من القطار، أراد تناسقها، و مراد الشّاعر كسوفها، لأنّها متناسقه فى الخصب و الجدب. و كان على كل حال، و كسوفها ذهاب نورها لشدّه الزّمان و ذلک لما يعرض فى الهواء من الكدر و لا يجلوه، قال أبو الطمحان القتبى: تذكر حميرا وردت عيونا.

و تراها نجوم الأخذ فى حجراتهاو تنهق فى أعناقها بالجداول

و قال أبو حنيفه: أول ما تبتدءون به من المنازل الشّرطان، و لما كانت العرب تقدّم الشّتاء كان أول أنوائها مؤخّر الدلو، و هو الفرع المؤخر، و نوؤه محمود الوقت، عزيز الفقد، و هو أوّل الوسمى، ثم بطن الحوت و هو الذى يسمّيه الرّشاء و لا يذكر نوؤه لغلبه ما قبله عليه.

و اعلم أنّ المنازل تبدو للعين منها فى السّماء أبدا نصفها، و هو أربعه عشر، و كذا البروج يبدو نصفها، و هو سته لأنه كلّما غاب واحد منها طلع من المشرق رقيبه و سقوط كلّ منزل فيه ثلاثه عشر يوما سوى الجبهه، فإنّ لها أربعه عشر يوما لأنّها خصّت باللّيله الباقيه من أيّام السّنه الثّلاث مائه و الخمسه و الستين، و فضلت بذلک على سائرها، لغزاره نوئها، و كثره الانتفاع بها، و يكون انقضاء الثمانيه و العشرين، و انقضاء الاثنى عشر مع انقضاء السنه.

١- شخص النجم: طلع.

و لمّا كانت السّنه أربعه أجراء صار لكلّ ربع منها سبعه منازل، و هى الأنواء و أسماؤها: الشّرطان- البطين- الثّريا- الدّبران- الهقعه- الهنعه- الذّراع- النّثزه- الطّرف(١)- الجبهه- الزّبره- الصّرفه- العوّاء- السّماك الأعزل- الغفر(٢)- الزّبانى- الإكليل- القلب- الشّوله- النّعائم- البلده- سعد الذّابح- سعد بلع- سعد السّعود- سعد الأخبيه- الفرغ الأوّل- الفرغ الثانى- الرّشا(٣)- فهذه ثمانيه و عشرون نجما هنّ أمهات المنازل.

قال أبو حنيفه: و قد يعدّون معها نجوما أخر إذا قصر القمر أحيانا عن هذه المنازل نزل ببعض تلك، و ذلك لأنّ القمر لا يستوى سيره فيها، لأنّك تراه بالمنزل ثم تراه و قد حلّ به فى الشّهر الآخر، فتجد مكانيه مختلفين فيه، إذا أنعمت حفظه و ضبطه، و لهذه العله يخلطونها بالمنازل، حتّى ربّما جعل لبعضها فى الأنواء حظّا.

(١) أمّا الشّرطان فهما كوكبان على أثر الحوت مفترقان شمالى و جنوبى بينهما فى رأى العين قدر ذراع، و إلى جانب الشّمالى منهما كوكب صغير ذكر أنّهما به سميّت الأشراط، و الواحد منهما شرط متحرك، و قد ذكر عن العرب شرط بالإسكان قال كثيّر فى جمعهما شعرا:

عواد من الأشراط و طف نقلهاروائح أنواء الثّريّا الهواطل

و قال الكميت فى الإفراد:

من شرطى مرتعن تجلّلت عزال بها منه بتجاجه سحل

و ليس يمنع تحريكه فى النّسبه من أن يكون الواحد شرطا بإسكان و إذا نسبت إليها لم ينسب إلّا بالجمع أو الإفراد، فأمّا مثنّى فلم نجدهم قالوا شرطاى. قال العجّاج فى الجمع:

من باكر الأشراط أشراطى

. و هذا قليل.

قال الشيخ: الجمع قد نسب إليه إذا جعل علما أو أجرى مجرى العلم، فالعلم كقولهم: كلابى و أنمارى و مداينى و ما أجرى مجرى العلم أشراطى، قال و يقولون: الشّرطان قرنا الحمل، و يسمّونها النّطح أو النّاطح، و بين يدى الشّرطين كوكبان شبيهان بالشّرطين، يقال لهما الأنثيان. قال أبو حنيفه: ذكر الرواه أنّ العرب تجعلهما مما يقصر القمر، فينزل به و يجعلون لهما فى الأنواء حظا.

١- بعضهم يسمّيها الطّرفه.

٢- الغفره.

٣- منهم من يسميه: بطن الحوت.

(٢) و أمّا البطين فتلقبه كواكب خفيّه كأنها نقط الشاء، و هو على أثر الشّرطين بين يدى الثّريا، و قد يتكلمون به مكبرا، فيقولون: البطن، و يزعمون أنّه بطن الحمل.

(٣) و أمّا الثريا فهى النّجم لا يتكلمون بها مكبره، و هى تصغير ثروى، مشتقّا من الثّروه، و كأنه تأنيث ثروان، و النّجم كالعلم له يقال له: طلع النّجم، و غاب النّجم و أنشد للمرار شعرا:

و يوم من النّجم مستوقديسوق إلى الموت نور الظّبا

و قال شعرا:

إن النّجم أمسى مغرب الشّمس طالعاو لم يك فى الآفاق برق ينيرها

قال الشيخ: هذا كما اشتهر عبد اللّه بابن عباس و صار كالعلم له، و كان له إخوه، قثم و غيره، فلم يشتهروا به، و يقولون: الثريا إليه الحمل.

(٤) و أما الدّبران فالكوكب الأحمر الذى على أثر الثّريا بين يديه كواكب كثيره مجتمعه من أدناها إليه كوكبان صغيران يكادان يلتصقان، يقول الأعراب: هما كلباه، و البواقى غنمه، و يقولون: قلاصه، قال ذو الرمه شعرا:

وردت اغتشافا و الثّريا كأنّهاعلى قمّه الرّأس ابن ماء محملق

يدفّ على آثارها دبرانهافلا هو مسبوق و لا هو يلحق

لعشرين من صغرى النّجوم كأنّهاو إيّاه فى الخضراء لو كان ينطق

قلاص(١) حداها راكب متعمّم

إلى الماء من قرن التّنوفه مطلق

قرن التنوفه أعلاها- و المطلق الذى يطلب ليله الماء و بعده القرب للورد، و يسمّى دبرانا لدبوره الثّريّا، كما قيل: إيبان و صميان، و سمّى تالى النجم، و تابع النّجم. و قد يطلق فيقال: التابع، و يقال أيضا حادى النّجم، و من أسمائه المجدح بالضمّ و الكسر فالضمّ حكاه الشيبانى، و الكسر حكاه الأموى، و المنجّمون يسمّونه قلب الثّور و قولهم: الدّبران مما اختصّ و جرى مجرى العلم.

(٥) و أمّا الهقعه فهى رأس الجوزاء ثلاثه كواكب صغار مثفاه، و تسمّى الأثافى تشبّها بها.

حكى عن ابن عباس أنّه قال لرجل: طلّق عدد نجوم السّماء يجزئك منها هقعه

١- القلوص: الناقه الشّابه القويّه.

الجوزاء، و قد يقال للدّابره يكون الشّق الفرس الهقعه، و هى تكره، يقال فرس مهقوع.

(۶) و أمّا الهنعه: فكوكبان بينهما قيد سوط، و هما على أثر الهقعه و لتقاصرها عنها سمّيت الهنعه. و الذراع المبسوطه بينهما منحطه عنهما و يقال: أكمه هنعا إذا كانت قصيره، و تهانع الطّائر إذا كان طويل العنق فقصّرها.

و قال ابن كناسه: يقال للهنعه الزّرق الميسان، فإنّما ينزل القمر بالتّحايى و هى كواكب ثلاثه بإزاء الهنعه و الواحده منها تحياه.

(۷) و أمّا الذراع فهى ذراع الأسد المقبوضه، و للأسد ذراعان مقبوضه و مبسوطه، (فالمقبوضه) منهما هى اليسرى، و هى الجنوبيه، و بها ينزل القمر و سمّيت (مقبوضه) لتقدّم الأخرى عليها، و المبسوطه منهما هى اليمنى و هى الشّماليه، و كلّ صوره من نظم الكواكب فميامنها مما يلى الشّمال و مياسرها مما يلى الجنوب، لأنّها تطلع بصدورها ناظره إلى المغارب فالشّمال على أيمانها، و الجنوب على أيسارها. و قد فهم ذلك القائل و النّجوم التى تتابع باللّيل و فيها ذات اليمين، ازورارها على أيمانها إطافه منها بالقطب.

و قال أبو حنيفه: أنت ترى الكوكب يدرأ من مطلعه من الأفق الشّرقى فلا يستقيم مضيئه إلى مقابل مطلعه من الأفق الغربى فى المنظر، و لكن تراه يتجانف إلى القطب، و لذلك قال الشاعر شعرا:

و عاندت الثّريا بعد هدءمعانده لها العيّوق جار

لأنّها تركت القصد فى المنظر، فذلك معاندتها، و علّه ذلك ما بيّنه الكميت فى قوله:

مالت إليه طلانا(۱) و استطيف به

كما تطيف نجوم اللّيل بالقطب

و أحد كوكبى الذراع المقبوضه هى الشّعرى الغميصاء، و هى تقابل الشّعرى العبور، و المجرّه بينهما و قد تكبر يقال الغمصاء، قال أبو عمر و هى الغميصاء و الغموص و يقال لكوكبها الأحمر الشّمالى المرزم، مرزم الذّراع و هما مرزمان هذا أحدهما، و الآخر فى الجوزاء قال:

و نائحه صوتها رابع بعثن إذ أخفق المرزم

و يروى إذا ارتفع المرزم فهذا المرزم هو الذى فى الذّراع، لأنّ مرزم الجوزاء لا نوء له، و ليست من المنازل، و قد ذكرا جميعا بالنّوء على ذكر الشّعريين و السّماكين. قال جدار:

۱- الطّلا: بالفتح ولد الظبى ساعه يولد، و الصغير من كل شى ء.

أحتبک جد المرزمين متى ينجدا بنوال تغوّرا

و قال ابن كناسه: الذّراع المقبوضه بأسرها هى المرزم.

و حكى مثل ذلک عن الغنوى، و من أحاديثهم: كان سهيل و الشّعريان مجتمعه فانحدر سهيل فصار يمانيا، و نعته العبور عبرت إليه المجره و أقامت الغميصاء فبكت لفقد سهيل، حتى غمصت، و الغمص فى العين ضعف و نقص، و قالوا: ربّما عدل القمر فزلّ بالذّراع المبسوطه.

(٨) و أمّا النثره فثلاثه كواكب متقاربه، أحدها كأنه لطحه، يقولون: هى نثره الأسد، أى أنفه، قال ذو الرّمه شعرا:

مجلجل الرّعد عراصا إذا ارتجست نوء الثّريا به أو نثره الأسد

أنث: فعل النوء و هو ذكر، لأنه أضافه إلى الثّريّا، و ليس بمنفصل منها، و يسمّى اللّطحه اللّهاه. و قال الآخر:

فهدّم ما قد بنته اليدان حولين و الأنف و الكاهل

و ذكر الهدم و البناء هاهنا كقول الآخر:

على كلّ موّاز الملاط تهدّمت عريكته العلياء و انضمّ حالبه(١)

رعته الفيافى بعد ما كان حقبهرعاها و ماء الرّوض ينهلّ ساكبه

فأضحى الغلاقد جدّ فى برء قصبه و كان زمانا قبل ذاک يلاعبه

(٩) و أمّا الطّرف: فكوكبان يبتدئان الجبهه بين يديها يقولون: هما عين الأسد.

(١٠) و أمّا الجبهه: فجبهه الأسد، قال: إذا رأيت انجما من الأسد جبهه أو الخراه و الكتد، و هى أربعه كواكب خلف الطّرف معترضه من الجنوب إلى الشّمال، سطرا معوجا، و بين كلّ كوكبين منها قبس الذّراع، و الجنوبى منها هو الذى يسمّيه المنجّمون: قلب الأسد.

(١١) و أمّا زبره الأسد: فهى كوكبان على أثر الجبهه، بينهما قيد سوط و الزّبره كاهله، و فروع كتفيه، و يسمّيان الخراتين الواحده خراه.

(١٢) و أمّا الصّرفه فكوكب واحد نيّر على أثر الزّبره، يقولون: هو قنب الأسد، و القنب وعاء القضيب، و سميّت صرفه لانصراف الحر عند طلوعه غدوه، و انصراف البرد عند سقوطه غدوه.

١- لأبی تمام حبیب بن أوس الطّائی.

(١٣) و أمّا العوّاء فإنّ ابن كناسه جعلها أربعه أنجم، و هى خمسه لمن شاء و من شاء ترك واحدا إلا أنّ خلقتها خلقه كتاب الكاف غير مشقوقه، و ليست نيّره و هى على أثر الصرفه، و زعم أبو يحيى أنها سميّت العوّاء بالكوكب الرّابع الشّمالى منها، و إذا عزلت عنها هذا الكوكب الرّابع كانت الباقيه مثفاه الخلقه و هم يجعلون العوّاء و ركى الأسد، و أحسب هؤلاء تأوّلوا اسمها، و المحاش حشوه البطن و العوّاء تمد و تقصر، قال الرّاعى:

و لم يسكنوها الجزء حتّى أظلّهاسحاب من العوّا و ثابت غيومها

و يقال لها عوّاء البرد، يزعمون أنّها إذا طلعت أو سقطت أتت ببرد.

(١۴) و أما السّماك فهما سماكا الأعزل، و القمر ينزل به و لا ينزل بالآخر و هو الرّامح و سمّى رامحا لكوكب صغير بين يديه يقال له: رايه السّماک و به سمّى رامحا، و يسمّى الآخر الأعزل، لأنه لا شى ء بين يديه كأنه لا سلاح معه و قال كعب بن زهير شعرا:

فلمّا استدار الفرقدان زجرتهاو هبّ سماک ذو سلاح و أعزل

و قال الطّرمّاح:

محاهن صيب نوء الرّبيع من الأنجم العزل و الرّامحه

و هم يجعلون السّماكين ساقى الأسد، و أحد السّماكين جنوبى، و هو الأعزل و الآخر و هو الرّامح شمالى، و قال ابن كناسه: ربما عدل القمر فنزل بعجز الأسد، و هى أربعه كواكب، بين يدى السّماک الأعزل، منحدره عنه فى الجنوب، و هى مربعه على صوره النّعش، و يقال لها: عرش السّماک، و تسمّى أيضا الأحمال، و تسمّى الجناء، و هم يجعلون لها حظا فى الأنواء، قال ابن أحمر يصف ثورا:

باتت عليه ليله عرشيهشربت و بات إلى نعى متهدّدا

شربت لجت، و المتهدّد المتهدّم، لا تماسک لمحضره و كان المنجّمون يسمّون السّماک الأعزل السّنبله لسموكه، سمّى سماكا و إن كان كلّ كوكب قد سمک فهو كقولهم الدّبران.

(١۵) و أمّا الغفر: فثلاثه كواكب بين زبانى العقرب، و بين السّماک الأعزل خفيه على خلفه العوّاء. قال ذو الرّمه:

فلمّا مضى نوء الثّريّا و أخلفت هواد من الجوزاء و انغمس الغفر

و العرب تقول خير منزله فى الأيد بين الزّبانى و الأسد، يعنون الغفر، لأنّ السّماک

عندهم من أعضاء الأسد، فقالوا: يليه من الأسد ما لا يضر الذّنب يدفع عنه الأظفار و الأنياب، و يليه من العقرب ما لا يضر الذنابى يدفع عنه الحمه.

(١۶) و أمّا الزّبانى و هما زبانيا العقرب: أى قرناه، و هما كوكبان مفترقان بينهما فى المنظر أكثر من قامه الرجل، و يقال لهما: زبانى الصّيف لأنّ سقوطهما فى زمان الحر، قال ذو الرمه:

يا قد زفت للزّبانى من بوارحهاهيف أنست بها الأصناع و الخبر

الأصناع محابس الماء و الواحد صنع، و الخبر جمع خبره و هى أرض يكون بها السّدر، و يدوم فيها الماء يريد أن ريّاح الزّبانى أنضبت المياه، و قيل: يسمّى أهل الشام زبانى العقرب يديها.

(١٧) و أمّا إكليل العقرب رأسها، و هى ثلاثه كواكب معترضه بين كل كوكبين قيد ذراع، قال جران:

العود بمطرقين على مثنى أيامنهم راموا النّزول و قد غار الأكاليل

جعل كلّ كوكب منها إكليلا.

(١٨) و أمّا القلب، قلب العقرب و الكوكب النّير الأحمر الذى وراء الإكليل سيره كوكبان، و هم يستحسنونه. قال شعرا:

فسيروا بقلب العقرب اليوم إنّه سواء عليكم بالنّحوس و بالسّعد

(١٩) و أمّا الشّوله فإبره العقرب، كذلك يسمّيها أهل الشّام، و هى كوكبان مضيئان صغيران متقاربان فى طرف ذنب العقرب، و قالوا: ربما قصر القمر فنزل بالغفار فيما بين القلب و الشّوله. و الغفار أحد كواكب ذنب العقرب، يجعلون كلّ كوكب منها فقره، و هى ستّ فقر، و السّابعه الإبره. قال ابن كناسه: الشّوله التى ينزل بها القمر: حذاء القلب فى حاشيه المجره، و ليس هناك شوله، و لكنّ القمر إنّما ينزل بالشّوله على المحاذاه و لا ينحط إليها لأنّها منحدره عن طريقته و هاهنا يقطع القمر المجره إذا هو فارق العقرب، و مضى نحو السّعود لأنّ المجره تسلك بين قلب العقرب و بين النّعائم، منقطع نظام المنازل فى هذا الموضع.

و فى موضع آخر و هما بين الهقعه و الهنعه، لأنها تسلك أيضا بينهما فيعترض نظام المنازل اعتراضا، و هاهنا أيضا يقطع القمر و سائر الكواكب المحاذيه للمجرّه، و ذلك حين ينحدر عن غايه تعاليها إلى ذروه القبه فى الهبوط، فأمّا قطعها إياها عن السّعود فذلك حين

يبتدئ الصّعود بعد غايه الهبوط، و يسمّى الشّوله شوله الصّوره، و هى منغمسه فى المجره.

(۲۰) و أمّا النّعائم فثمانيه كواكب، أربعه فى المجره و هى النّعائم الوارده، و أربعه خارجه عن المجره و هى النّعائم الصّادره، و هى منحدره، و كلّ أربعه منها على شبه بالتّربيع، و فوقها كوكب إذا تأمّلته مع كوكبين من النّعائم الوارد شبهتها به قبه، و إنّما قيل: واردا لشرعه فى المجره، و قيل: الصّادر لمجيئه عنها.

(۲۱) و أمّا البلده فرقعه من السّماء لا كوكب بها بين النّعائم و بين سعد الذّابح، ينزلها القمر، و يقولون: ربّما عدل القمر أحيانا فنزل بالقلاده و هى سته كواكب صغار، خفيه فوق البلده، مستديره تشبه بالقوس، و يسمّيها العامه القوس و يسمّى موضع النّعائم الوصل.

(۲۲) و أمّا سعد الذّابح: فكوكبان غير نيّرين، و كذلك السّعود كلّها و بينهما فى رأى العين قيس الذّراع و (ذبحه) كوكب صغير قد كاد يلزق بالأعلى منها، تقول الأعراب: هو شاته التى تذبح. قال الطّرماح شعرا:

ظعائن شمن قريح الخريف من الفرغ و الأنجم الذّابحه

قريحه: أوّله.

(۲۳) و أمّا سعد بلع: فنجمان نحو من سعد الذّابح أحدهما خفى جدا، و هو الذى بلعه أى جعله بلعا كأنه مسترط(۱)، و ذكر أنه سمّى بلعا لأنه طلع حين قيل: يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ [سوره هود، الآيه: ۴۴] و هذا لست أدرى ما هو.

(۲۴) و أمّا سعد السعود: فكوكبان أيضا نحو من سعد الذّابح، و سمّى سعد السّعود بالتّفضيل عليهما، و لأن الزّمان فى السّعدين اللّذين قبله قسا، و طلوع سعد السّعود يوافق منه لينا فى برده، قالوا: و ربما قصر القمر، فينزل بسعد باثره، و هو أيضا كوكبان أسفل من سعد السّعود. قال الكميت شعرا:

و لكن بنجمك سعد السّعودطبقت أرضى غيثا درودا

(۲۵) و أمّا سعد الأخبيه: فثلاثه كواكب متحاذيه، فوق الأوسط منها كوكب رابع، كأنها به فى التمثيل رجل بطّه.

و قيل: إنّ السّعد منها واحد، و هو أنورها و إنّ الثلاثه أخبيه، و قيل: سمّى بالأخبيه لأنه

۱- فى القاموس سرط كنصر و فرح سرطا و سرطانا محركتين ابتلعه كاسترطه و تسرطه. ۱۲- القاضى محمد شريف الدين عفا عنه.

إذا طلع انتشرت فخرج منها ما كان مختبئا فى البرد، لأنّ طلوعه فى وقت الدّفاء، و السّعود متناسقه بعضها على إثر بعض.

(۲۶) و أمّا الفرغ الأول: فهو فرغ الـدّلو، و الـدّلو أربعه كواكب مربعه واسعه، بين كل كوكبين قدر قامه الرّجل، أو أكثر فى رأى العين، فهم يجعلون هذه الكواكب الأربعه عراقى الدّلو. قال عدى بن زيد فى خريف شعرا:

سقاه نوء من الدّلو تدلّى و لم يوار العراقى

و فرغ الدّلو: مصبّ الماء من بين العراقى و قد يقولون لهما العرقوه العليا و العرقوه السّفلى. قال: (قد طال ما حرمت نوء الفرغين).

(۲۷) و أمّا الفرغ الثانى: و هو العرقوه السّفلى فكمثل الفرغ الأول، و قـد يقال للفرغ الأول: ناهزا الدّلو المقدمان و للفرغ الأسـفل: ناهزا الدّلو المؤخّران. و النّاهز الذى يحرك الدّلو ليمتلئ، و قالوا: يقصر القمر أحيانا فينزل بالكرب، و الكرب الذى وسط العراقى الأربع، و الكرب من الـدّلو ما شـدّ به الحبل من العراقى. و قالوا: ربما نزل ببلـده الثّعلب، و هو بين الـدّلو و السّمكه من عن يمين المرفق.

(۲۸) و أمّا الرّشـاء و هو السـمكه: فكواكب فى مثـل حلقه السّمكه، و فى موضع البطن منهـا من الشّق الشّرقى نجم منير ينزل به القمر يسمّونه بطن السّمكه. و المنجّمون يسمّونه:

قلب الحوت. و يقـال لمـا بين المنـازل: الفرج. فإذا قصـر القمر عن منزله و اقتحم التى قبلها فنزل بالفرجه، بينما اسـتحبّوا ذلك إلّا الفرجه التى بين الثّريّا و الدّبران، فإنّهم يكرهونها و يستخشونها، و يقال لها الضيّقه(۱). قال:

فهلّا زجرت الطيّر ليله جئته تضيّقه بين النّجم و الدّبران

و سـميّت ضـيقه لضيقها عندهم، فإنّهم يتواضعون قصر ما بين طلوع النّجم و طلوع الدّبران. ذكر عن يزيد بن قحيف الكلابى، أنّه قال: ما بينهما إلا سبعه أيام و إنّما هذا نحو نصف ما قدر لما بين المنزلين.

قال أبو حنيفه: فهـذا ما حكى لنا، و أمّا نحن فلم نجـدها أقصـر المنازل كلّها مده فى الطّلوع، و لا فرجه فى المنظر، و أنّ الذى نير الطّرف و الجبهه لأقلّ من ذلك و لكن قد وجدناهما فى الغروب عندهم متقاربين جدا، حتّى لا نكاد نثبت بينهما شيئا ما هو الآن إلا أن يسقط النّجم، فما يستقيم السّقوط حتّى يسقط الدّبران و أحسب الذى اشتهر أمرهما فى

۱- الضيقه منزل للقمر- قاموس.

هـذا البـاب حتى يوصـفا من بين المنـازل كلّهـا شـهرتهما و كثره اسـتعمالهم إيّاهما، و لا سـيما النّجم، فإن تفقـدهم له شديـد، و ذكرهم إيّاه كثير، و إذا لم يعـدل القمر عن المنزل قيـل: كالـح مكـالحه و المكـالحه: مثـل المكافحه كأنه إذا لاقاه دافعه من غير حاجز بينهما.

فصل فی بيان الاختلاف الواقع بين العرب فی أوقات الأنواء و الكلام فی الضّيقه

قال أبو الحسين الصّوفی هذا الذی يذكرونه فی الضّـيقه و أنّ القمر ربما قصـر فنزل بها غلط، لأنّ كواكب الثّريّا فی خمس عشره درجه من الثّور، و هذان الكوكبان فی أربع و عشرين درجه و نصف منه، و بين الثّريّا و بينهما نحو تسع درجات، و أبطأ ما يكون سير القمر فی يـوم و ليلـه، و أبعـده نحـو إحـدى عشـره درجـه، و إنّمـا سـمّيت الفرجه الـتی بين الثّريّا و الـدّبران الضّـيقه، لأنـهم يستعملون طلوعها و سـقوطها فی المغرب بالغدوات عند طلوع رقبائها، و ظهورها من تحت الشّـعاع، و رقيب كلّ واحد منهما هو الخامس منه، و لا يسـتعملون طلوعهما. و وسط الثّريّا فی خمس عشره درجه من الثّور و الدّبران فی خمس و عشرين درجه منه و بينهمـا بـدرجات البروج عشـر درجـات، لكنّ عرض الثّريّا فی الشـمال عن درجتهـا أربع درجـات و دقائق. و عرض الـدّبران فی الجنوب خمس درجات.

و من شأن الكواكب الشّـماليه أن تطلع قبل طلوع درجتها و تغيب بعـد مغيب درجتها، و الجنوبيّه تطلع بعد طلوع درجتها، و تغيب قبـل مغيب درجتها، فتطلع الثّريّا كـذلک مع ثلاث عشـره درجه من الثّور بالتّقريب و يطلع الـدّبران مع سـبع و عشـرين درجه منه، فيكون بين طلوع الثّريّا و طلوع الـدّبران أربع عشـره درجه بـالتّقريب، و تغيب الثّريـا مع سـبع عشـره درجه من الثّور لا ـ تغيب بعد درجتهـا. و يغيب الـدّبران مع ثلاث و عشـرين درجه منه، لأنّه يغيب قبـل درجه، فيكون بين مغيب الثّريّا و مغيب الـدّبران ست درجات بدرجات البروج.

فلمّا وجدوا بين غروب الثّريّا و غروب الدّبران هذا القدر، سمّوا الفرجه بينهما بضيقه، و استخشوها و استخشوا الدّبران أيضا مفردا و تشـاءموا به حتى قالوا: إنّ فلانا أشأم من حادی النّجوم، و يتشاءمون أيضا بالمطر الـذی يكون بنوءه و يزعمون أنّهم لا يمطرون بنوء الدّبران إلّا و تكون سنتهم جدبه.

قال أبو زيـد و قطرب جميعا: و هذه حكايه عن القشـريين، قالوا: أوّل المطر الوسـمی، و أنواؤه العرقوتان، المؤخّرتان من الدلو ثم الشّرط بتسكين الراء ثم الثّريّا و بين كلّ نجمين نحو من خمس عشره ليله ثم الشّتوی بعد الوسمی و أنواؤه الجوزاء ثم الذّراعان و نثرتهما ثم الجبهه و هو آخر الشّتوی و أوّل الدفی ء، ثم الدفی ء و أنواؤه آخر الجبهه، ثم الصّرفه و هی

فصل بين الدّفى ء و الصّيف و أنواؤه السّماكان الأوّل الأعزل و الآخر الرّقيب، و ما بين السّماكين صيف أربعين ليله. ثم الحميم و هـو نحو من خمس عشره ليله إلى عشرين عند طلوع الدّبران و هو بين الصّيف و الخريف و ليس له نوء. ثم الخريف و أنواؤه النّسران، ثم الأخضر ثم عرقوتا الدّلو الأوليان و لكل مطر من الوسمى إلى الدّفى ء ربيع.

و إنّما هذه الأنواء فى غيبوبه هذه النّجوم. قالوا: فأوّل القيظ طلوع الثّريّا و آخره طلوع سهيل. و أوّل الصفريّه طلوع؟ و آخره طلوع السّماك. و فى أول الصّفريه أربعون ليله يختلف حرّها و بردها، و تسمّى المعتدلات. ثم أوّل الشّتاء طلوع السماك و آخره وقوع الجبهه، و أوّل الدفى ء وقوع الجبهه و آخر الصّرفه، و أول الصّيف السّماك الأعزل و هو الأول و آخر الصّيف السّماك الآخر، الذى يقال له الرّقيب، و بينهما أربعون ليله أو نحوها انتهت الحكايه.

قال ابن كناسه: أعلم العرب بالنّجوم بنو ماريه من كلب، و بنو مره بن همام من بنى شيبان، و ذكر عنهم أنّ أول الأنواء الدّلو، و نوؤه محمود، و هو أوّل الوسمى ثم بطن الحوت و لا يذكر نوؤه لغلبه ما قبله عليه، ثم الشّرط محرك الراء و يثّنى و يجمع عرفها يونس و غيره و قال:

و لا روضه غنّاء غضّ نباتهايجود بشتياها لها الشّرطان

و قال العجّاج فى الجمع:

من باكر الأشراط أشراطى من الرّبيع انقضّ أو دلوى

و قال ذو الرمه:

قرحاء حواء أشراطيه و كفت فيها الرّباب و حفّتها البراعيم

قوله: حواء يريد هى من الخضره سوداء، و جعلها قرحاء لأنوارها، جعلها كقرحه الفرس، و نوؤه محمود. ثم البطن و بعضهم يقول: البطين و نوؤه غير محمود، و لا مذكور، ثم الثّريّا و نوؤه مقدّم فى الحمد، و روى عن النبىّ صلى اللّه عليه و سلم أنه قال: «إذا طلعت الثّريّا ارتفعت العاهه». و لذلك لا يقبل بالحجاز قول من ادّعى عاهه فى ثمره اشتراها بعد طلوع الثّريّا. ثم الدّبران و هو مكروه النّوء؛ ثم الهقعه و لا يذكر نوؤه منفردا، فهذه منازل كلّ الوسمى و هى خمسه فليس قبل الفرغ المؤخر وسمى، و لا بعد الثّريّا وسمى، و هى أوّل أنواء الخريف.

و سمّوا النّوءين الباقيين وليا، و هما الدّبران و الهقعه.

ثم أوّل الرّبيع و أنواؤه سبعه: الأربعه الأولى شتيه و هى الهنعه و نوؤه لا يذكر، و الذّراع و نوؤه مقدم مذكور، و النثره و نوؤه محمود، و الطّرف و نوؤه لا يفرد بالذكر، و الثّلاثه الباقيه

دفيئه، و يقال الدثيه و هما بمعنى كما يقال اللغام و اللثام، و سميّت بذلک لأنها فى دبر الشّتاء.

و ابتداء الدف ء و هى الجبهه و نوؤها من أذكر الأنواء و أشهرها و أحبّها إليهم و أعزّها فقدا.

و الزّبوه و قلّما يفرد نوؤه، و الصّرفه و غلبت أنواء الأسد عليها و إنما سمّيت صرفه لانصراف الشّتاء فهذه منازل كلّ الرّبيع.

ثم الصّيف و أنواؤه سبعه: فالخمسه الأولى منه صيف، و النوءان الآخران الباقيان حميم و سمّى حميما لأن أمطارها تجى ء و قد تحرك الحر، فأوّلها العوّاء و بعض العرب يمدّه فيقول العواء، و نوؤها ليله. ثم السّماک و نوؤه من الأنواء المذكوره المحموده، و لذلک قال الشاعر: أجش سماكى كان ربابه، ثم الغفر و لا يذكر نوؤه و قيل لا يعدم نوؤه. ثم الزّبانى، ثم الإكليل، ثم القلب، ثم الشّوله و أربعتها لا تذكر أنواؤها، و ربما ذكرت العرب مجمله، فهذا كلّه الصّيف.

ثم الخريف: و هو فصل القيظ و أنواؤه سبعه و الأربعه المتقدّمه رمضيّه و شمسيّه لشدّه الحر، و الثّلاثه الباقيه خريفيه، و أول أمطاره فى كلام أهل الحجاز و تميم الحميم، فأوّله النعائم- ثم البلده- ثم سعد الذّابح- ثم سعد بلع- ثم سعد السّعود- ثم سعد الأخبيه. و هذه الستّه لا ذكر لأنوائها و لا مبالاه لأخواتها. و سمّيت خريفيّه لأنّها تجى ء و الثّمار تخترف فى أيّامها. ثم مقدم الدّلو و نوؤه من الأنواء المشهوره و يقال: الفرغ المقدّم أيضا لأنّها مقدّمه ما بين الوسمى و موطئ له و فرط، فهذه منازل كلّ الحميم.

و بعد هذه الأربعه سته سعود متناسقه فى جهه الدّلو، و ليست هى من المنازل. أوّلها سعد ناشره و هو أسفل من سعد الأخبيه و يطلع مع الشّرطين. ثم سعد الملک، ثم سعد الهمام، ثم سعد البارع، ثم سعد مطر، و كلّ سعد منها كوكبان فى رأى العين قدر ذراع كنحو ما بين سعود المنازل.

فصل و اعلم أنّ ما ذكرته من الطلوع و الغروب يختلف فيهما أحوال البلدان

فربّما طلع النّجم ببلد فى وقت و طلع فى غير ذلک البلد، فى وقت آخر، إمّا قبله و إمّا بعده بأيام، فهذان النّسران و هما النّسر الواقع، و قلب العقرب يطلعان معا بنجد، و يطلع النّسر الواقع على أهل الكوفه، قبل قلب العقرب بسبع. و يطلع قلب العقرب على أهل الدّبره قبل النّسر بثلاث، و ربما طلع النّجم ببلد و لم يطلع ببلد آخر كسهيل، فإنّه يظهر بأرض العرب و باليمن و لا يرى بأرمينيه، و بين رؤيته بالحجاز و رؤيته بالعراق بضع عشره ليله، و بنات نعش تغرب بعدن و لا تغرب بأرمينيه.

قال أبو محمد القتبى: بلغنى أنّ كلّ بلد جنوبى فالكواكب اليمانيه فيه تطلع قبل طلوعها فى البلد الشّمالى. و كلّ بلد شمالى فالكواكب الشّاميه فيه تطلع قبل طلوعها فى البلد الجنوبى، و فى الكواكب الشّاميه ما يكون فى اللّيله الواحده غروب من أوّلها فى المغرب، و طلوع من آخرها فى المشرق كالعيّوق و السّماك الرّامح و الكفّه و العوائذ و النّسر الواقع و الغوارس و الرّدف و الكف الخضيب، و مددها فى ذلك تختلف، فمنها ما يرى كذلك أيّاما و منها ما يرى شهرا و منها ما يرى أكثر من شهر.

و إذا نزل القمر فى استوائه ليله أربع عشره، و ثلاث عشره بمنزل من المنازل فهو سقوط ذلك المنزل، لأنّ القمر يطلع من أوّل المشرق ليله أربع عشره مع غروب الشمس، و يغيب صبحا مع طلوع الشّمس، فيسقط ذلك النّجم الذى كان نازلا به. و قال ابن الأعرابى بين طلوع الثّريا مع الفجر و بين عوده إلى مثله ثلاث مائه و خمسه و ستون يوما و ربع يوم، فالقمر ينزل بها ثم بسائر المنازل يأخذ كلّ ليله فى منزل، فذلك ثمانيه و عشرون منزلا ينزل بها القمر إذا كان كريتا، و يعود للنّجم الذى استهلّ به لتسع و عشرين، و إذا كان حثيثا تخطرف منزله و الكريت: التّام، و الحثيث: الناقص، و ينزل لثمان و عشرين ليله بمستهله، فمن ثم صار ما بين حول الأهلّه و بين حول طلوع الثّريّا مع الفجر إلى مثله فصل أحد عشر يوما و ربع يوم. قال و الخطر فيه أن يجعل الخطوتين خطوه، و المنزلتين منزله، فربما استسر ليله، و ربما استسر ليلتين أو نحوهما.

الباب السّابع فی تحدید سنیّ العرب و الفرس و الرّوم و أوقات فصول السّنه

قد عرفتک فیما تقدم أنّ العرب تبدأ بالشّتاء بعد أن تجعل السّنه نصفین شتاء و صیفا ثم یقسم الشّتاء نصفین فتجعل الصّیف أوّله و القیظ آخره و أنّها تفارق سائر الأمم فی تحدید الأوقات، فأوّل وقت الرّبیع الأوّل عندهم و هو الخریف ثلاثه أیام تخلو من أیلول، و أوّل الشّتاء عندهم ثلاثه أیام تخلو من کانون الأوّل، و أوّل الصّیف عندهم و هو الرّبیع الثّانی خمسه أیام، تخلو من حزیران، و الخریف عندهم اسم للمطر الذی یأتی فی آخر القیظ من دون الزّمان. و ذکر المراد الفقعسی أنّه یکون حلول الشّمس بأعلی منازلها فی شده الحر، و ذلک إذا حلّت بأول السّرطان فقال شعرا:

إذا طلعت شمس النّهار فإنّهاتحلّ بأعلی منزل و تقوم

یرید أنّ الشّمس فی منتهی صعودها فی القیظ، فإذا طلعت حلّت بأوّل منها، و إذا انتصفت قامت علی قمه الرأس. و هذا یدل علی معرفتهم بحلول الشّمس رءوس الأرباع، و إن کان حساب فصولهم علی غیر ذلک.

و أمّا أصحاب الحساب فیحدّون فصول السّنه بحلول الشّمس بنجم من هذه النّجوم الثمانیه و العشرین، و یجعلون لکلّ زمان من الأزمنه الأربعه سبعه أنجم منها. و یبدءون من الأزمنه بالفصل الذی تسمّیه العامه: الرّبیع و هو عند العرب الصّیف، و نجوم هذا الفصل الشّرطان و البطین و الثّریّا و الدّبران و الهقعه و الهنعه و الذّراع، و الشّمس تحل بالشّرطین بالغداه لعشرین لیله تخلو من آذار فتسترهما و تستر المنزل قبلهما، فلا یزال الشّرطان مستورین بها إلی أن یطلعا بالغداه، لستّ عشره لیله تخلو من نیسان فیکون بین حلول الشّمس بها و طلوعها سبع و عشرون لیله.

و إذا حلّت الشّمس برأس الحمل اعتدل اللّیل و النّهار، فصار کلّ واحد منهما اثنتی

عشره ساعه يوما واحدا و ليله واحده، ثم يزيد النّهار و ينقص اللّيل إلى أن يمضى من حزيران اثنتان و عشرون ليله، و ذلك بعد أربع و تسعين ليله من وقت اعتدالهما فينتهى طول النّهار، و ينتهى قصر اللّيل، و ينقضى فصل الرّبيع، و يدخل الفصل الذى يليه و هو الصّيف، و دخول الصّيف بحلول الشّمس برأس السّرطان و نجومه النّثره و الطّرف و الجبهه و الزّبره و الصّرفه و العوّاء و السّماك.

ثم يأخذ اللّيل فى الزّياده و النّهار فى النّقصان إلى ثلاث و عشرين تخلو من أيلول، و ذلك ثلاث و تسعون ليله، و عند ذلك يعتدل اللّيل و النّهار ثانيه و يكون كلّ واحد منهما اثنتى عشره ساعه، يوما واحدا و ليله واحده، و ينقضى فصل القيظ و يدخل فصل الخريف، و دخول فصل الخريف بحلول الشّمس رأس الميزان و نجومه الغفر- و الزّبانى- و الإكليل- و القلب- و الشّوله- و النّعائم- و البلده.

ثم يأخذ اللّيل فى الزّياده و النّهار فى النّقصان، إلى أن يمضى من كانون الأول واحد و عشرون يوما، و ذلك تسع و ثمانون ليله، و عند ذلك ينتهى طول اللّيل و ينتهى قصر النّهار، و ينقضى فصل الخريف، و دخول فصل الشّتاء بحلول الشّمس رأس الجدى و نجومه: سعد الذّابح- و سعد بلع- و سعد السّعود- و سعد الأخبيه- و الفرع المقدّم و الفرع المؤخر- و بطن الحوت-. و يأخذ النّهار فى الزّياده و اللّيل فى النّقصان إلى أن تعود الشّمس إلى رأس الحمل و يعتدل اللّيل و النّهار، و ينقضى فصل الشّتاء و ذلك تسع و ثمانون ليله و ربع، فجميع أيام السّنه على هذا العدد ثلاث مائه و خمسه و ستون يوما و ربع، لا يتغيّر و لا يزول على مرّ الدّهر.

و قد بيّنا فيما مضى أنّ السيارات سبعه و أخبرنا أنها هى التى تقطع البروج و المنازل فهى تنتقل فيها مقبله و مدبره، لازمه لطريق الشّمس أحيانا و ناكبه عنها أحيانا، إمّا فى الجنوب و إمّا فى الشّمال، و لكلّ نجم منها فى عدوله عن طريقه الشّمس مقدار إذا هو بلغه عاود فى مسيره الرّجوع إلى طريقه الشّمس، و ذلك المقدار من كلّ نجم منها مخالف لمقدار النّجم الآخر.

فإذا عزلت هذه النّجوم السّبعه عن نجوم السّماء سمّيت الباقيه كلّها ثابته، تسميه على الأغلب من الأمر لأنّها و إن كانت لها حركه مسير فإنّ ذلك خفى يفوت الحس، إلّا فى المدّه الطّويله، و ذلك لأنّه فى كلّ مائه عام درجه واحده فلذلك سمّيت ثابته.

و اعلم أنّ الطّلوع و الغروب، و تفصيل اللّيل و النّهار، و المشارق و المغارب قد قال اللّه تعالى: رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ [سوره الرّحمن، الآيه: ١٧] و

بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ [سوره المعارج، الآیه: ۴۰] و المشرقان مشرقا الشّتاء و الصّیف، و کذلک المغربان مغرباهما، و المشارق مشارق الأیام، و هی جمیعا بین المشرقین، و کذلک المغارب هی مغارب الأیّام و هی بین المغربین، فمشرق الصّیف مطلع الشّمس فی أطول یوم من السّنه.

قال أبو حنیفه: و ذلک قریب من مطلع السّماک الرّامح، بل مطلع السّماک الرّامح أشدّ ارتفاعا فی الشّمال منه قلیلا. و کذلک مغرب الصّیف هو علی نحو ذلک من مغرب السّماک الرّامح، و مشرق الشّتاء مطلع الشّمس فی أقصر یوم من السّنه، و هو قریب من مطلع قلب العقرب، بل هو أشدّ انحدارا فی الجنوب من مطلع قلب العقرب قلیلا، و کذلک مغرب الشّتاء علی نحو ذلک من مغرب قلب العقرب. فمشارق الأیّام و مغاربها فی جمیع السّنه بین هذین المشرقین و المغربین.

فإذا طلعت الشّمس من أخفض مطالعها فی أقصر یوم من السّنه لم تزل بعد ذلک ترتفع فی المطالع، فتطلع کلّ یوم من مطلع فوق مطلعها بالأمس، طالبه مشرق الصّیف فلا تزال علی ذلک حتی تتوسّط المشرقین، و ذلک عند استواء اللّیل و النّهار فی الرّبیع، فذلک مشرق الاستواء، و هو قریب من مطلع السّماک الأعزل، بل هو أمیل منه قلیلا إلی مشرق الصّیف من مطلع السّماک الأعزل.

ثم تستمرّ علی حالها من الارتفاع فی المطالع إلی أن تبلغ مشرق الصّیف الذی هو منتهاه، فإذا بلغته کرّت راجعه فی المطالع منحازه نحو مشرق الاستواء، حتّی إذا بلغته استوی اللّیل و النّهار فی الخریف، ثم استمرّت منحدره حتی تبلغ منتهی مشارق الشّتاء الذی هو منتهاه. فهذا دأبها، و کذلک شأنها فی المغارب علی قیاس ما بیّناه فی المطالع.

فأمّا القمر فإنّه یتجاوز فی مشرقیه و مغربیه مشرقی الشّمس و مغربیها، فیخرج عنهما فی الجنوب و الشّمال قلیلا، فمشرقاه و مغرباه أوسع من مشرقی الشّمس و مغربیها، و إذا أهلّ الهلال فی منزله من المنازل أهلّ فی الشّهر الثّانی فی المنزله الثّالثه، ثم لا یزال بعد مهلّه ینقل کلّ لیله إلی منزله، حتّی یستوفی منازله فی ثمان و عشرین لیله ثم یستسر، فلا یری حتی یهلّ.

فربما کان حلوله المنازل بالمقارنه لها إمّا بالمجامعه، و إمّا بالمحاذاه من فوقها أو أسفل منها، و ذلک المکالحه، یقال: کالح القمر و ربّما قصر و اقتحم فنزل بالفرج و الفرجه ما بین المنزلین، و یقال له الوصل أیضا، و هو یغیب فی لیله مهلّه فی أدنی مفارقته الشّمس لستّه أسباع تمضی من اللّیل.

ثم یتأخّر غروبه کلّ لیله مقدار ستّه أسباع حتّی یکون غروبه فی اللّیله السّابعه نصف

اللّيل، و فى ليله أربع عشره مع طلوع الشّمس، و يكون طلوعه فيها مع غروب الشّمس، و قد يتقدم ذلك أحيانا و يتأخّر على قدر تمام الشّهر و نقصانه ثم يتأخّر طلوعه كلّ ليله مقدار ستّه أسباع ساعه، حتّى يكون طلوعه ليله إحدى و عشرين نصف اللّيل، و يكون طلوعه ليله ثمان و عشرين مع الغداه.

قال أبو حنيفه: و كلّ هذا تقدير على مقارنه، و لا يكون أن يرى الهلال بالغداه فى المشرق بين يدى الشّمس و بالعشى فى المغرب خلف الشّمس فى يوم واحد و لا- يمكن ذلك، و لكن يمكن ذلك فى يومين، فأما فى ثلاثه فلا شك فيه، فإذا كان ذلك فى يومين فهو حين يستسر ليله واحده و إذا كان فى ثلاثه فهو حين يستسر ليلتين.

الباب الثّامن فی تقدیر أوقات التّهجّد التی ذکرها اللّه تعالی فی کتابه عن نبیّه و الصّحابه

و یبین ما یتصل بها من ذکر حلول الشّمس البروج الاثنی عشر قال تعالی: أَقِمِ الصَّلاهَ لِدُلُوکِ الشَّمْسِ إِلی غَسَقِ اللَّیْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ [سوره الإسراء، الآیه: ۷۸] و قال ثعلب: یذهب العرب بالدّلوک إلی غیاب الشّمس و قول الشّاعر شعرا:

هذا مقام قدمی رباح غدوه حتّی ذهبت براح

یدل علی هذا و أصله أنّ السّاقی یکتری علی أن یستقی إلی غیبوبه الشّمس و هو فی آخر النهار یتبصّر هل غابت الشّمس، و قوله براح أی تجعل راحته فوق عینیه و یتبصّر، قال: و ما روی عن ابن عبّاس من أنه زوالها للشّمس یسلم للحدیث، و غسق اللّیل ظلمته، فإذا زادت فهی السّدفه، و قال تعالی لنبیّه صلی اللّه علیه و سلم: وَ مِنَ اللَّیْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَهً لَکَ عَسی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً [سوره الإسراء، الآیه: ۷۹] قال أبو العباس ثعلب: قوله نافله لک: یرید لیس لأحد نافله إلّا للنّبی صلی اللّه علیه و سلم لأنه لیس من أحد إلّا یخاف علی نفسه، و النّبی صلی اللّه علیه و سلم قد غفر له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر، فعمله نافله. فأمّا التّهجد فإنّه یجعل من الأضداد، یقال: هجد و هجد و تهجّد إذا صلّی بالنّهار، و هجد و هجد و تهجّد إذا صلّی باللّیل قائما و قاعدا و أنشد فی النّوم قال:

هجدنا فقد طال السّری و قدرنا أنّ خنا الدّهر غفل

أی نومنا، و أنشد ابن الأعرابی فی النّوم:

و منهل من القطا موردوردت بین الهبّ و الهجود

قال: الهجود: النّوم کأنه أتاه فی السّحر و هو بین النّوم و الانتباه. و قال تعالی: یا أَیُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّیْلَ إِلَّا قَلِیلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِیلًا أَوْ زِدْ عَلَیْهِ [سوره المزّمل، الآیه: ۱- ۳] و قال تعالی: إِنَّ رَبَّکَ یَعْلَمُ أَنَّکَ تَقُومُ أَدْنی مِنْ ثُلُثَیِ اللَّیْلِ [سوره المزّمل، الآیه: ۲۰] إلی قوله: فَاقْرَؤُا ما تَیَسَّرَ مِنْهُ وَ أَقِیمُوا الصَّلاهَ [سوره المزمل، الآیه: ۲۰].

اعلم أنّه قد مرّ القول فى شرح جوانب هذه الآى بما تقدّم فى الباب الأوّل من هذا الكتاب و بقى تحديد الأوقات.

۱- الحمل: تحديد الأوقات و ذكر البروج: فيقول: إذا حلّت الشّمس برأس الحمل فغربت، طلع السّماك الرّامح و زاغت الشّعرى العبور عن وسط السماء، و قارب أن يتوسّط الشّعرى الغميصاء فصار خطّ نصف النّهار بينهما، و خط نصف النّهار هو الآخذ من نقطه الجنوب إلى نقطه الشّمال، فعليه يكون زوال الشّمس و زوال جميع الكواكب مما صار بينه و بين الأفق الجنوبى، و بين سمت الرّأس، و عادتهم أن يسمّوه خط نصف النّهار.

و ما كان منه فى الحاشيه بين سمت الرّأس و بين نقطه الشّمال التى من عادتهم أن يسمّوه خط نصف اللّيل، و عليه يكون زوال الكواكب الشّماليه. فإذا كان ثلث اللّيل طلع النّسر الواقع و قلب العقرب، و غرب النّاجذ و هو رجل الجوزاء و إذا كان نصف اللّيل طلع الرّدف و هو الكوكب الذى يسمّيه المنجمون ذنب الدجاجه، و طلع النّسر الطائر على أثره بقليل، و جنحت الشّعرى، و جنوحها أن تميل للغروب، و سقط العيّوق، و سقوطه غيبته، فإذا كان ثلث اللّيل قاربت الفكه أن تتوسّط السّماء و زاغ السّماك الرّامح عن وسط السّماء فأدبر، و الإدبار أكثر من الزّيغان، و ضجع الكوكب الفرد، فيصير على خط نصف اللّيل.

و إذا حلّت الشّمس بوسط الحمل فغابت طلعه الفكّه، و زاغت الشّعرى الغميصاء فأدبرت، فإذا كان ثلث اللّيل استقلّ قلب العقرب و النّسر الواقع. و استقلال الكوكب أن تراه قد ارتفع قدر القامه فى رأى العين، و أكثر شيئا و غابت الشّعرى العبور قبل ذلك، و غاب المرزم، و هو يد الجوزاء، و جنح العيّوق، فإذا كان نصف اللّيل استقلّ النّسر الطّائر و سقطت الغميصاء، و سقط العيّوق قبل ذلك، و توسّط السّماك الرّامح أو همّ بالتّوسّط، فإذا كان ثلثا اللّيل قلب العقرب بالتّوسّط و منكب الفرس بالطّلوع، و زاغت الفكه و جنح قلب الأسد.

۲- الثور: فإذا حلّت الشّمس برأس الثّور فغابت، توسّط قلب الأسد و جنح رأس الغول و النّاجذ و الدّبران، و زاغ الفرد، فإذا كان ثلث اللّيل غاب العيّوق و قارب السّماك الرّامح أن يتوسط و قرب طلوع النّسر الطّائر، و طلع الرّدف، و إذا كان نصف اللّيل قاربت الفكّه أن تتوسّط، و زاغ السّماك الرّامح و جنح الفرد. فإذا كان ثلثا اللّيل طلعت الكفّ الخضيب، و هى الكوكب الشّمالى من كوكب الفرع الثّانى، و غاب قلب الأسد، و زاغ قلب العقرب فأدبر.

و إذا حلّت الشّمس بوسط الثّور فغربت طلع النّسر الواقع و قد غاب الدّبران قبيل ذلك، و طلع العيّوق و قلب العقرب، و زاغ قلب الأسد فأدبر. فإذا كان ثلث اللّيل توسّط السّماك

و استقلّ النّسر الطائر، فإذا كان نصف اللّيل طلع منكب الفرس و توسّط قلب العقرب، و جنح قلب الأسد، و إذا كان ثلثا اللّيل استقلّت الكفّ الخضيب، و زاغ قلب العقرب فأدبر منصبّا و انصبابه: إمعانه فى الزّيغان.

۳- الجوزاء: فإذا حلّت الشّمس بأوّل الجوزاء فغربت استقلّ قلب العقرب و النّسر الواقع، و جنح العيّوق و غاب المرزم، فإذا كان ثلث اللّيل توسّطت الفكّه و همت و هى إذا توسّطت السّماء، فصارت على خطّ نصف اللّيل ببلد الدّينور، كانت على قمه الرّأس، سواء أعنى أنّها تكون فوق رأس القلم، و قارب قلب العقرب التّوسّط و غاب الفرد، و إذا كان نصف اللّيل طلع الكفّ الخضيب و سقط قلب الأسد، و زاغ قلب العقرب فأدبر، و إذا كان ثلث اللّيل طلع رأس الغول و توسّط النّسر الواقع.

فإذا حلّت الشّمس بوسط الجوزاء فغرب، طلع الرّدف و جنحت الغميصاء و قارب طلوع النّسر الطائر، فإذا كان ثلث اللّيل زاغ قلب العقرب سقط قلب الأسد، و طلع منكب الفرس، فإذا كان نصف اللّيل قارب النّسر الطّائر التّوسّط و قارب قلب العقرب خطّ القبله، فإذا كان ثلثا اللّيل زاغ النّسر الطّائر و أدبر النّسر الواقع، و إدباره أن يبعد عن خطّ نصف اللّيل، و طلع العيّوق و تبعته الثّريا و طلعت.

۴- السّرطان: و إذا حلّت الشّمس بأوّل السّرطان فغربت توسّط السّماك الرّامح و استقلّ النّسر الطّائر، فإذا كان ثلث اللّيل استقلّت الكفّ الخضيب و زاغ قلب العقرب فأدبر، فإذا كان نصف اللّيل زاغ النّسر الواقع و همّ النّسر الطّائر بالتّوسّط و طلع رأس الغول، و إذا كان ثلثا اللّيل طلع العيّوق و تبعته الثّريّا و همّ الرّدف بالتّوسّط، و غوّر قلب العقرب و تغويره: أن يقع فى الغور فلا يلبث أن يغيب. و ضجع السّماك الرّامح، و ضجوعه أن يميل للمغيب و هو قبل التّغوير، و الجنوح قبل الضّجوع و الانصباب قبل الجنوح.

فإذا حلّت الشّمس بوسط السّرطان فغربت همّت الفكه و قلب العقرب بالتّوسّط، و غوّر الفرد، و إذا كان ثلث اللّيل توسّط النّسر الطّائر و طلع رأس الغول، و إذا كان نصف اللّيل طلع العيّوق و طلعت الثّريا على أثره، و زاغ النّسر الطّائر، و جنح قلب العقرب، فإذا كان ثلثا اللّيل طلع الدّبران، و غاب السّماك الرّامح.

۵- الأسد: و إذا حلّت الشّمس بأوّل الأسد فغربت، طلع منكب الأسد و توسّط قلب العقرب، و ضجع قلب الأسد فإذا كان ثلث اللّيل استقلّ رأس الغول، و توسّط النّسر الطّائر، و زاغ النّسر الواقع فأدبر، و إذا كان نصف اللّيل توسّط الرّدف و ضجع السّماك الرّامح، و غاب قلب العقرب، و إذا كان ثلثا اللّيل توسّط منكب الفرس و غوّرت الفكّه.

و إذا حلّت الشّمس بوسط الأسد فغربت، طلعت الكفّ الخضيب و زاغ قلب العقرب فأدبر، و غاب قلب الأسد، فإذا كان ثلث اللّيل طلع العيّوق و الثّريّا، و ضجع قلب العقرب، و قارب الرّدف التّوسّط، فإذا كان نصف اللّيل استقلّ الدّبران، و قارب منكب الفرس أن يتوسّط. و إذا كان ثلثا اللّيل طلع النّاجذ، و توسّط الكفّ الخضيب و استقلّ المرزم.

۶- السّنبله: و إذا حلّت الشّمس بأوّل السّنبله فغربت، استقلّ الكفّ الخضيب فإذا كان ثلث اللّيل طلع الدّبران و زاغ الرّدف، و غاب السّماك الرّامح، فإذا كان نصف اللّيل زاغ منكب الفرس، و غربت الفكّه و طلع المرزم، و إذا كان ثلثا اللّيل طلعت الشّعرى الغميصاء، و همّت الشّعرى العبور بالطّلوع.

و إذا حلّت الشّمس بوسط السّنبله فغربت، قارب أن يطلع رأس الغول و قرب توسّط نسر الواقع، فإذا كان ثلث اللّيل استقلّ الدّبران و قارب منكب الفرس التّوسّط، و جنحت الفكّه، فإذا كان نصف اللّيل استقل النّاجذ و زاغت الكفّ الخضيب، و استقل المرزم، و إذا كان ثلثا اللّيل غاب النّسر الطائر و استقلّت الشّعريان، و جنح النّسر الواقع.

۷- الميزان: و إذا حلّت الشّمس برأس الميزان فغربت، طلع رأس الغول و زاغ النّسر الواقع، فإذا كان ثلث اللّيل قارب المرزم الطّلوع، و زاغ منكب الفرس، و غابت الفكّه، فإذا كان نصف اللّيل طلعت الشّعريان و انصبّ النّسران، و انصبابهما: تدلّيهما للغروب، فإذا كان ثلثا اللّيل طلع قلب الأسد و الكوكب الفرد بأثره و رأس الغول و غاب النّسر الواقع.

و إذا حلّت الشّمس بوسط الميزان، و غربت همّ العيّوق بالطّلوع و توسّط النّسر الطائر، فإذا كان ثلث اللّيل طلع النّاجذ و استقلّ المرزم، و زاغت الكفّ الخضيب، فإذا كان نصف اللّيل استقلّت الشّعريان، و غاب النّسر الطّائر، فإذا كان ثلثا اللّيل استقلّ قلب الأسد و الكوكب الفرد، و توسّط الدّبران.

۸- العقرب: و إذا حلّت الشّمس بأوّل العقرب فغربت، طلع العيّوق و تبعته الثّريا و زاغ النّسر الطّائر، و انصبّ السّماك الرّامح، و إذا كان ثلث اللّيل استقلّ النّاجذ، و قرب طلوع الشّعريين، و انصبّ النّسر الطّائر، و إذا انتصف اللّيل طلع قلب الأسد، و زاغ رأس الغول، و غاب النّسر الواقع، و إذا كان ثلثا اللّيل توسّط النّاجذ و زاغ العيّوق، و ضجع منكب الفرس و غاب الرّدف.

و إذا حلّت الشّمس بوسط العقرب، توسّط الرّدف و ضجع السّماك الرّامح فإذا كان ثلث اللّيل اقتربت الشّعريان، و اقترابهما دون الاستقلال، و ضجع النّسر الطّائر، فإذا كان نصف اللّيل استقلّ قلب الأسد و الكوكب الفرد، و همّ الدّبران بالتّوسّط، فإذا كان ثلثا اللّيل همّت

الشّعرى العبور بالتّوسّط، و غاب الرّدف قبل ذلك، و زاغ المرزم، و انصبّت الكفّ الخضيب.

۹- القوس: و إذا حلّت الشّمس بأوّل القوس فغربت، طلع الدّبران و غاب السّماك الرّامح اتفاقا، فإذا كان ثلث اللّيل توسّط رأس الغول، و همّ قلب العقرب بالطّلوع، فإذا كان نصف اللّيل همّ النّاجذ بالتّوسّط، و زاغ العيّوق قليلا، و غوّر الرّدف، فإذا كان ثلثا اللّيل أشخص السّماك، و إشخاصه: إقرانه، و هو نهوضه فى المطلع قليلا، و توسّط الشّعرى الغميصاء، و زاغت العيّوق.

فإذا حلّت الشّمس بوسط القوس فغربت، توسّط منكب الفرس و غوّرت الفكّه، فإذا كان ثلث اللّيل استقلّ قلب الأسد، و قارب الدّبران التّوسّط، و طلع الفرد، فإذا كان نصف اللّيل زاغ المرزم، و غرب قبل ذلك منكب الفرس، و قاربت الشّعرى العبور التّوسّط، فإذا كان ثلثا اللّيل طلعت الفكّه.

۱۰- الجدى: و إذا حلّت الشّمس بأوّل الجدى فغربت، طلع النّاجذ و استقلّ المرزم، و توسّطت الكفّ الخضيب، فإذا كان ثلث اللّيل زاغ الدّبران، و همّ النّاجذ بالتّوسّط، و ضجع الرّدف، فإذا كان نصف اللّيل طلع السّماك الرّامح، و غابت الكفّ الخضيب، و همّت الشّعرى الغميصاء بالتّوسّط، فإذا كان ثلثا اللّيل همّ قلب الأسد بالتّوسط، و جنح رأس الغول و توسّط الفرد.

فإذا حلّت الشّمس بوسط الجدى، فغربت، طلعت الشّعريان، و جنح النّسر الطّائر، فإذا كان ثلث اللّيل زاغ المرزم، و غاب منكب الفرس، و غاب قبل ذلك الرّدف، فإذا كان نصف اللّيل طلعت الفكّه، و زاغت الشّعرى الغميصاء، فأدبرت فإذا كان ثلثا اللّيل همّ الهراران بالطّلوع و غاب النّاجذ و الدّبران و رأس الغول.

۱۱- الدّلو: فإذا حلّت الشّمس بأوّل الدّلو فغربت، قارب رأس الغول التّوسّط، و استقلّت الشّعريان فارتفعتا فإذا كان ثلث اللّيل طلع السّماك الرّامح و غابت الكفّ الخضيب و زاغت الشّعرى العبور، فإذا كان نصف اللّيل قارب قلب الأسد التّوسّط، فإذا كان ثلثا اللّيل طلع الهراران، و هما قلب العقرب و النّسر الواقع، و ضجعت الشّعرى العبور و المرزم.

و إذا حلّت الشّمس بوسط الدّلو فغربت أشخص قلب الأسد، و طلع الفرد، و قارب الدّبران التّوسّط، فإذا كان ثلث اللّيل طلعت الفكّه و زاغت الشّعرى الغميصاء، فأدبرت بعيدا، فإذا كان نصف اللّيل غاب رأس الغول، و رجل الجوزاء، و زاغ قلب الأسد، فإذا كان ثلثا اللّيل طلع الرّدف و غوّر العيّوق.

۱۲- الحوت: و إذا حلّت الشّمس بأوّل الحوت فغربت، زاغ الدّبران و توسّط العيّوق، و غوّر الرّدف، و همّ النّاجذ بالتّوسّط، فإذا كان ثلث اللّيل قارب الأسد التّوسّط، و استقلّت الفكه فارتفعت، فإذا كان نصف اللّيل طلع الهراران و جنحت الشّعرى اليمانيه، فإذا كان ثلث اللّيل طلع النّسر الطّائر و غوّرت الشّعرى الغميصاء، و غاب العيّوق.

فإذا حلّت الشّمس بوسط الحوت فغربت، زاغ المرزم، و غاب منكب الفرس قبل ذلك، و همّت الشّعرى العبور بالتّوسّط، فإذا كان ثلث اللّيل زاغ قلب الأسد، و غوّر رأس الغول، و رجل الجوزاء، فإذا كان نصف اللّيل غاب المرزم و الشّعرى العبور قبيل ذلك، و استقلّ النّسر الواقع، و قارب طلوع الرّدف، فإذا كان ثلثا اللّيل توسّط السّماك الرّامح و استقلّ النّسر الطّائر.

الباب التّاسع فی ذکر البوارح و الأمطار مقسّمه علی الفصول و البروج و فی ذکر المراقبه

اشاره

اعلم أنّ جمیع أمطار السّنه ثمانیه أصناف، و هی الوسمی- و الولی- و الشّتی- و الدّفی ء- و الصّیف- و الحمیم- و الرّمضی- و الخریفی- و لکلّ صنف منها وقت عرفته العرب بمساقط منازل النّهار الثّمانیه و العشرین التی ذکرها اللّه تعالی فی کتابه فقال: وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ [سوره یس، الآیه: ۳۹] و بالبروج الاثنی عشر لأن کلّ برج منزلان و ثلث من هذه الثمانیه و العشرین، و ذلک حکم منهم علی مناجعهم و مزالفهم بالتّجارات، و هو إلی الآن علی ذلک، و إن کان کثیر من أطراف الأرض و أوساطها یختلف، فقد قیل: إنّ أهل الیمن یمطرون فی الشّتاء و یخصبون فی الصّیف.

قال أبو حنیفه: إذا أحببت أن تستیقن ذلک فانظر إلی زمان مدّ النّیل، فإنّه فی صمیم القیظ، و إنّما یمدّ من أمطار البلاد التی منها یقبل، و قال بعض أصحاب الخلیل، و قد صنّف أبواب الانتفاع بالمطر: إنّ من المغرب من مطره الذی یغیثه و ینفعه الخریف، و یکون أکثر مطرهم و أغزره و أنفعه لهم.

و قال أکثرهم: إنّ مطر الرّبیع ضارّ، و هم أهل الیمن و من یلیهم من تهامه. و منهم من یحسبه الوسمیّ، و هو مطر الشّتاء، و مجیئه الرّبیع، و یکون الخریف ضارا یفسد کلأهم و یلبده، و هم أهل العراق و من قاربهم من نجد، و منهم من یصیبه مطر السّنه کلّها و هم أهل نجد الذین تاخموا نجدا، أی حاذوهم، و أهل العراق، و من قاربهم من الشّام و نجد، و ما بینهما و بین خراسان مطرهم الشّتوی و الرّبعی، و مطر الیمن و ما قاربها من تهامه الصّیفی، و الخریفی. قال: و من تهامه و نجد ما تعمّه هذه الأمطار کلّها، و کذلک طبرستان- و الدّیلم- و أرمینیه- و جبلان- و جبل القیق. و العرب تقول: إنّه ما اجتمع مطر الثّریا فی الوسمیّ و مطر الجبهه فی الرّبیع إلّا کان تامّ الخصب ذلک العام، کثیر الکلأ.

و هـذا كمـا حكوا عن الحرم أنه إذا أصاب المطر الباب الـذى من شقّ العراق كان الخصب فى تلك السّـنه بالعراق، و إذا أصاب شقّ الشّام كان الخصب و المطر فى تلك السّنه بالشّام، و إذا عمّ جوانب البيت كان المطر و الخصب عاما فى البلدان.

و اعلم أنّه كمـا أنّ لكـلّ نجم نوء فله بـارح أيضا و هى البوارح و هى الرّياح. و العرب تقول: فعلنا كـذا أيام البوارح، و هى رياح النّجم- و الدّبران- و الجوزاء- و الشّعرى- و العقرب- و أنشد الأصمعىّ:

أيا بارح الجوزاء مالك لا ترى عيالك قد أمسوا مراميك جوّعا

و قال آخر شعرا:

أ يذهب بارح الجوزاء عنّى و لم أذعر هوامك بالسّنار

و قال آخر شعرا:

أيا بارح الجوزاء مالك لا تجى و قد فنى مال الشّيخ غير قعود

و أحبّوا أن تهبّ ريـاح الجوزاء حتى إذا طردوا إبلا- و سرقوها عفت الرّيـاح آثارهـا و آثارهم، فأمنوا أن يقتفى أثرهم، و اسم ما يحدث من ريح أو حر بارح على التّشبيه بالبارح من الوحش، لأنه قد يطلع مما يلى شمال النّاظر، و يأخذ على يمينه كالوحش.

و قـال أبو حنيفه: زعم قوم لا- معرفه لهم باللغه، أنّ البارح ضـدّ النوء، و أنّه طلوع الرّقيب فيقولون: برح الكوكب: إذا طلع، قالوا و ذلـك لأنه ييامن البيت الحرام إذا طلع و يياسره إذا غرب، و إن قال: خـذ من يمينك إلى يسارك فهو بارح. و الـذى قالوه ليس بمـدفوع، لكنـا لم نجـد العلمـاء يعرفون مـا قـالوه فى الكوكب، و لا رووا ذلك عن العرب، قال أبو زيـد: البارح: الشّـمال الحاره يكون فى الصّـيف. و قال الفرّاء: البوارح: الرّياح الصّـيفيه، و سـمّيت بذلك لأنّها هى السّـموم التى تأتى من الشّمال، و أنشد لذى الرّمّه شعرا:

تلوث على معارفنا و نرمى محاجرنا شآميه سموم

و قال أبو عمرو: و هى ريح السّموم، و قال يزيد بن القحيف: البارح: شدّه الرّيح فى الحرّ، و قال مرار فى صحه ما قالوا شعرا:

تراها تدور لغيرانهاو يهمجها بارح ذو عما

يهمجها: يرمى بها فى كنسها، و هى غيرانها، و جعلها ذا عماء لعرئه و العماء أصله فى السّحاب، و قال الأخطل شعرا:

شرقن إذ عصر العيدان بارحهاو أيبست عن مجرى السّنه الخضر

يقول: جفّ كلّ شی ء أخضر فلم يبق إلّا من درع يسقى. و السّنه سنه الحراث، و مجرى السّنه الحرث، و قال بعضهم: قيل له بارح: لأنه يبرح بالتّراب أى يذهب به، و قيل أيضا: البارح البين، كما يقال برح الخفاء إذا بان بما كان يخفى. و يجوز أن يكون من البرح، و هو الشّده لما كان ينسب البرد و الأمطار و السّموم و الحرور إلى نوئه معه. و منه البرح و برحين و بنات برح و بنت برح. و قال أبو زيد: إذا هبّت الجنوب بعد دوام الشّمال فى ذلك فرسخ أى راحه و فرجه. و الرياح أربع بإجماع من الأمم. و إنّما اختلفت باختلاف مهابّها فى أقطار الأرض الأربعه، و هى: مطلع الاستواء- و مغربه- وجهه القطب الجنوبى- وجهه القطب الشمالى، فالتى تهبّ من مغرب الاستواء هى الغربيه و تسمّى الدّبور، و هى التى سمّاها اللّه عقيما.

و قال النّبى صلى اللّه عليه و سلم: «نصرت بالصّبا و أهلكت العاد بالدّبور» و التى تهبّ من جهه القطب الجنوبى هى الجنوب و تسمّى الأزيب. و النّعامى و هى تهبّ من جهه القطب الشّمالى و تسمى الشّمال، و هى الجربياء، و محوه لأنّها تبدّد السّحاب و تمحوه، و نسعا و مسعا و هى الشّاميه.

و قال ابن الأعرابى: مهبّ الجنوب من مطلع سهيل إلى مطلع الثّريا، و مهبّ الصّبا من مطلع الثّريا إلى بنات نعش، و مهب الشّمال من بنات نعش إلى مسقط النّسر الطائر، و مهبّ الدّبور من مسقط النّسر الطائر إلى مطلع سهيل، و الجنوب و الدّبور لهما هيف و هو الرّياح الحاره الصّيفيه، و الصّبا و الشّمال لا هيف لهما. و العرب تجعل أبواب بيوتها حذاء الصّبا و مطلع الشّمس.

و قال الأصمعى: ما بين سهيل إلى طرف بياض الفجر و ما بإزائها ممّا يستقبلها شمال و ما جاء من وراء بيت اللّه الحرام، دبور، و ما كان قباله ذلك فهو صبأ و قال غير الأصمعى و ابن الأعرابى: الجنوب التى تهبّ عن يمين القبله شتاء و الصّبا بإزائها، و قالوا كلّهم كلّ ريح تهبّ بين مهبى ريحين فهى نكباء، لتنكّبها عن المهاب المعروفه، و الجمع نكب، و تميل فى طبعها إلى الرّيح التى فى مهبها أقرب إليها.

و قال أبو زيد: النّكباء التى لا يختلف فيها: هى التى بين الصّبا و الشّمال و النّكباء ذات ثمان، لأنّ بين كلّ ريح و أختها ريحين، و كلّ واحده إلى جنب صاحبتها و هبوبها فى أيام الشّتاء أكثر، و من رياح الشّتاء الحرجف و البليل، و من رياح الصّيف الهيف و السّموم و الحرور، فإن هبّت ليلا فى ابتداء الرّبيع فهى الخاسه. و سيجی ء القول فى أجناس الرّياح مستقصى فى موضعه، و اللّواقح تهبّ فى الربيع لا غير، و هى الجنوب، و الصّبا و الشّمال و تسمّى المستثابات، و معناه المستنقعات من الثّواب، و يجوز أن يكون المسئولات النؤب

أی الرّجوع. و روی ابن الأعرابی أنه قلّ ما تهبّ الشّمال إلا و إذا جاء اللّیل ضعفت أو سقطت و لذلک قالوا فی أحادیثهم: إنّ الجنوب قالت للشّمال إنّ لی علیک فضلا أنا أسری و أنت لا تسرین، فقالت الشّمال: إنّ الحره لا تسری باللّیل و هذا کما تری.

و قال أبو زید: إنّ أکثر هبوب الشّمال باللّیل، و أنه قلّما ینتفج من الرّیاح باللّیل إلا الشّمال، و ربما انتفجت علی النّاس بعد نومهم، فتکاد تهلکهم بالقرّ من آخر لیلهم و قد کان أوّل لیلهم دفیئا، و هذا الخلاف فیما أتین لاختلاف البقاع، و تفاوت الأزمان و اللّه أعلم.

و أنشد الأصمعی یصف النّساء:

تصیّفن حتّی أوجف البارح السّفاو نشّت جرامید اللّوا و المصانع

فالمصانع و إیجاف البارح السّفا: مرّ به علی وجه الأرض، و هو من الوجیف و هو السّرعه، و السّفا ما تساقط من یبیس البقل، و قال أیضا:

ألفن اللّوی حتّی إذا البروق ارتمی به بارح راح من الصّیف شامس

و البروق من دفی ء النّبت، و فی المثل: أشکر من البروق، لأنّه ینبت بالغیم و الرّاح الشّدید من الرّیح، و یشبه هذا قوله:

أقمن علی بوارح کلّ نجم و طیّرت العواصف بالتّمام

و البارح مذکّر، و إن کانت الرّیح مؤنّثه.

قال أبو حنیفه: قد حکی بعضهم أنّ العرب کانت تقول لا بدّ لنوء کل کوکب من أن یکون فیه مطر أو ریح أو غیم أو حر- أو برد- ثم کانوا ینسبون ما کان فیه إلیه، و الأعمّ الأشهر أنّ الأمطار مقصور ذکرها علی الأنواء خاصه. فما یکاد یسمع بشی ء منها منسوبا إلی طلوع و لا یحفظ، و أما البوارح فأکثر الأمر فیها أن ینسب إلی طلوع نجوم الحرّ خاصه لأنها ریاح الصّیف، و ربّما نسب شی ء منها إلی النّوء و ذلک قلیل.

و قال ذو الرمه:

حدا بارح الجوزاء أعراف موره بها و عجاج العقرب المتناوح

الأعراف: الأوائل، المور: الغبار و أراد بعجاج العقرب: عجاج بارح العقرب کقوله:

شفّها هبوب الثّریا و التزام التنائف، أراد هبوب بارح الثّریا فهذا ذکر البوارح.

فصل فى المراقبه و المطالعه

و اعلم أنّ لكلّ برج و منزل رقيبا من المنازل و البروج، فرقيب كلّ برج البرج السّابع، و رقيب كلّ منزل المنزل الخامس عشر، و معنى الرّقيب الذى فى غروبه طلوع الآخر، و هو مأخوذ من المراقبه، لأنه يراقب بالطلوع غروب صاحبه. قال شعرا:

أ حقّا عباد اللّه أن لست لاقيابثينه أو تلقى الثّريّا رقيبها؟!

و المعنى لست لاقيها أبدا، لأنّ هذا لا يكون أبدا، و كيف يلقيان و أحدهما إذا كان فى المغرب كان الآخر فى المشرق؟ و قال:

قدورهم تغلى أمام قبابهم إذا ما الثّريا غاب قصرا رقيبها

فمراقبه الأبراج للأبراج و المنازل للمنازل، على ما ذكرناه، و من هذه البروج ما يشاكل اسمه صورته كالعقرب و الحوت، و منها ما لا يشاكل اسمه صورته، و البروج الاثنا عشر سمّى بعضها بأسماء. فالحمل يسمّى: الكبش، و الجوزاء: التّوأمين، و السّنبله: العذراء، و العقرب: الصّوره، و القوس: الرّامى، و الحوت: السّمكه. و يسمّى أيضا الرّشاء، و لكلّ برج منزلان و ثلاثه من منازل القمر، حتّى يستوفيها. فالحمل رقيبه الميزان، و الثّور رقيبه العقرب، و الجوزاء رقيبه القوس، و السّرطان رقيبه الجدى، و الأسد رقيبه الدّلو، و السّنبله رقيبه الحوت.

و المطالعه هو أن يطلع نجمان معا، أو متقاربين، و لا يكون ذلك فى نجوم الآخذ و لا يطلع نجمان منها معا، و لكن يكون فى غيرها، و فيها مع غيرها و ذلك كمطالعه الثريا بالعيّوق و لذلك يقول شاعرهم:

فإن صديا و المدامه ما مشى لكالنّجم و العيّوق ما طلعا معا

و مطالعه الشّعرى الغميصاء الشّعرى العبور، و مطالعه الأعزل للرّامح، و مطالعه النّسر الطّائر للعنا، و مطالعه الجبهه سهيلا، فإن كلّ نجم إذا طلع معه الآخر أو قريبا.

و أنشد أبو العباس أحمد بن يحيى:

و صاحب المقدار و الرّديف أفنى الوفا بعد ألوف

الرّديف النّجم الذى إذا نأى من المشرق انغمس رقيبه فى المغرب، و إنما يعنى أن تعاقب النّجوم على مرّ الدّهور و لا يبقى أحد.

الباب العاشر فی ذکر الأعیاد و الأشهر الحرم و الأیام المعلومات، و الأیام المعدودات و الصلاه الوسطی

اشاره

حکی ثعلب عن ابن الأعرابی قال: سألت أعرابیّا فصیحا فقلت: ما الأشهر الحرم؟

فقال: ثلاثه سرد، واحد فرد. قال ثعلب: فالسّرد المتتابعه و هو ذو القعده- و ذو الحجه- و المحرّم- و الفرد: رجب. و هذا قول ابن عباس و یکون من سنتین، و قال غیر ابن عباس:

هی من سنه واحده فعددها المحرّم و هو أوّلها- و الثّانی: رجب- و الثّالث: ذو القعده- و الرّابع: ذو الحجّه. و احتج هذا بأنه قال تعالی: مِنْها أَرْبَعَهٌ حُرُمٌ [سوره التوبه، الآیه: ۳۶] یعنی من الاثنی عشر، فجعلها من سنه واحده.

قال ثعلب: و الاختیار عندی قول ابن عبّاس و هو کلام العرب، و إن کان لفظها من سنتین فهی تعود إلی الاثنی عشر إلی سنه واحده، و روی عن النبی صلی اللّه علیه و سلم: «دخلت العمره فی الحج» أی فی أشهر الحج و لم تکن العرب تعرف العمره فی أشهر الحج، بل کانت العمره فیها عندهم من أفجر الفجور، و کانوا یقولون: إذا انسلخ صفر، و نبت الوبر، و عفا الأثر، و برأ الدّبر، حلّت العمره لمن اعتمر. فلمّا اعتمر رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی أشهر الحج دخلت العمره فی الحج، أی فی أشهرها، و روی سفیان بن عیینه أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم کتب لآل حزم: «إنّ العمره الحج الأصغر»، فدلّ کلامه علی أن ثمّ أکبر.

و روی عن عطاء أنه قال: من اعتمر ثم مات و لم یحج أجزأت عنه حجه الإسلام، یذهب إلی قوله تعالی: وَ لِلَّهِ عَلَی النَّاسِ حِجُّ الْبَیْتِ [سوره آل عمران، الآیه: ۹۷] و روی عن علیّ کرّم اللّه وجهه: الحجّ الأکبر یوم النّحر، محتجّا بقوله تعالی: فَسِیحُوا فِی الْأَرْضِ أَرْبَعَهَ أَشْهُرٍ [سوره التوبه، الآیه: ۲] و هی عشرون من ذی الحجّه- و المحرّم- و صفر- و شهر ربیع الأوّل- و عشر من ربیع الآخر- قال: فلو کان یوم عرفه لکان أربعه أشهر و یوما، و کان ابن عباس یقول: الحج الأکبر یوم عرفه، و کان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، خرج مهلّا بالحج و یقول

بعضهم: خرج لعمره، و قال بعضهم؛ خرج قارنا و إنما خرج ينتظر أمر اللّه، و علم اللّه أنّها حجه لا يحج بعدها فجمع ذلک كلّه له فى شهر واحد، ليكون جميع ذلک سنّه لأمّته، فلمّا طاف بالبيت ثم رأى أن يجعلها عمره، و حبس من كان معه على هدى، لقوله تعالى: حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ [سوره البقره، الآيه: ۱۹۶] فجمعت له العمره و الحج.

و قد قال قوم: إنّ الأربعه الحرم هى التى أجّلها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم للمشركين فقال:

فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ [سوره التوبه، الآيه: ۲] و هى شوّال- و ذو القعده- و ذو الحجّه- و المحرّم. ثم قال: فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ [سوره التوبه، الآيه: ۵] و قال: إنّ الأربعه التى جعلت حلّا من عشر ذى الحجه إلى عشر من ربيع الآخر، و جعلها حرما، كما قال: مكّه حرم إبراهيم، و المدينه حرمى. و روى أيضا أنه حرم ما بين لابتى المدينه يعنى حرّتيها، و فى آخر حرم ما بين عير إلى ور و هما جبلان. فأما قوله تعالى:

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ [سوره البقره، الآيه: ۱۹۷] فإنه يريد أوقات الحجّ أشهر، أو أشهر الحجّ أشهر. و هذا خطاب يدلّ على معرفه العرب بشهور معلومه كانوا فيها يحجّون، فأقرّ اللّه أمرها فى الإسلام على ما كانت عليه و دعا إلى إقامه الحجّ فيها.

و اعلم أنها أوقات الحجّ دون غيرها، و أنّ من فرض على نفسه فيها الحجّ فمن السنه أن يترک الرّفث و الفسوق و الجدال، و معنى فرض الرّجل على نفسه الحج إهلاله به، و الإهلال التّلبيه، و أصله رفع الصوت. و روى عن الشّعبى و ابن عمر أنّها شوّال- و ذو القعده- و ذو الحجه- و قال بعضهم: له من ذى الحجّه عشر ليال، فكأنّه جعل الشّهرين و بعض الثّالث أشهرا، و هذا فى القياس قريب لأنّه كما جاز أن يسمى الشّهر ذا الحجّه، و إن كانت الحجّه فى بعض أيّامه، كذلک يجوز أن يسمّى شهر الحجّ، و إن لم يكن جميع أيّامه مصروفا إليه.

و حكى عن ابن عبّاس أنه قال: الأيام المعدودات أيام التّشريق، و الأيّام المعلومات الأيام العشره من أوّل ذى الحجّه. و قال عطاء: الأيام المعدودات أيام منى و يوم التّرويه، سمّى بذلک لأنّهم كانوا يتروّون من الماء، و يتزوّدونه معهم، و يوم عرفه لا يدخله الألف و اللام، و إنّما سمّى عرفه و عرفات، لأنّ من حضرها كانوا يتعارفون بها. و قال بعضهم: بل لأنّ جبرائيل عليه السّلام طاف بإبراهيم صلوات اللّه عليه يديره على المشاهد، و يوقفه عليها، و يقول له: حالا بعد حال عرفت عرفت، و العروف الحدود، و الواحد عرفه. و قيل: سمّيت عرفه بذلک كأنّه عرف حدّه لتميزه عن غيره من الأرضين، و لكونه معرفه امتنع من دخول الألف و اللّام عليه. و حكى؛ طار القطا عرفا عرفا، بعضها خلف بعض.

و أمّا الأعراف: فكل موضع مرتفع عند العرب و منه قوله تعالى: وَ عَلَى الْأَعْرافِ

رِجالٌ [سوره الأعراف، الآيه: ۴۶]، و لا يمتنع أن يكون عرفه و عرفات مشتقا من جميع ذلك و التّعريف: الوقوف بعرفات، و تعظيم يوم عرفه إن نصب الضاله فتنادى عليه و إن سمّيت رجلا بعرفات صرفته، و لم يكن التاء فيه كالتاء من عرفه لو سمّيت بها، و ذلك أنّ التاء من عرفات بإزاء النّون فى المسلمين، إذ كان هذا الجمع من المؤنث بإزاء جمع المذكّر الصّحيح، و لذلك لمّا كان ذاک فى موضع النّصب و الجر بالياء، جعل هذا فى موضع النّصب و الجر بالكسره، لأنّ الكسره أخت الياء، فلمّا كان الأمر على ذلك لم يكن كالتّاء التى يبدل منها فى الوقف هاء كالتى فى طلحه و عزّه، و كان يمتنع الصّرف فى المعرفه. و فى القرآن:

فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ [سوره البقره، الآيه: ۱۹۸] فصرفه و إن كان معرفه.

و مشاعر الحجّ واحدها مشعر و هو فى موضع المنسک، و كذلك الشّعيره من شعائر الحجّ، و هى علاماته و أفعاله المختصه به، كالسّعى و الطّواف و الحلق و الذّبح، و كلّ ذلك يجوز أن يكون من شعرت، و ليت شعرى، فيرجع إلى العلم كما أنّ عرفه و عرفات فى تصاريفه يرجع إلى المعرفه، و فى القرآن: وَ الْبُدْنَ جَعَلْناها لَكُمْ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ [سوره الحج، الآيه: ۳۶] و قال الخليل: يقال: أشعرت هذه البدنه للّه نسكا أى: جعلتها شعيره تهدى، قال: و قال بعضهم: إشعارها أن يوجأ سنامها بسكّين فيسيل الدّم على جنبها فيعلم أنّها هدى. أو يعلّم بعلامه تشدّ فى سنامها. و كره قوم من الفقهاء تدميتها، و قالوا: إذا قلّدت فقد أشعرت.

و قوله تعالى: يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ [سوره التوبه، الآيه: ۳] قيل: هو يوم النّحر، و قيل:

هو يوم عرفه و كانوا يسمّون العمره: الحج الأصغر.

و يوم النّحر: سمّى به لأنّهم كانوا ينحرون البدن.

و يوم القر: بعده، و هو الذى يسميه العامه يوم الرّءوس، و سمّى بذلك لأنّ الناس يستقرون فيه بمنى لا يبرحونها.

و يوم النفر: سمّى به لأنّ النّاس ينفرون فيه متعجلين.

و يقال: عيد الفطر، و عيد الإفطار، و عيد الضّحى و العيد أصله من عاد يعود لعوده كلّ سنه، لكن واوه انقلبت ياء لانكسار ما قبلها، ثم جعل البدل لازما حتى كأنّه اسم وضع لليوم، لا مناسبه بينه و بين المشتق منه، و هم يفعلون مثل هذا إذا أرادوا التّخصيص، لذلك قيل فى تصغيره: عييد، و فى جمعه: أعياد و لم يجر مجرى قوله: ريح و رويحه و أرواح،

و مما يشبه هذا قوله: يا دارميّه بالعلياء فالسّند هو من العلو، فقلب الواو ياء، و قوله: فما أمّ خشف بالعلايه مشدن. مثله و ليس قبل واحد منهما ما يوجب القلب، لكنهم يفعلون ذلك كثيرا فى الأعلام و ما يجرى مجراها، و قد قالوا: الشكايه و حبيت الخراج حباوه و نحو منها، ما حكاه سيبويه من القوايه قال عمرو بن براقه:

و مال بأصحاب الكرى عالياتهافإنّى على أمر القوايه حازم

و هو فعاله من القوه، و أصلها قواوه و كأنّه كره اكتناف الواوين للألف.

و الأضحى، إذا ذكّر: يراد به اليوم، و إذا أنّث أريد به السّاعه، و التأنيث أجود.

و يقال: دنت الأضحى، و قيل: سمّيت الأضحيه لأنها تذبح ضحوه.

و الفطر: من فطرت النّاقه إذا حلبتها فانفتحت رءوس أخلافها لأنّ الأفواه تنفتح بالأكل و الشّرب، و يقال: أضحاه و أضحى و ضحيه و ضحايا و الأضحى يذكّر و يؤنّث، فمن ذكّر ذهب إلى اليوم، و أنشد الأصمعى:

رأيتكم بنى الحدواء لمّادنا الأضحى و صلّلت اللّحام

و أنشد الثوريّ فى تأنيثه:

قد جاءت الأضحى و ما لى فلس و قد خشيت أن تسيل النّفس

و قال هشام بن معاويه: حكى الأصمعيّ: أضحاه و سمّى الأضحى بجمع أضحاه فأنّث لهذا المعنى و جاء فى الحديث: «على كلّ مسلم عتيره و أضحاه». و قال هشام: التأنيث فى الأضحى أكثر من التّذكير، و جمع الأضحيه أضاحى، و جمع الضّحيه ضحايا.

و أيّام التّشريق سمّيت بذلك لأن لحوم الأضاحى تشرق للشّمس، و قيل: بل سمّيت بذلك لقولهم: أشرق ثبير كيما نغير، و قال ابن الأعرابى: سميت بذلك لأنّ الهدى لا ينحر حتى تشرق الشّمس.

و قال أحمد بن يحيى: أنا أذهب إلى أنّ الأيام المعلومات فى الأيام المعدودات لأنه جاء فى كتاب اللّه تعالى: وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ [سوره الحج، الآيه: ۲۸] فدلّ على أنّها أيام نحر.

و يوم عاشوراء فى المحرّم، و يقول الفقهاء: يوم عاشوراء التّاسع من المحرم، و حكى بعضهم أنّه سئل النّضر بن شميل عن التّشريق، فقال: هو من قولهم أشرق ثبير: أى لتطلع الشّمس، و قيل: أيام التّشريق: لأنّهم يشرقون اللّحم، قال: فقلت له: إنّ وكيعا حدّثنا عن

شعبه عن سيار عن الشّعبى قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «لا ذبح إلّا بعد التّشريق» فقال وكيع:

التّشريق الصلاه، قال: هذا حسن. قال النّضر: و قد جاء فى الحديث: «لا جمعه و لا تشريق إلّا فى مصر جامع»، و التّفسير موافق للحديث، فأما قول أبى ذؤيب بصفا المشرّق كلّ يوم يقرع. فقد حكى عن أبى عمرو الشّيبانى أنّه أنشد بصفا المشقّر فأنكره، و قال: المشقّر حصن بالبحرين، و الصّفا موضع، فما لأبى ذؤيب و البحرين، إنّما هو المشرّق، و كان ابن الأعرابى يرويه المشقّر، و حكى عن الأصمعى أنّه أنشد كلّ يوم، فقال اللّه أكرم من ذاك هو:

كلّ حين. ذهب الأصمعىّ إلى أنّ الحج يقال: كلّ سنه لا كلّ يوم، و الحين يقع فى كلامهم على المده الطويله و السّنين الكثيره. و قال الأصمعى: المشرّق المصلّى، و مسجد الخيف هو المشرّق. و قال شعبه بن الحجّاج: خرجت أقود سماك بن حرب فى يوم عيد، فقال: امض بنا إلى المشرّق يعنى المصلّى. و قيل: يعنى مسجد العيدين، و قال أبو عبيده: المشرّق سوق الطائف، و قال الباهلى: جبل البرام.

[فصل فى] بيان الصلاه الوسطى:

فأما الصلاه الوسطى: فقد اختلفوا فيها: فروى عن علىّ كرّم اللّه وجهه أنّه الفجر، و قال غيره: هى العصر، و قد جاء القرآن فى توكيد أمر الفجر بما يصحح قول علىّ فيه، قال تعالى: أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً [سوره الإسراء، الآيه: ۷۸] و كلتا الصّلاتين متوسطه لسائر الصّلوات، فإذا جعلت صلاه الفجر الوسطى فهى بين صلوات اللّيل و النهار و النّهار: الظّهر و العصر، و اللّيل العشاء أن الأولى و الآخره. و إذا جعلت العصر هى الوسطى: فهى متوسّطه بين الفجر و الظّهر من صلاه النّهار. و العشاءين الأولى و الآخره من صلوات اللّيل، و قوله تعالى: الصَّلاةِ الْوُسْطى [سوره البقره، الآيه: ۲۳۸] مؤكد للدلاله على أنّ الصلوات المفروضات خمس، لا زياده فيها، و يزيل التّأويل فيما ذهب إليه بعض المتفققه من فرض الوتر، بالخبر المروىّ عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «إنّ اللّه زادكم صلاه و هى الوتر» و قد يزيد اللّه النّاس مما يدعوهم إليه من أعمال البر مما هو فضيله لفاعله، و نافله للمتقرّب به و لا يكون فى قوله: «زادكم صلاه» ما يوجب الفرض، و لو كان الوتر فريضه لكانت عده الصلاه المفروضات ستا، و السّتّ لا أوسط لها، و لا وسطى، و إنّما الوسط للإفراد، لأنّها تكون منها واسطه و حاشيتان متساويتان، كالخمس فإنّها اثنان فى أحد الطّرفين، و اثنان فى الآخر، و واحد فى الوسط، و يجوز أنّ يكون معنى الوسطى: العظمى و الكبرى، يراد بذلك فضل محلّها، و زياده ثوابها و اللّه أعلم أىّ الوجهين هو المراد. و قوله تعالى: الشَّهْرُ الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ [سوره البقره، الآيه: ۱۹۴] يقول: حرمه الشّهر تجب على الفريقين فى الكفّ عن

القتـال لكنّ الكـافر إذا اعتـدى، فليس على المؤمن أن يقبض يـده، و يلقى بهـا إلى التّهلكه، بل إذا قوتلوا فى الأشـهر الحرم كان مطلقا لهم، و مفروضا عليهم قتالهم فيها.

و قوله تعالى: الْحُرُماتُ قِصاصٌ [سوره البقره، الآيه: ۱۹۴] معنى القصاص: أن تفعل بصاحبك مثل الذى هو فعل بك، فإذا قاتلت الكافر فى الشّـهر الحرام كما قاتلك فقـد قاصـعته و فعلت مثل فعله، و قوله تعالى: فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ [سوره البقره، الآيه: ۱۹۴] معنـاه: جـازوه جزاء الاعتـداء، فسـمّى الجزاء بـاسم الاعتـداء، طلبـا للمطـابقه فى اللّفـظ، و إيـذانا بأنّ الثّانى كالفرض المؤدّى، فالمواصله فيه مرعيه.

فصل [فى ذكر العرب اسما تعلّق الأحداث بها فيخرجونها مخرج الصّفات و الأفعال]

حكى الأصـمعىّ أنّ العرب ربما تذكر اسـما تعلّق الأحداث بها فيخرجونها مخرج الصّفات و الأفعال منسوبه، و لشـهرتها و ظهور الفرض منهـا اسـتجيز معهـا مـا لم يسـتجز فى غيرهـا، و لا يتقايس، فمن ذلك: لا آتيك مغرى الغرر، أى حتى يجتمع و ذلك لا يكون أبدا و لا آتيك أبى هبيره، قال: و أبو هبيره هو سـعد بن زيد مناه بن تميم، و لا آتيك هبيره بن سـعد، و لا آتيك القارظه الغزى، و قولهم: زمن الفطحل: أى حين كانت الحجاره رطبه قال:

لو أننى عمّرت عمر الحسل أو عمر نوح زمن الفطحل

كنت رهين هرم أو قتل جعل الموت حتف الأنف و القتل سواء، أو عام الفتق قال رؤبه: لم ترج رسـلا بعـد أعوام الفتق، يشـيرون بـذلك إلى زمن الخصب و الخير كـأنّ جلود الأكله و الرّاعيه لسـمنها فتقت فتقا، و كأنّ ظواهر الأرض و بطنانها فتقت بالنّبات، و يقـال: آتيه قيـظ عـام أوّل، و ما تركت من أبيه مغدا و لا مراحا و لا مغـداه و لا مراحه، يعنى من الشّـبه به، و بعضـهم يقول: و لا رواحا و لا رواحه و لا أكلّمك آخر المنون، و أخرى المنون، و لا أكلمه آخر ما خلقى، يريد آخر عمرى أى ما بقيت.

و قال يعقوب: يقال: آخرى ما خلقى، و منهنّ أزمان الجنان، و هذا يشيرون به إلى الشر و الآفات و أنشد:

فمن يك سائلا عنّى فإنّى من الفتيان أعوام الخنان

يقـال: خنّ الرجـل و هو مخنون: إذا ضـاقت خياشـيمه حتى يجى ء كلامه غليظا لا يكاد يفهم، و قال جرير: و أكوى النّاظرين من الخنان، و الخنان داء يعترى العين، و قال الخليل:

الخنان فى الإبل كالزّكام فى النّاس، و قال الدّريدى: زمن الخنان معروف، و لم أسمع من

علمائنا تفسير أو ذكر بعضهم أنّه يضرب بالخنان المثل فى البلاء و الشّده، لأنّ البعير إذا خنّ كوى ناظراه، و هما عرقان. قال:

قليله لحم النّاظرين يزينهاشباب و مخفوض من العيش بارد

يصف امرأه و على هذا تفسير بيت جرير: و أكوى النّاظرين من الخنان: أى من داء الكبر، و يكون كقوله: يداوى به الصّاد الذى فى النّواظر.

و ذكر بعضهم: خنّ فى الأكل: أسرف، و نحن فى خنان من العيش، و سنه مخنه أى مخصبه، و قد أخنت، و عشب أخنّ أى ملتف. قال الشيخ: و هذا الذى فسّرناه أخيرا يصلح أن يصرف زمن الخنان إلى الخير و السّعه أيضا، إلا أنّ ما أنشده الأصمعىّ و رواه يدل على خلافه، و ذكر بعضهم أنّ الخنان أصله أنّ رجلا من العرب غزا قوما فى الجاهليه، فلما فرّق الغاره فيهم قال: خنوهم بالسّيوف، فشهر يومه بزمن الخنان، و فسّر خنوهم، على نذودهم.

و اعلم أنّ القبائل مختلفه و لم أذكرها لقلّه فوائدها، و إن كان قطرب و غيره دوّنوها فى كتبهم فى الأزمنه و أسماء آلهتهم كيغوث و مناه و يعوق و نسر و هبل و ما أشبهها، و ذكر مطافهم و دورهم و ما يتعلق بأيّامهم و أعيادهم و أسواقهم تجاوزتها لأنّ ما نعيد منها لا تحلّ به فى موضعه من الكتاب و تطويل الكلام بما ليس من الموضوع فى الأصل مرفوض فى مصنّفاتنا.

الباب الحادی عشر فی ذکر- سحر- و غدوه- و بکره- و ما أشبهها

اشاره

و الحین و القرن و الآن و أیّان و أوان و الحقبه و الکلام فی إذ و إذا و هما للزّمان و ما أشبهها قال أبو العباس محمد بن یزید: اعلم أنّ المعرفه إذا أخبر عنها بنکره فإنها توجب فیها مثل ما یکون لها لو کانت معرفه بنفسها، و کذلک النکره إذا أسند إلیها معرفه، و الذی جعلها علی هذا کونها خبرا عن معرفه، و لو انفردت عنها لم یکن کذلک، یقول: زید منطلق فالعلم أنّ المنطلق هو زید جعله مختصا کزید، و لو انفرد لکان شائعا، و علی هذا ما یقرب من النّکرات بالصّفات و ما یجری مجراها کقولک کان عند رجل من آل فلان، و ویل لزید، لذلک یستفاد منه ما یستفاد من المعارف، أو تقاربه، فعلی هذا ما سمعنا بقول: سیر علیه عشیه أو غدوه أو ضحوه و کلّ ذلک نکره لا یکون واحد من أمته أولی به من الآخر، و لا یوم من الأیام أحقّ بتعلّقه به.

فإذا قلت: سیر علیه یوم الجمعه عشیه، أو لیله الجمعه عتمه، و أنت ترید ذلک من یومک و لیلتک، لم یکن عشیه و لا عتمه و ما کان مثلهما إلا نکرات فی الأصل و لوصفک إیّاهنّ موضع المعرفه ضعفن و امتنعن الصّرف، فلم تکن إلّا ظروفا منصوبه بوقوع الفعل علیها، و لم یقمن مقام الفاعل، کما کان یجوز فیهنّ إذا قلت: سیر علیه عشیه من العشیّات، و ضحوه من الضّحوات، لأن الظّروف إذا قوین فی أبوابهنّ فعلن مفعولات علی السّعه، و أقمن مقام الفاعل، و وضعن موضع الخبر مرفوعات، کقوله تعالی: مَوْعِدُکُمْ یَوْمُ الزِّینَهِ [سوره طه، الآیه: ۵۹] و کقولهم: أقمنا ثلاثا لا أذوقهنّ طعاما و لا شرابا، و سیر به یوم الجمعه، و کقول لبید شعرا:

فغدت کلا الفرجین تحسب أنّه مولی المخافه خلفها و أمامها

فعلی هذا یدور أمرهنّ، و إذا هنّ نکرات، أو کنّ معارف بأنفسهنّ فأما إذا وضعن و هنّ نکرات فی موضع المعارف، فقد أزلن عن بابهن و عرفهنّ غیرهنّ فلم یجز أن یخرجن من

الظروف إلى غيرها إذ كنّ قد أزلن عن أصولها فإذا قلت: آتيك ضحوه يومك و عشاءه، لم يكن سبيله سبيل ما هو عام فيما وضع له، فلا يحصل به اختصاص، بل هو موضوع موضع الضّحوه بالعرف، فصار يجرى مجرى المعهود للمخاطب، أو المضاف نحو قولك: ضحوه يومى و إذ كان كذلك بان الفرق بين الموضعين، لأنّ حكم اسم الجنس أن يكون شائعا فى الأصل.

ثم يحصل التّعريف فيه بوجه من الوجوه المعروفه و قولهم: عتمه مصدر مثل الغلبه و معناه الإبطاء و التأخّر قال:

يذكّرنى ابنى السّماكان موهناإذا طلعا خلف النّجوم العواتم

إلا أنّه يستعمل ظرفا كما استعمل غيره من المصادر ظرفا، كخفوق النّجم، و خلافه فلان، و غير ظرف أيضا يقول: سير عليه عتمه فينتصب انتصاب اليوم و الليله و يجوز أن يسند إليه الفعل، فيقال: سير عليه عتمه من العتمات، فيدخل الألف و اللام و قد يلزم الظرفيه فلا ينتقل و ذلك إذا أردت به عتمه ليله، هذا مذهب سيبويه و كان الأخفش يقول: ضحوه و عتمه إذا كان فى يومك لرفعهما أيضا، حتى أخذ العرب تمنع منه.

فأما غدوه فإنّه اسم مشتقّ من قولك: غداه، فلقّب به الوقت، فصار علما له كما وضع زيد علما للرجل، فلذلك منع الصّرف، إذا قلت سيّرته غدوه، لأنه معرفه، و جاز فيه ما جاز فى يوم الجمعه و أشباهه، لأنّه معرف من جهه التّعريف، يقول: سير بزيد غدوه و إن شئت نصبت على أصل الظّرف، و يكره فيها مثل ذلك إذا حملتها على غدوه، لأنّ المعنى واحد، و إن أردت أن تجعلها كعشيه و ضحوه، فجيّد، و إنّما جعلوها معرفه تشبيها بما كان فى معناها و هى غدوه، لأنّها غيّرت بالتّعريف كما غيّرت غدوه و امتنعت من الألف و اللام، و نظير جعلهم نكره بمنزله غدوه، إذ كانت فى معناها رفع الاسم و نصبهم بها الخبر و إجراءها مجرى ليس، إذ كانت فى معنى ليس و إن ثبت تركها غير مشبهه فرفعت ما بعدها، و كذلك قولك: ودع يدع إنّما كان الكسر نحو يعد و يزن، و لكن تعيّن فتحها و أجريت يذر مجراها لأنّها فى معناها و لأنّ الفتحه أخفّ و لهذه نظائر.

فإن قلت: قد قرأ أبو رجاء المطاردى بالغدوه و العشى، فجعلها شائعه كما تقول:

جاءنى زيد و زيد، تريد جماعه اسم كلّ واحد منهم، فيقول المجيب: و من الزّيد الأوّل و الزّيد الآخر. و هذا الزّيد أشرف من ذاك الزّيد، و على ذلك كانت تثنيه المعرفه و جمعها إذا كانت غير مضافه يخرجها إلى النّكره، لأنّ كلّ واحد يصير مرامه لكلّ واحد منها مثل اسمه، و تضيف زيدا و ما أشبهه كما تضيف النّكره لأنّه يصير معرفه بما أضيف إليه، كما قال الشّاعر:

علا زيدنا يوم النّقا رأس زيدكم بأبيض من ظامى الحد يديمان

فإن تقتلوا زيدا بزيد فإنّماأقادكم السّلطان بعد زمان

و أمّا قوله تعالى: وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَ عَشِيًّا [سوره مريم، الآيه: ۶۲] فإنّ ذلك نكره ليس يريد كل بكره و كلّ عشيه، و إنّما تأويله و اللّه أعلم: أنّ الجنه لا ليل فيها يفضى إلى نهار، و لا نهار يتّصل بليل، و لا شمس، و لا قمر إنّما هو فى مثل مقادير العاده فى الدّنيا.

و على هذا جاء الحديث: «نهار الجنه سجسج»: إنّما المعنى أنه أبدا كالنّهار و قوله:

سجسج أى معتدل لا برد فيه و لا حرّ. فإن قلت: كيف جاز أن يصير ما حكمه أن يكون شائعا فيما يصلح له مختصا ببعضه، حتّى زعمت فى هذه الأسماء ما زعمت. قلت: ذلك لا يمتنع فى عادتهم و طرقهم، أ لا ترى أنّ قولهم: ابن عباس يختصّ بعبد اللّه حتى لا يعلم منه غيره، و إن للعباس أولادا دون عبد اللّه، و كذلك قولهم: ابن الزبير اختصّ به عبد اللّه فيما استمرّ من العاده.

فأما سحر: فإنّك تقول: سير عليه سحر، فلا ينصرف و لا يتصرّف إذا أردت سحر يومك، و معنى لا يتصرّف لا يتمكّن تمكن أسماء الأزمان فى أبوابها. و معنى لا ينصرف: لا يدخله الجر و التنوين. فإن أردت سحرا من الأسحار و هو فى موضعه نكره، فلا مانع له من الصّرف و التمكّن، و نقول: إنّ سحرا جزء من آخر اللّيل، و فى سحر وقع الأمر. و قال اللّه تعالى: إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْناهُمْ بِسَحَرٍ [سوره القمر، الآيه: ۳۴] و على هذا إن أدخلت الألف و اللّام تقول: سير به السّحر المعروف، و إنما منع الصّرف حين قلت: آتيك سحر، و أنتظر سحر لأنه معدول عمّا فيه الألف و اللّام.

و كان شيخنا أبو على الفارسى يختار أن يقال: إنّه معدول عن أحوال نظائره أ لا ترى أنّ أخواته إذا عرفت جاءت بالألف و اللّام فهو جار مجرى أخر، و جمع فى العدل و إن كان أخر نكره و سحر و جمع معرفتان، و قد بيّنا الكلام فيه فيما يجرى و لا يجرى، و إنّما لم ينصرف لأنه بلفظ النّكره موضوع موضع المعارف من غير أن جعل علما، فهو مناسب لضحوه و عتمه إذا جعلا من يومك الذى أنت فيه.

قال أبو على الفارسى: دخول الألف و اللّام فى عتمه إذا أردت عتمه ليله لا أعلمه استعملت الكلمه بهما. و سيبويه لم يذكره و لا يجوز حمله على ضحوه و غدوه و بكره قياسا كما يقوله الأخفش، فيرفع و ينصب. قال: و يقوّى ما ذهب إليه سيبويه من أنّ عتمه لا يستعمل إلا ظرفا إذا أردت به عتمه ليلتك، أنّ ما أشبهها من الظّروف لم يستعمل إلا ظروفا.

فمن ذلك: سير عليه ضحى و صباحا و مساء و عشيه و عشاء، إذا أردت بجميعها ما ليومك و ليلتك، و كذلك سير عليه ليلا و نهارا، أشبه بالمصادر و قد جعلت ظروفا.

فإن قيل: إنّ ضحى إذا أريد به ضحى يومه مثل عتمه، و قد دخله لام التّعريف فى قوله: أبصرته فى الضّحى يرمى الصّعيد به.

و فى قوله: نؤوم الضّحى قلت: إنّ هذا قد خرج من أن يكون ظرفا لمكان الإضافه إليه، و دخول حرف الجر عليه فاعلمه، فإن قيل: لم خصّ بعض أسماء أوائل النّهار بأن جعل علما و بعضها بأن جعل معدولا من دون أسماء أجزائه الباقيه؟ قلت: لمّا كانت المواعد و الحاجات استمرّت العاده فى أنّها أكثر ما تعلق تعلق بأوائل النّهار دون أوساطه و أواخره.

و كثر الاستعمال فيها لذلك استجيز فيها ما لم يستجز فى غيرها من التّغيرات، يشهد لهذا أنّهم أقاموا مقام الأزمنه ما ليس منها، و ذلك كالمصادر نحو خفوق النّجم، و خلافه فلان، و كصفات الزّمان نحو: قليل و كثير و قديم و حديث. و هذا ما حضر فى قولهم سحر و غدوه و بكره و نظائرها و فيه كفايه.

فصل فى المحدود من الزّمان و غير المحدود

قال أبو عمرو و غيره: الزّمان سته أشهر، و الحين سته أشهر، قال اللّه تعالى: تُؤْتِی أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها [سوره إبراهيم، الآيه: ۲۵] و حكى ثعلب عن ابن الأعرابى: الزّمان عندهم أربعه أشهر و يقال: شى ء مزمن أى أتى عليه زمان، و كان الزّمانيه فيه لامتدادها.

و قال ابن الأعرابى: يقال من الزّمان زمنه، و زمن و من الزّمانه أيضا يقال: به زمنه و زمن، و يقال: لقيته فى الزّمن بين الزّمنين، أ لا تراه قد حدّ للّقاء وقتا، و للفراق وقتين، و كلّ قريب، و يقال: لقيته ذات الزّمين أى ساعه فى مده من الدّهر يسيره. و قال غيرهم: الحين الوقت فى كلّ عدد، و الملا غير مهموز مثله، و يقال: الحين سبع سنين، و احتجّ بقوله تعالى: لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ [سوره يوسف، الآيه: ۳۵] و قيل هو أربعون سنه لقوله تعالى:

هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ [سوره الإنسان، الآيه: ۱] و ذاك أنّه روى فى الخبر أن آدم عليه السّلام أتى عليه بعد خلق اللّه إيّاه و هو طين أربعون سنه ثم نفخ فيه و لم يدر ما هو.

و قيل: الحين ثلاثه أيّام لقوله تعالى: إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ [سوره الذّاريات، الآيه: ۴۳] فكان فيما روى ذلك القدر. و قال آخرون: ثلاث مرّات فى اليوم لأنّه تعالى قال:

فَسُبْحانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ [سوره الروم، الآيه: ۱۷] إلى و حِينَ تُظْهِرُونَ [سوره الروم، الآيه: ۱۸] قالوا: و هذا يقتضى أن يكون فى قوله تعالى: وَ لَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَ حِينَ تَسْرَحُونَ [سوره النّحل، الآيه: ۶] غدوه و عشيه قال الشيخ: المحصّل الصّحيح أنّ قولهم: الحين لما يتطاول من الزّمان و يتقاصر و يكون محدودا أو غير محدود.

و قد حكى عن أبى زيد و أبى عبيده و يونس أن (الدّهر) و (الزّمان) و (الزّمن) و (الحين) يقع على محدود، و على عمر الدّنيا من أوّلها إلى آخرها. قال الأعشى شعرا:

لعمرك ما طول هذا الزّمن على المرء إلّا عناء معن

يريد به الوقت الممتد و قيل فى قوله تعالى: وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ [سوره ص، الآيه: ۸۸] أراد يوم بدر و قيل: أريد به القيامه. و جميع ما حكيناه عند الفحص يدلّ على أنّ المراد به تبع لمقصود المتكلّمين. فإذا قال: لم ألقك منذ حين و هو يريد تبعيد الوقت، علم ذلك بالحال أو القرينه، و كذلك لو قال: أعطيك حقّك بعد حين، و أراد: تقريب الوقت.

و إذا حلف الحالف على حين، فإن كان من أهل المعرفه بالحين أخذ بقوله، و إن لم يكن من أهلها حمله الإمام على أعرف الأوقات فيه عند العامه، و استظهرنا بعد الحالين فى الوجود.

و قال شرقى الزّمن عندهم شهران- و الزّمين شهر واحد. و قيل: الزّمان سته أشهر- و الزّمن أربعه أشهر- و الزّمين شهران- و الحرس كمال السّنه ما بين أولها إلى آخرها. و قال غيره: الحرس ما بين الحين إلى السنه. و قال الخليل: الحرس وقت من الدّهر دون الحقب.

قال شعرا:

و عمرت حرسا دون مجرى داحس لو كان للنّفس اللّجوج خلود

و يقال: شى ء محروس، أى عليه حرس، و يقال: أحرس بالمكان، أقام حرسا. قال:

و علم أحرس فوق عنز- و العنز أكمه صغيره.

و البرهه عشر سنين. و قال الخليل للبرهه: حين من الدّهر طويل- و العصر عشرون سنه. و قيل: العصر لا يكون إلّا لما سلف. و قوله تعالى: وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ [سوره العصر، الآيه: ۱، ۲] قال ابن الكلبى: هو الدّهر كلّه الماضى و المؤتنف، و قد قيل:

عصر و أعصر و عصور. قال: كر اللّيالى و اختلاف الأحصر. و قال آخر: أ بعصور من بعد تلك عصور، و العصران الغداه و العشىّ.

و الأشدّ ثلاثون سنه، و قيل: هو لما بين ثلاث و ثلاثين إلى تسع و ثلاثين. قال الشيخ:

تحقيقه بلوغ نهايه القوّه و الشّباب. و اختلف فى بنائه، فمنهم من يقول: هو جمع و واحده شد و مثله ضب واضب. و منهم من يقول هو واحد و مثله من الأبنيه قولهم آنك و هو الأسرب و قولهم آجر. و قال سيبويه: افعل ليس من أبنيه الواحد. و هذان

أعجبان عند أصحاب العربيه.

و السبت من الدّهر ثلاث مائه سنه، و قال بعضهم: السبت أربعون سنه و أنشده:

و قد نرتعى سبتا و لسنا بحيرهمحلّ الملوك تفده فالمغاسلا

و الحقبه من السّتين إلى الثمانين. و قال بعضهم: من السّبع إلى العشر. و قال الخليل:

الحقبه زمان من الدّهر لا وقت له و الجمع الأحقاب. و قيل الحقب: السّنون واحدها حقب، و الحقب: الدّهر و الجمع الأحقاب. و قيل: فى قوله تعالى: لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً [سوره النبأ، الآيه: ۲۳] واحدها الحقب ثمانون سنه، كل سنه اثنا عشر شهرا، كل شهر ثلاثون يوما، كل يوم منها مقداره ألف سنه من سنى الدّنيا. و ذكر قطرب أنّ الحقب بلغه قيس مائه سنه.

و القرن من الثّمانين إلى المائه، و قالت طائفه منهم القرن ثلاثون سنه و قيل القرن أربعون سنه. و قال أبو عمرو غلام ثعلب: الصّحيح عندى أنّ القرن مائه سنه، و ذاك أنّ النبىّ صلى اللّه عليه و سلم مسح يده على رأس صبى و قال له: «عش قرنا» فعاش مائه سنه. و قد احتجوا أيضا بقوله عليه السلام: «خير النّاس قربى ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». و هذا يدل على أنّ القرن ثلاثون إلى الأربعين.

و قال ابن الأعرابى: الهنيد مائه سنه، و الهند مائتا سنه و الدهر ألف سنه. و قول اللّه تعالى: بِضْعَ سِنِينَ [سوره يوسف، الآيه: ۴۳] قيل: إنها سبعه. و قال أكثر أهل اللغه: إنّ البضع لما بين الثّلاثه إلى العشر. و حكى البضع بفتح الياء و قال المبرّد: هو ما بين العقدين إلى الواحد، و إنما جاز فى الاثنين أيضا عنده لأنه جمع، و بضع اسم الجماعه المحظوره بالعقود. و قال أحمد بن يحيى: البضع من ثلاثه إلى سبعه و أكثره تسعه، و يقال: بضع عشر و بضعه عشر شهرا، و بضع و عشرون إلّا أنه مع العشره أكثر و أصله من القطع، يقال: بضعه بضعا و المقطوع بضع، فهو مثل الطّحن و الطّحن.

و ذكر أبو عبيد الوقص ما زاد من السّنين على العشر، و إحدى عشره وقص و كذلك المياه التى لا تورد بين الماءين الموردوين وقص قال و الشّنق فى الدّيه خاصه، و قيل: الوقص و البضع اسمان للعدد فهما يستعملان فى كلّ معدود و هذا هو الصّحيح.

و النّيف يجى ء بعد العقود يقال: نيّف و عشرون، و نيّف و تسعون، و لا يقال: نيف و عشره، و يجوز عشره و نيف لأنه اسم لما يزيد على العقد و وزنه فيعل و أصله من ناف ينوف إذا ارتفع و أشرف و انبسط، و يقال: ناف النّفس ينوف نوفا إذا تحرّك و نسم بعد خفوضه و هموده. و يقال فى الدّنف الحرض قد نافت له نفس ترجوه معه، و إذا حمحم الفرس للقضيم، قيل: ناف نوفا، و يقال: أناف على الشى ء أى أشرف، نافه يناف. و النّوف السّنام لإشرافه و البطر لزيادته فى ذلك الموضع و العلم قال شعرا:

يخبّ به العطّاف رافع نوفه له زفرات بالخميس العرمرم

الآن: فقد قال أبو العباس: يشار به إلى حاضر الوقت، و تلخيص هذا أنّه الزّمان الذى يقع فيه كلام المتكلم فهو آخر ما مضى و أول ما يأتى من الأزمنه، و هذا مراد قولهم:

الآن حد الزّمانين، و الذى أوجب بناءه أنها وقعت فى أوّل أحوالها بالألف و اللام. و حكم الأسماء أن تكون منكوره شائعه فى الجنس. ثم يدخل عليها ما يعرّفها من إضافه، و ألف و لام فخالفت الآن سائر أخواتها من الأسماء، بأن وقعت معرفه فى أوّل

أحوالها، و لزمت موضعا واحدا كما تلزم الحروف مواضعها التى وقعت فيها فى أوّليتها غير زائله عنها، و لا نازحه منها و اختيرت الفتحه لآخرها لخفّتها و لمشاركتها للألف التى قبله. و قال الفرّاء فيه قولان:

الأوّل: أنّ أصله أنّ الشى ء يئين إذا أتى وقته، كقولك: آن لك أن تفعل كذا و إنى لك، ثم أدخلوا الألف و اللّام عليه، و إن كان فعلا كما يروى أنّه نهى النّبى صلى اللّه عليه و سلم عن قيل و قال فعلان ماضيان و أدخل عن الجاره عليهما و تركا على ما كانا.

الثّانى: إنّ الأصل فيهما أوان، ثم حذف الواو فبقى آن، كما قالوا: رواح و راح، و الكلام عليه قد مضى فى غير هذا الموضع من كتبنا.

و قولهم أيّان فإنّه يقوم مقام متى، فهو يتضمّن معنى الألف و كان حكمه أن يكون ساكن الآخر، لكنّه حرّك لالتقاء السّاكنين، و اختيرت الفتحه لخفّتها و لأنّ قبلها ياء مشدّده، و هما بين الياء و النّون، ليس بحاجز حصين و هو الألف.

و حكى الكسائى أنّ أبا عبد الرّحمن السّلمى قرأ: أَيَّانَ يُبْعَثُونَ [سوره النّحل، الآيه: ٢١] بكسر الألف.

و إيّان و أفان فهما معربان متمكّنان و تضيفها فتقول: جئت على إيّان فلان و إفاته أى فى وقته، و تفردهما بنزع الجار منهما، فتقول: جئت إيّان ذلك و إفاته، و انتصابهما على الظّرف.

و أما قولهم أوان فمعناه الوقت و يجمع على آونه قال ابن أحمر شعرا:

يؤرّقنا أبو حنش و طلق و عمّار و آونه أنالا

و قد جاء مبينا منونا فى قول الشاعر:

طلبوا صلحنا و لات أوان فأجبنا أن ليس حين بقاء

و إن كان متمكنا فى جميع الكلام تقول: هذا أوان طيّب، و أدركت أوان فلان، قال أبو العباس: إنّما بنى من قبل أنّ الأوان من أسماء الزّمان، و أسماء الزّمان قد تكون مضافات إلى الجمل، كقولك: هذا يوم يقوم زيد، و أتيتك زمن عمرو أمير. فإذا حذفت الجمله من

قولک أوان، و قد يضم معناها و هو فی حکم المعرفه بها استحق البناء، ثم عوّضت منها التّنوين کما فعلت ذلک بقولک: حينئذ و ساعتئذ و فارق قولک: أوان الغايات، لأن الغايات مضافه إلی المفردات فی التقدير، و أوان مضافه إلی جمله فهو کاسم حذف بعضه و بقی بعضه و قد عوّض مما حذف فيه و الغايات لم يؤت فيها بما يکون عوضا، و نيّه الإضافه فيه أقوی إذا کانت إلی المفرد لا إلی الجمله، و اختيرت الکسره فی أوان لما بنی لالتقاء السّاکنين.

و ذکر بعض الکوفيين أنّ لات جارت لأوان بمنزله حرف من حروف الخفض، و لو کان کذلک لفعل به مثل ذلک فی قوله تعالی: وَ لاتَ حِينَ مَناصٍ [سوره ص، الآيه: ۳].

و أما إذ و إذا فهما اسمان مبهمان. فإذ لما مضی و إذا للمستقبل، فهما کالأسماء النّاقصه المحتاجه إلی الصّلات، لأنّ الأسماء موضوعها أن تدلّ علی مسمياتها فی الأصل، فإذا صار بعضها لا يدلّ بنفسه علی ما هو المطلوب منه و احتاج إلی ما يکشفه، و يوضح معناه حلّ بما بعده من تمامه محلّ الاسم الواحد، و صار هو بنفسه کبعض الاسم، و بعض الاسم مبنیّ. فإذ يوضح بالابتداء و الخبر، و الفعل و الفاعل تقول: جئتک إذ قام زيد، و إذ زيد قام، و إذ يقوم زيد و إذ زيد يقوم، فإذا کان الفعل مستقبلا حسن تقديمه و تأخيره. و إذا کان ماضيا قبح التأخير، لا يقولون: جئتک إذ زيد قام، إلا مستکرها من قبل، أنّ إذ للماضی، فإذا کان فی الکلام فعل ماض اختير إيلاؤه إيّاه لمطابقتهما و مشاکله معناهما. و إذ عند أصحابنا اسم مضاف إلی موضع الجمله التی بعدها، و لا يجازی بها، لأنها مقصوره علی وقت بعينه ماض.

و إذا من أسماء الزّمان أيضا و يقع بعدها الأفعال المستقبله، و هی موضحه بما بعدها کما کانت إذ غير أنها لا يليها إلا الأفعال مظهره کانت، أو مضمره کقولک: أجيئک إذا قام زيد، يعنی الوقت الذی يقوم فيه، و فيها معنی المجازاه فلذلک لا يقع بعدها إلا الأفعال.

فإذا رأيت الاسم بعدها مرفوعا فعلی تقدير فعل قبله، لأنّه لا يکون بعده الابتداء و الخبر و إنّما لم يجازيها لأنّها تقع محدوده، و المجازاه معتوده علی أنّها يجوز أن يکون و ألّا يکون تقول أجيئک إذا احمرّ البسر، و لا يجوز أن تقول: إن احمر البسر، فلمّا کان إذا لوقت معلوم لم يجاز بها، و إن کان فيها معنی المجازاه، إلا أن يضطر شاعر قال الفرزدق:

ترفع لی خندق و اللّه يرفعنانار إذا ما خبت نار لهم تقد

و معنی المجازاه: أنّ جوابها يقع عند الوقت الواقع کما يقع المجازاه عند وقوع الشّرط. و لإذا موضع آخر يکون فيه اسما لمکان و ذاک من ظروفه و سيجی ء الکلام فيه فی الباب الذی يليه.

الباب الثّانی عشر فی لفظ أمس- و غد- و الحول- و السّنه- و العام- و ما يتلو تلوه

اشاره

و لفظ حيث- و ما يتّصل به- و الغايات- كقبل- و بعد- و ذكر أول- و حينئذ- و قطّ- و منذ- و مذ و إذ المكانيه.

و من عل يقال: اليوم ليومك الذى أنت فيه، و أمس لليوم الّذى يليه يومك الذى أنت فيه و قد مضى. و قال قطرب و غيره: يقول: رأيته أمس فتكسر، كما قالوا: قال الغراب:

غاق يا هذا فی حكايه صوته، و تميم يرفعون أمس فی موضع الرّفع فيقولون: ذهب أمس بما فيه فلا يصرفونه لما دخله من التّغيير و قال الرّاجز:

لقد رأيت عجبا مذ أمساعجائزا مثل السّعالی خمسا

فكأنّه ترک صرفه فی لغه من جرّ بمذ. و قال عدى بن زيد:

أ تعرف أمس من لميس طلل مثل الكتاب الدّارس المحول

قال الشيخ: اعلم أنّ أمس اسم معرفه لما مضى و شوهد. و غد بخلافه لأنه و إن كان اسما لليوم الذى يلی يومک الذى أنت فيه، و لم يجی ء فهو نكره. و مثلهما قطّ و أبدا لأن قط معرفه و أبدا نكره، و فی بناء أمس طريقتان:

الأول: ما ذكره أبو العباس المبرّد و هو أنّ شرط الاسم أن يلزم مسمّاه، و لا سيّما ما كان معرفه ليكون علما باقيا له. و أمس ليس يلزم مسمّاه لأنه اسم لليوم الذى يليه يومک الذى أنت فيه و قد مضى، فكلّما مضى يومک انتقل لفظ أمس عمّا كانت له إلى ما كانت بعده، فلمّا كان كذلک أشبهه الحروف فی أنّه لا لزوم لها و إنما ينقل إلى ما ينقل إليه كمن و فی و إلى، فيفيد معناها فيه فبنی لذلک.

الثّانی: إنه كان حق تعريفه أن يكون بالألف و اللّام ليؤدّى العهد فيه فلم يدخلا عليه، بل ضمن معناهما، و الاسم إذا تضمّن معنى حرف، يجب أن يبنى، فهذا وجه بنائه فأمّا من

منعه الصّرف فإنه يجعله معدولا عمّا فيه الألف و اللّام كأنّه لا يأتى بهما، و هو يريد معناهما فى الاسم كما أنّ قولك: سحر كذلك و قد مضى القول فيه، فإن نكّرته و جعلته شائعا صرفته به و صرفته، فقلت: مضى أمس و كذلك إن أضفته أو أدخلت عليه ألفا و لاما، لأنّه يصير موقتا محدودا تقول: مضى أمسك، و كان أمسا أطيب من يومنا، و مضى الأمس.

فإن قال: ما بال غد لا يكون مبنيا قلت: أمس معرفه مشاهد معلوم، و غد ليس بمعلوم و لا مشاهد، لأنّه لم يأت قبيلهما سبيل قط المشدّده و أبدا، لأنّ قطّ للقائل من لدن قوله أى ابتداء كونه فهو معلوم، يقول: ما رأيته قطّ، تحركت الطّاء الأخيره لأنه لا يلتقى ساكنان و يضمها كما يضم آخر الغايات، و سنبين القول فيها كلّها، و إذا قلت: لا أكلمه أبدا، فالأبد مذ لدن تكلّمت إلى آخر عمرك، فهو غير معلوم، و جار على أصله الذى له و صار مصروفا منصرفا لم يعرض فيه ما يوجب تنيرا.

قال قطرب: و أظنه حكى عن الخليل أنّهم أرادوا بأمس حين حفظوا رأيته بالأمس، فحذفوا الباء و الألف و اللّام كما قالوا خير عافاك اللّه فى جواب: كيف أصبحت؟ يريدون بخير، و كما قالوا: لاه أبوك اللّه أبوك. و قال ذو الأصبع شعرا:

لاه ابن عمّك لا أفضلت فى حسب دونى و لا أنت ديّانى فتجزونى

فحذف لام الإضافه و لام التّعريف و هذا تقويه لقول الخليل، و مثله قول الآخر:

طال النّواء و ليس حين تقاطع لاه ابن عمّك و النّوى لعدوّ

انتهى كلامه. قال الشّيخ: هذا الذى حكاه لا يكون بناء بل يكون الحركه فى أمس إعرابا كما أنّها فى حين و فى لاه أبوك شاذ، فلا يجعل أصلا لغيره. قال قطرب: فإذا دخلت الألف و اللّام فى أمس، فبعض العرب ينصبه، و يقول: رأيته الأمس و بعضهم يخفضه كحاله قبل الألف و اللّام، و يقول: رأيته بالأمس و قال نصيب شعرا:

و إنى حبست اليوم و الأمس قبله ببابك حتّى كادت الشّمس تغرب

انتهى كلامه.

قال الشيخ: الوجه فى إدخال الألف و اللام أن ينكّر أولا ثم يعرّف بهما، فأمّا من نصب بعد إدخال الألف و اللّام فهو القياس، لأنّ الألف و اللّام و التّنكير يرددان اللفظ إلى ما كان يجب عليه فى الأصل.

و أما ما حكاه عن يونس أنّه سمع الكسر مع دخول الألف و اللّام، فالمتكلّم بذلك يجب أن لا يكون قد اعتدّ بالألف و اللّام، و لم ينكّر قبل دخولهما، و بقى الكسر إيذانا بفعله ذلك، و يكون هذا كقوله شعرا:

و لقد جنيتک أکمؤا و عاقلاو لقد نهيتک عن بنات الأوبر

فأدخل الألف و اللّام على الأوبر و هو معرفه، لأنه لم يعتد بهما، أو يکون أجراه مجرى الخازباز و خمسه عشر و أخواته فى العدد، لأنّ الألف و اللّام لا يزيلان بناءهما و لا يردانهما إلى أصلهما، و الأول أجود و أکثر نظيرا فى الوجود. قال قطرب: و إذا جمعت أمس فى القياس قلت: ثلاثه آماس، لأنه مثل فرخ و أفراخ، و فلس و أفلاس، و قال الرّاجز شعرا:

مرّت بنا أوّل من أموس تميس فيه مشيه العروس

فجمعه على فعول مثل فروخ و فلوس، و قال بعض الأعراب:

مرّت بنا أول من أمسيه تجرّ فى محفلها الرّجليه

فبنى أمس انتهت الحکايه. قال الشّيخ: الياء فى أمسيه لبيان الحرکه، و کذلک فى الرّجليه، و کأنه أراد أوّل من أوّل من أمس فثنى أمس بدلا من تکرير أول، و هذا کما قال أبو العباس فيما حکى عن الحجاج أنه کان يقول: يا حرسى اضربا عنقه. و المراد: اضرب اضرب فأتى بدل التّکرير بلفظ التثنيه، فأما أوّل من قولک أول من أمس فهو صفه کان المراد به يوما أوّل من أمس، و قالوا: بعد غد، و لم يقولوا: قبل أمس، فکان أول بدل قبل، و بعد غد فى موضع الصّفه أيضا.

قال قطرب: فإن أضفته فإنّ بعضهم يجرّه کحاله قبل أن تضيف، کما کأن ذلک فى الألف و اللّام. قال الشيخ: الوجه فى أمس إذا أضيف أن يعرب و يصرف کما قلناه فى الألف و اللّام، فأما من بناه مع الإضافه فإنّه شبهه بخازباز و خمسه عشر و أخواته، لأنها بنيت، و إن أضيفت، و رجوع أمس فى التّنکير إلى أصله هو الّذى يدل على مخالفته لباب خازباز و خمسه عشر و أخواته. و قد قال قطرب فى أمس: إذا جعلته نکره فإنه يجرى فيه الإعراب و کل ما يرده التنکير إلى أصله تردّه الإضافه و الألف و اللّام إلى أصله، و خمسه عشر و أخواته بنيت نکرات، و إن کان کذلک کان الضّعف و البعد فى بناء أمس عند الإضافه و مع الألف و اللام ظاهرين فاعلمه، و تقول: آتيک غدا أو شيّعه، و آتيک الجمعه أو شيّعه و المراد اليوم الذى يليه. قال عمر بن أبى ربيعه شعرا:

قال الحبيب غدا يفرّقناأو شيعه أ فلا تودّعنا؟!

فکان هذا من الاتباع، و فى الحديث: شاعه أبو بکر أى اتّبعه، فيقال على هذا النّبى صلى اللّه عليه و سلم و شيّعه، أى مصدّقه و صاحبه و من هذا الشّيعه.

و قال ابن الأعرابى: يقع الشيعه على کل من أحبّ و صدّق و حضّ على الاتباع أو حرّض تأخر عن المتبوع أو تقدم عليه. أ لا ترى قوله تعالى: وَ إِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْراهِيمَ [سوره الصّافات، الآيه: ۸۳] يعنى من شيعه محمد صلى اللّه عليه و سلم فأما قوله:

كأن أمسيا به من أمس يصفرّ ليس اصفرار الورس

فإنّه يعنى عرق الإبل، و هو يصفّر إذا يبس و معنى أمسيا به: يريد عرقا ظهر منذ ثلاثه أيام، و معنى من أمس: منذ، كما قال: أقوين من حجج و من دهر و عرق الخيل إذا يبس ابيضّ. قال بشر:

تراها من يبس الماء شهبامخالط درّه فيها اقورار

و الحول: السّنه بأسرها، و جمعه أحوال، و قد حال الحول يحول حولا و حؤلا و احتال الشى ء و أحول: أتى عليه حوال أو أحوال، و أحال بالمكان: أقام فيه حولا، و قال الخليل:

أرض مستحاله تركت أعواما من الزّراعه.

و السّنه اسم لاثنى عشر شهرا، و هو اسم منقوص و الذّاهب منه فى لغه كثير منهم الهاء، كان الأصل سنه، فحذف الهاء لمناسبتها لحروف المدّ و اللّين و على هذه اللغه تصغر سنيهه، و يقال منه: هو يعمل مسانهه، كما يقال: معاومه و نخله سنهاء: تحمل عاما و تحول عاما قال:

ليست بسنهاء و لا رجبيهو لكن عرايا فى السّنين الجوائح

و فى لغه غير هؤلاء الذّاهب منه الواو، كان الأصل سنوه، فحذف الواو تخفيفا ثم جمعت على سنين جبرانا بالنقيصه لأنّ جمع السّلامه إذا حصل فى غير النّاطقين و من جرى مجراهم يكون للتّفخيم و التّعظيم، أو جبرا لنقص داخل على الاسم، و الأسماء المنقوصه تجد الذّاهب منها فى الأعم الأكثر الواو و الياء لاستثقالهم إيّاهما، و كما يحذفونهما حذفا يعلّونهما بالقلب و الإبدال، لأنّ كلّ ذلك يؤدّى إلى التّخفيف، و على ذلك هذه اللّغه يصغّر ستيّه و تجمع سنوات و يقال: هو يعمل مساناه، و يقال: أسنى القوم و هم مسنون: إذا أتت عليهم سنه، و قد جعل السّنه اسما للجدب، فيقال: أصابتهم السّنه، و جعل الفعل منه أسنت، فرقا بين هذا المعنى و غيره، يقال: أسنت القوم و هم مسنتون، و على هذا لغه من جعل لامه واوا دون اللّغه الأخرى، و هم يفعلون ذلك بما فيه لغتان و يقال أيضا: رجل سنت: أى قليل الخير، و قوم سنتون، و التّاء من أسنت هو بدل من الواو، و هذا كما فعلوا فى بنت و أخت، ثم جعل البدل فى أسنت لازما كأنّهم أرادوا أن يختصّ بالجدب، حتّى كأنّه وضع له، فلا مناسبه بينه و بين ما للوقت و هذا كما جعل البدل فى قولهم: عيد، لازما، فقيل: عييد و أعياد فى تصغيره و جمعه و لم يردّوه إلى أصله، و إن كان من عاد يعود لقصدهم إلى أن يختص بما يفيده بعد الإبدال العارض فيه كأنّه بناء آخر له و ليس بمشتق.

فأمّا قولهم: العام، فيقال منه: عاومت النّخله إذا حملت سنه و حالت أخرى، و عنب معوم: كثر حمله سنه و قلّ أخرى. و فى الحديث نهى عن المعاومه، و هو: أن تبيع الزّرع

عامك بما يخرج من قابل، و هو أن يزيد على الدّين، و يؤخّر فى الأجل، و يقال: أتيته ذات عويم: أى العام، و يقال: أعوام عوم و عام عائم على التّوكيد، كما يقال: شعر شاعر، و هو عامى إذا أتى عليه عام. قال العجّاج: من أن شجاك طلل عامى.

فصل [فى تعريف العام و السنه]

قال قطرب: العام لما أنت فيه، و قابل للثّانى لأنّه يستقبلك، و جمعه قوابل و قباقب للعام الثّالث، و مقبقب للعام الرّابع. قال: و كان أبو عمرو بن العلاء يعرف مقبقبا فى العام الرّابع، و جمعه القباقب بفتح أوّله، و هذا كما قيل: عذافر و عذافر و جوالق و جوالق، و أنشدنا أبو على فى قابل و هو من أبيات الكتاب:

فقال: امكثى حتّى يسار لعلّنانحجّ معا قالت أعاما و قابله؟

و مما يسأل عنه أن يقال: من أين جاز أن يقال عاما أوّل، و لا يوما أوّل، و لا سنه أولى. و الجواب: أنّ قولهم عاما أوّل مما عمدوا فيه إلى تخصيصه بشى ء لا يكون فى غيره، اعتمادا على التّعارف، لأنّ المعنى: عاما أوّل من عامى، فلمّا كانت الكلمه متداوله و كانت الحاجه إلى كثره استعمالها ماسّه حذفوا و أوجزوا معتمدين على علم المخاطب، و التيّه الإتمام، و مثل هذا الاختصاص قولهم: اليوم فعلت كذا، جعلوه ليومك الذى أنت فيه، و لا يقولون: لقيته الشّهر، و لا السّنه، و قد قالوا أيضا: لقيته العام و إن كان العام بمعنى السّنه قال:

يا أيّها العام الذى قد رابنى أنت الغداء لذكر عام أوّلا

فإن قيل: و لم احتجّ إلى من حتى قدرت فى قولك: عاما أوّل أنّ أصله عاما أوّل من عامى. قلت: إنّما افتقر الكلام إلى من لأنّهم أرادوا أن يبيّنوا فى أفعل ابتداء الزّياده من أى شى ء كان ليعرف حدّه و مبتدؤه. أ لا ترى أنّ معنى قولك: زيد أفضل من عمرو أنّ ابتداء زياده فضله من فضل عمرو، فهو حدّه. و أوّله، فكذلك قولهم: عاما أوّل فاعلمه.

و اعلم أنّ حيث فى الأمكنه بمنزله حين فى الأزمنه، بدلاله أنّه يقع على كل مكان، لا جهه من الجهات السّت إلّا و لإبهامه يقع عليها، و احتاج فى الاستعمال إلى جملتين: جمله يضاف إليها، و جمله تفيد حدثا يقع فيه، كما أنّ حين يقع على كلّ زمان. و لذلك أضيف إلى الجمل الخبريه من الابتداء، و الخبر و الفعل و الفاعل و الشّرط و الجزاء، كما فعل ذلك بإذ و أخواته- و إن كان ذلك خارجا من شروط الأمكنه، لأنّ المكان إذا جاء بهما حكمه أن يضاف إلى مفرد يخصّصه، فلمّا تناهى حيث فى الإبهام لانتظامه جميع الجهات، و لم يضف إلى مستحقّه من مفرد يخصّصه بل أضيف إلى جمله، صار هو مضافا إليها فى حكم المفرد

فأشبه الغايات من نحو: قبل و بعد و ما أشبههما، لأنّها هى مفرده تضمّنت معنى المضاف إليه و هو معرفه فبنيت جميعا لذلک، إلّا أنّ الغايات وجب أن تبنى على حركه لأنها ممّا قد يتمكّن فى غير هذا الموضع، فصارت لها مزيّه على ما لا يتمكّن البتّه، فبناؤها لما لها فى أوّل أمرها و حيث وجب أن تبنى على سكون لعدمها تلک المزيّه، لكنّه حرّک آخره لالتقاء السّاكنين.

و فى حيث لغات أربع: حيث و حيث و حوث و حوث، فالضّم لدخوله فى شبه الغايات مما ذكرناه و الفتح لخفّته. و حكى الكسائى عن بعضهم أنّهم يكسرون حيث فيقولون: من حيث لا- يعلمون كسره إعراب، و يمكن فى هذا أن يقال فيه: إنّه شبّه باسم الزمان إذا أضيف إلى غير متمكّن، نحو من خزى يومئذ و يومئذ و على حين عاتبت و حين عاتبت.

و الغايات أصلها الظّروف و إعرابها فى الأصل: للنّصب و الجر، و كان تمامها بما كانت تضاف إليه، فأفردت عنه اعتمادا على علم المخاطب به و جعلت فى نفسها غايه الكلام و نهايته، حتّى كأنّه لا افتقار فيه إلى غير هذا، و قد ضمّن معنى ما كان مضافا إليه و يصير به معرفه، و الاسم إذا تضمّن معنى حرف فحقّه أن يبنى، و إنّما قلنا: و يصير به معرفه أنک لو نكّرته لأعرب و أجرى على أصله، تقول: جئت قبلا و بعدا كما تقول: أولا و آخرا كما أنّک لو أضفته، فقلت: من قبل كذا، و من بعد كذا لأعرب و لم يبن.

و قال أبو العباس: يقول فى الجمله: إنّ كلّ ما كان حقّه الإضافه فحذفت منه استغناء بعلم المخاطب فإنّه معرفه من غير جهه التّعريف و حقّه البناء، فمن ذلک: قبل- و بعد- و أوّل- و منذ- و ليس- و غير- يدلّک على حذف المضمر ما يحذفه بعد حرف الاستثناء إذا قلت: عنده درهم ليس إلّا، حذفت ما بعد إلّا استغناء و منها: من عل و يا زيد، و منها: قطّ و هو لما مضى من الدّهر و حسب و هى للاكتفاء و معنى قطّ فيما مضى فانقطع، و القطّ القطع عرضا، و القدّ القطع طولا، فهو معرفه لا يدخله الألف و اللّام و لا الإضافه.

و قال شيخنا أبو على: قطّ اسم ينتظم أوّل وقت، ذى الوقت إلى آخر ما بلغه منه، فهو عباره عن أمده و مدّته، فوجب لذلک أن يكون مضافا إلى ذى الوقت كما أضيف إليه قبل و بعد، فلمّا اقتطع عن الإضافه بنى على الضّم كما بنيا، و مثل قط فى انتظامه أوّل الوقت إلى آخره، منذ: إذا أريد به تعريف أمد الشّى ء و ذلک نحو أن تقول: لم أر زيدا، فيقال: ما أمد ذلک، و ما مدّته، يعنى انقطاع الرّؤيه فتقول: منذ عشرون يوما فابتداء الوقت و انتهاؤه هذا فى انتظام الاسم الذى هو مدّه لهما، و من ثم بنى منذ أيضا على الضّم حيث كان غايه مثل قطّ، و يجوز فى جوابه المعرفه و النكره و أبدا يدخله الألف و اللّام لأنّه نكره و معنى أبدا فيما اتّصل و امتدّ من الوقت، و منه الآبده و الأوابد. و معنى قطّ مخفّفه مسكّنه إذا قلت: قطک ليكفک

و اكتف و مثله قدك و حسبك و لتضمّنهما معنى الأمر فى أوّل أحوالهما، استحقّا البناء، و مثل قطّ و قطك فى أنّه يستعمل مثقلا و مخففا قولهم: بخ و بخ.

قال محمد بن زيد: يقال: بخ بخ، و يثقل أيضا كما قال فى حسب بخ و عزاقس و أنشد غيره شعرا:

بين الأشجّ و بين قيس باذخ بخ بخ الوالده و المولود

و قال أبو إسحاق الزيادى: الدّليل على أنّ مه ليس من قولك مهلا أنّه ليس فى الدّنيا اسم انصرف و هو تام، و امتنع من الصّرف و هو ناقص. فقال أبو عثمان المازنى: بلى قطّ المخففه، زعم سيبويه أنّها مخففه من قولك قططته قطّا، قال: و الدّليل على ذلك أنّ معنى قطّ معنى حسب، فهو لقطع الشى ء يقوّى ما ذهب إليه أبو عثمان فى هذا المعنى قولهم فى حسب: بخ فأعربوه مثقلا و بنوه مخففا و تقول: جئت من فوق، و من تحت، و من أمام و من دون، فالضّم فى جميع ذلك مستعمل على الوجه الذى بيّنته.

فأما قولك: من عل فمعناه من فوق، و فيه عده لغات ذكرها أهل اللّغه و سبيلها سبيل ما قدّمناه من أنّ جميعها فى تقدير الإضافه، فإذا حذفت المضاف إليه لم يخل من أن يكون معرفه أو نكره، فإن كان المحذوف نكره تنكّرت و أعربت و إن كان معرفه بنيت لأنّها بمنزله اسم قد اكتفى ببعضه عن جميعه، و بعض الاسم يبنى و هو ظاهر.

و اعلم أنّ ل: إذ موضعا آخر غير ما ذكرنا، و هو قولك: بينا زيد قائم إذ رأى عمروا.

و بينما زيد قائم جاء عمرو، فبينما عباره عن حين، و المعنى وقت أنا قائم جاء عمرو، إلّا أنّ بينما متمكّنه فلها صدر الكلام بمنزله مذ الذى يرفع الخبر. و كان الأصمعىّ يجرّبها المصدر خاصه و ينشده: بينا تعتقه الكماه و روغه، يريد حين يعتقه و النّحويون يخالفونه لأنّها مبهمه لا- تضاف إلّا إلى الجمل التى بيّنتها. و قال سيبويه: إذ يكون للمفاجأه إذا قلت: بينا أنا جالس إذ حضر عمرو، و بينا أنا أكلّم عمرو إذ طلع زيد.

و كان الأصمعىّ و كثير من النّحويين يأبون وقوع إذ فى هذا الموضع، لأنّ معنى بينا الحين، فإذا قلت: حين زيد قائم إذ طلع عمرو، فلا معنى له إنّما الكلام حين زيد قائم طلع عمرو، و إذ فضله. قال أبو العبّاس: أشعار العرب على ذلك قال:

بينا نحن نرقبه أتانامعلق و فضه و زنا دراع

و قال امرؤ القيس:

فبينا نعاج يرتعين خميلهكمشى العذارى فى الملاء المهذّب

فكان ينادينا و عقد عذاره و قال صحابى قد شأونک فاطلب

فأمّا ما قاله سيبويه فغير بعيد، و قد أجازه قوم. و أنشد سيبويه شعرا:

بينما هنّ بالكثيب ضحى إذ أتى راكب على جمله

و قولك: خرجت فإذا زيد قائم، يجوز أن يقال: فإذا زيد قائم خرجت كما تقول:

خرجت فإذا زيد، لأنّ إذا ظرف مكان و سمّى الاسم به و المعنى: فحضرنى زيد و إذ إذا جعل للمفاجأه كان فى مثل معناه و أمّا مذ و منذ فقد قال أبو العباس: أوّل ما يذكر من أمرهما أنّه يجوز أن يكون كلّ واحد منهما اسما و حرفا جارّا و لذلك قال سيبويه: إنّ مذ فيمن جرّ بها بمنزله من فى الأيّام و مذ و منذ شى ء واحد إلّا أنّ الأغلب على مذ أن يكون اسما و على منذ أن يكون حرفا لأنّ النّقصان إنما يكون فى الأسماء و الأفعال دون الحروف، و ذلك فى نحو:

دم و يد و خذ و كل.

و الدّليل على أنّ مذ منقوصه من منذ أنّك لو سمّيت إنسانا أو غيره بمذ ثم صغرته لقلت منيذ، فرددت ما ذهب فإنما هو بمنزله لد و لدن و من عل و من علا و آتيك غدا و غدوّا، فإن أردت فى منذ أن يكون حرفا قلت: لم أرك منذ يومين، و مذ يوم الجمعه و معناه: من هذه الغايه، و كذلك سرت من مكان كذا، و إذا أردت أن يكون اسما قلت: لم أر ذاك مذ يومان أى أمد ذاك يومان و هذا ابتداء و خبر و الرّفع فى مذ أكثر. و إذا قلت: أنت عندنا مذ اللّيله أو مذ اليوم صارت بمنزله منذ التى غلب عليها الحرفيه، و ذاك لأنّ العلّه التى يوجب منها الاسميه قد زالت لأنّك إذا قلت: لم أرك منذ يومان، فالمعنى بينى و بينك يومان و إذا قلت: أنت عندنا مذ اللّيله، فليس معناه بينى و بينك اللّيله، إنما هو فى اللّيله فإنّما المعنى فإذا قال: رأيت زيدا مذ يومان، فيجوز أن تكون الرّؤيه متّصله، و يجوز أن يكون رآه فى ذلك الوقت، ثم لم يره بعده، و إنّما هذا على قدر ما تقدم، يقول القائل: إنّ زيدا يأتيك مذ مده، فأقول: أنا رأيته مذ يومان أو شهران، و تأويل هذا إنّما حدثت هذه الرّؤيه فى هذا الوقت، أو يقول القائل: زيد أ يأتيك فى كلّ يوم؟ فأقول: ما رأيته مذ يومان، أى قد انقطع عنّى بعدهما، و لو قال القائل مبتدئا: رأيت زيدا مذ يومان، ثمّ لم يصله بكلام، و لم يعطفه على كلام، لم يحكم فيما بعد الوقت بشى ء و يتصل بهذا أن تقول: رأيت زيدا مذ يومان، يختلف إلى عمرو، و رأيت زيدا مذ يومان يضرب عمرا، فإنّما خبّرت بوقت الضّرب و لم تعرض لما بعده و تقول: رأيت زيدا يوم الجمعه أى أوّل ما فقدته أوّل يوم الجمعه، فيقع النّفى على جميع اليوم كما كانت الرّؤيه فى جميعه. و يجوز أن يكون النّفى واقعا على بعض اليوم فيكون حدّ الرّؤيه منه مجاوز الأول الفقدان، و قول القائل: لا كالمشيه زائر و مزورا معناه: لم أر زائرا كزائر رأيته اليوم، قال: و لا يقولون فى سائر الصّفات، يعنى الظّروف لا يقولون لا كنصف النهار و لا لا كهذه السّنه قال الشاعر شعرا:

روحوا العشيّه روحه مذكورهإن متن متن و إن حيين حيينا

إن متن متن و إن حيين فلا أرى لا كالعشيّه إن بقين بقينا

و اعلم أنّ قول القائل: ما برحت أفعل كذا براحا. أى أقمت على فعله مثل ما زلت أفعله، و هذا فى الزّمان و لا بدّ له من خبر. فإن قلت: ما برحت من مكان كذا، فالمعنى ما زلت براحا و بروحا، و هذا فى المكان كالأوّل فى الزّمان و قد مضى القول فيه، و يمضى فى غير موضع من هذا الكتاب.

و قد قيل: إنّ براح اسم للشّمس معدول عن البارحه الزّائله مثل قطام و قولهم جبل براح يوصف به الأسد و الشّجاع، لأنّ زواله متعذّر كأنه شدّ بالجبال، و هذا غريب فيما يشتق، و مثله قول القائل: البارح من الظّبا و الطّير هو المنحرف عن الرّامى إلى جهه لا تمكّنه من الرّمى، و السّانح المقبل المتعرّض فى جهه تمكن. قال: و لذلك يتشاءم بالبارح، و يتيمّن بالسّانح، قال: فأمّا من تيمّن بالبارح، فلأنه نجا، و من تشاءم بالسّانح لأنه هلك. و قول ابن الأحمر:

غدوا و أعدّوا الحىّ الزّيالاو شوقا لم يبالوا العين بالا

الغدو يحتمل أمرين: يجوز أن يكون مصدرا، و يجوز أن يكون اسم اليوم الذى يلى يومك، فإن جعلته مصدرا يكون مثل غدا غدوا، و يكون مفعولا و واعدوا الزّيال المفعول الثانى، و ينعطف عليه شوقا كأنّهم لمّا و عدوا بالزّيال المهيّج للشّوق فقد و عدوا بالشّوق.

و مثله الغدوّ فى القرآن: غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ [سوره سبأ، الآيه: ۱۲] فالغدوّ:

مصدر بدلاله أنّه قابله بالرّواح، و التّقدير مسيره غدوّها مسيره شهر، و إن جعلته اسم اليوم فمثله قوله: بها يوم حلّوها و غدوا بلاقع. و المعنى فى غدو: أعدوا الحىّ الزّيال و شوقا، و يكون المفعول الثّانى محذوفا، و أما قوله تعالى: وَ ظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ [سوره الرعد، الآيه: ۱۵] فيجوز أن يكون الغدوّ: جمع غد مثل نحو و نحو، و يقوّى ذلك أنّه قوبل به الجمع الذى هو الآصال، و يجوز أن يكون المصدر، و يقويه قوله: بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكارِ [سوره آل عمران، الآيه: ۴۱] و قال:

أفد الرّحيل و ليته لم يأفدفاليوم عاجله و نعذل فى غد

أى اليوم عاجل البين، و نعذل فى غد أى فى أخبار غد يضيف المصدر إلى المفعول به لأنّه خرج بانجراره من أن يكون ظرفا، فهو مثل: من دعاء الخير، و بسؤال نعجتك، و قال:

و ليس عطاء اليوم مانعه غدا. أى مانعه عطاء غد فحذف المضاف.

الباب الثّالث عشر فيما جاء مثنّى من أسماء الزّمان و اللّيل و النّهار، و من أسماء الكواكب و ترتيب الأوقات و تنزيلها

اشاره

يقال: اختلف عليه العصران أى اللّيل و النّهار و قد يراد بهما الغداه و العشىّ، لأنّ العصر من أسماء العشى، و لذلك قيل: صلاه العصر، ثم يسمّى الغداه أيضا عصرا، و يثنّى كما يقال: القمران فى الشّمس و القمر، و قد تصرفوا هذه اللفظه فقالوا: أ لم يجى ء فلان لعصر بضم العين أى لم يجى ء حين مجى ء.

و فى العصر لغتان: الضّم و الفتح و استعمل فى هذا أحدهما، و كذلك قالوا: أ ما نام لعصر أى لم ينم حين نومه، و ما نام عصرا، و كلّ ذلك بالضّم و يقال: أعصرت الجاريه أى بلغت حين إدراكها. قال: قد أعصرت أو قد دنا إعصارها. و هذا كما يقال: أحصد الزّرع و أجذّ النخل، كأنّها بلغت عصر شبابها و عصور شبابها و عصر شبابها، فأمّا فعل كذا عصره أى مره، فيجوز أن يكون من ذلك أيضا.

و حكى بعضهم أنّ العصر لما قد سلف، و لم يجى ء فى شعر الفحوله إلا كذلك و قد جاء فى شعر من دونهم، و قال ابن الكلبى: هو الدّهر كلّه الماضى و المؤتنف، و يقال: لا أكلّمك العصرين، و ما اختلف العصران، و هما القرنان و الطّفلان. قال لبيد:

و على الأرض غيابات الطّفل. و قال: يسعى عليها القرنين غلام، و هما العصران و البردان و الأبردان و البردتان، و يجمع فيقال: الأبارد. و يراد بها أطراف النّهار.

و قال أبو سعيد الضّرير: العيّوق ما دام متقدّما على الثّريا، ففى الزّمان بقيه من الأبارد، و إذا استوى العيّوق مع الثّريّا فقد بقى منها شى ء قليل، و قال ذو الرّمه:

و ماج السّفا موج الحباب و قلّصت مع النّجم عن أنف المصيف الأبارد

و يقال: اختلف عليه الملوان: أى اللّيل و النّهار. قال ابن مقبل:

ألا يا ديار الحىّ بالسّبعان أمل عليها بالبلى الملوان

و هذا تثنيه ملا، و فسّر أمل عليها: طال عليها. قال الشيخ: و يجوز عندى أن يكون أمل من إملال الكتاب، يقال: أمل الدّروس و الخلوقه عليها الملوان، و يكون الباء فى قوله:

بالبلى: إن شئت زائده للتأكيد، و إن شئت قلت: أراد بسبب البلى و يكون مفعول أملى محذوفا.

و ذكر بعض النّظار أنّ قولهم: ملوان لا- يكون اللّيل و النّهار بدلاله قول ابن مقبل نهار، و ليل دائم ملواهما. و الشى ء لا يضاف إلى نفسه و لكنّه المتّسع من الدّهر، و لو قيل: غدوّها و عشيّهما كان أشبه. و قال ابن أحمر شعرا:

ليهنكم أنّا نزلنا ببلدهكلا ملوه بها ميبس غير منعم

و قد تصرّفوا فى هذه اللّفظه على أبينه مختلفه فقالوا: لقيت عنده ملوه من الدّهر و ملوه و مليا. قال اللّه تعالى: وَ اهْجُرْنِى مَلِيًّا [سوره مريم، الآيه: ۴۶] و مضت ملاوه من الدّهر و ملاؤه و ملاوه. قال أبو ذؤيب شعرا:

حتّى إذا جزرت مياه رزوبهو بأىّ حزّ ملاؤه يتقطّع

و من هذا قوله تعالى: فَأَمْلَيْتُ لِلْكافِرِينَ [سوره الحج، الآيه: ۴۴] أى أخّرت النّقمه منهم يقال: أملى اللّه لفلان العمر: أى أخّر عنه أجله، و قوله: بأىّ حز ملاوه، لفظه استفهام و المعنى معنى الخبر أى: تنقطع تلك المياه فى حين، و أى حين، و المراد فى أشدّ ما كان حاجه إليها عند انتهاء الحر و ذهاب الرّطب، و انتشاف الغدران، و هذا كما تقول: فى أىّ حين و وقت زيدا حين تمكّن العدوّ منه، و ضاقت المسالك به، و يقال: على أىّ حزه أتانا فلان؟ أى أى ساعه و حين، و جئتنا على حزّه منكره، و كأنّه يعنى ما حزّ من الدّهر أى قطع، و إنّما أضاف الحزّه إلى الملاوه، و هما اسمان للوقت، لأنّ المراد بأىّ ساعه من الدّهر، فالحز اسم للجزء اليسير. و الملاوه: للممتد المتّصل، و هذا كإضافه البعض إلى الكل، و يقال: تملّيت حبيبا: أى عايشته طويلا ملاوه و حينا، و ملاك اللّه نعمه أى أدامها و أطال وقتها، و قال الأسود بن يعفر:

آليت لا أشريه حتّى يملّنى و آليت لا أملاه حتّى تعارقا

قال قطرب: قوله: أملاه أتى به على مليه: بلاه و قالوا: أملاك الجديدان و الأجدان و الفتنان: أى اللّيل و النّهار، و ابنا سمير، و كل ذلك اشتقاقه و طريقته ظاهر، قال:

لم يلبث الفتنان أن عصفا بهم ليل يكرّ عليهم و نهار

و قال آخر:

غدا فينا دهر و راحا عليهمانهار و ليل يكثران التّواليا

و من هذا الباب قولهم: لا أفعله ما اختلف الصّرعان أى الغداه و العشى، و يقال:

الصّرعان: أى الغداه، و بالفتح أيضا و يقال: أتيته صرعى النّهار أى طرفيه من طلوع الشّمس إلى الضّحى، و بالعشىّ بعد العصر إلى اللّيل، ثم قالوا: هما صرعان: أى مثلان، فعلى هذا يراد باختلافهما تصرّفهما، و يقال أيضا: هو ذو صرعين: أى لونين و يجمع على الصروع، و ما أدرى على أىّ صرعى أمره وقع، أى حاليه و تركهم صريعين: أى ينتقلون من حال إلى حال، و هو يفعله على كل صرعه، أى على كلّ حاله.

و حكى ابن الأعرابى: لا أكلّمك ما اختلف الصّرعان: الحينان غدوه و عشيه، و من كلامهم: عندك ديك يلتقط الحصى صرعيه، يقال: هذا مثلا للنّمام، قال: و على هذا: يراد الاختلاف الذى هو ضد الوفاق. فأما قولهم: المصراعان فى الأبواب و أبيات الشّعر فيجوز أن يكون من التماثل، و يجوز أن يكون من قولهم: هو صرع كذا أى حذاءه. الزّيادى اختلف عليه الفتنان، أى الغدوه و العشيه من الفتون و هو الضّروب.

و قال أبو سعيد فى قول اللّه تعالى: وَ فَتَنَّاکَ فُتُوناً [سوره طه، الآيه: ۴۰] أى فتونا فى اليمّ و فى مدين و حيث قيل: فَاخْلَعْ نَعْلَيْکَ [سوره طه، الآيه: ۱۲] و ذكر يعقوب زرته:

البردين و القرنين أى طرفى النّهار. و زرته الغربين أيضا: أى غدوه و عشيه. الأصمعى اختلف إليه الرّدفين أى الغداه و العشى- و الغداه ردف اللّيل و العشىّ ردف النّهار.

و يقال: لقيته بأعلى سحرين و بأعلى السّحرين أى وقت السّحر الأعلى و هو قبيل الصّبح. قال: غدت بأعلى سحرين تذأل. و بأعلى سحر. قال العجاج: غدا بأعلى سحر و أجرسا. رد بعضهم بيت العجّاج و قال: كان ينبغى أن يقول: بأعلى سحرين لأنّه أوّل تنفّس الصّبح، ثم الصّبح و تقول: أسحرنا كما تقول: أصبحنا- و تسحّرنا أكلنا سحورا- و جئتك بسحر- و بسحره- و بالسّحر- و سحيرا.

و قال أحمد بن يحيى: الأسحار: الأطراف و به سمّى سحر، و أنا أراك منذ سحر.

و قال قطرب: أتيتك سحريه و سحريا و سحر، و يقول: سحرى هذه اللّيله أيضا. قال فى ليله لا نحسّ فى سحرّيها و عشائها.

و يقال: صبح و لا جمع له، و صباح و صبيحه و أصبوحه و إصباح، لأنّ العرب تجعل الإصباح لنفس اللّيل، فيقول: أصبح قال فبات يقول: أصبح ليل حتى تجلّى عن صريمه الظّلام.

و الصّبح صبحان، كما أنّ السّحر سحران. و يقال: ابنا جمير اليومان اللّذان يستسر القمر

فيهما فى المحاق قبل البحيره، و ابن حمير أيضا.

و حكى أبو العباس المبرّد أنّه يقال للشّتاء و الصّيف: العصران و كذلک لكل مختلفين معناهما واحد. قال الرّبيع بن صبيع:

أصبح منّا الشّباب قد بكراإن بان منّا فقد ثوى عصرا

يعنى سنين كثيره، و القارنان اللّيل و النّهار و أنشد للكميت شعرا:

يا من عذ يرى من ذواله كم ذا يزيد على إباله

يغدو علىّ مقارناكالقلونين مع الغزاله

فلا جبانک مشقصاأوسا أويس من الهباله

قوله: على إباله، مثل يقال للرّجل إذا جاء بمكروه ثم أعقب بعده بمثله ضغث يزيد على إباله، و الإباله الحزمه الكبيره. قوله فلا جبانک يريد لأرمينّک بسهم حبالک. و الأوس العطيه، و أويس تصغير أوس و هو الذّئب. و الهباله من الاهتبال و هو الاغتنام، و قال بعضهم:

الهباله اسم ناقه. يقول من يعذرنى منه مقارنا غدوه و عشيه و قيل فى القارنين هما اللّيل و النّهار. و يقال للشّمس و القمر القمران. قال: لنا قمراها و النّجوم الطّوالع. و يقال لهما السّراجان من قوله تعالى: وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً [سوره نوح، الآيه: ۱۶] و النّيران و مما جاء مثنى من أسماء الكواكب السّماكان الرّامح- و الأعزل- و النّسران: الطّائر- و الواقع- و الفرقدان و الشّعريان- العبور- و الغميصاء- و المرزمان و هما مرزما الشّعريين و الهراران- قلب العقرب و النّسر الواقع و الخراتان(۱) فى الأسد و الغميصاوان و الوزنان حضار- و الوزن و المحلفان و هما حضار و الوزن أيضا.

و قال ثعلب الهراران النّسران لأنّهما إذا طلعا فى المشرق فهو نهايه البرد و هذا كما قيل: سهيل لأنّ الحرّ يسهل عند طلوعه، و قيل للدّبران الحادى و الدّابر و التّابع و يقال: ما رأيته منذ أجردان و جريدان و أجدان و جديدان أى يومان أو شهران. و ابنا سمير اللّيل و النّهار و السّمر الدّهر و ابنا سبات اللّيل و النّهار، و قيل ابنا سبات رجلان و أنشده شعرا:

و كنّا و هم كابنى سبات تعزفاسوى ثم كانا منجدا و تهاميا

و عرقوتا الدّلو و الفرغان للمقدّم و المؤخّر، و حكى أبو العبّاس ثعلب: الأثرمان: الدّهر و الموت و أنشد شعرا:

۱- و الخراتان نجمان و هما زبره الأسد و الزّبره بالضّم الكاهل و كوكب من المنازل و هما كوكبان نيّران بكاهلى الأسد ينزلهما القمر- قاموس.

و لمّا رأيتک تنسى الذّمام و لا قدر عندک للمعدم

و تجفو الشّريف إذا ما أخلّ و تثنى الدّنى ء على الدّرهم

وهبت أخاك للأعجمين و للأثرمين و لم أظلم

أخلّ: احتاج من الخله و الأعجمان: السّيل و الحريق، و حكى أبو عمر و غلام ثعلب مرزم السّماك و مرزم الجوزاء.

فصل فى ترتيب الأوقات و تنزيلها

قال أبو نصر: تكوير اللّيل على النهار و النّهار على اللّيل أن يلحق أحدهما بالآخر.

و إيلاج النّهار فى اللّيل، و اللّيل فى النّهار، دخول أحدهما فى الآخر. و قال الخليل: التكوير تغشيه اللّيل النّهار و النّهار اللّيل. و منه كاره القصار. و قال الدّريدى: الكور كور العمامه و القطعه العظيمه من الإبل، و فى المثل: نعوذ بالله من الحور بعد الكور، أى النّقصان بعد الزّياده، و كرت العمامه كورا، و كذلک الكاره و كار الرجل، و استكار: أسرع فى مشيته يكور كورا، و زلف اللّيل من النّهار و النّهار من اللّيل ساعات كل واحد منهما يأخذه من صاحبه، و الواحده زلفه. قال تعالى: وَ أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَ زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ [سوره هود، الآيه: ۱۱۴] و منه المزالف و الزّلفى و مزدلفه.

و قال الخليل: مزدلفه: سميت بهذا الاسم لاقتراب النّاس إلى منى بعد الإفاضه من عرفات، قال الأصمعى: إذا طلع الفجر فأنت مفجر حتى تطلع الشّمس فإذا طلعت فأنت مشرق إلى ارتفاع النّهار، ثم أنت مضح. و فى القرآن: فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ [سوره الشعراء، الآيه: ۶۰] فى وقت طلوع الشّمس، و الإشراق و التّشريق انبساطها، و الشّروق طلوعها. ثم أنت مضح حتى تزول الشّمس، فإذا زالت فأنت مهجر و مظهر إلى أن تصلّى العصر، ثم أنت معصر و مقصر و موصل إلى أن تحمّر الشّمس، ثم أنت مطفل إلى أن تغيب، فإذا غابت فأنت مغيب و مغرب و موجب و مشفق و مسدف، فإذا غاب الشّفق فأنت مظلم و مفحم.

قال أبو العبّاس ثعلب: يقال: رجل نهر و سابح إذا كان يتصرّف فى النّهار دون اللّيل، فإذا كان باللّيل دون النّهار قيل: هو ليلى لابس، و هذا أخذه من قوله تعالى: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً [سوره النّبأ، الآيه: ۱۰- ۱۱] و قوله تعالى: إِنَّ لَکَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا [سوره المزّمل، الآيه: ۷] و قد قيل: سبحا أى: عملا و تقلبا و منه سمّى السّابح لتقلّبه بيديه و رجليه و لباسا: أى استمتاعا من قوله:

لبست أبى حتّى تملّيت عيشه و ملّيت أعمامى و ملّيت خاليا

و ذكر بعض أصحاب المعانى أنّ العيشه و العيش ليسا بالحياه، و لكن ما يستعان به على الحياه و استدلّ بقوله تعالى: وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً [سوره النبأ، الآيه: ۱۱] قال: و هذا كما قال فى الآيه الأخرى: وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ [سوره القصص، الآيه: ۷۳] و قال فى موضع آخر: جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً وَ النَّوْمَ سُباتاً [سوره الفرقان، الآيه: ۴۷] أى ما ألبسهم من ظلمته فلبسوه لباسا، و النّوم سباتا أى سكونا و أنشد لأميّه:

ما أرى من يعشّنى فى حياتى غير نفسى إلّا بنى إسرال

و قال: المراد بقوله: يعشنى يعيننى على أمر الحياه، و السّكون إنّما هو فى اللّيل و الابتغاء من فضله بالنّهار، و لكن لمّا عطف أحدهما على الآخر أخرجا مخرج الواحد الجامع للشّيئين، و نظير هذا من الكلام: لئن لقيت زيدا و عمرا لتلقينّ منهما شجاعه و فصاحه، على أنّ الفصاحه لأحدهما و الشّجاعه للآخر، و هذا بمنزله ما يقع فى الجمع إذا قلت: فى بنى فلان خير و شر، لأنّ الدّعوه قد ضمّتهم جميعا فانطوت على الخير و الشرّ، و إن كان الخير فى جماعه و الشّر فى آخرين، و كذا كلّ تثنيه و جمع تعلّق الخبر به على الإجمال، لأنّه يصير كالواحد.

و قال تعالى فى موضع آخر: وَ جَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً [سوره الفرقان، الآيه: ۴۷] أى:

ينشرون فيه عن نومهم باللّيل، و الانتشار التّصرف. و قال فى موضع آخر: قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرْمَداً [سوره القصص، الآيه: ۷۲] أى دائما، يقال: هو يسهر سهرا سرمدا إذا لم يكتحل فيه بغمض و لا يكون السّرمد ما يقع فيه فصل، و قوله تعالى: تَقاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَ أَهْلَهُ [سوره النمل، الآيه: ۴۹] أى تحالفوا، و كلّ عمل باللّيل تبييت. و يقال: هو أمر دبّر بليل. و يقال للصّقيع: البيوت، لوقوعه باللّيل، و فى القرآن: إِذْ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضى مِنَ الْقَوْلِ [سوره النساء، الآيه: ۱۰۸] و أنشد أبو عبيده شعرا:

أتونى فلم أرض ما بيّتواو كانوا أتونى بأمر نكر

و قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ خِلْفَةً [سوره الفرقان، الآيه: ۶۲] الخلفه ما خلف بعضه بعضا أى كلّ واحد يخلف صاحبه، قال زهير:

بها العين و الأرآم يمشين خلفهو أطلاؤها ينهضن من كلّ مجثم

و معنى لمن أراد أن يذكر، يريد لمن أراد أن يتذكّر و يستدلّ على نعم اللّه على خلقه و على أنواع لطفه فيما تعبّدهم به و تظاهر حججه و تبيانه فيما ندبهم إليه، و هذا كما قال تعالى: وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ* [سوره القمر، الآيه: ۳۲] و كقوله تعالى:

إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ﴾ [سوره الرعد، الآيه: ۱۹] و قوله تعالى: أَوْ أَرادَ شُكُوراً [سوره الفرقان، الآيه: ۶۲] يريد أو يتأمل ما ينقل فيه حالا بعد حال من صنوف آلائه، و وجوه إحسانه، فيضم الشّكر فيه. قوله: خلفه فيما يؤدّيه من المعنى كما حكاه أبو زيد من قولهم: ولد فلان شطره، و المراد ذكورهم بعدد إناثهم، فهذا من الشّطر، كما أنّ ذاك من الخلافه. و النّشأه و النّاشئه أوّل ساعات اللّيل.

و قال ابن الأعرابى: إذا نمت من أوّل اللّيل نومه ثم قمت، فتلك النّاشئه و النّشأه حجر يكون على الحوض. قال و منه قوله: هرقناه فى بادى النّشيئه داثر و النّشيئه الجاريه.

و منه قول الشاعر شعرا:

و لو لا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسى النّشأ الصّغار

قال أبو العباس المبرّد: إذا قال القائل: ما رأيته مذ مدّه من يومى علم أنّ ذلك ساعه أو ساعات. و إذا قال: مذ مدّه من عمرى علم أنّ ذلك سنه أو سنون أو ما يدانيه.

و من ظروف المكان منى فرسخين: و كان شيخنا أبو على يقول: هذا كان يقوله الدّليل لمن يستهديه، أى: إنى أرشدك فى فرسخين، و معنى من شأنى و أمرى كما قال: فإنّى لست منك و لست منّى و يجوز أن يقول: أنت منّى فرسخان، كأنّه جعله نفس الفرسخين.

و المعنى: بيننا هذه المسافه، فأمّا قولهم: هو منّى معقد الإزار و مقعد له لقابله، و مناط الثّريا فإنما ساغت أن تكون ظروفا و إن كان المحدود من الأماكن لا يجعل ظروفا لأنّها أزيلت عن مواضعها، فوضعت موضع القرب و البعد، فدخلها بذلك الإبهام، و تقول: اليوم الجمعه و اليوم السّبت، و جعلت الثّانى هو الأوّل، فرفعت لكونه مبتدأ أو خبرا، و إن نصبت فقلت:

اليوم السّبت و اليوم الجمعه جاز. و تجعل الثّانى كالحدث لتضمّنه معنى الفعل، فيصير كقولك: اليوم الخروج، و غدا الارتحال، و لو قلت: زيد اليوم لم يجز، لأنّ ظروف الأزمنه لا تتضمّن الأشخاص و الجثث، لأنّها لا تخلو منها على كلّ حال، فلا يحصل فى الكلام فائده، و كذلك إذا قلت: حضرت يوم الجمعه، كان يوم الجمعه ظرفا لا غير، لأنّك إن جعلته مفعولا لم يكن فيه فائده، لأنّه لا يغيب عنه أحد و على هذا قوله تعالى: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ [سوره البقره، الآيه: ۱۸۵] و يقول: الصّيام عشره أيام إلّا يوما، فلا يجوز إلا الرّفع لأنّه يريد الوقت كلّه فهو كقوله تعالى: غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ [سوره سبأ، الآيه: ۱۲] و تقول: اليوم عشر من الشّهر و الاختيار النّصب، و كذلك إذا قلت لك: اليوم شهران أو سنتان نصبت اليوم، و إن سقط من الشّهر شى ء لأنّ الاسم يستحق منه على نقصانه، و تقول: لا أكلّمك أخرى اللّيالى ذكر أخرى ليصلها بما قد مضى، و كذلك غابر الدّهر: أى باقيه و قوله: رآها مكان السّوق أو هو أقربا، مثل قوله تعالى:

وَ الرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ [سوره الأنفال، الآيه: ۴۲] أى فى مكان أقرب أو أسفل و يقول: هو منّى قدر أن تناوله يدى، و فوق أن يناوله يدى، و بعضهم يرفعه و الوجه النّصب و على هذا قوله شعرا:

و قد جعلتنى من خريمه إصبعاو يقول: لقيته من قبل قبل

على التّكرير، غايه و لقيته من قبل قبل تضيف الأوّل و لا تضف الثّانى، و النّيه فى الإضافه أن تكون إلى نكره، و إن كانت النّكره فى مثل هذا المكان تفيد فائده المعارف، بدلاله قوله آتيک غدا، لأنّه نكره كالمعرفه، و قبل الذى لم تضفه معرفه لكونه غايه بما ضمّن، و هو فى حكم البدل من قبل الأوّل، لأنّ إبدال المعرفه من النّكره هو الأصل، و إن شئت قلت لقيته من قبل قبل، تنوى الإضافه فيهما على ما بيّنته. و مثله قولهم: من وراء وراء فى الوجوه كلّها. و قد ذكر سيبويه فى قولهم: من عل أنّه مضارع لقولهم: من عل لأنّهما لمّا وقعا لمعنى واحد على تقديرين مختلفين سمّاه مضارعه، فأمّا قوله: و قد علاك مشيب حين لا حين، فالمراد حين غير حين أى جاء المشيب فى غير أوانه، فأدخل النّفى على حدّ ما كان موجبا.

فصل فى قوله تعالى: ما ذا قالَ آنِفاً [سوره محمد، الآيه: ۱۶]

و فى أحرف سواه يكثر البلوى به.

قال أبو زيد: يقال: ائتنفت الكلام ايتنافا و ابتدأته ابتداء أو هما واحد، و أنشد:

وجدنا آل مرّه حين خفناجريرتنا هم الأنف الكراما

و يسرح جارهم من حيث أمسى كأنّ عليه مؤتنفا حراما

قال السّكرى: الأنف: الذين يأنفون من احتمال الضيم. قال شيخنا أبو على: فإذا كان كذا فقد جمع فعلا على فعل، لأن واحد أنف أنف بدلاله قوله:

و حمّال المئين إذا ألمّت بنا الحدثان و الأنف النّصور

و وجه هذا أنّه شبّه الصّفه بالاسم، فكسّرها تكسيره، فقالوا فى جمع نمر: نمر و أنشد سيبويه: فيها عياسل أسود و نمر. و ليس الأنف و الأنف فى البيتين ممّا فى الآيه فى شى ء، لأنّ ما فى الشّعر من الأنف، و ما فى الآيه فى معنى الابتداء و لم يسمع أنف فى معنى ابتداء و إن كان القياس يوجبه.

و قد يجى ء اسم الفاعل على ما لم يستعمل من الفعل نحو: فقير جاء عن فقر و المستعمل افتقر. و كذلک شديد، و المستعمل اشتدّ، فكذلک قولک آنفا و المستعمل ائتنف،

فأما قوله: كان عليه مؤتنفا حراما، فالمعنى كان عليه حرمه شهر مؤتنف حرام، فحذف المضاف و أقام الصّيفه مقام الموصوف، و التّقدير: أنّ جارهم لعزّهم و منعتهم لا يهاج و لا يضام، فكأنّه فى حرمه شهر حرام و قوله: و يأكل جارهم أنف القصاع، فإنه يريد أنّهم يؤثرون ضيفهم بأفضل الطّعام و خيره فيطعمونه أوّله لا البقايا، و ما أتى على نقاوته، فهذا جمع على أنف مثل: بازل و بزل قابل و قبل. و إذا كان كذلك قرئ قراءه من قرأ: ما ذا قالَ آنِفاً [سوره محمد، الآيه: ١٦] و أمّا ما روى عن ابن كثير من قوله: أنفا فمجوز أن يكون توهّمه مثل حاذر و حذر، و فاكه و فكه و الوجه الرّوايه الأخرى آنفا بالمدّ كما قرأ عامتهم.

و قال بعض أصحاب المعانى: لا يمتنع أن يكون الباب الذى قسمه كلّه من أصله واحدا و هو التقدّم، و تكون الأنفه من الأنف الذى هو الجارحه، و سمّيت به لتقدّمه فى الوجه. ثم جعل ما يؤنف منه من الذّل، كإضافه الأنف و جدعه يبيّن هذا و يشهد له قولهم:

بعير أنف و مأنوف: إذا عقره فى الخشاش فانقاد لما يراد منه، و فى الحديث: «المسلم هيّن ليّن إن قيد انقاد» و قد نسب الذّل إلى الأنف فى كلامهم حتّى قيل: هو يحمى أنفه من كذا و هو حمى الأنف، و الشاعر قال:

و لا نال أنفا منه بالذّل نائل

و قال أبو إسحاق فى قوله تعالى: ما ذا قالَ آنِفاً [سوره محمد، الآيه: ١٦] أراد فى أوّل وقت يقرب منّا، و قال الخليل: أنفت فلانا أنفا، كما تقول: الذى قبل أى قبل كأنه أراد أنفته فأنف أنفا، و المعنى حركته من أقرب وقته فابتداء هذا بيان ما رمى به الخليل. و يجوز فيه وجه آخر: و هو أن يريد ما ذا قال فيما أنفه و أنفا و يكون أنفته و أنفا من باب قم قائما و أشباهه. و يكون اسم الفاعل نائبا عن المصدر، قال: و ائتنفت ايتنافا أوّل ما يبتدأ فيه، و المستأنف من الكلام و الأمر كذلك.

قال أحمد: و على ما حرّرناه من كلام المعترض و حكايه الخليل، صحّ قراءه ابن كثير و توجّه اختياره أنفا غير ممدود قياسا و سماعا، و لم يكن متوهّما فاعلمه.

و من الأحرف التى نداولها قوله تعالى: وَ أَدْبارَ السُّجُودِ [سوره ق، الآيه: ٤٠] هو مصدر و المصادر تجعل ظروفا على إراده إضافه أسماء الزّمان إليها و حذفها كقولك: جئتك مقدم الحاج، و خفوق النّجم، و خلافه فلان، يريد فى ذلك كلّه وقت كذا فحذفه فكأنّه قال:

وقت أدبار السّجود، إلا أنّ المضاف المحذوف فى هذا الباب لا يكاد يظهر و هذا أدخل فى باب الظّروف من قولك أدبار السّجود إذا فتحت و كأنه أمر بالتّسبيح بعد الفراغ من الصّلاه.

و قد قيل: أريد به الرّكعتان بعد المغرب، و أدبار جمع دبر و دبر و قد يستعمل ظرفا نحو: جئتك فى دبر الصلاه، أى فى أدبار الصّلاه، و قال شعرا:

على دبر الشّهر الحرام لأرضناو ما حولها جدت سنون تلفّع

و قوله تعالى: وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ* [سوره يوسف، الآيه: ۲۲] أى منتهى شبابه و قوّته واحدها شدّ مثل فلس أو شد مثل فلان ودى، و القوم أودى، أو شد مثل نعمه و أنعم، و معناه قال مجاهد: ثلاثا و ثلاثين سنه و استوى معناه أربعين سنه، قالوا: و أشد اليتيم ثمانى عشره سنه. قال أبو زيد: يقال: هو الأشد و هى الأشد، و فى القرآن: حَتَّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً [سوره الأحقاف، الآيه: ۱۵].

قال الفرّاء: الأشد هنا هو الأربعون أقرب إليه فى النّسق، و أنت تقول: أخذت عامّه المال، إذ كلّه لا يكون أحسن من أن يقول: أخذت أقلّ المال، أو كلّه و أنشد المفضّل فى شدّ:

عهدى به شدّ النّهار كأنّماخضب اللّبان و رأسه بالعندم

و عند أكثر أصحابنا البصريّين أنّ الأشدّ واحد، و أنّه شاذ لأنّه لم يجى ء أفعل فى الواحد.

و قوله تعالى: أَحْسَنُ مَقِيلًا [سوره الفرقان، الآيه: ۲۴] من القائله و هو الاستكنان فى وقت انتصاف النّهار، و جاء فى التّفسير لا ينتصف النّهار يوم الجمعه حتّى يستقرّ أهل الجنّه فى الجنّه و أهل النّار فى النار، فتحين القائله، و قد فرغ من الأمر فيقيل كل من الفريقين فى مقره.

السّنون التى دعا النّبى صلى اللّه عليه و سلم فيها على مضر و قال: «اللّهم اشدد وطأتك على مضر، و اجعلها سنين كسنى يوسف» يقال: كان النّاظر منهم يرى بينه و بين السّماء دخانا من شدّه الجوع، و يقال: بل قيل للجدب دخان، حتّى قيل فى قوله تعالى: بِدُخانٍ مُبِينٍ [سوره الدّخان، الآيه: ۱۰] أى جدب، ليبس الأرض، و ارتفاع الغبار، فشبّه ذلك بالدّخان، و من مجازهم و اتّساعهم: ارتفع له دخان إلى السّماء هذا لبشر و ذلك إذا علا.

الباب الرّابع عشر فی أسماء الأیّام علی اختلاف اللّغات و مناسبات اشتقاقها و تثنیتها و جمعها

قال قطرب: أسماء الأیام: السّبت- و الأحد- و الاثنان- و الثّلاثاء- و الأربعاء- و الخمیس- و الجمعه. فالأحد هاهنا اسم و أصله: و حد و قد یکون صفه مثل قوله: بذی الجلیل علی مستأنس وحد. و معنی الواحد الذی لا ثانی له و إنّما لم یثنّ و هو اسم لأنه متی ثنّی خرج من أن یکون واحدا، فلذلک لم یقل: وحدان و إبدال الهمزه من الواو المفتوحه جاء فی أحرف معدوده. و الاثنان من ثنّیت الشی ء إذا ضعّفته ثنیا ثم یسمّی المثنّی ثنیا، و لا یقال فی أحد اثن، لأنّه إذا أفرد عما یثنّی به لم یستحقّ هذا الاسم. فأمّا الثّلاثاء و الأربعاء و الخمیس فإنّها و إن أرید بها ما یراد من أسماء العدد إذا قلت ثلاثه و أربعه و خمسه، فإنّ فی تغیّر الأبنیه لها قصد. و سیبویه قال: أحبّوا فی الأوقات أن یحصوها بأبنیه تلزمها من بین سائر المعدودات، و شبّهها بقولهم: عدل و عدیل و وزین و وزان فی الفصل بین الأجناس.

و حکی سیبویه: هذا یوم اثنین مبارکا فیه. و استدلّ علی تعریفه بانتصاب الحال بعده، و فیه علی هذا تعریفان.

الأوّل: باللّام تعریف الحارث و العباس.

الثّانی: تعریف العلمیّه و الوضع، کما أنّ عروبه، و العروبه للجمعه کذلک، و السّبت سمّی به قیل: للراحه، و منه السّبات النّوم، و یقال: انسبت الرّجل إذا اعترته سکته. و قیل:

أصل السّبت القطع. و منه السّبات لأنّه یحول بین التمییز و صاحبه، و یقطعه عن عادته و تصرّفه، و یقال: سبتوا عنقه إذا قتلوه. و المنسبت من النّخل: ما یجری الإرطاب فی جمیعه، فکأنّه انقطع من حدّ البسر، و یقال لضرب من النّعال: السّبت، و إنّما هی التی قد نثر شعرها. و یقال: إنّ السّبت إنّما سمّی لما أخذ علی الیهود فی السّبت و نهوا عنه فی هذا الیوم مما هو مباح فی غیره، و انقطاع حکمه من حکم غیره، و من جعل السّبت إنّما یسمّی به

للرّاحه، يقول قوله تعالى: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ ما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ [سوره ق، الآيه: ٣٨] هو ردّ على اليهود فى قوله تعالى: خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ* آخرها يوم الجمعه و استراح فى يوم السبت فردّ اللّه ذلك عليهم و أبطل قولهم. و سمّى السّبت: شيارا و اشتقاقه من شيرت الشى ء إذا أظهرته و بيّنته، و يقال: شيراى حسن الشياره و هى ظاهر منظره، و من هذا قيل: القوم يتشاورون أى يظهرون آراءهم كأنّ كلّ جماعه منهم يظهرون ما عندهم و يعرضونه. و يجوز أن يكون قولهم لخيار الإبل الشّيار من هذا الذى ذكرناه. و قيل للأحد: أوّل لأنهم جعلوه أوّل عدد الأيام. و قالوا للإثنين: أهون و أوهد فأهون من الهون و هو السّكون من قوله تعالى: يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً [سوره الفرقان، الآيه: ٦٣] و أوهد يدلّ على هذا المعنى لأنّ الوهده الانخفاض كأنّهم جعلوا الأوّل أعلى ثم انخفضوا فى العد. و قالوا للثّلاثاء الجبار أى جبر به العدد، و أعظم به العدد و قوى، لأنّه حصل به فرد و زوج.

و قال الخليل: سمّى به فى الجاهليه الجهلاء، و فى الخبر العجماء جبار و المعدن جبار. أى يهدر الأرش فيه، فهو يخالف المعنى الأول. و قولهم للأربعاء: دبار لأنّه عندهم آخر العدد و قد تمّ بإجرائه العقد الأوّل. و دبر كل شى ء مؤخّره، و إنما كان كذلك لأنّ الخميس- و الجمعه- و السّبت- سمّوها بأشياء تصنع فيها فاستغنوا بها عن عددها. و قيل للخميس: مؤنس لأنه يؤنس به لقربه من الجمعه و فى الجمعه التأهّب للاجتماع. و قيل للجمعه: العروبه لبيانها عن سائر الأيّام، و الإعراب فى اللّغه الإبانه و الإفصاح، و العرب شوك البهمى و الواحده عربه، سمّى بذلك لأنّ الورق يسقط منه فيظهر الشّوك. فالتّأويل أنّه قد بان من الورق و العرابه عسل الخزم، سمّى به لأنّه يقال لثمره العراب، و الواحده عرابه، و قد أعربت الخزم، و يقال للمرأه الغزله هى عربه و عروبه أيضا. و منه قوله تعالى: إِنَّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً عُرُباً أَتْراباً [سوره الواقعه، الآيه: ٣٥- ٣٦] و قيل: العروبه المتحبّبه إلى زوجها، و يقال للمتهلّل الوجه: عرابه. و بير عربه: كثيره الماء. و قد قيل:

العروبه بالألف و اللّام و بغير الألف و اللام كأنّه جعل علما، و أنشد فيه شعرا:

و إذا ترى الرّواد ظلّ بأسقف يوما كيوم عروبه المتطاول

يروى يوما كيوم، و يوما كيوم، قال: و لم يزل أهل كل دين يعظّمونه و جعله متطاولا للعباده فيه، و المعنى و إذا ترى هذا الحمار الوارد ظلّ له يوم طويل و طوله طول مكثه يميل بين الورود و تركه. و إذا نصبت اليوم: فالمعنى ظلّ الحمار يوما طويلا فى هذا الموضع، و إذا رفع فالمعنى ظلّ بأسقف يوم له، و روى الأرواد فكأنّه جمع ورد و المعنى: أهل الأوراد أو يجعل الورد للواردين. و قال القطامى: فأتى بالألف و اللّام شعرا:

نفسى الفداء لأقوام هم خلطوايوم العروبه أورادا بأوراد

(و تسمّى الجمعه) حربه أيضا، سمّيت بذلك لبياضها و نورها فهى فى الأيّام كالحربه.

(و ذكر أصحاب) السّير أنّ أولاد نوح عليه السّلام عزموا على المسير فى الأرض ليروها، و يختاروا منها لمطافهم و أوطانهم فبدءوا بمسيرهم فى يوم الأحد فسمّى الأوّل. (ثم لمّا كان اليوم الثّانى) كان السّير الذى شق عليهم فى الأوّل أخفّ فسمّى الاثنين أهون. و (فى الثّالث) جبروا ما تشعّث من أحوالهم بعد ما نزلوا سمّى لذلك الثّلاثاء جبارا، و لأنّهم جبروا ما كانوا خفّفوه من سيرهم فيما قبله فسمّوه جبارا. و (فى الرّابع) انتهوا إلى عقاب و جبال فحجزتهم و منعتهم فأدبروا و غيّروا الطّريق فسمّى الأربعاء دبارا. و (فى الخامس) تسهّل الطّريق و رأوا ما أنسهم فسمّى الخميس مؤنسا. و (سميت الجمعه) العروبه لأنّ كلمتهم اجتمعت و بان لهم من الرّأى ما كان خافيا فتعربوا و اتّفقوا. فإذا جمعت السّبت فيما دون العشره أسبت و الكثير سبوت. و إذا جمعت الأحد قلت فى القليل: آحاد و فى الكثير أحود مثل جمل و أجمال و جمال و أسد و أسود و آساد. و الاثنان لا يثنّى فإنّه مثنّى، فإن أردت تثنيته جئت بالمعنى فقلت: هذان يوما الاثنين و لا يحسن مضى الاثنانان، فيحصل الإعراب مرتين. قال قطرب: و مع ذلك قد حكى. و فى الجمع أيضا تقول: مضت أيام الاثنين، إلا أنّهم قد قالوا: اليوم الثّنى فلا بأس على هذا أن يجمع فيقول: مضت أثناء كثيره.

و حكى عن بعض بنى أسد: مضت آثان كثيره، كأنّه جمع أثناء مثل: قول و أقوال و أقاويل، و أسماء و أسامى، فلا بأس بذلك. قال: و حكيت لنا مضت أثانين، و لا وجه لهذا لأنّه من ثنيت الشى ء، فالنّون الأخيره لا مدخل لها، فأمّا جمع الثّلاثاء و الأربعاء فثلاثاوات، و أربعاوات بالألف و التّاء، لأنّ فيها علم التأنيث و هو الهمزه بعد الألف كألف حمراء و صفراء.

و زعم يونس أنه يقال: مضت ثلاث ثلاثاوات، و أربع أربعاوات، على تأنيث اللّفظ و يقال: ربعت الجيش إذا أخذت ربع القسمه منهم و لم يأت على وزن المرباع فى تجزئه الشى ء غير المعشار و المرباع المكان الباكر بالنبات. و منه قوله: رزقت مرابيع النّجوم، و فى الأربعاء لغات أربعاء بفتح الباء و أربعاء بكسر الباء و الهمزه، و يجمع على أربعاوات و أرابيع، و تقول أيضا: ثلاث ثلاثاوات و أربعه أربعاوات على معنى التّذكير، لأنّ اليوم مذكّر و قال الشّاعر شعرا:

قالوا: ثلاثاؤه خصب و مأدبهو كلّ أيامه يوم الثّلاثاء

و حكى المفضّل فى الثّلاثاء الأثالث فى الكثير. و حكى فى جمع الأربعاء الأرابيع أيضا، و أمّا الخميس فإذا جمعته على أقل العدد كان على أفعله تقول: ثلاثه أخمسه، كما

قالوا: جريب و أجربه و كثيب و أكثبه، و يجوز فى القياس جمعه على فعلان نحو خمسان، كما قيل: كثيب و كثبان و رغيف و رغفان.

و قال يونس: أخمسه فى الأيام، و أخمساء فى الخمس، تقول: إذا أخذ الخمس قد أخذ أخمساء فى ماله. فأما الجمعه فإنّها إذا جمعتها لأدنى العدد كانت بالتّاء: ثلاث جمعات، أتبعت الضمّه مثل ظلمات، و إن أسكنت فقلت جمعات و ظلمات كما أسكن عضد و عضد و عنق و عنق جاز و إن شئت فتحت فقلت ثلاث جمعات و ظلمات. و قال النّابغه:

و مقعد أيسار على ركبانهم و مربط أفراس و ناد و ملعب

و إن شئت قلت ثلاث جمع كما تقول: ثلاث ظلم و ثلاث برم. و إن شئت كان ذلك لكثير. و أيّام العجوز سبعه كما قال:

كسع الشّتاء بسبعه غبرأيّام شهلتها من الشّهر

فبآمر و أخيه مؤتمرو معلّل و مطفى الجمر

فإذا مضت أيّام شهلتهابالصّن و الصّنبر و الوبر

ذهب الشّتاء مولّيا هرباو أتتك واقده من النّجر

قال أبو سعيد: سمّيت هذه الأيام غبرا للغبره و الظّلمه. و الشّهله العجوز. و آمر سمّيت بذلك لأنّه يأمر الناس بالحذر منه، و سمّى مؤتمر لأنّه يأتمر بالنّاس أى يرى لهم الشّر و يؤذيهم. و منه قول امرئ القيس:

أجاز ابن عمر و كأنّى خمرو يعدو على المرء ما يأتمر

و سمّى (صنا) لشدّه البرد. و الصّن البرد. و سمّى (صنبرا) لأنّه يترك الأشياء من البرد كالصّيره فى الجمود، و كلّ ما غلظ فقد استصبر. و سمّى (وبرا) لأنّه وبر آثار الأشياء أى عفا.

(و التّوبير) المحو و الإخفاء، كتوبير الأرنب، و هو أن يمشى فى حزونه لا يوقف على أثره، و سمّى (مطفى الجمر) بذلك لأنّ شدّه البرد تطفئ الجمر. (و معلّل) سمّى بذلك لأنّه يعلّل النّاس بتخفيف البرد. (و النّجر) و قده الحر، و منه قيل شهر ناجر. فهذا ما قاله أبو سعيد الضّرير، و من النّاس من يقول فى أيّام العجوز هى: المسترقه فى أوّل الشّتاء. و منهم من يجعلها فى آخر الشّتاء و يسمّيها أيّام الشهله. و منهم من يعدّها خمسه، و منهم من يعدّها سبعه على ما تقدم. و حكى أنّ الكسائى سأله الرّشيد عن سببها، فقال: كانت امرأه من العرب قد اهترمت، و كان لها سبعه أولاد فقالت لهم: زوّجونى زوّجونى زوّجونى و هم يضربون عنها و لا يكترثون لها فأنشأت تقول شعرا:

أيا بنىّ إنّنى لناكحهفإن أبيتم إنّنى لجامحه

هان عليكم ما لقيت البارحهمن الهياج و حكال الوامحه

و يروى الفاضحه. و قيل: أرادت بالوامحه الواحمه أى المشتهيه من قولهم: و حمت المرأه توحم و حما و هى امرأه و حمى، فقالوا لها: بيتى لنا سبع ليال على ثنيه هذا الجبل لكل ابن ليله لنزوّجك بعد ذلك، فجاءوها بعد السّابعه و قد انقضت.

(فمن عدّها) سبعه فقال: هى: صن(١) و صنبر- و وبر- و آمر- و مؤتمر- و معلّل- و مطفى الجمر- (و من عدّها) خمسه قال هى: صن- و صنبر و اختهما و بر- و مطفى الجمر- و مكفى الظّعن.

و قال أبو سعيد الضّرير: سمّيت أيام العجوز لأنّ العرب جزّت الأصواف و الأوبار مؤذنه بالصّيف، و قالت عجوز منهم لا أجزّ حتى تنقضى هذه الأيّام فإنّى لا آمنها، فاشتدّ البرد لها، و أضرّ بمن قد جزّ و سلمت العجوز بما لها.

و قال أحمد بن يحيى: الصّحيح أنّ العجوز عجلت بجزّ صوفها لحاجتها إليه و ثقتها بالحر، فجاء البرد و موّتت غنمها، و كانت سبعه فماتت كلّ يوم واحده فمن جعلها سبعه فلهذه العلّه، و إلّا فبرد العجوز ربّما بقى عشره أيام أو أكثر.

و قال أحمد بن يحيى: (معتدلات سهيل) بإزاء (برد العجوز) (و الكسع) ضرب الضّرع بالماء البارد حتى لا يدر، و كسع الشّتاء ضرب آخره بهذه الأيّام. و (الشّهله) العجوز، و تشهّل الغلام إذا تغيّر بخروج لحيته أو لغير ذلك. قوله (بآمر) أى بيوم استعدّ فيه للبرد كأنّه أمر بذلك. و (مؤتمر) أى ايتمر للّذى أمره بذلك فقبله و قوى برده. و (معلّل) من العلل و هو شرب بعد شرب كأنّه جاء ببرد بعد برد (و مطفى الجمر) أى لشدّه البرد لا يكون للجمر ثبات. (و الصّن) المتكمّر برد شديد، (و الصّنبر) مثل ذلك. (و الوبر) يكون من الوبر الذى احتيج إليه من البرد. (و الوقده) شدّه الحرّ من الوقود و هو النّار. (و النّجر) شدّه العطش.

و شهرا ناجر) تموز و حزيران.

و قال الضّرير فى قول أبى عبيده فى الكسعه إنّها الحمير إنّه خطأ، لأنّ الكسعه تقع على الإبل و البقر العوامل و الحمير و الرقيق لأنّها تكسع بالعصا، أى تساق أو بالخب، فكيف جعلها حميرا و حدها؟ و مما يصدّق ما قلنا قول الشاعر فى أيّام العجوز كسع الشّتاء، يريد كسعت أيّام العجوز الشّتاء كما تكسع السّيقه إلى حيث يراد بها، و يقال: إنّ يومنا لصنبر،

١- قال فى القاموس:(الصّن) بالكسر أول أيام العجوز. و(الصّنبر) الثّانى من أيّام العجوز، و(الوبر) من أيام العجوز، و(آمر)(و مؤتمر) آخر أيّام العجوز.(و معلل) كمحدث يوم من أيام العجوز، و(مطفى الجمر) خامس أيام العجوز أو رابعها. ١٢ القاضى محمد شريف الدين المصحح عفى عنه.

و هو القر. و قال غيره فى شدّه البرد: الخرص و الصّنبر و الزّمهرير. و قال بعضهم: أيّام العجوز: الصّن- و الصّنبر و ابن عمهما الوبر- و المضوضى فى القبر- و المسند اللّامه الجمر و المدخل الفتاه فى الخدر و المسلخ العجوز فى الوكر.

و قد سمّت العرب الأيّام الخمسه بأسماء كما خصّت أيّام العجوز بأسماء و هى الهنبر- و الهنزبر و قالب القمر- و حالق الظّفر- و مدحرج البعر. قال أبو حنيفه: أمّا أيام العجوز فهى عند علماء الحضر فى نوء الصّرفه بعد انقضاء الجمرات و هى خمسه.

و قال الكلابى: هى بالباديه عند ثلاثه بعد سقوط الجمره الآخره من الجبهه بنحو من سبع ليال، قال: و هذه الأيّام تسمّى صفوان. و الثّانى الصّافى و هو أشدّها قرا، و الثّالث صفى و هو آخرها، و أوّل نهاره يشبه الأوّلين، و آخر نهاره يتباشر النّاس بلينه. و روى غيره عن العرب أول يوم صفى. و الثّانى صفوان. قال و ذلك إذا اشتدّ البرد. و الثّالث همام لأنّه يهم بالبرد و لا برد له. و قال أبو زياد: فيها يقولون: أيّام العجوز ثلاثه، و قد كان أيام العجوز لنا شهرا. قال: و أيّام العجوز عند الجمهور سبعه، و سقوط الجمره الأولى عند العوام لسبع من شباط. و سقوط الجمره الوسطى لأربع عشره من شباط، و سقوط الأخيره لإحدى و عشرين من شباط. و أول أيام العجوز عندهم لخمس و عشرين من شباط، و آخرها لثلاث من آذار.

الباب الخامس عشر فی أسماء الشّهور علی اختلاف اللّغات، و ذکر اشتقاقاتها

اشاره

و ما یتّصل بذلک من تثنیتها و جمعها و هو فصلان:

فصل [فی بیان] معنی الشّهر

أنّ النّاس ینظرون إلی الهلال فیشهرونه یقال: محرّم و محرّمان و محاریم و محرّمات و إنما سمّی محرّما لأنّهم کانوا یحرّمون القتال فیه و صفر و صفران و أصفار و سمّی صفرا لأنّهم کانوا یغزون الصّفریه و هی مواضع کانوا یمتارون الطّعام منها، و قیل: لأنّهم کانت أوطانهم تخلو من الألبان و من کلامهم: نعوذ باللّه من صفر الإناء و قرع الفناء. و یقال:

صفرت عیبه الود من فلان أی خلت قال شعرا:

و إذ صفرت عیاب الودّ منکم و لم یک بیننا فیها ذمام

و یقال شهر (ربیع الأول) و الأوّل فمن خفض ردّه علی ربیع و من رفع رده علی الشّهر.

و کذلک شهرا ربیع الأوّلان و الأوّل و شهور ربیع الأوائل و الأوّل- و حکی ربیعا الأول و أربعه الأول- و قالوا: أربعه الأولیات و الأوّل و ربیعا (الآخر) و أربعه الأواخر و الآخر. و سمّیا ربیعین لارتباع القوم- أی إقامتهم. و (جمادی الأولی) و جمادیان و جمادیات و جمادیا الأولی- و قالوا: الأولیین- و جمادیات الأولی و الأوّل و الأوائل- و (جمادی الأخری) و الأخریین و جمادیات الأخری و الآخر و الأواخر. قال الشاعر:

إذا جمادی منعت درّهازان جنابی عطن مغضف

و یروی قطرها، و إنّما یصف نخلا فیقول إذا قلّت الأمطار و لم یکن عشب فزین الإبل أعطنه النّاس، فإنّ جنابی یزینه النّخل، فجعل أعطانها منابتها (و المغضف) یقال نخله مغضفه إذا کثر سعفها. و رواه بعضهم: معصف بالعین و الصّاد، یقال: مکان معصف أی کثیره العصف و هو التّبن، و الأجود الأوّل و الأصح.

(و قال البصريّون و الكوفيّون) جميعا الشّهور كلّها ذكران إلّا جمادى: لجمود الماء فيها. و يقال: (رجب) و رجبان و أرجاب و أراجيب و أرجبه و سمّى رجبا لترجيبهم آلهتهم فيه، و التّرجيب: أن يعظّموها و يذبحوا عنها، و كانوا يعظّمون الشّهر أيضا و قال الشّاعر: لإبل من أجل و أرجب. و يقال له: شهر اللّه الأصم، و منصل الال بعد ما مضى غير دأداء، و قد كاد يذهب، و ذلك لقعودهم فيه عن الغزو و الكف عن الغاره فلا يسمع فيه قعقعه سلاح، و لا تداعى أبطال، و لا استصراخ لغاره، و يقال: رجبت الأمر إذا هبته و عظّمته، و منه قيل فى المثل: أنا جذيلها المحكّك و عذيقها المرجّب.

و قال أبو داود: صادفن منصل آله فى فلته فجرين سرجا. و يقال للّيله التى لا يدرى أ هى من الشّهر الحرام أو الحلال فلته. و (شعبان) و شعبانات و شعابين و سمّى شعبان لتشعّب القبائل فيها و اعتزال بعضهم بعضا.

و رمضان و رمضانات و رماضين و سمّى رمضان لشدّه وقع الشّمس و تناهى الحرّ فيه و يقال: هذا شهر رمضان و هذا رمضان و قال شعرا:

جاريه فى رمضان الماضى تقطع الحديث بالإيماض

أى إذا ابتسمت: قطع النّاس حديثهم ناظرين إليها و إلى ثغرها و مستملحين كلامها و مثل هذا قول الآخر:

ديار التى كادت و نحن على منّى تحلّ بنا لو لا نجاء الرّكائب

و المعنى: كادت تصرفنا عن مقصدنا اشتغالا، لو لا استعجال النّاس، قال الفرّاء:

و كان أبو جعفر الفارسى يروى عن المشيخه أنّهم كرهوا جمع رمضان يذهبون إلى أنّه اسم من أسماء اللّه تعالى، و اللّه أعلم بهذا.

و شوّال و شوّالان و شوّالات و شواويل و سمّى بذلك لشولان الإبل بأذنابها عند اللّقاح، و يقال سمّى بذلك لأنّ الألبان تشول فيه و تقل. و يقال: شال اللّبن و شال الميزان إذا خفّا.

و ذو القعده و ذواتا القعده و ذوات القعده، سمّى بذلك لقعودهم فى رحالهم لا يطلبون كلأ و لا ميره.

و ذو الحجّه و ذوات الحجّه لحجّهم و قالوا: ذواتا القعدتين، و ذوات القعدات و كذلك قيل فى ذى الحجّه، و يقال: شهر ناجر لشدّه الحر، و منه نجر من الماء إذا جعل يشرب فلا يروى و أنشد شعرا:

و يوم كأنّ الشّمس فيه مقيمهعلى البيد لم تعرف سوى البيد مذهبا

و يوم على قوسين فى شهر ناجرسعيت لأصحابى وراءه منشبا

شبه وشى ردائه بأفواق النشّاب و هى السّهام. و قال الأصمعى: شيبان و ملحان اسمان لشهرى قماح و هما الشّهران اللّذان يشتدّ فيهما البرد، سمّى شيبان لابيضاض الأرض بالثّلج كذلك ملحان مأخوذ من الملحه و هو البياض.

و قال قطرب: يقال لجمادى الأولى و جمادى الآخره شيبان و ملحان من أجل بياض الثّلج و قال قولهم: مات الجندب و قرب الأشيب أى قرب الثّلج. و قال الكميت:

إذا أمست الآفاق حمرا جنوبهالملحان أو شيبان و اليوم أشهب

و ذكر المفضّل: أنّ من العرب من يسمّى المحرّم (المؤتمر) و الجمع مآمير و مآمر. قال الشّاعر:

لو لا ايتمارى بكم فى المؤتمرعزمت أمرى للفراق فانتظر

و قال آخر:

نحن أجزنا كلّ ذبال فترفى الحجّ من قبل وادى المؤتمر

و اشتقاقه يجوز أن يكون من شيئين. (أحدهما) أنّه يؤتمر فيه الحرب قال: و يعدو على المرء ما يأتمر. و الآخر: أن يكون من أمر القوم إذا كثروا فكأنّهم لمّا حرموا القتال فيه زادوا و أكثروا. و يسمّى صفر ناجرا و الجمع نواجر. قال:

صبحناهم كأسا من الموت مرهبناجر حين اشتدّ حرّ الودائق

و قال الكميت:

قطع التّنائف عائدا بك فى وديقه شهر ناجر

و تكون تسميتهم إيّاه بذلك من شيئين: (أحدهما) أن يكون من النّجر و النّجار و هو الأصل، فكأنّه الشّهر الذى يبتدأ به الحرب، و منه قيل لجاده الطّريق: المنجر. قال: ركبت من قصد الطّريق منجره. (و الآخر) أن يكون من النّجر و هو شدّه الحرّ فيكون وقوع حراره الحرب و الحديد فيه. و منه قوله: كلّ نجار إبل نجارها و كلّ نار المسلمين نارها، و يسمّى ربيع الأوّل (خوان) مخفف. و قال الفرّاء: بعضهم يقول خوان و الجمع أخونه و خوانات.

قال لقيط الإيادى:

و خاننا خوان فى ارتباعنافانفد للسّارح من سوامنا

و قال الآخر:

و فی النّصف من خوان ودّ عدوّنابأنّه فی أمعاء حوت لدی البحر

و اشتقاقه من الخون و هو النّقص، لأن الحرب یکثر و یشتد فیه فیتخونهم أی ینتقصهم و یسمّی ربیع الآخر (و یصان) مضموم خفیف و قال الفراء: بعضهم یقول: بصان، و بعضهم یجعل الواو أصلا فیقول: وبصان فیجزم الباء و الجمیع بصانات و أبصنه. قال:

و سیّان بصان إذا ما عددته و یرک لعمری فی الحساب سواء

و اشتقاقه من الوبیص و هو البریق، أو من البصیص. و أنشد شعرا:

و یوم کأنّ النّار یوقدها له هواجر وبصان عسفت به الحرقا

علی ما یری الضّبعین یشبه دالجاأحال بدلویه علی حوضه دفقا

و یسمّی جمادی الأولی: الحنین و بعضهم یقول الحنین، و الجمع أحنّه. قال المهلهل:

أتیتک فی الحنین فقلت رنّی و ما ذا بین رنی و الحنین؟!

و قال:

و ذو النّحب یؤویه فیوفی بنذره إلی البیض من ذاک الحنین المعجّل

و اشتقاقه من الحنین لأنّ النّاس یحنّون فیه إلی أوطانهم.

و یسمّی جمادی الآخره: رنی و ورنه بجزم الرّاء. قال الفراء: هکذا السّماع لبعضهم و غیره یقول: رنه مثل ورنه، و الجمع ورنات. قال:

و أعددت مصقولا لأیام ورنهإذا لم یکن للرّمی و الطّعن مسلک

و من قال: رنه قال فی جمعه رنات مثل زنه و زنات، فأمّا رنی فسمّی به لأنّه یعلم فیه ما نتجت حروبهم. (و الرّنی) الشّاه الحدیثه النّتاج، و أما رنه و ورنه فمشتق من أرن یأرن، إذا نشط و تحرّک فأبدل الواو من الهمزه، و کأنّه أرید الوقت الذی یتحرکون فیه للغزو، فورنه مثل وجهه، ورنه(١) مثل جهه. و قال:

مدرّج الرّیح تربّعن ورنهإذا عاقل و صغن برومان

فالمائر فلمّا دنا لهبان الشّتاء یمّمن أحرجه الحاجر.

و يسمّی رجب الأصم و الجمع صم. قال:

۱- ورنه فی القاموس اسم ذی القعده- محمد شریف الدین عفا عنه.

يا ربّ ذى خال و ذى عن عمم قد ذاق كأس الحتف فى الشّهر الأصم

و إنّما سمّى به لتركهم الحرب حتى لا يسمع فيه صلصله حديد.

و يسمّى شعبان (و علا) بكسر العين و الجمع أوعال. قال الفرّاء: و بعضهم يقول و علان. و يقال وعل أيضا، و هو الملجأ، يقال: ما لى عنه وعل: أى ملجأ، و لم أجد إليه و علا، أى سبيلا، و كأنّه سمّى الشهر به لأنّ الغاره كانت تكثر فيه فيلتجئ كلّ قوم إلى ما يتحصّن به. و التّوعّل التّوقّل و منه اشتقّ الوعل و المستوعل من الحمير المحترز.

قال و (يسمّى رمضان) (ناتق) و الجمع نواتق. قال:

و فى ناتق أجلت لدى حومه الوغاو ولّت على الأدبار فرسان خثعما

و إنّما سمّى بذلك لأنّه كان مكثرا لهم الأموال، يقال: نتقت المرأه: إذا كثرت الولد، و النّتق الجذب أيضا، كأنّه كان يجذب النّاس إلى غير ما هم عليه. قال الرّاعى:

و فى ناتق كان اصطلام سراتهم ليالى أفنى القرح جلّ إياد

نفوا إخوه ما مثلهم كان إخوهلحىّ و لم يستوحشوا لفساد

و يسمّى شوّال عاذلا، و الجمع عواذل. قال تأبط شرا:

شعب الوصل عاذلى بعد حجرى حبّذا عاذل أتى خير شهر

يا ابنه العامرىّ جودى فقد عيل على القرب و النّوى منك صبرى

و قال:

أبوتا الذى أنسى الشّهور لعزّه فعاذل فينا عدل و علان فاعلم

هذا البيت شاهد لشعبان و شوّال جميعا. و قال زيد الخيل فى وعل:

هيهات هيهات برّيات الكلل قد كان أدنى متوعد منك و عل

قد مرّ شهران و لم يأت الرّسل و كأنّه سمّى بذلك لأنّه كان يعذلهم على الإقامه، و قد حلّت الحرب و الغارات.

و يسمّى ذو القعده: هواعا، و الجمع أهوعه، و إن شئت هواعات. قال شعرا:

و قومى لدى الهيجاء أكرم موقعاإذا كان يوما من هواع عصيب

و قيل له ذلك: لأنّه كان يهوع النّاس أى يخرجهم من أماكنهم إلى الحج. و يقال: هاع فلان يهوع هوعا إذا قاء، و تهوّع و ما يخرج من حلقه هواعه.

و يسمّى ذو الحجه (برك) و جمعه بركات، و لك أن تفتح الرّاء. قال:

أعن لى على الهندىّ مهلا و كرهلدى برك حتّى تدور الدّوائر

يعنى بالهندى سيفه (و المهلل) دردى الزّيت، (و الكرت) البعر، أى احفظ سيفى من الصدأ و اصقله بذلك، و كان الشّهر سمّى بذلك، لأنّه معدول عن بارك و كأنّه الوقت الذى يبرك فيه الإبل للموسم، و جائز أن يكون مشتقا من البركه لأنّه وقت الحج، فالبركات تكثر فيه، و أصل البركه من الثّبات و منه برك البعير.

أسماء الشهور العربيه غير الأسماء المشهوره:

و قال الدّريدى: و المشهور أسماء غيرها بلغه العرب العاربه، و هم كانوا يسمّون (المحرم) موجبا، و (صفرا) موجزا، و (ربيع الأوّل) موردا، و (ربيع الآخر) ملزجا و (جمادى الأولى) مصدرا، و (جمادى الآخره) هوبرا، و (رجبا) مويلا، و (شعبان) موهبا، و (رمضان) ذيمرا، و (شوالا) جيفلا، و (ذا القعده) محلسا، و (ذا الحجه) مسبلا، و كانوا يبدءون من السّنه برمضان و قد نظم بعضهم المحدثين أسماء الشهور فقال شعرا:

أردت شهور العرب فى جاهليّهفخذها على سرد المحرّم يشترك

فهو تمر يأتى و من بعد ناجرو خوّان مع وبصان يجمع فى شرك

حنين ورنى و الأصم و عاذل و ناتق مع وعل و ورنه مع برك

و قال أحمد بن يحيى: إنّما خصّت العرب شهر ربيع و شهر رمضان بذكر شهر معهما من دون غيرهما من الشّهور ليدلّ على موضع الاسم، كما قالت العرب: ذو يزه، و ذو كلاع، فزادت ذو ليدل على الاسم، و المعنى صاحب هذا الاسم. قال و يصغّر جمادى على جميدى و جميدى و جميديه و جماديه و جماديه، كما قالوا: حبارى و حبيره، و كان الحكم أن يقال فى هذا: شهر الرّبيع الأوّل، و شهر الرّبيع الآخر، إلا أنّه مما أضيف فيه المنعوت إلى النّعت مثل دار الآخره، و حق اليقين و صلاه الأولى، و مسجد الجامع، حكى ذلك الكسائى و اللّحيانى.

و حكى أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابى أنّ جمع ربيع المطر: أربعه، و ربيع النّهر أربعاء. و جمادى الأولى و الآخره على ما يجب لأنّه أتبع فيه النعت المنعوت و لم يضف إليه، و منهم من يجيز جاء رمضان، و لا يذكر الشّهر و لفظ القرآن (شهر رمضان) و حكى الخارزنجى أنّه يقال فى جمع ربيع الأول و ربيع الآخر: هذه الأربعه الأوائل، و الأربعه الأواخر، و الربعه أقصى غايه العدد، و أنشد فيه:

أم الفوارس بالدّيداء و الرّبعه

فصل اعلم أنّ سرار الشّهر

آخره، و فيه لغات: يقال سرار الشّهر، و سراره و سرّه و سرره.

و يزيد النّوء عندهم غراره و حمدا إذا كان فى سرار الشّهر. لذلك قال الرّاعى:

تلقى نوؤهنّ سرار شهرو خير النّوء ما بقى السّرار

و قال الكميت:

هاجت له من جنوح اللّيل رائحهلا الضّب ممتنع منها و لا الورل

فى ليله مطلع الجوزاء أوّلهادهماء لا قرح فيها و لا رجل

(قوله): لا الضّب البيت يعنى السّيل يدخل عليهما فيستخرجهما لبلوغه النّجوات، و ذلك أنّ الضّب و الورل يرفعان مكانهما عن مجرى السّيول. (و قوله): لا قرح يريد أنّها من السّرار فلا ضوء فى أوّلها و لا فى آخرها. و قال الحطيئه شعرا:

بانت له بكثيب حريه ليلهو طغا بين جماديين درورا

و هى اللّيله التى لا يدرى من أىّ الشّهرين يكون مشكوكا فيها، و قد يحمد أن يكون فى أوّل الشهر أيضا. قال الكميت:

و الغيث بالمتألّقات من الأهلّه فى النّواحر

النّواحر: جمع ناحره و هى اللّيله التى تنحر الشّهر، و يقال لها أيضا: النّحيره. قال أبو حنيفه: و اختلف فيها فزعم بعض أهل العلم أنّها أول ليله من الشّهر يذهب إلى أنّها فى نحره، و زعم غيره: أنها آخر ليله من الشّهر لأنّها تنحر الشّهر الدّاخل، قال: و لا أظنّه قال هذا إلّا لأنّ يجعل الاختيار فى السّرار، لأنّه أشهر لكنه قد جاء بالمتألّقات من الأهله، و جاء أيضا وافق غر شهر نحيرا، و لا يقال غرّه إلّا و هى ليله الهلال، و قد قال الفرزدق: فى ناحرات سرار بعد إهلال. فجعلها من السّرار و جعلها ناحره و جعلها بعد الإهلال. قال: فإن كانت هذه الرّوايه صحيحه فلا أعلم لها وجها، إلّا أنّ اللّيله دخلت و هى من السّرار، لأنّ ما بين استسرار القمر إلى أن يرى الهلال سرار، كلّه، فدخلت و هى من السّرار، ثم رؤى فيه الهلال فصارت نحيره، و صار ما فيها من غيث بعد الإهلال، هذا أقرب ما أعرف منها. و إن كانت الرّوايه كما يزعم آخرون أنّها قبل الإهلال، فهذا ما لا كلام فيه. و يكون حينئذ مثل قول الرّاعى شعرا:

و مرده و طغا و افق نوؤهاقبل الهلال بديمه ديجور

و يكون حينئذ فى السّرار المحض. فأما قول ابن أحمر:

ثم استهلّ عليها و اكف همع فى ليله نحرت شعبان أو رجبا

فإنّه يحتمل المعنيين جميعا، هذا إن كانت النّحيره معروفه عند العرب أنّها أوّل ليله من الشّهر. و قيل فى قول الشّاعر:

كان ابن مزنتها جانحاقسيط لدى الأفق من خنصر

مثل قول الكميت، لأنّ ابن المزنه هو الهلال و قول أبى و جزه:

جيران دان من الجوزاء منحور. فليس هو من النّحيره بل هو مثل قول الرّاعى:

فمرّ على منازلها فألقى بها الأثقال و انتحر انتهارا

أى يشقّق بالماء و تعشق فعلى هذا مذهب العرب فى اختيار السّرار و الغرّه، قال أبو حنيفه: و قد قال أبو و جره فى ليله لتمام النّصف من رجب: خواره المزن فى أقتادها طول.

فلا أعرف أحدا وافقه على هذا الاختيار و لا أعلمهم حمدوا المحاق بليله، فكان محاقا كلّه ذلک الشّهر. و قال الأخطل شعرا:

فإن يک كوكب الصّمعاء نحسابه وافت و بالقمر المحاق

و تزعم الهند فيما يحكى عنها أنّ النّحوسه أبلغ فى الأمطار، و إنّما النّحوسه عندهم ما دام القمر مستسرا محترقا، فإذا فارق الشّمس ذهبت عنه النّحوسه لأنّه قد خرج عندهم من الاحتراق، و العرب تقول: إذا نأت النّجوم بغير مطر: خوت تخوى خيا و خويا و أخوت تخوى إخواء. فإذا أمحلت فلم يكن فيها مطر فذلک الخى و الأخلاف، فإذا لم يخلف قبل صدقت و قد صدق النّوء إذا كان فيه مطر و ما كان فيها من أمطار أو بوارح: فهى الهيوج و الواحد هيج. قال الأصمعى: يقال: هذا فى الهيج المتقدّم. و قال ذو الرمه:

فلمّا رأين القنع أسغى و أخلفت من القصر بيّات الهيوج الأواخر

(القنع) المكان الذى انخفض وسطه و ارتفع جوانبه، و إنما وصف نساء دفعن إلى بوارح. و قال آخر:

و نار وديقه فى يوم هيج من الشّعرى نصبت لها الجبينا

قال ابن الأعرابى: العرب تسمّى نجوم الأسد كواكب النّحوس لشدّه بردها. و قال عمر بن اللّجاء شعرا:

لمّا خشيت كبه التّنكيس و قحم السّير بمر مريس

خنست فى الباقل و الخليس و اقتحمت كواكب النّحوس

و الكيس أحيانا مع الخنوس حتّى وضعت غدوه دريس

أخبر أنّه اقتحمت كواكب النّحوس فسقطت فوضع ثوبه غدوه، و لم يخف البرد، و قوله: (خنست) فى الباقل أى لم أنتجع، و (الباقل) البقل و الخليس من نبات البقل فيه رطب و يابس و منه قولهم: أخلس الإنسان: إذا خالطه شيب، و أنشد:

قوم أبا الجهم صدور العيس أما ترى البرق على خليس

رأى أن يقع النّدى و العرب تقول إذا سبق النّدى للقر، فلذلك عام خصب يستحبّه العرب، و يقولون: أجدحت(۱) السماء و يزعمون أنّه من علامات الحياء. قال سهيل المدلجى: و أسد الشّتاء عنها مجدح. و إذا سبق القر الرّبيع خشوا أن يكون ذلك العام جدب.

۱- فى القاموس مجاديح السماء أنواؤها- المصحح.

الباب السّادس عشر فی أسماء الدّهر و أقطاعه

اشاره

و ما یتّصل بذلک و هو فصلان:

فصل قالوا: الأزلم الجذع و الأزنم الجذع

حکی باللّام و النون، و أنشد قطرب:

إنی أری لک أکلالا یقوم له من الأکوله إلّا الأزلم الجذع

قال: و بعضهم یرویه الأزنم بالنّون، فمن قال الأزنم أراد أنّ الأوقات التی یعرض فیها کالزّنمات له، تشبیها بزنمات الشّاه، و هی الزّوائد المعلّقه من حلقها و من تحت حنکها.

و من قال: الأزلم أراد أنّه سریع المر و التقلّب، یقال: ازلأم به إذا أخذه و عدا به مسرعا.

و منه قوله: أم قید فأزلم به شاء و العنن. أراد أنّه لا یسمع أن قد فات به الموت و سبق و طار.

و منه قیل للقدح: الزّلم لخفّته فی جولانه، و هذا کما قیل فی صفاته قدح زلول و دروج، و معنی الجذع أنّه لا یهرم.

و زعم الفرّاء أنّ الأصل هو الأزنم من الزنمه، و أنّ اللّام مبدله من النّون، و حکی الخلیل: أنّ الزّلم: تکون زائده فی حلق المعز فإن کانت فی الأذن فهی زنمه، و النّعت إزلم و إزنم، فعلی هذا یکون المعنی فیهما علی طریقه واحده و هو ما ذکرناه من تشبیه الحوادث بالزّنمات. و یجوز أن یکون سمّی الدّهر إزلم تشبّها بالزّلم یکون من القداح لأنّها علی غرار واحد. و کذلک اللّیالی و الأیام تجی ء علی مثال واحد، و لذلک جاء فی المثل: ما أشبه اللّیله بالبارحه، فکأنّ الزّلم هی القطع و القدّ. و لذلک قیل: هو العبد زلمه أی: قدّه قد العبید، و یقال: رجل مزلم أی یشبه القدح فی الخفه و النفاقه.

و من أسمائه المسند و یقال: لا أفعله آخر المسند و إلی المسند و ید المسند و المعنی إلی أن یسند الدّنیا إلی الآخره، کان المراد آخر الوقت المسند، و إلی الوقت المسند، و یجوز

أن يكون لما أسندت الحوادث إليه لاعتقادهم به الجالب لها و السّابق سمّى مسندا، و كان يجب أن يقال: المسند إليه فحذف إليه تخفيفا. و من أسمائه: عوض، يقال: لا أفعله عوض العائضين و دهر الدّاهرين، قال الأعشى:

رضيعى لبان ثدى أم تقاسمابأسحم داج عوض لا يتفرّق

و (عوض لا- يتفرق) يفتح و يضم، و قد جاء عوض كلمه يقسم بها يقال: عوض لا- يكون ذلک أبدا. و روى بيت الأعشى: (بأسحم داجى العوض) و فسّر على أنّ عوض كلّ شى ء جوفه. و يستعمل فى الزّمان، فيقال: عوض اللّيل أى مثناه.

و حكى بعضهم أنّ عوض اسم للضمّ و أنشد: (حلفت بمائرات حول عوض) و قال بعضهم: يجوز أنّ استعمالهم إيّاه فى القسم من حيث كان فى الأصل اسما للضم، فأمّا استحقاقه للبناء فمن حيث كان متضمنا معنى لام التّعريف، فمن فتحه فلأنّ الفتح أخفّ الحركات، و من ضمّه فلأنّه شبّه بقبل و بعد.

قال الشّيخ: و يجوز أن يكون عوض فى الأصل مصدر عاضه يعوضه عوضا و عياضا.

و جعل اسما للزّمان، و المعنى ما عوض الدّهر النّاس من أيّامه لأنّ الدّهر ليل و نهار يتعاقبان و يتعوّضان، و العوض و العياض و العوض البدل، و يقال: هو عوض لک و عياض لک أى عوض.

و المصادر تقام مقام أسماء الفاعلين و المفعولين. و معنى العائضين النّاس المقيمون فى العوض فأمّا قوله: و هل عائض منّى و إن جلّ عائض. فالمراد به هل معط للعوض منّى بمعط و إن جلّ أمره و عظم شأنه. و المعنى لا يفى عوض من الأعواض بى و إن جلّ، لأنى أكون أفضل من كلّ عوض. و يقال: عضته كذا فاعتاضه، كما يقال: وهبت له كذا فاتهبه، و قضيته الدّين فاقتضاه، و على هذا قيل فى الشى ء: هذا لا يعتاض منه، و أنشد صاحب العين شعرا:

يا ليل أسقاک البريض الوامض و الدّيم الغاديه الفضافض

هل لک و العارض منک عائض فى هجمه يعذر منها القابض

سدس و ربع تحتها فرائض

أى هل لک فى العارض منک على الفضل، قال: كان من قصته أنّ رجلا خطب ليلى، فقال: أعطيک مائه من الإبل يدع السّائق منها إذا ساقها بعضا لكثرتها فلا يطيق شلّها و أنا معارضک، أى معطيک الإبل مهرا، و أنا آخذ نفسک، فأنا عائض قد عضت أى صار العوض كلّه لى، فالفضل فى يدى. و منه قولهم: لا أفعله يد الدّهر، و جدى الدّهر، فمعنى يد الدّهر

أی ما کان للدّهر ید أی حکم، کما تقول: لفلان فی هذا ید أی ملک و أمر، و معنی جدی:

أی ما کان للدّهر جدی أی عطیه.

و من أسمائه الأبض و قال: فی سلوه عشنا بذاک أبضا. أی دهرا. و قال بعضهم:

الأبض فی الأصل جمع أباض، و یخفّف و یثقّل: و هو الحبل یعقل به البعیر فإذا قلت لا أفعله أبضا. فالمعنی ما کان للدّهر سبب. قال الشیخ: أقرب من هذا أن یکون من الأبض و هو العقل و الشّد کان المراد فی زمان عقد علینا لا انفکاک منه. و یکون الأبض فی أنه مصدر، و الأبض فی أنه المأبوض کالسّد و السّده و العقد و العقده. و یجوز أن یکون سمّی بذلک لأنّه یضعف و یقید بالهرم، و یقال للدّابه و الطّیر إذا أصابه عقال فلم یسلس: إنه لموتبض النّسا و أبوض النّسا. قال:

و ظلّ غراب البین مؤتبض النّساله فی دیار الجارتین نعیق

و قال أبوض النّسا بالمسمین خسوف، و لا أقبله ما اختلف الجرّه و الدّرّه أی أبدا، لأنّ الدّره إلی أسفل، و الجرّه إلی فوق.

و منه: الأبد و الأبید. و یقال: لا أقبله أبدا لأبید، و أبد الآباد، و أبد الآبدین و أبد الأبد، و أبد الأبدیّه، و المعنی إقامه الدّهر و مکثه، و الإضافه فیه علی طریق التأکید. و الأبد المقیم الّذی لا یبرح، و أوابد الشّعر، سمّیت أوابد لبقائها علی مرّ الأیّام و أنشد شعرا:

صار لطول الدّهر من آباده کمهرق لم یبق من مداده

غیر بقایا نونه و صاده قولک: أبد الآباد کقولک: دهر الدّهور، و أبد الآبدین، کدهر الدّاهرین أی دهر النّاس المقیمین فی الدّهر، و أبد الآبد کدهر الدّاهر، و من أمثالهم أتی أبد علی لبد للشی ء، و قد مضی و انقطع، و لبد اسم لنسر لقمان.

و من أسمائه: الطّیل و الطّول قال: و إن بلیت و إن طالت بک الطّیل.

و یروی الطّول، و إنما أخذ من الطّول، و یقال: لا أکلّمک طول الدهر، و إنّما أنّث الشّاعر الطیل ردا علی المعنی، کما یؤنث الألف إذا أرید به المعدوده.

و من أسمائه: المنون، و هو من مننت أی قطعت و یقال: حبل منین: أی مقطوع، قال أبو ذؤیب:

أ من المنون و ریبه تتوجّع و الدّهر لیس بمعتب من یجزع

فإن قیل: ما باله ذکّر المنون و هو و المنیه سواء، و أنت إذا رویتها و ریبها قلت: أنّثه

لأنّه أريد المنيه. قلت: المنون و يراد به الدّهر يشبه أسماء الأجناس و لذلک لا يجمع، و كما لم يجمع لم يؤنّث أيضا، و إذا أريد به المنيّه أشبه اسم الفاعل فأجرى مجراه فى التأنيث به لمعناه، و يقال: ما فعلته قط.

قال ابن السّكيت: فيه ثلاث (لغات: قطّ بالفتح و التّشديد و ضم القاف و التّشديد و فتح القاف و تخفيف الطّاء إذا كان بمعنى الدّهر. و إذا كان بمعنى حسب فهى مفتوحه ساكنه و أصله من قططت أى: قطعت و المعنى ما فعلته قطع دهرى كلّه، و أبدا فى المستقبل: بمعنى قط فى الماضى. و يقال: لا أفعل كذا ما سمّى ابنا سمير، يعنى اللّيل و النّهار، و لا أفعله ما سمر السّمير، و هم النّاس يسمرون باللّيل و ما اختلف ابنا سمير، و لا أفعله السّمر و القمر أى أبدا. و حكى: جاء بالسّمر و القمر أبو سعيد و قال: معناه بالنّور و الظّلمه، كما يقال: جاء بالضّيح و الرّيح، و يقال: السّمير الدّهر، و ابناه اللّيل و النهار. و قيل: الغدوه و العشى. و قيل فى السّمر: إنّه ظلّ القمر فضم النّهار إلى اللّيل. و قيل: السّمر الظلمه و المقيم فيه سامر.

و منه السّامره و السمر: حديث القوم باللّيل.

و قالوا: لا أفعله حرى و حارى دهر و حيرى دهر، بتسكين الياء. و المعنى ما حار الدّهر: أى رجع، و يجوز أن يكون من حار الدّهر يحير: أى أقام، و يقال: حيروا بهذا الموضع، أى أقيموا. قال بعضهم: و منه سمّيت الحياه. و حكى حير الدّهر جمع حيرى، كما قيل: زنجى و زنج، و عربى و عرب.

و يقال: لا آتيک سجيس عجيس، أى الدّهر، قد يصرف فيقال: عجيس أى الدّهر، فقوله: عجيس يجوز أن يكون من عجسه أى قبضه و حبسه، و منه معجس القوس أى مقبضه، و عجاساء اللّيل: ظلمته، لأنّها تحبس النّاس و يكون المعنى ما بقى الدّهر و حبس على أهله. و يجوز أن يكون من عجس اللّيل و عجيسه أى آخره، و منه تعجس عن القتال و عجس: أى تأخّر فيكون المعنى: آخر الدّهر. و سجيس فعيل و يفيد الامتداد على حاله، و سج و سجسج و سجس فى طريق. و فى الحديث: «نهار أهل الجنه سجسج» أى معتدل متّصل لا آفه فيه. و قال الأعشى:

قيس سجسج ساب إذا هبطت به السّهل و فى الحزن مرجلا عجلا

قال أبو عبيده: السّجسج: اللّين المروّض، و السّاب من الأرض مسائل صغار، و كذلک السّيب، و روى أبو عمرو الشّيبانى سجسا مسجا: إذا هبطت، و قال: السّجس السلس المنقاد لا يتغيّر، و المعنى: أنّ هذا البعير إذا سار فى السّهل امتدّ فى السّير على حاله و هو فى الحزن مرجل، أى رجيل قوى المشى. و يروى مرجما و مرجلا، فعلى هذا جعل

سجيس الدّهر لامتداده و سلاسته فى الاتّصال و الاستمرار. و من قال: سجيس عجيس: جعل الأول مع الثّانى كالشى ء الواحد و بناءهما لتضمّن معنى حرف الجر، كان الأصل سجيسا لعجيس، فحذف حرف الجر و ضمن الأوّل و الثّانى معناه، و من أضاف الأوّل إلى الثّانى كان أمره ظاهرا و قالوا: لا أكلمكٔ آخر الأوجس، و سجيس الأوجس، أى آخر الدهر، و سجيس اللّيالى. قال تأبّط شرا:

هنالك لا أرجو حياه تسرّنى سجيس اللّيالى مسبلا بالجراير

أى ما اتّصل اللّيالى و انقادت على حاله. و الأوجس: جمع و جس و هو ما يحصل فى النّفس من ذعر و فزع لصوت أو حركه، و منه ترجس الوحشى، و فى القرآن: فَأَوْجَسَ فِی نَفْسِهِ خِیفَهً مُوسى [سوره طه، الآیه: ۶۷] فكأنّه سمّى الزّمان بالحوادث المفزعه فيه أو جعل إقطاع الزّمن يجس و يحدث بمنكرات الأمور حالا بعد حال.

و ذكر بعضهم الحوب فى أسماء الدّهر، قال: يجمع على أحوب و أحواب و حوبه كما قالوا: عصر و عصره، و دهر و دهره، و غصن و غصنه، و قرد و قرده و كأنّه من الشّده و العظم لأنّ الحوب الاثم الكبير، و يقال: يحوب الصّائح إذا اشتدّ صياحه. قال الخليل: الحوبا روح القلب، لأنّه ملاك الحى.

و من أسماء الدّهر: المخبل، و التّخبيل الزّمانه، و الخبل الفساد و يقال: خبل خابل.

قال: فأبلغ سليط اللّوم خبلا خابلا. فالخابل المفسد، و إنّما سمّى الدّهر مخبلا، لأنّه إمّا يهرم، و إمّا يقتل. قال الحارث بن حلّزه:

فضعى قناعك إنّ ريب مخبل أفنى معدا

و يقال: لا أفعله سنّ الخبل: أى دوامه و بقاؤه، لأنّ سنّه من لحيه و ليس بمركب فيه، فلا يسقط، و لا أفعله مالات العفراء بأذنابها، و يقال: الفور و هى الظّباء و ما مصع الظبى بذنبه، و قال الأصمعى: الفور لا واحد له من لفظه، و لا أفعله ما جنح ابن أنان، و يقال:

لقيته أول ذات يدين أى أول شى ء، و أما أوّل ذات يدين: فإنّى أحمد اللّه، و آثر ذى يدين، و ذوات يدين أى أول ما يأذن.

و الفطحل: يقال للزّمن القديم قال أبو عمر نوح زمن الفطحل، و يقولون: حين كانت الحجاره رطبه و قد مضى ذكره.

و لا آتيک هبيره بن سعد و أبوه ابن هبيره: أى أبدا، و قال الأصمعى: يقال فى مقابله أغببت الزّياره، اغتمّت الزّياره بالغين المعجمه، أى: أكثرت، قال: و قالوا كان العجّاج يغتم

أی یطیل الشّعر، و یکثر و یقال: أشوی الدّهر کذا أی ترکه و هو من قولهم: فلان أکثر النّاس شوایه أی بقیه من قومه، و ما أشوی لنا الدّهر له.

و حکی الدّریدی: لا آتیک حد الدّهر و عجیس الدّهر، و سجیس الأوجس و سجیس الحرس، و سجیس الأبض.

و حکی غیر واحد جیر مبنیّه علی الکسر، یراد به الدّهر و ربما أجروها مجری القسم، یقال جیر لأفعلنّ کذا أی حقّا لأفعلنّ و أنشد شعرا:

ابنی جیر و إن عزّ رهطی بالسّویداء الغداه غریب

و من أسماء الدّهر الخز و الملاوه و قد تقدّم القول فیه، و ذکر ابن الأعرابی قال أنشدنی المفضّل شعرا:

و فی بنی أم زبیر کیس علی الطّعام ما غبا غبیس

قال: الغبیس الدّهر و غبا: بقی.

الأصمعی: لا أفعل ذلک بأسوس الدّهر، أی: أبدا، و هذا کأنّه من قولهم فی ترک اللقاء: لا آتیک ما أیس عبد بناقه، و هو أن یقول: بس بس یسکن منها للحلب، و یقال: ما زال علی است الدّهر محنونا، و علی أسن الدّهر. و یقال: ترکته بأست الدّهر، أی و لا شی ء معه، و ترکته بأسمر المتن: و هو متن الأرض: أی الصّحراء الواسعه. و لقیت منه است الکلبه أی: ما کرهته، و هو أمنع من است النّمر: للّذی لا یطلق الدنوّ منه لمناعته.

قال أبو حاتم: الدّهر سبات: أی أحوال مختلفه: سبه حرّ، و سبه برد، و سبه روح، و سبه دفی ء. و یقال: أصابتنا سبه من برد أی لأشد ما یکون من القر فإن أصابک برد فی آخر الرّبیع قلت: أصابتنا سبه من الرّبیع و أصابتنا سبه من حرّ و هی مثل الوقده فی نحو من عشره أیام أو أکثر.

و حکی بعضهم: الأعرم: الدّهر، لأنّ فیه نوائب و صروفا متلوّنه، و یقال: عرم الصّبی: یعرم إذا أتی بألوان من الغیث، و یقال للأفاعی: العرم، لأنّ فیها نقطا تخالف لونها و أنشد: رءوس الأفاعی فی مساربها العرم.

فأمّا قوله: حیاکه وسط القطیع الأعرم، فإنّما یعنی أنّ بعضه ما عز و بعضه ضأن، و یقال: لا أفعل ذاک حتی تحنّ الضّب فی إثر الإبل الصّادره، و لا أفعله حتی یبیض القار، و لا أفعله ما أبس عبد بناقه، و إبساسه: تحریک شفتیه. و لا أفعله ما هدهد الحمام. و لا أفعله ما صلّی علی النّبی مصلّ، و ما دعا اللّه داع. و لا أفعله ما حلب حالب أضرع الدّهر.

فصل فيما يجرى من التأكيدات فى أوقات الدّهر

يقال: دهر داهر، و أبد آبد و أبيد و حين حائن، و محين، و مده ماده و مديده، و ليل لايل.

قال هميان بن قحافه: فصدرت تحسب ليلا لائلا. و قيظ قائظ و صيف صائف، و شتاء شات، و ربيع رابع: أى مخصب، و يوم قائظ، و يقال عام أعوم و معيم و أعوام عوم، قال:

من مرّ أعوام السنين العوم، و حول محيل، و سنه سنهاء و شهر أشهر، و يوم كريت و قميط قال شعرا:

أقامت غزاله سوق الضّراب لأهل العراقين حولا قميطا

و شهر أجرد و أقرع و أصلع، و سنه جرداء و قرعاء و صلعاء. و قال قطرب: نهار أنهر و ليل أليل، و ليله ليلاء: لتأكيد شدّتها. و قال غيره: نهار و نهر، و يوم يوم و يم لآخر يوم من الشّهر، و قيل: الأيوم فى الشّديد. قال مروان: مروان أخو اليوم اليمى، و قيل: اليمى أريد الشّديد فى حرب أو قتال. و إذا ذكر أمر عظيم حدث فى يوم قيل: أيوم يوم، و إن كان ليلا قيل: ليل أليل، و إن كانت ليله مشهوره قيل: ليلى و ليلاء، قال فى ليله ليلى، و يوم أيوم.

و قال:

كم ليله ليلاء مدلهمّهكابدتها لحاجه مهمّه

و آخر ليله فى الشّهر لظلمتها ليلى مقصوره، و ليلاء ممدوده، و ليل ليلى. قال: لما أرجحن ليله اللّيلى. و يقال: أتانا فلان حين هراق اللّيل أوّله إذا مضى بعضه و قال ابن أحمر:

تغمرت منها بعد ما نفد الصّبى و لم يرو من ذى حاجه من تغمّرا

فبتّ أعاطيها الحديث بمسنن من اللّيل أبقته الأحاديث أخضرا

(تغمرت) أى أصبت شيئا يسيرا، (و من ذى حاجه) أى من حاجه، و ذى زائده.

(و المسنف) المتقدم، (و أبقته الأحاديث) أى انقطع الأحاديث قبل أن يتغد اللّيل، و قوله:

(أخضر) يحتمل ضربين: يكون صفه مسنف لأنّه نكره مثله و يجوز أن يكون حالا من الهاء فى أبقته، و مثله من الحال قوله: و مال لقنوان من البسر أحمرا.

و الحرس: الزّمان و الدّهر، قال الكاتب: و اختاره من سائر الأمثال فى حرسه أى فى زمانه، و فى كتاب الخليل: الحرس وقت من الدّهر دون الحقب. قال بعض أصحاب المعانى من هذا قولهم: بناء أحرس. للأصم من البنيان.

الباب السّابع عشر فى أقطاع الدّهر و أطراف النّهار و اللّيل- و طوائفهما

اشاره

و ما يضارعهما من أسماء الأمكنه أو يداخلها من ذكر الحوادث فيها. و هو ثلاثه فصول

فصل [فى بيان غبره و برهه و زمنه و طرقه و حقبه و هبه و سبه و غيرها]

قال الأصمعىّ و غيره: يقال: غبر برهه من دهره و برهه و زمنه و طرقه و طرقه و حقبه و هبه و سبه أى زمان. قال أبو ذؤيب:

بقرار قيعان سقاها صيف واه فأثجم برهه لا يقلع

و أقام درجا من دهره، و حرسا من دهره لا يفعل كذا أى زمانا، و مضت سنبه من الدّهر و سنبيه أى قطعه، و ذكر سيبويه فى زياده التّاء هذه اللفظه، و استدلّ على أنّه فعليه لسنبه، و أنشد الأصمعىّ:

ربّ غلام قد صرى فى فقرته ماء الشّباب عنفوان سنبه

و يروى شرته.

و غير مهوان من الدّهر و هو مفعال من الهون، و يقال أيضا: بينى و بينه مهوان من الأرض: أى بعد و مهون أيضا. و يقال: بقى سبتا يفعل كذا قال شعرا:

لقد نرتعى سبتا و لسنا بجيرهمحلّ الملوك نقده فالمغاسلا

و السّبت القطع، كان المراد به قطعه، كما يقال: الخلق فى المخلوق.

و يقال: إنّى لآتيه الغينه بعد الغينه، و فينه بعد فينه. قال:

لك البيت إلّا فينه تحسنينهاإذا حان من ضيف علىّ نزول

و حكى أبو عمرو غلام ثعلب: (فإن يفين فينه): إذا زار وقتا بعد وقت، و يقال لقيته

فينه يـا هـذا، فجعلوه كالعلم، و لم يفعلوا ذلك برهه، و هـذا كما قالوا للغراب: ابن دايه و لم يفعلوا ذلك فى الظّهر. و يقال: أتيته آئنه بعـد آئنه، بوزن عائنه أى تاره بعد تاره و كأنّه اسم مبنى على فاعله من الأوان كاللّائمه من اللّوم و النّاظره من الأنظار. و قرئ (فناظره إلى ميسره) و النّائل من النّوال، و لا يجعل آئنه جمعا لأوان مثل الآونه و أنشد:

ترى قورها يغرقن فى آل مرهو آئنه يخرجن من غامر نخل

أى و تاره يخرجن، و أوان كزمان و أزمنه. قال ابن أحمر:

أبو عمرو يؤنسنا و طلق و عمّار و آونه أثالا

قـال أبو عبيـده: لقيته أدنى ظلم و معنـاه القرب. و قـال الأـحمر: فإن كنت تلقاه فى اليومين و الثّلاثه فصاعـدا قلت: لقيته أفرط فى الفرط، و لا يكون الفرط فى أكثر من خمس عشره ليله. و يقال: فلان تفارطته الهموم: أى لا تصيبه الهموم إلّا فى الفرط.

قال أبو زيـد: فإن لقيته بعـد شـهر أو نحوه قلت: لقيته عن عفر. قال: فإن لقيته بعـد الحول أو نحوه قلت: لقيته عن هجر. قال: و إذا كان الرجل يمسك عن إتيان صاحبه الزّمان ثم يمسك عنه نحو ذلك أيضا ثم يأتيه قال: لقيته بعيدات بين.

قال الأصـمعى: فإن لقيته بين الأعوام قلت: لقيته ذات العويم، قال أبو عبيده: فأمّا الغب فى الزّياره فمعناه الإبطاء و التّقليل على غير وقت معلوم، و أحسب الأصـل كان فيه من غب و هو أن ترد الإبل الماء يوما و تـدع يوما. و مثله غب الحمى ثم انتقل المعنى من هذا فى الزّياره خاصه إلى ما فوق وقت الورد و وقت الحمى. قال: و من هذا المعنى قوله صـلى اللّه عليه و سـلم فى الحديث: «زر غبّا تزدد حبّا» فقد علم فى هذا أنه أراد الإبطاء فى الزّياره. قال: و كذلك الإلمام نحو الغب، إنما معناه الأحيان على غير مواظبه و لاـ وقت محـدود، فهـذا مـا قاله، و الإلمام للزّياره لا للوقت، كما أنّ الاعتمار اسم لها متى كانت لا للوقت. و يقال: رأيته عين عنه أى: السّاعه من غير أن طلبته و قيل: أوّل عائنه أيضا. و يقال: أتيته على حباله ذاك أى على حين ذاك.

و حكى الخليل: أقمت عنـده فى ضـغيغ دهره، أى قدر تمامه. (ابن الأعرابى) فعلنا كذا و كذا و الدّهر إذ ذاك مسـجل. و المعنى لا يخاف أحـد أحـدا. و يقال: لهـذا دهر حول قلب إذا كان كثير التّبديل، كما يقال: رجل حول قلب. (ابن الأعرابى) يقال: حول كميل و دكيك و قميط و كريت أى تام و أنشد فى الكميل شعرا:

على أننى بعد ما قد مضى ثلاثون للعجر حولا كميلا

أی فصل بین الثلاثین و بین الحول ضروره، و یقال: فی ضد الکمیل حول ختت[(۱)] أی ناقص. و یقال: فعلته أیّاما حسوما أی متتابعه، و قیل: تامه و هو من قولک: حسمت الشی ء أی فصلته من غیره، و فی القرآن: سَبْعَ لَیالٍ وَ ثَمانِیَهَ أَیَّامٍ حُسُوماً [سوره الحاقّه، الآیه: ۷] أی نحوسا و الأوّل أصح. و یقال: أرمی فلان علی الخمیس و ذرف و أربی و أوفی.

و حکی الفرّاء فیه ودی و هذا و إن کان أصله فی الزّیاده فی السّنین فقد استعمل فی الزّیاده فی غیرها و أنشد:

و أسمر خطیا کأنّ کعوبه نوی القسب قد أربی ذراعا علی العشر

و قد ظلف علی الخمسین و قد أکل علیها و شرب، و قد طلع علی الخمسین و قد ولّاها ذنبا. قال: و سمعت الطّوسی یقول: قیل لبعض الأعراب: کم سنه أتت لک؟ فقال: ولّتنی الأربعون ذنبها. و قیل لآخر مثل ذلک فقال: أنا فی قرح الثّلاثین، أی فی أوّلها و فی أوّل شهر منها، و الأقراح أوائل الأشیاء، و اقترح فلان علی کذا. و قال ابن الأعرابی فی قول أوس:

علی حین أن حد الذّکاء و أدرکت قریحه کحسی من شریح مغمّم

جعل شباب شریح حین بدا کحسی الماء لا ینقطع ماؤه، و مغمم أی ملأ کلّ شی ء، و غمّه غرقه. و یقال: سند فی الخمسین، و ارتقی فیها هذا عن بعضهم. و قال أبو صاعد:

ارتقی فیها فحسب.

و قال ابن الأعرابی: قلت لأبی الجماهر: ابن کم أنت؟ فقال: قد ولّتنی الخمسون ذنبها. و قلت لآخر مثله فقال: حبوت إلی السّتین. و قال بعضهم: أخذت بعنق السّتین.

و قال آخر: راهمت الثّمانین. و هذا مأخوذ من الرّهام و هو العدد الکثیر. و یقال: ساعه طبقه أی طویله. و قال الأصمعی: سمعت أعرابیا یقول: منحت الأعقد الخمسه بالخاء المعجمه و بالحاء أیضا یعنی خمسین سنه و معنی منح قطع. (أبو یوسف) یقال للجاریه التی قد استقمت عصر شبابها: معصر و هی کاعب أوّلا إذا کعب ثدیها ثم یخرج فیکون ناهدا، ثم استوی نهودها فتکون معصرا. قال الرّاجز:

أوانسا کالرّبرب الرّبایب من ناهد و معصر و کاعب

و یقال: لقیت فلانا بادئ بدء و بادی بدأ قال:

۱- فی القاموس فی فصل الخاء المعجمه مع التاء المثناه فی(الخت) و الختیت الخسیس و النّاقص و اللّه أعلم- الحسن النعمانی المصحّح کان اللّه له.

و قد علتنى ذراه بادى بدى و ريثه ينهض فى تشدّدى

و يقـال: كشـفت النّاقه و أكشـفت إذا نتجت فى كلّ عام و إذا ألقت النّاقه أو الشّاه ولـدها لغير تمام قيل خـدجت. و إن كان تام الخلق و أخدجت إذا ألقته ناقص الخلق و إن كانت أيّامه تامه. و يقال شـجره مبكار و بكور إذا أدركت حملها فى أوّل السّـنه، و شجره منجار إذا أدركت حملها فى آخر السّـنه. و شـجره معوام إذا حملت سنه و حالت سنه. و يقال: عاده الوجع عدادا إذا عاوده فى الشّهر أو فى السّنه لوقت معلوم و أنشد:

أصبح باقى الودّ من سعاداعلاقه و سقما عدادا

إذا أقول قد برأت عادا و قال آخر:

تلاقى من تذكّر آل سلمى كما يلقى السّليم من العداد

و يحلّ الهـدى يوم النّحر بمنى و يبلغ محلّه. و المحل الموضع الـذى يحل فيه نحره، و هو يوم النّحر إذا رميت جمره العقبه. معنى يحـل يجب و قرئ قوله تعالى: يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي [سوره طه، الآيه: ۸۱] و المعنى يجب و إذا قرئ يحلل فمعناه ينزل، و يقال: بيننا و بينهم ليـال آبيـات: أى هيّنـات السّـير. و الأـوان الـدّعه. و يقـال: تعاملنـا من آمنه و معاومه- و مساناه- و مسانهه- و مشاهره- و مسابعه- و معاشـره- و مياومه- و مواضـحه من وضح النّهار و مناصفه- و مباكره- و مغاداه- و مظاهره- و مراوحه- و معاصره- و ملاـيله- و يقـال: أسـقينا مغـارطه أى للسّـابق- و مناوبه- و معاقبه- و مـداوله- و مراقبه- يرقب حتى يفرغ الغارطه- و مقالـده- و مواضـحه- و مساجله- و مكابله أى دلوا فـدلوا- و مساوقه- أى مرّه أسوق عليه السّانيه- مرّه يسوق علىّ- و مؤالبه أى يألب الدّلو إلىّ. قال:

يبشّرنى بماتح ألوب مطرح شبه غضوب

و معـارضه- و مرافضه- و مباينه يبين له الـدّلو عن الحجاف- و معالاه- أى يعلى و هو أن يجـذب الحبل عن حجر ماء فى جانب البير. قال:

لو أنّ سلمى شهدت مظلّى أمتح أو أدلج أو أعلّى

إذن أراحت غير ذات دلّ و مطـارده- و مطاوحه- و مناوشه- أى يأخـذ علىّ الـدّلو و آخـذ عليه و مـدالجه أى أدلـج بالـدّلو إلى الحوض و يدلج و هو المناقله- و معاطفه يريد عطف السّانيه- و ملاطفه و هو أن يحتمل أحدهما لصاحبه فوق الشرط عليه إيجابا له و لطفا به. و مراواه- أى يرتوى إبلى ثم يسـتقى- و مراوحه و ملاطمه ينزل فيخرج الطين و مـداومه- و مثابره- و مجاحفه- إذا نقص

الماء نزل و غرف فى الـدّلو. و يقال سقينا إبلنا رفها و مرافهه- و ظاهره- و زعزعه أنصاف النّهار- و عريحا مرّه بالغداه و مره بالعشى- و غبّا و مغابه- و ربعا و مرابعه و عشرا و معاشره- و مطارده. ابن الأعرابى يقال:

سال واديک من غير مطرک و أطرد عيشک فى جداول دهرک

لمن عاش فى غيره و أنعش بحدّ سواه. و يقال للسّيل إذا سال واديه من مطر- و إذا خرّ سال دراو و إذا سال من مطرک- قيل سال ظهرا. يقال: مضى لذلک دهر داهر- و دهر دهارير- و المراد التّطاول. قال الشّاعر:

و الدّهر بالإنسان أينما حال دهارير

و قال آخر:

أنا الدّهر يفنى الموت و الدّهر خالدفجئنى بمثل الدّهر شيئا يطاوله

و قيل: الدّهر تكرار اللّيل و النّهار، و الزّمان: اللّيل و النّهار، و صرف الدّهر ما يتصرف بالشى ء من أحوال تختلف، و لهذا قال الشاعر:

و الدّهر بالإنسان دوارى. و الحين يصلح كلّ وقت طال أو قصر، لأنّه اسم كلّ زمان، و منهم من يجعل الجزء و الجزأين من الزّمان حينا و يستدل بقوله. تطلقه حينا و حينا تراجع.

و يقال: مضى هذا الأمر لحين أوان: أى لوقته. قال شعرا:

لأركب صعب الأمر إنّ ذلوله بنجران لا يقضى لحين أوان

و قد حان يحين- حيونا- و حينونه- و حينت الشى ء- جعلت له حينا- و التّحيّن فى الحلب من هذا، و هو أن يجعل له وقتا معلوما يحلب المحلوبه فيه لا يستنقص و لا يستقصى، و هو خلاف الأفن و هو الاستقصاء- و الامتحاق و الانفصاح و هو ذهاب اللّبن أجمع. و منه قيل للقمر: امتحق و انفصح. و ذلک فى ليالى المحاق إذا لم يبق ضوء. و شى ء متأبّد أتى عليه أبد. و لا أفعله حتى يفنى الأبد. قال حسان شعرا:

و اللّوم فيک و فى سمراء ما بقيت و فى سمّيه حتّى ينفد الأبد

و لا أفعله آخر كلّ ليله و أبد اللّه- و طوال الدّهر- و طوال اللّه- و طوال اللّيالى- و سجيس الأوجس- و سجيس الأعجس- و أوجس أعجس- و أحنى أقوس، و أحنى أشوس- و سجيس المسند- و لا أفعله ما أن فى السّماء نجما- و ما أنّ فى السّماء نجم يريد: ما عنّ أى عرض. و يقال: مضى له أمه، و هى مدّه من الزّمان طويله و لا تجمع. و قال أبو العباس

ثعلب: الأمه مائه سنه فما زاد. و يقال: إنّ الملوين اللّيل و النّهار. و منهم من يقول هما اختلافهما و أنشد شعرا:

نهار و ليل دائم ملواهماعلى كلّ حال المرء يختلفان

قال أحمد: لو كان الملوان اللّيل و النّهار لم يضافا إلى ضميرهما من حيث لا يضاف الشّى ء إلى نفسه، و لكن يريد تكثّر الدّهر و اتّصاله بهما. و مضت ملوه من الدّهر- و ملوه و زمنه- و مده طبقه- و ساعه طبق- و مده طبق- و المراد من كلّه الطول و جمع ملى ء إملاء و جمع طبق أطباق. و يقال: انتظرته مليّا من الدّهر أى متّسعا منه فهذا صفه استعمل استعمال الأسماء. و يقال تملّيت حينا أى عشت معه ملاوه و قال التّوزى: يقال: ملاوه و ملاوه و ملاوه و الملأ المتّسع من الأرض. قال: الأغنيانى: و ارفعا الصوت بالملاء. و فى القرآن: وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ* [سوره الأعراف، الآيه: ۱۸۳].

و قال ثعلب: الحقب واحد و هو بلغه قيس سنه. و قال غيره: الحقب ثمانون سنه و الحقبه السّنه. و قال يونس فى قوله:

إنى أرى لك أكلا لا يقوم له من الحليفه إلا الأزلم الجذع

و بعض يقول الأزنم- و يقال: الأزلم المتجاذع. و يقال: خروف متجاذع إذا كرب يجذع. و قال:

ما زال ذاك الداب حتّى رأيتهم يعزون سنّ الأزلم المتجاذع

و إنّما سمّى جذعا لأنّه أبدا جديد. و لذلك قال بعضهم: سن الدّهر سن الحسل أى: لا يزال جذعا لا يطرى عليه سنّ أخرى فينتقل إليها و يقولون: لا أفعله سنّ الدّهر- و سنّ الضّب- و سن الحمل- و المعنى واحد. و قوله: الأزلم و الأزنم يراد به ما يتعلق به من الحوادث بممرّه و متصرّفاته، و يقال: أفعل ذلك غدا أو سلعه إذا كان بعد الغد أو قريبا منه.

فصل [فى أن عادا سمّت الشّهور بأسماء]

ذكر ابن الكلبى أنّ عادا سمّت الشّهور بأسماء، و جاء عن أبى عمرو الشّيبانى و الفرّاء و قطرب و الأصمعى و ابن الأعرابى و غيرهم من العلماء وفاق فى بعضها و اختلاف فى بعضها، و ربما كان الاختلاف فى التّرتيب، و ربما اختلفوا فى بناء الكلمه و وضعها و صرفها و ترك صرفها، كتركهم الصّرف للشّمس و الشّمال فقالوا: هذه شمس بازغه، و هذه شمال بارده.

و قال الشّاعر حالفا:

أما و شمس لتحصنهم دما و قال:

إذا هبّت شمال غدرت فيهابلفظ بين مقرحه و آن

فمن ذلك قالوا للمحرّم: مؤتمر إجماع منهم. و لصفر: ناجر و منهم من لا يصرف فيقول ناجر. و لربيع الأول قال قطرب: خوان و خوان مخفّف- و قال غيره: خوان بالضّم و التّشديد، و لربيع الآخر: قال قطرب: وبصان و بصان- و قال غيره بصان بالتّخفيف و الضمّ و وبصان و وابصه- و جمادى الأولى: قال قطرب: حنين- و قال ابن الكلبى: ربى بالباء- و قال ابن الأعرابى: رنى بالنّون- و قال ابن دريد حنين- و جمادى الآخره قال قطرب: ربى و ربه- قال ابن الكلبى: حنين- و قال الشّيبانى و الفرّاء: حنين و أنشدا شعرا:

و ذو النّحب ينويه فيوفى بنذره إلى البيض من ذاك الحنين المعجّل

رجب قال قطرب: الأصم و هو إجماع منهم- شعبان عاذل- ابن الكلبى و ابن الأعرابى و عل- الفراء، و عل مثل فخذ شهر رمضان- قطرب: ناتق و غيره نتق- شوّال: و عل- ابن دريد و عل- ابن الكلبى و ابن الأعرابى عاذل- غيرهم معتدل. ذو القعده: قطرب: ورنه- غيره ورنه- أخرنه- غيره رنه- الشّيبانى يقال له: هواع قال:

و قومى لدى الهيجاء أكرم موقعاإذا كان يوم من هواع عصيب

ذو الحجه: برك بإجماع منهم- و روى الصّولى عن أحمد بن يحيى فى أماليه زعم ابن الكلبى أنّ العرب كانت تسمّى المحرم مؤتمرا- و صفرا ناجرا- و شهر ربيع الأول خوان- و شهر ربيع الآخر وبصان- و جمادى الأولى ربى- و جمادى الآخره حنين- و رجب الأصم- و شعبان عاذلا- و رمضان عاذلا- و شوّال وعلا- و ذو القعده ورنه- و ذو الحجه برك.

فصل [مستخرج من كتاب سيبويه فى الأماكن و الأوقات]

استخرجناه من كتاب سيبويه يستغرب أكثر ما فيه و نختم به الكلام فى الأماكن و الأوقات و يتّصل به ذكر شى ء من الخلاف بيننا و بين الكوفيين إذا تأمّل انشرح به كثير من هذا الباب.

قال سيبويه: يقول هو ناحيه من الدّار و داره ذات اليمين و أنشد لجرير:

هبّت حنونا فذكرى ما ذكرتكم عند الصّفاه التى شرقىّ حورانا

قال: و سمعت بعض العرب ينشد:

سرى بعد ما غار الثّريا و بعد ماكأنّ الثّريا حلّه الغور منخل

فانتصاب هذه الأحرف كانتصاب قولك هو قصدك قال: و سمعنا ممن يوثق به من العرب هما خطان جنابتى أنفها يعنى الخطين اللّذين اكتنفا جنبى أنف الظّبيه. قال الأعشى:

نحن الفوارس يوم الحنو ضاحيهجنبى فطيمه لا ميل و لا عزل

و يقـال: زيـد جنب الـدار، و جـانب الـدار، و قالوا: هم حوله و أحواله و حياله و حواليه و هم جنابه و جنابيه و قطريه و أقطاره. و أنشد لأبى حيه النّميرى:

إذا ما تغشّاه على الرّحل جنبتى مساليه عنه من وراء و مقدم

يعنى بمسـاليه عطفيه فهو بمنزله جنبى فطيمه. و كقولهم: هو وزن الجبل أى ناحيه منه، و هو زنه الجبل، و قولك أقطار البلاد فإن جعلت الآخر هو الأوّل رفعته و أردت به الثّقل أعنى الوزن و الزّنه. و من ذلك قول العرب: هو موضـعه أى فى موضعه كما قالوا: هو صـددك و سـقبك أى قربك. و تقول كيف أنت إذا أقبل قبلك و يجى ء نحوك قال: كيف أنت؟ إذا أريـدت ناحيتك، و كيف أنت إذا أقبـل التّعب الرّكـاب جعلهمـا اسـمين. و النقب الطّريق فى الجبل و المراد بقوله جعلهما اسـمين، أى لم يجريا على المصـدر فهو بمنزله قولهم هو قريب منـک، فإن شـئت قلت: هو قريبا و هل قريبا منك أحـد. قال: و مما لا يحسن أن يكون ظرفا قولـك: جوف المسـجد، و داخـل الـدّار، و خـارج الـدار و ذلک لمفارقتها خلف و قـدّام و ما أشـبههما مبهمه .. و المختصّ من أسماء الأماكن لا يكون ظرفا. قال و ممّا شبّه من الأماكن المختصه بالمكان قولهم: هو منّى منزله الشّغاف و هو منّى مزجر الكلب و أنت مقعد القابله.

قال فوردن و العيّوق مقعد رأى الضّربا.

و قال آخر:

و إنّ بنى حرب كما قد علمتم مناط الثّريّا قد تعلّت نجومها

و قال: هو منّى معقد الإزار، و هم درج السّيل قال ابن هرمه:

انصب للمنيّه لقربهم رجالى أم هم درج السّيول

و كـل هـذا و أشـباهه وضـعت مواضع القرب و البعـد فلـذلک اسـتجيز فيهـا على اختصاصـها وقوعها ظرفا قال: فاسـتعمل هـذا ما اسـتعمله العرب و أجيز منه ما أجازوه قال: و زعم يونس أنّ بعضـهم قال: هو منّى مزجر الكلب، فرفع جعله بمنزله مرأى و مسمع. و يجعـل الآخر هو كالأوّل. فأمّا قولهم: دارى خلف فرسـخا فكأنّه لما قال دارى خلف دارک، و هو مبهم فلم يـدر ما قـدر ذلک فقال: فرسخا و ذراعا.

و زعم يونس أنّ أبا عمرو كان يقول: دارى من خلف دارک فرسخان، كما تقول: أنت منّى فرسخان و فرسخين. قال فأمّا قولهم: اليوم الأحد و اليوم الاثنان و كذلک إلى الخميس فلأنّها ليست يعمل فيها أراد أن يفرّق بينها و بين السّبت و الجمعه فتقول اليوم خمسه عشر من

الشهر، إذا أردت أنّ اليوم تمام خمسه عشر- و من العرب من يقول: اليوم يومك، فيجعل اليوم الأوّل بمنزله الآن، لأنّ الرّجل قد يقول: أنا اليوم أفعل كذا و لا يريد يوما بعينه.

و اتّفق الكوفيّون و البصريّون على أنّ قول القائل: خلفك و قدّامك و ما أشبههما من الأماكن العامه ظروف فى الإضافه، و اختلفوا فيها إذا أفردت، فقال البصريّون: هى ظروف على ما كانت فى حال الإضافه.

و قال الكوفيّون: إذا أفردت صارت اسما فقولك زيد خلفا و قداما عند البصريّين ظرف. و عند الكوفيّين زيد خلف على معنى متأخر، و قدّام بمعنى متقدّم، و كذلك إذا قلت:

قام زيد خلفا نصبته على الظّرف عند البصريّين. و الكوفيّون يقولون: تقديره تقدير الاسم الذى هو حال كأنّه قال: قام متأخرا و كذلك إذا قلت: قام مكانا طيبا يكون ظرفا.

و الكوفيّون يقولون: ناب عن قولك مترفا و معتبطا، و إنّما يحتاج إلى الإضافه عندهم لأنّه يكون خبرا عن الاسم، كما يكون الفعل خبرا فى الوقت، زيد يذهب فلمّا كان الفعل يحتاج إلى فاعل و يتّصل به أشياء يقتضيها من المصدر و المكان و الزّمان و المفعول ألزموا المحلّ للإضافه ليسدّ المضاف إليه مسدّ ما يطلبه الفعل و يدلّ عليه.

و قال البصريّون: إنما الإضافه لتعيين الجهه و التّعريف. و الأصل هو التّنكير و إنّما التّعريف داخل عليه. و أجمع الفرقتان على أنّ الوقت يرفع و ينصب إذا كان خبر المرفوع مبتدأ فى حال تعريف الوقت و تنكيره. فالتّعريف قولك: القتال يوم الجمعه و اليوم. و إن شئت قلت: اليوم و يوم الجمعه. و التّنكير كقوله: (زعم البوارح أنّ رحلتنا غدا) و غد.

فالتّقدير فى الرّفع وقت القتال اليوم فحذف المضاف و النّصب بإضمار فعل كأنّك قلت:

القتال وقع اليوم، و إذا كان الفعل مستغرقا للوقت كلّه- فالبصريّون يجيزون فيه النّصب على الظّرف، كما يجيزونه فى غير المستغرق و يدخلون عليه (فى).

و الكوفيّون لا يجيزون فيه النّصب و هذا غلط، و يجعلونه خبرا هو الأوّل، و لا يدخلون فى تقول صيامك يوم الخميس، و الصّوم يستوعب اليوم و يجوز فى قولهم: صمت فى يوم الخميس. و الكوفيّون لا يجوّزون النّصب و يمنعون من إدخال (فى) لأنّها عندهم: توجب التّبعيض، و الصّوم يستوعب اليوم. و قولهم فاسد لأنّ (فى) لا يمتنع دخولها على زمان الفعل و إن قلّ، و يقول: كلّمت فى القوم أجمعين، فيدخل (فى) و قد استوعبتهم الكلام، و امتنع الكوفيون من زيد خلفك أشد منع حتّى قال بعضهم فى قوله: أ لا جبرائيل أمامها إنّ ذلك إنمّا جاز لأنّ جبرائيل لعظم خلقه يملأ الأمام كلّه، و هذا فى التّحصيل خطأ لأنّ الأمام لا نهايه له، و كذلك سائر الجهات. و أجازوا ذلك فى أخبار الأماكن فقالوا: دارى خلفك و منزلى أمامك، و على هذا حمل ثعلب قول لبيد: خلفها و أمامها و إذا تأملت فلا فصل.

الباب الثّامن عشر فی اشتقاق أسماء المنازل و البروج و صورها

و ما یأخذ مأخذها و الکواکب السّبعه و هو فصلان:

فصل [فی بیان معنی] العواء

العواء(۱) یمد و یقصر، و القصر أجود و أکثر، و هی خمسه کواکب کأنّها ألف معطوفه الذّنب و أنشد:

فلم یسکنوها الجزء حتّی أظلّهاسحاب من العوّا و تابت غیومها

و سمّیت العوّاء: للانعطاف و الالتواء الذی فیها، و العرب تقول: عویت الشی ء إذا عطفته، و عویت رأس النّاقه إذا لویته، و فی المثل: ما ینهی و لا یعوی و کذلک عویت القوس و الشّعر و العمامه إذا عطفته. و یجوز أن یکون من عوی إذا صاح کأنّه یعوی فی أثر البرد، و لهذا سمّیت طارده البرد، و یقولون: لا أفعله ما عوی العوّاء و لوی اللّواء. و قال بعضهم:

إنمّا سمّیت العوّاء لأنّها خمسه کواکب کأنّها خمسه کلاب تعوی خلف الأسد و نوؤها لیله.

السّماک و سمّی السّماک الأعزل لأنّ السّماک الآخر یسمّی رامحا لکوکب تقدّمه، یقولون: هو رمحه و قیل: سمّی أعزل لأنّ القمر لا ینزل به، و قال صاحب کتاب الأنواء، ینزل القمر بهذا دون الرّامح و أنشد:

فلمّا استدار الفرقدان زجرتهاو هبّ سلاح ذو سماک و أعزل

و العرب یجعل السّماکین ساقی الأسد و نوؤه غزیر، لکنه مذموم و هو أربع لیال و سمّی سماکا لأنّه سمک أی ارتفع، و قال سیبویه: السّماک أحد أعمده البیت. قال ذو الرّمه:

۱- قال صاحب جواهر الحقائق: العوا هو منزل ثالث عشر للقمر، و السّماک الأعزل هو منزل رابع عشر من القمر، و الغفر منزل خامس عشر له ۱۲ ش.

كأنّ رجليه سماكان من عشرثقبان لم يتفش عنهما النّجب

و بين يدى السّـماك الأعزل أربعه كواكب على صوره النّعش يقال لها: عرش السّـماك و يسمّى الخباء. و قال بعضهم: هو عرش الثّريا يقال: باتت عليه ليله عرشيه قال ابن أحمر شعرا:

باتت عليه ليله عرشيهشريت و بات إلى نفا متهدّد

شربت أى لجّت فى المطر و متهدّد أى متهدّم لا يتماسك.

الغفره و هى ثلاثه كواكب بين زبانى العقرب و بين السّماك الأعزل خفيه على خلقه العوّاء. و العرب تقول: خير منزله فى الأبد بين الزّبانى و الأسد تعنى الغفره، لأنّ السّماك عندهم من أعضاء الأسد، فقالوا: ثلاثه من الأسد ما لا يضرّه الذئب يدفع عنه الأظفار و الأنياب، و ثلاثه من العقرب ما لا يضرّ الزّبانى لدفع عنه الحمه، و هو من الغفره و هو الشّعر الذى فى طرف ذنب الأسد. و قيل سميّت الغفره لأنّها كأنّها ينقص ضوؤها، و يقال غفرت الشى ء إذا غطّيته فيكون على هذا فى معنى مفعول، و يقول: شر النّتاج ما كان بعد سقوط الغفره، و يعدّون ليله نزول القمر به سعدا، و نوؤه ثلاث ليال، و قيل بل نوؤه ليله و أنشد:

فلما مضى نوء الثّريا و أخلفت هواد من الجوزاء و انغمس الغفر

الزّبانى(١) و سمّى زبانى العرب و هما قرناها، كوكبان و هو مأخوذ من الزّبن و هو الدّفع، و كلّ واحد منهما عن صاحبه غير مقارن لها و نوؤها ثلاث ليال و تهبّ معه البوارح و أنشد:

و رفرفت الزّبانى من بوارحهاهيف أنشّت به الأصناع و الخبر

الأصناع محابس الماء و الخبر جمع خبره و هى أرض بها السّدر و يدفع فيه الماء.

الإكليل و هى ثلاثه كواكب مصطفه على رأس العقرب و لذلک سمّيت الإكليل و كأنّه من التّكلل و هو الإحاطه، و منه الكلاله فى النّسب و نوؤه أربع ليال، و هو من العقرب و أنشد نجران العود يصف رفقاءه:

مطرفين على مثنى أيامنهم راموا النّزول و قد غاب الأكاليل

جمع الإكليل كأنّه جعل كلّ كوكب إكليلا ثم جمعه.

القلب: و هو كوكب أحمر نيّر سمّى القلب لأنّه فى قلب العقرب، و أوّل النتاج بالباديه

١- هو المنزل السادس عشر للقمر، ١٢ جواهر.

عند طلوع العقرب، و طلوع النّسر الواقع و يسمّيان الهرارين لهرير الشّتاء عند طلوعهما و نوؤها ليله، ثم يستحسنونها قال:

فسيروا بقلب العقرب اليوم إنّه سواء عليكم بالنّحوس و بالسّعد

(و القلوب) أربعه (قلب العقرب) و (قلب الأسد) و (قلب الثّور) و هو الدّبران و (قلب الحوت).

الشّوله(۱) و سمّيت بذلك لأنّها ذنب العقرب. و ذنب العقرب شائل أبدا، و أهل الحجاز يسمّون الشّوله الإبره، و بعدها إبره العقرب و هى سمّيت فقر يجعلون كلّ كوكب فقره، و السّابعه الإبره. و المجرّه تسلك بين قلب العقرب و بين النّعائم فتقطع نظام المنازل فى هذا الموضع. و فى موضع آخر و هو ما بين الهقعه و الهنعه فإنّها تسلك بينهما، فتعترض نظام المنازل اعتراضا، و هاهنا تقطع القمر و سائر الكواكب الجاريه فى المجرّه، و ذلك حين تنحدر عن غايه تواليها إلى ذروه القبه فتأخذ فى الهبوط، فأمّا قطعها إيّاها عند السّقوط فذلك حين يبتدئ الصّعود بعد غايه الهبوط، و يسمّى الشّوله شوله الصّوره و هى منغمسه فى المجرّه فإذا لم يعدل القمر عن منزله قيل: كالح القمر مكالحه. و معنى شال ارتفع، و يقال:

ناقه شائله إذا ارتفع لبنها. و جمعها شؤل و ناقه شائل: إذا شالت بذنبها و جمعها شؤل و أنشد:

كأنّ فى أذنابهنّ الشّول من عبس الصّيف قرون الأيل

و نوؤها ثلاث ليال و هى كوكبان مضيئان.

النّعائم(۲) و هى ثمانيه كواكب (أربعه) منها فى المجرّه تسمى الوارده لأنّها شرعت فى المجره كأنّها تشرب (و أربعه) خارجه منها تسمّى الصّادره و إنّما سمّيت نعائم تشبها بالخشبات التى تكون على البئر، أو تحت مظلّه الرئيه فكأنّها أربع كذا و أربع كذا كما قال:

لأظلّ فى يدها إلا نعامتهامنها حزيم و منها قائم باق

و نوؤها ليله.

البلده و هى فرجه بين النّعائم- و بين سعد الذّابح- و هو موضع خال ليس فيه كوكب، و إنّما سمّيت بلده تشبها بالفرجه التى تكون بين الحاجبين اللّذين هما غير مقرونين و يقال:

۱- فى الجواهر منزل تاسع عشر للقمر، ۱۲ القاضى محمد شريف الدين الحنفى.

۲- فى الجواهر منزل العشرين للقمر، ۱۲ محمد شريف الدين عفا عنه.

رجل أبلد إذا افترق حاجباه، و نوؤها ثلاث ليال و قيل ليله.

سعد الذّابح و سمّى بذلك لكوكب بين يديه يقال هو شاته التى تذبح و نوؤه ليله.

و أنشد:

ظعائن شمس قريح الخريف من الفرغ و الأنجم الذّابحه

سعد بلع سمّى بذلك لأن الذّابح معه كوكب بمنزله شاته و هذا لا كوكب معه فكأنّه قد بلع شاته. و قال بعضهم: سمّى بلع لأن صورته صوره فم فتح ليبلع. و قال غيره: بل لأنّه طلع حين قال اللّه تعالى: يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ [سوره هود، الآيه: ۴۴] كأنّ انكشاف ذلك الطّوفان فى يومه و نوؤه ليله.

سعد السّعود(۱) و سمّى بذلك لأنّ فى وقت طلوعه ابتداء ما به يعيشون و تعيش مواشيهم و نوؤها ليله و قيل: إنّ السّعد منها فى واحد و هو نهارها و أنشد:

و لكن بنجمك سعد السّعودطبقت أرضى غيثا درورا

سعد الأخبيه(۲) و سمّى بذلك لكوكب فى كواكبها على صوره الخباء و قيل: بل لأنّه يطلع فى قبل الدف ء فيخرج من الهوام ما كان مختبئا، و نوؤه ليله و ليس بمحمود.

فرغ الدّلو المقدّم(۳) و يقال: الأعلى، و بعضهم يقول: عرقوه الدّلو العليا و عرقوه الدّلو السّفلى. و ذكر بعضهم: إنمّا سمّى فرغ الدّلو لأنّ فى وقت الأمطار تأتى كثيرا فكأنّه فرغ دلو و هو مصب مائها. و قال بعضهم: إنمّا سمّى بالعرقوه و الفرغ تشبها بعراقى الدّلو، لأنّها على هيئه الصليب و نوؤه ثلاث ليال، و أنشد فى خريف:

سقاه نوء من الدّلو تدلّى و لم يوار العراقى

و أنشد:

يا أرضنا هذا أوان تحيين قد طال ما حرمت بين الفرغين

و يقال للفرغ النّاهز و هو الّذى يحرك الدّلو لتمتلئ.

۱- فى جواهر الحائق هو منزل الرّابع و العشرين للقمر، و يسمّى متن الفرس.

۲- و فيه هو منزل الخامس و العشرين للقمر و يسمّى جناح الفرس ۱۲.

۳- منزل السّادس و العشرين للقمر و يسمّى جناح الفرس- شريف الدين.

فرغ الدّلو المؤخر(۱): و نوؤه أربع ليال و هو محمود.

الرّشا: و هو السّمكه و يقال: بطن السّمكه و قلب الحوت و يقال لما بين المنازل الفرج. فإذا قصر القمر عن منزله و اقتحم التى قبلها نزل بالفرجه و يستحسنون ذلک إلا الفرجه التى بين الثّريا و الدّبران، فإنّهم يكرهونها و يستنحسونها و يقال لها الضّيقه. قال:

فهلّا زجرت الطّير ليله جئته لضيقه بين النّجم و الدّبران

الشّرطان(۲): و سمّى بذلک لأنهما كالعلامتين أى سقوطهما علامه ابتداء المطر، و الشّرط العلامه و لهذا قيل لأصحاب السّلطان: الشّرط لأنهم يلبسون السّواد كأنّهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها و يقال: شرطى فى كذا و يقال: إنّهما قرنا الحمل، و هما أوّل نجوم فصل الربيع، و نوؤه ثلاثه أيام و هو محمود غزير.

البطين(۳) و سمّى بذلک لأنّه بطن الحمل و نوؤه ثلاث ليال و هو شرّ الأنواء و أنزرها و قلّما أصابهم إلا أخطأهم نوء الثّريّا.

الثّريا(۴) و يسمّى النّجم و النّظم و هو تصغير ثروى من الكثره و قيل: سميّت بذلک لأنّ مطرها يثرى و يقال: ثرى و نوؤها خمس ليال غير محمود.

الدّبران(۵) و يسمّى التّابع و التّانى و التّبع و الفتيق و حارک النّجم و سمّى الدّبران لأنّه دبر الثّريا أى صار خلفها، و يسمّى المجدح و المجدح حكاهما الشّيبانى و قال الأموى هو المجدح و نوؤه ثلاث ليال و قيل: بل هو ليله و هو غير محمود.

و قد فسّر بعضهم ورد القطاه إذا استمال التّبع على أنّه الدّبران و مما يحكى عنهم من كلامهم: كان كذا حين خفق المجدح يعنونه. و قال بعضهم: إنّما قال: مجدح إذا اتّصل نوؤه بنوء الثّريّا فغزر و يقولون: سقيت بمجاديح السّماء و أرسلت السّماء مجاديح الغيث.

فإن قيل: أ تقول لكلّ ما دبر كوكب الدّبران؟ قلت: لا أقول ذلک لأنّه قد يختص الشى ء من بين جنسه بالاسم حتّى يصير علما له، و إن كان المعنى يعمّ الجمع على ذلک قولهم النّابغه فى الجعدى و الذّبيانى و ابن عباس فى عبد اللّه و أنشد:

۱- قال فى جواهر الحقائق منزل السابع و العشرين للقمر، و يسمّى بطن الحوت.

۲- الشّرطين منزل أوّل للقمر ۱۲.

۳- و فيه أيضا البطين منزل الثانى للقمر.

۴- المنزل الثالث.

۵- المنزل الرابع للقمر ۱۲ القاضى محمد شريف الدين.

وردن اعتسافا و الثّريّا كأنّهاعلى قمّه الرأس ابن ماء محلق

يدفّ على آثارها دبرانهافلا هو مسبوق و لا هو يلحق

الهقعه(۱) و سمّيت بذلك تشبيها بهقعه الدّابه: و هى دائره تكون على رجل الفارس فى جنب، و يقال فرس مهقوع و كانوا يتشاءمون بها و هى ثلاثه كواكب تسمّى رأس الجوزاء، و نوؤه ست ليال، و لا يذكرون نوءها إلا بنوء الجوزاء و هى غزيره مذكوره و تسمّى الأثافى لأنها ثلاثه صغار متعينه. و قال ابن عباس لرجل طلّق امرأته عدد نجوم السّماء يكفيك منها هقعه الجوزاء. و هى ثلاث.

الهنعه(۲) و هى منكب الجوزاء الأيسر و سمّيت بذلك الأيسر من قولهم: هنعت الشى ء إذا عطفته و ثنيت بعضه على بعض فكأنّ كلّ واحد منهم منعطف على صاحبه. و منه الهنع فى العنق، و هو النّواء و قصر و نوؤها لا يذكر و هو ثلاث ليال إنمّا يكون فى أنواء الجوزاء، و يقال: سميّت الهنعه لتقاصرها من الهقعه و الذّراع المبسوطه و هى بينهما منحطّه عنهما، و يقال: أكمه هنعاء إذا كانت قصيره و تهانع الطّائر الطّويل العنق مقاصره عن عنقه.

الذّراع: ذراع الأسد و له ذراعان مقبوضه و مبسوطه و نوؤها خمس ليال و قيل ثلاث ليال، و هو أقلّ أنواء الأسد محمود غزير. و المقبوضه هى اليسرى سمّيت مقبوضه لتقدّم الأخرى عليها، و هى الجنوبيه و بها ينزل القمر و كلّ صوره من نظم الكواكب، فميامنها ممّا يلى الشّمال، و مياسرها مما يلى الجنوب لأنّها تطلع بصدورها ناظره إلى المغارب فالشّمال على أيمانها، و الجنوب على أيسارها و قد فهم ذلك القائل، و النّجوم التى تتابع باللّيل وقتها ذات اليمين ازورار و إنمّا ازورارها على أيمانها إطافه منها بالقطب لذلك قال:

و عاندت الثّريّا بعد هدءمعانده لها العيّوق جار

و أحد: كوكبى الذّراع الغميصاء و هى التى تقابل العبور و المجرّه بينهما. قال أبو عمر:

و هى الغميصاء و الغموص و قد يكبّر فيقال: الغمصاء و يقال لكوكبها الآخر الشمالى المرزم، مرزم الذّراع و الآخر فى الجوزاء قال:

و نائحه صوتها رابع بعثت إذا خنق المرزم

و يروى إذا ارتفع المرزم. و مرزم الجوزاء لا نوء له، و قد ذكر بالنوء على سبيل الشّعريين قال:

۱- الهقعه: المنزل الخامس للقمر.

۲- الهنعه: المنزل السادس للقمر- شريف.

جرى راحتاک جرى المرزمين متى تنجدا بنو لى ثغور

و من أحاديثهم: كان سهيل و الشّعريان مجتمعه، فانحدر سهيل فصار يمانيا و تبعته العبور عبرت إليه المجره، و أقامت الغميصاء، فبكت لفقد سهيل حتى غمصت و الغمص فى العين نقص و ضعف.

النّثره: و هى ثلاثه كواكب و سمّيت النّثره لأنّها مخطه يمخطها الأسد كأنّها قطعه سحاب، و يقولون: بسط الأسد ذراعيه ثم نثر و يجوز أن تكون سمّيت بذلک لأنّها كأنّها من سحاب قد نثر و النّثره الأنف و نوؤها سبع ليال.

الطّرف: سمّيت بذلک لأنهما عينا الأسد و يقال: طرف فلان أى رفع طرفه فنظر.

قال: إذا ما بدا من آخر اللّيل يطرف و نوؤه ثلاث ليال.

الجبهه: جبهه الأسد و نوؤه محمود سبع ليال، و يقولون: لو لا نوء الجبهه ما كانت للعرب إبل.

الزّبره: زبره الأسد أى كاهله، و قيل: زبرته شعره الّذى يزبئر عند الغضب فى قفاه أى ينتعش، و هذا ليس بصحيح، لأنّ ازبأرّ من الرّباعى و الزّبره من الثلاثى و سمّيت الخراتان من الخرت، و هو الثقب كأنهما تنخرتان إلى جوف الأسد و هذا غلط لأنّ رأى العين يدركهما فى موضع زبره الأسد. و نوؤها أربع ليال.

الصّرفه: و سمّيت بذلک لأنّ البرد ينصرف بسقوطها، و قيل: أرادوا صرف الأسد رأسه من قبل ظهره، و يقال: الصّرفه ناب الدّهر؛ لأنّها تفترّ عن فصل الزّمان، و أيّام العجوز فى نوئها، و هو ثلاث ليال، و حكى عن بعض الأعراب أنّه قال: الخراتان مع الأسد تجريان معه و ليستا منه. قال: و معنى قول الشّاعر:

إذا رأيت أنجما من الأسدجبهه أو الخرأه و الكتد

و إن رأيت الخرأه من غير أن يكون جعلها شيئا من خلقه، ثم قال و الكتد فرجع إلى ذكر ما هو من خلقه فهذه المنازل.

فصل فى بيان الكواكب السبعه

و أمّا النّجوم الخنّس الجوارى الكنّس: فمعنى الخنّس أنّها تخنس أى ترجع و معنى الكنّس أنّها فى بروجها كالوحش تأوى إلى كنسها، و هى سبعه مع الشّمس و القمر سيّاره غير أنّ بعضها أبطأ سيرا من البعض، فكلّ ما كان فوق الشّمس فهو أبطأ من الشّمس، و ما كان

دون الشّمس فهو أسرع من الشّمس بينا ترى أحدها آخر البروج كرّ راجعا إلى أوّله، و لذلک لا ترى الزّهره فى وسط السّماء أبدا و إنّما تراها بين يدى الشّمس أو خلفها، و ذلک أنّها أسرع من الشّمس، فتستقيم فى سيرها حتى تجاوز الشّمس، و تصير من ورائها، فإذا تباعدت عنها ظهرت بالعشاء فى المغرب فترى كذلک حينا ثمّ تكرّ راجعه نحو الشّمس حتى تجاوزها فتصير بين يديها، فتظهر حينئذ فى الشّرق بالغدوات. و هكذا هى أبدا، فمتى ما ظهرت فى المغرب فهى مستقيمه، و متى ما ظهرت فى المشرق فهى راجعه و كل شى ء استمرّ ثم انقبض: فقد خنس، كما أنّ كلّ شى ء استتر فقد كنس.

زحل(۱): و اشتقاقه من زحل مزحلا- إذا بعد، و يقال: زحلت النّاقه إذا تباطأت فى سيرها و تأخرت و هو معدول عن زاحل و زاحل معرفه.

المشترى(۲) و هو من شرى البرق إذا استطار لمعانا، و يقال: شرى و شرى و منه استشرى غيظا و يقال: شرى يشرى إذا لجّ و تشدّد و منه سميت الشّراه لتشدّدهم فى الدّين.

و قال بعضهم: إنما تسمّوا بالشّراه ذهابا إلى قول اللّه تعالى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّهَ [سوره التوبه، الآيه: ۱۱۱].

المريخ(۳): فقيل من المرخ كأنّه يورى نارا لأنّ المرخ شجر سريع الورى و من أمثالهم: فى كلّ شجر نار. و استمجد المرخ و العفار، و يجوز أن يكون سمّى به لبعد مذهبه، و منه المرّيخ السّهم الخفيف الرّبع قذذ يجعل للغلاء و هو بعد الرمى و يقال: هو من غلوه السّهم.

الشّمس(۴): قال الخليل: الشّمس عين الضح. و به سمّيت معاليق القلاده و قيل هو من المشامسه لأنّها نحس فى المقارنه و إن كانت سعدا فى النظر و منه شمس لى فلان إذا ظهرت عداوته.

۱- قال صاحب الجواهر: مده دوره حول الشّمس مره فى عشره آلاف و سبع مائه و تسع و خمسين يوما و ساعتين.

۲- و فيه أيضا مده دور المشترى حول الشّمس مره فى أربعه آلاف و ثلاث مائه و اثنتين و ثلاثين يوما و أربع عشره ساعه.

۳- فى الجواهر دور المرّيخ حول الشّمس مره فى ست و ثمانين يوما و ثلاث و عشرين ساعه. ۱۲ القاضى محمد شريف الدين عفا عنه.

۴- فى جواهر الحقائق قطر الشّمس(۸۸۳۲۴۶) ميلا. ۱۲.

الزّهره(۱): بفتح الهاء من الشّـى ء الزّاهر، و يكون من الحسن و البياض جميعا. و الزّهور تلألؤ الشّـمس. و منه قولهم: زهرت بك زنادى.

عطارد(۲): من الاضـطراب: لأنّه فى مرأى العين كأنه يرقص و هو من قولهم: شاء عطرد أى بعيـد و كـذلك سـفر عطرد، و يجوز أن يكون سمّى به لأنّه لا يفارق الشّمس فكأنّه عدّه لها، و العطرده العده يقال: عطرد هذا عندك، أى عده.

القمر: من القمره و هى البياض، و يقال: تقمرت الشـى ء إذا طلبته فى القمراء. و قال أحمـد بن يحيى: إنمّا سـمّى القمر (ساهورا) لأنـه يخسف بالسّاهره، و السّاهره الأرض، قال اللّه تعالى: فَإِذا هُمْ بِالسَّاهِرَهِ [سوره النازعات، الآيه: ۱۴] أى أرض القيامه، و ذلك أنّ القمر خسوفه بظل الأرض و حجزها بينه و بين الشّمس. و قال قطرب: بهور القمر علوّه فى الظّهور و أنشد:

إذ فارس الميمون يتبعهم كالطّلق يتبع ليله البهر

(و الكوكب الدّرّى) منسوب إلى الدّر لضيائه، و إن كانت الكواكب أكثر ضوءا من الدّر كأنه يراد: يفضل الكواكب لضيائه كما تفضل الدّر سائر الحب و درى بلا همزه و بكسـر أوّله حملا على وسطه و آخره لأنّه تثقل عليهم ضمه بعدها كسره. و ما آن كما قيل كرسـى فى الكرسـى و درّى فقيل من النّجوم الـدّرارى التى تـدرأ: أى ينحط و يسير متـدافعا. يقال: درأ الكوكب إذا تـدافع منقضا فيضاعف ضوؤه و لا يجوز أن يضم الدّال و يهمز، لأنّه ليس فى الكلام فعيل.

و مثـال: درّى فعلى منسوبـا إلى الـدّر و يقال: درأ بضوئه يـدرأ درأ و دروا و درأت له بساطا: أى بسـطته، و يجوز درى إذا جعلته منسوبا إلى إندر، فيلحقه تغيّر النّسـبه، لأنّ النّسـبه تغير لها الكلمه كثيرا، و يقال: كسـفت الشّـمس و كسـفها اللّه و خسف القمر و خسـفه اللّه، و طلعت الشّـمس، و نجم النّجم و غربت الشّـمس و صغا القمر و خفق النّجم و صغا أيضا، و يقال: تعرّضت الثّريّا فى السّماء: إذا زالت عن كبد السّماء إلى ناحيه المغرب، و جنحت الثّريّا قال:

و أيدى الثّريا جنح فى المغارب. و قال آخر:

و كأنّ غاليه تباشرهابين الثّياب إذا صغا النّجم

۱- فى الجواهر دور الزّهره حول الشّمس فى مائتين و أربع و عشرين يوما و سبع عشره ساعه.

۲- دور عطارد حول الشّمس سبع و ثمانين يوما و ثلاث و عشرين ساعه.

الباب التّاسع عشر فی أقطاع اللّیل- و طوائفه- و ما یتّصل به و یجری مجراه

قال یعقوب: یقال: فعلته أوّل اللّیل و هو من عند غیبوبه الشّمس إلی العتمه و العشاء من صلاه المغرب إلی العتمه، و یقال: أتیته ظلاما و عشاء و بعد عشوه من اللّیل، و العتمه:

وقت صلاه العشاء الآخره.

قال الخلیل: العتمه و یقال العتمه بسکون التاء: الثّلث الأوّل من اللّیل بعد غیبوبه الشّفق، و له قبل صلاه العتمه، و العتوام التی تحلب فی تلک السّاعه، و إنّما سمّوها العتمه من استعتام نعمها، و یقال: حلبناها عتمه و عتمه و العتمه بقیه اللّبن یغبق به تلک السّاعه یقال: أفاقت النّاقه إذا جاء وقت حلبها، و قد حلبت قبل ذلک.

و قال الأصمعیّ: عتم یعتم إذا احتبس عن فعل الشی ء یریده و قد عتم قراه و أعتمه و إنّ قراه لعاتم أی بطن محتبس، و صف عاتم، و عتم أورد إبله فی تلک السّاعه و أعتم صار فیها.

قال أوس: أخو شرکی الورد غیر معتّم.

و حکی ابن الأعرابی: قالت الینمه: أنا الینمه أعبق الصّبی قبل العتمه، و أکبّ النّمال فوق الأکمه. و الینمه: بقله تشبه الباذروج، قال: و کلّما کثرت رغوه اللّبن کان أطیب لبنا من المضارع، یقول درّی یتعجل للصّبی و ذلک أنّ الصّبی لا یصبر و المراعی أطیب، و أمّا فوره العشاء فعند العتمه، یقال: أتیته فوره العشاء و عند فوره العشاء، و إنّما هو من فار الظّلام إذا علا و ارتفع. أبو عبیده: أتیته ملس الظّلام أی حین یختلط الظّلام بالأرض، و ذلک عند صلاه العشاء و بعدها شیئا، و فعلته عند ملس الظّلام، و هو مثل الملث، و عند غلس الظّلام أیضا، و دمسه و جنحه و غسقه. و أتیته فی غسق اللّیل، و حین غسق اللّیل أی فی اختلاط و حین اختلط. ثم الشّمیط و هو مشبه بالشّیب لبیاض الفجر فی سواد اللّیل کالشّیب فی الشّعر الأسود، و یقال: غسق یغسق غسوقا و غسقا. قال تعالی: وَ مِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ [سوره الفلق، الآیه: ۳].

و قال كعب: حتّى إذا ذهب الظّلام و الغسق. و يقال: تحنـدس اللّيل من الحندس و هو شدّه سواد اللّيل و ظلمته، و الجمع حنادس و حناديس. قال: و أدركت منه بهيما حنـدسا، و ليله مـدلهمّه و ملطخمّه و خداريه. و قالوا: القتره: الظّلمه مع الغبار، و فى القرآن: تَرْهَقُها قَتَرَةٌ [سوره عبس، الآيه: ۴۱] و يقال: مضى جرس من اللّيل بالسين غير معجمه، و الجميع أجراس و جروس قال:

حتّى إذا ما بركت بجرس أخذت عشىّ و نفعت نفسى

و مضى عنك من اللّيل، و عنك و الجميع أعناك قال:

فقاموا كسالى يلمسون و خلفهم من اللّيل عنك كالنّعامه أقعس

أى طال، و انحنى: أقعس.

قال يعقوب: و سمعت أبا عمرو يقول: العنك ثلث اللّيل الباقى، و أعطيه عنكا من مال أى قطعه، و يقال: سجا اللّيل و أسجى، قال تعالى: وَ الضُّحى وَ اللَّيْلِ إِذا سَجى [سوره الضّحى، الآيه: ۱- ۲]. و يقال: يوم أسـجى، و ليله سـجواء، و هى اللّينه السّاكنه، و بعير أسـجى، و ناقه سـجواء أدمه، و يقال: مضى ملى من اللّيل و الجميع أملاء، و مضى هدء و الجمع هدوء، و مضى بضع من اللّيل، و هنى ء من اللّيل: قطعه، و مضـى هزيع من اللّيل أى ساعه و الجميع هزع. و قال بعضـهم: الهزيع من اللّيل النّصف، و يقال: اهتزعوا أى خرجوا بهزيع من اللّيل. و جرش من اللّيل بالشّين المعجمه.

قـال يعقـوب: و حكى الفرّاء: جئته بعـد جـوش من اللّيـل، و جـوشن من اللّيـل. قـال إذ الـدّيك فى جوشن من اللّيـل أطر. و قـال بعضهم: الجوشن: وسط اللّيل. قال ذو الرمه:

تلوم نهياه بياه و قد مضى من اللّيل جوش و اسبطرّت كواكبه

و قال ابن أحمر شعرا:

يضى ء صبيرها فى ذى حىّ جواش ليلها بينا فبينا

أى قطعه من الأرض بعـد قطعه، و قال: جواشن هـذا اللّيل كى يتموّلا. و بقيت جهمه من اللّيل، و جهمه أيضا، و الجهمه: بقيه من سواد اللّيل فى آخره. قال الأسود شعرا:

و قهوه صهباء باكرتهابجهمه و الدّيك لم يتعب

و حكى: جهنه من اللّيل بالنون، و قال بعض أهل اللّغه: جهينه اسم الخمره منها يشـتق. و قال بعضـهم: الجهمه السّحر. و حكى أبو حـاتم، و الهجمه لغه فيهـا الهاء قبل الجيم و الفعل عنها اجتهم و اهتجم و اجتهن، و مضـى وسع من اللّيل يكون من أوّله إلى ثلثه أو

ربعه. و جوز من اللّيل أى نصف من اللّيل، و الجميع: أجواز، و قال: النّضر جوز اللّيل:

وسطه. و يقال: انطلقنا فحمه العشاء، و الجميع فحمات أى فى أوّل الظّلمه. و قال بعضهم:

فحمه العشاء شدّه الظّلمه، و يقال: فحموا من اللّيل أى لا تسيروا فى أوّل اللّيل حتى تذهب فحمته، و أفحموا أيضا و كأنّه مأخوذ من الفحم.

و قال ابن الأعرابى: الفحمه ما بين غروب الشّمس إلى نوم النّاس، سمّيت فحمه لحرّها و أوّل اللّيل أحرّ من الآخر. قال: و لا تكون الفحمه فى الشّتاء و ذلك لأنّه لا حرّ فيفحمهم، و إنما يفحمون ليكن الحر عنهم فيسيرون ليلتهم و قيل: فحمه العشاء من لدن المغرب إلى العشاء الآخره.

و قال أبو صالح الفزارى: فحمه العشاء: من لدن العشاء إلى نصف اللّيل، يقال:

أفحم القوم إذا أناخوا فحمه اللّيل. و جاءنا بعد هجعه من اللّيل أى نومه، و مضت جزعه من اللّيل أى ساعه من أوّله، و صبه من اللّيل نحو جزعه و كما استعملا فى أوّل اللّيل استعملا فى آخره أيضا فقيل: بقيت جزعه من اللّيل و بقيت صبه من اللّيل.

و حكى النّضر: أتيته بسدفه من اللّيل. و مضى طبق من اللّيل: أى هوى منه و جاء بسحره بدهمه. و جاء سحيرا: أى فى آخر الليل و جاء بأعلى سحرين أى: بالسّحر الأعلى.

قال الدّريدى: العرب تقول: جئتك بالسّحر بالألف و اللّام، و جئتك بسحر و بسحره، و بأعلى السحرين، و جئتك سحر، و لم ينوّنوا فيقولون: سحرا أصلا، و الكلام فى هذا و أشباهه قد مضى مستقصى.

و حكى الأصمعىّ عن أبى عمرو بن العلاء قال: ليس فى كلام العرب: أتانا سحرا إنّما يقولون: أتانا بسحر. و يقول: جئتك تنفّس الصّبح أى عند أوّله. و فى القرآن: وَ الصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ [سوره التكوير، الآيه: ۱۸] و قد جشر الصّبح يجشر جشورا أى: بدا لك. و منه سمّيت الجاشريه للشّربه عند الصّبح، و يقال: جئتك فى غبش اللّيل و الغبش حين تصبح.

قال: منظور الأسدى:

موقع كفّى راهب يصلّى فى غبش اللّيل أو التّثلى

و قيل الغبش: بقيه لم يفضحها نهار، قبيل الفجر، و يقال: أتيته بغبش من اللّيل، و يقال: غبش اللّيل و أغبش. و غطش و أغطش، فأمّا العسعس و العسعسه فهما تنفّس الصّبح، و قالوا: عسعس اللّيل عسعسه إذا أظلم.

و قال بعضهم: عسعس ولّى فهذا من الأضداد، و هو قول ابن عباس قال: عسعس:

أدبر. و قال علقمه بن قرط:

حتّى إذا للصّبح لنا تنفّساو انجاب عنها ليلها و عسعسا

و قال آخر:

وردت بأفراس عتاق و قتبهقوارط فى أعجاز ليل معسعس

كأنّه أراد هاهنا الظّلمه، و مثله فى المعنى:

قواربا من غير دجن نسامدّرعات اللّيل لمّا عسعسا

و البلجه: فى آخر اللّيل عند الصّبح، و التّنوير: عند الصّلاه قال:

طال ليلى أراقب التّنويراأرقب الصّبح بالصّباح بصيرا

قال النّضر: جئته بعد ما مضى و هن من اللّيل أى ساعه، و بعد هدء من اللّيل. و قال بعضهم: الموهن حين يدبر اللّيل. و أوهن الرّجل: صار فى تلك الساعه. و بعد هدأه من اللّيل و بعد ما هدأت الرّجل. و بعد ما هدأت العيون، و قالوا: تعجس من اللّيل و هو الفريع و السّعواء بعد الوهن، قال: و قد مال سعواء من اللّيل أعوج. و يقال: مضى هيتاء من اللّيل، و قطع. قال: سرت تحت إقطاع من اللّيل ظلتى. و السّاعه الطّويله ملأ، و يقال: أتيته غطشا و يغطش. و مضى سبج من اللّيل أى: قريب من وسطه و نصفه. أبو زيد: مضى اللّيل عشوه و هو ما بين أوّل اللّيل إلى ربعه. الكسائى: مضى سعو من اللّيل و سعواء من اللّيل أى:

ساعه. و مضى هتأ من اللّيل، و حكى الأحمر: هتى و هتأ من اللّيل.

و حكى قطرب و غيره: ذهب هيتاء من اللّيل، و يقال: ما بقى إلا هتأ عن غنمهم أو إبلهم، و هو الأوّل من الأقل من الباقى أو الذّاهب. و يقال: مضى دهل من اللّيل أى صدر، و أنشد لأبى هجيمه شعرا:

مضى من اللّيل دهل و هى واحدهكأنّها طائر بالدّود مذعور

و يقال: مضى مهواء من اللّيل أى طائفه منه. و مضى مهوان من اللّيل: أى هوى منه.

و يقال فى واحد الإناء من قول اللّه تعالى: آناءَ اللَّيْلِ* [سوره آل عمران، الآيه: ۱۱۳] مضى آنى و آنى و إنى و إنى. قال الهذلى شعرا:

حلو و مر كعطف القدح مرته فى كلّ آنى قضاه اللّيل ينقل

و يقال: تصبصب اللّيل و هو أن يذهب إلّا قليلا. و فعلته عند تصبصب اللّيل. و كذلك أبهار اللّيل إذا ذهب عامّته. و بقى نحو من ثلثه. قال الأصمعيّ: أبهار اللّيل انتصف.

و البهره: الوسط من كل شى ء. و بهره الصّدر ما ضمّ الصّدر من الزّور و جمعها بهر. و قيل:

ابهيراره طلوع نجمه، و ذهاب فحمته، حتى بهرت نجومه سواده. و الشّفق بقيه ضوء الشّمس و حمرتها من أوّل إلى قريب من العتمه، و يقال: فعلته عند غيبوبه الشّفق، و هما شفقان من أوّل اللّيل كما أنّ الفجر فجران من آخر الليل. و الهبه السّاعه يبقى من السّحر و يقال: ثرنا بهبه من اللّيل. قال أبو نصر حكايه عن الأصمعىّ: الفجر أوّل ضوء تراه من الشّمس فى آخر اللّيل كما أنّ الشّفق آخر ضوء منها فى أوّل اللّيل. و يقال: فجر الصّبح يفجر أو فعلت هذا حين انفجر الصّبح و انفلق. و سطع سطوعا و السّاطع أسنى من الطّالع. يقال: أدلجنا عند الفلق و الفرق، و عند الانفلاق، و فى القرآن: أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ [سوره الفلق، الآيه: ۱].

و قال قطرب: تميم تقول: فرق الصّبح، و غيرهم فلق الصّبح، و الفلق أيضا الطّريق بين الجبلين، و ناشئه اللّيل: ما ينشأ منه، و من ذلك قولهم: غلام ناشئ و نشأت سحابه، و فى القرآن: إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً [سوره المزّمّل، الآيه: ۶] أى أشد مكابره، و من قرأها و طاء أى مواطأه من قولك تواطأ القوم: إذا اجتمعوا على أمر كان أحدهم يطأ حيث يطأ صاحبه. و النّشيئه مثل النّاشئه، و يقال فى الجاريه: نشيئه أيضا أحوالها فى النّشاء و النّشيه أيضا حجر يكون على الحوض من قوله: هرقناه فى بادى النّشيه داثر. و عمود الصبح نفسه.

و الصّديع الصّبح. قال: كأنّ بياض لبّته صديع. و إيضاح الفجر و إيضاحه إضاءته و استنارته.

و أصله: الانشقاق و منه: انضاحت العصا أى انشقّت، و أدلجنا ببلجه أى سرنا بسدف قبل طلوع الفجر، و تبلّج الصّبح و انبلج، و فى المثل تبلّج الصّبح لذى عينين، و جئتك عند البهر، أى حين بهر الصّبح ضوء القمر، و يقال: قمر باهر و أنشد:

و قد بهرت فما تخفى على أحدإلا على أحد لا يعرف القمرا

و الأسفار أن يرى موقع النّبل، و يقال: أتيته فى سفر الصّبح و الفجر، و أتيته سحريه.

و يقال: وردت الماء بالغطاط أى: قبل طلوع الفجر. و فعلت كذا عجيس اللّيل و عجاساء اللّيل، و عجبس اللّيل أى آخر اللّيل. و منه قيل: تعجس عن كذا أى تحبس و تأخّر. و يقال:

جئتك غلسا و جئتك جنح اللّيل، و قد جنح جنوحا. و جئتك عند تهوّر اللّيل و توهّره. و ذلك إذا مضى إلّا قليلا. و التّهور فى اللّيل: كالمثل و التّشبيه. قال يعقوب: مضت قويهه من اللّيل، أى قطعه و هذا من قولهم: قوّه الصّيد إذا جاشه إلى مكان. و مضى سهواء من اللّيل:

أى بعد ما مضى صدره، و أصله الانبساط و الاتساع، و منه السّهوه الصّفه. و السّاهيه ما اتّسع و استطال من غير حمر برد العين. و الرّويه الطّائفه من اللّيل. و قالوا: الصّريم أوّل اللّيل و آخره جميعا لأنّه من الأضداد. و قال بعضهم: إنّما وقع عليهما لأنّه اسم لما يتصرّم من كلّ واحد منهما عن صاحبه قال:

فلمّا انجلى عنها الصّريم و أبصرت هجانا تسامى اللّيل أبيض معلما

و قال آخر:

علام تقول عاذلتى بلوم يؤرّقنى إذا انجاب الصّريم

و الدّيسق: النّور و البياض و يقال: انشقّ الصّبح عن ريحانه الفجر أى نسيمه. و يقال:

صبح مكذب و هو عجز اللّيل أى آخره، و ذلك إذا نهض بياض فى عجز اللّيل ثم ينمحى و يندجى عجز اللّيل، ثم يمهل ساعه، ثم يظهر شميط الصّبح و هو بياض فى سواد آخر اللّيل، و ذلك الصّبح المسدف و قال أبو ذؤيب:

شغف الكلاب الضّاريات فؤاده فإذا ترى الصّبح المصدق يفزع

و الخيط الأسود هو عجز اللّيل ثم يشق خيط اللّيل عن خيط النّهار، فيقال: هذا خيط الصّبح و فى القرآن: حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ [سوره البقره، الآيه: ۱۸۷] و من ذلك قول الرّاجز: (مرّت بأعلى سحرين تذأل) و أعلى سحرين هو قبل الصبح. أبو حاتم يقال: قد شقّ الصّبح- و صدع- و سطع- و انفلق- و تنفس- و جشا- و جشّ- و ذلك إذا طلع و وضح، و يقال: شقّ حاجب الصّبح، و إذا طلع حاجبه و هو أوّله فذلك تباشير الصّبح، و يقال: أذن الصّبح و منادى الصّبح و هما الصّبح بعينه. و بعضهم يقول: بل هو الطائر إذا نطق لا بان الصّبح و الصّبح- و الفجر- و الصّريم واحد و يقال كشط اللّيل عنا غطاءه- و رفع اللّيل عنّا اكتنافه. و الاهتجام من آخر اللّيل. و قال بعضهم: هى الهجمه. و قال بعضهم: الجهمه الجيم قبل الهاء، و ذلك الاجتهام و الجهمه و العسجه سواء و هما من السّحر. و يقال: أتيته بأغباش السّواد- و الواحد غبش قبيل الصّبح- قال ذو الرّمه:

أغباش ليل تمام كأنّ طارقه تطخطخ الغيم حتّى ماله جوب

و قال ابن الأعرابى: علباء مضر تقول ولدته لتمام، فتفتح التاء و تميم تكسر، و يقال:

فى كل لغه ليل التّمام بالكسر، و ذكر الأصمعىّ أنّه لا يكسر التّاء إلا فى الحمل و اللّيل، و عقب اللّيل بقايا آخره و يقال: أتيته و قد بقيت علينا عقب من اللّيل- و أفراط اللّيل أوّل تباشيره، و الواحد فرط، و منه الفارط الذى سبق القوم إلى الماء فأمّا قول الهمدانى:

إذا اللّيل دجى و استقلّت نجومه و صاح من الإفراط هام جواثم

فقد اختلفوا فيه فقال بعضهم: إفراط الصّبح: لأن الهام إذا أحس بالصّباح صرخ.

و قال غيره: الفرط العلم المستقدم من أعلى الأرض، الذى يكون شرعا بين أحياء فمن سبق إليه كان له. و ذكر قطرب: يقال لما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس سجسج. و من الزّوال إلى العصر يقال له: الهاجره. و من العصر إلى الأصيل: غروب الشّمس، و يقال العشى. ثم هو القصر و العصر إلى تطفيل الشّمس و هو الطّفل. و الجنوح: إذا جنحت الشّمس للمغيب. ثم اللّيل من وقت غروبها إلى انتصاف اللّيل. الجنح ثم السّدف و الملس و الملث و أتيته بمسى اللّيله أى عند المساء، و أتيته ممسيا و مساء. و حكى الفراء: أتيته ممسى خامسه و مسى خامسه و مساء خامسه، و حين ألقى اللّيل علينا رواقه و كنفيه، و حين ألقى علينا سدوله و سدوره و سقطيه و جلبابه، و دخلنا فى جنان اللّيل و هو ما وراءك. و قال:

جنان المسلمين أو دميساو إن جاورت أسلم أو غفارا

و أسطمه اللّيل وسطه، و كذلك أصطمه القوم و البحر للوسط، و الأكثر، و يقال: اصطم بغيرها، و سوق اللّيل ما دخل فيه و صمّ من شى ء. و فى القرآن: وَ اللَّيْلِ وَ ما وَسَقَ [سوره الانشقاق، الآيه: ۱۷] و يقال: أتانا حين هدأت القدم، و حين هدأ السّامر، و جئتك بغطاش من اللّيل. قال أبو حاتم: هو من قوله تعالى: وَ أَغْطَشَ لَيْلَها [سوره النازعات، الآيه: ۲۹] و ثبج اللّيل و حومته و لجه معظمه.

و حكى الدّريدى: خرجنا بدلجه- و دلجه- و بلجه- و بلجه- و سدفه- و سدفه- و يقال:

دبر- و أدبر- و قبل النّهار- و أقبل- و حكى أبو عمرو عن ثعلب عن ابن الأعرابى قال: يقال هو اللّيل- و الأيهم- و السّد- و الأبهم- و الجمير- و الأعمى- و الأدهم- قال: و من نعوته و نعوت ظلمته: الغاضى- و المغضى- و الأسود- و الأدلم- و الأخضر- و الأصبغ- و الأقتم- و الأكلف- و البهيم- و الدّيجور- و الدّجوجى- و الغيهب- و المخم- و أطلس- و أطحل- و الأسجع- و السّاجى- و الغيهبان- و الحذارى- و الحندس- و الأغضف- و الأغلف- و الأغطش- و الغاسق- و الكافر- و العافى- و الرّويزى- و السّمر- و الأغم- و الأسهم- و السّاهم- و الأحلس- و الأغدف- و المغدف.

و من أسمائه: الغشى- و الأروق- و الأخطب- و الألمى- و الأحوى- و المدلهم- و الأحم- و الغاطى- و الجان- و المخب- و الأقوس- و الجول- و العمس- و العكامس و العكس- و العكابس- و الحلبوب- و الحلكوك- و الدّامس- و الدّاماء- و هو من أسماء البحر يشبه اللّيل به- و ذو السّدود- و الأغبس- و الأسحم- و الأعشى- و الأغشى- و الغطاط- و الأغطى- و يقال: الغطاط عند السّحر الأعلى- و يقال أيضا: أتيته بغطاط أى بشى ء من سواد

اللّيـل و المعلنكس- و المعرنكس- و العسـكره الظلمه- و المطخطـخ- و قسوره اللّيـل شـدّته و غسوه- و الطّرمساء- و الطّلمساء- للظّلمه فی السّحاب و هی من الضّباب أیضا. و قالوا:

غباشـیر اللّیـل و النّهـار لمـا بینهمـا من الضّوء. و التّباشـیر العمود نفسه و یقـال: أدمس اللّیل أی أظلم، و یقال للظّلمه: الغیطله. قال الفرزدق: و اللّیل مختلط الغیاطل ألیل.

ابن الأـعرابی: قیـل فی مثل یا هادی اللّیل جرت فالبحر أو الفجر یرفعان و ینصـبان، و المعنی إنمّا هو الهلاک أو یری الفجر کنّی عن الهلاک بالبحر. و یقال: اغتمد لیلتک أی سـر و اجعلها غمدا لک. و هذا کما یقال: اتّخذ اللّیل جملا و امتطاه. و یقال: اغتمد أیضا.

و الطّراق أیضا اللّیل- و تطارقه تراکمه. و یقال: آتیتک طوی من اللّیل أی بعد ما مضت ساعه و کذلک أتیتک قویمه من اللّیل.

الباب العشرون فی أقطاع النّهار و طوائفه– و ما یتّصل به و یجری مجراه

قال النّضر: النّهار من طلوع الشّمس و لا یعدّ ما قبل طلوعها من النّهار و جمعه أنهره و نهر. و قال الخلیل: هو ضیاء ما بین طلوع الشّمس یحدیه حتی تحلّ صلاه الضّحی.

و غزاله الضّحی أوّلها یقال: أتانا فی غزاله الضّحی و هو أوّل الضّحی أی مدّ النّهار الأکبر.

فأمّا رأد الضّحی فحین یعلوک النّهار حتی یمضی منه نحو الخمس، و یقال: أتیته ضحیا و رادا و قد ترادت الضّحی و ترادها و تزیلها و ارتفاعها و جئتک فی فوعه النّهار و هی أوّله.

و حکی بعضهم فوعه کلّ شی ء أوّله و فوعه، و کذلک فیعته و فیعه. و منه کان ذلک عند أوّل فوعه أوّل شی ء، و أتیته مدّ النّهار، و هو بعد الرّأد و أتیته مدّ النّهار الأکبر. و جئته حین ذرّ قرن الشّمس، و حین بزغت و شرقت و أشرقت، فالشّروق الطّلوع، و الإشراق الانبساط و الإضاءه و فعلته حین ترجّلت الضّحی، و النّهار و هو علّوه و اختلاطه.

و أتیته غدوه و بکره، و هما لا یصرفان لأنّ غدوه علم، و بکره نحوها: و إنّی لآتیته فی البکره– و آتیه بکرا و آتیه غدوه بکرا، و أتانی غدوه باکره– و المبکر ما جاء فی أوّل وقت و کذلک الباکر. قال:

ألا بکرت عرسی بلیل تلومنی

و فی الحدیث: «بکّروا بصلاه المغرب» و یکون الغداه أصله ذاک أیضا. و منه باکوره الرّبیع و التّبکیر أوّل الصّلاه. و فی الحدیث: «من بکر و ابتکر» فبکر یکون لأوّل ساعات النّهار. و قال ثعلب: و یجوز فی قوله ابتکر أی أسرع إلی الخطبه حتی یکون أوّل دان و سامع، کما یقال: ابتکرت الخطبه و القصیده أی اقتضیتها و ارتجلتها ابتداء لم أرو فیها.

و قول الفرزدق شعرا:

إذا هنّ باکرن الحدیث کأنّه جنی النّخل أو أبکار کرم تعطّف

أراد أنّها حملت أوّل حملها. و يقال: أتانا بعد ما متع النّهار الأكبر، يريد بعد ما علا النّهار و استجمع النّهار. و ذكر بعضهم: متع النّهار متوعا إذا ارتفع، و ذلك قبل الزّوال.

و انتفح النّهار و ذلك قبل نصف النّهار، و فى قبل النّهار أى فى أوّله و فى الضّحاء الأكبر.

و أتيته شدّ النّهار، و ذلك حين ارتفع النّهار. قال عنتره:

عهدى به شدّ النّهار كأنمّاخضب اللّبان و رأسه بالعظلم

بالعندم. و يروى مدّ النّهار. و أتيته كهر النّهار. و قال الشّاعر:

و إذا العانه فى كهر الضّحى دونها أحقب ذو لحم زيم

و قال ابن أحمر فى نحر النّهار:

ثم استهلّ علينا و اكف همع فى ليله نحرت شعبان أو رجبا

و حكى قطرب: (الجون) النّهار. قال و الجون فى لغه قضاعه الأسود و فيما يليها الأبيض. و فعلته فى شباب النّهار- و فى نحر النّهار- و فى وجه النّهار- و فى هادى النّهار، و هادى كلّ شى ء مقدمه- و فى القيظ الهاجره- و هو قبل الظّهر بقليل، و سمّيت هاجره، لأنّ السّير يهجر فيها، و جعل الهجران للوقت على المجاز، و يقال: هجر القوم و تهجّروا أى ارتحلوا بالهاجره. و أهجروا دخلوا فى الهاجره. و الظّهيره نصف النّهار فى القيظ حتى تكون الشّمس بحيال رأسك فتركد. و ركودها أن تدوم حيال رأسك كأنّها لا تريد أن تبرح.

و أتيته فى فرع النّهار: أى فى أوّله، و حكى: بئس ما أفرعت أى ابتدأت. و الفرعه أول نتاج النّاقه. و يقال: أفعل هذا فى تلع الضّحى أى فى ارتفاعها. و يقال: تلع النّهار: أى ارتفع. و تلع الظّبى أخرج رأسه من الكناس و أتلع رأسه فنظر. كما يقال: طلع و أطلع.

و أتيته حدّ الظّهيره و فى نحر الظّهيره قال:

حدّ الظّهيره حتى ترحلوا أصلاإنّ السقاء له رمّ و تبليل

و جئته فى الظّهيره و عند الظّهيره و بعضهم يجعله على تصرّفه من الظّهور و بعضهم من الإظهار و هو شدّه الحر، و حكى أبو سعيد السّكرى يقال: صلّينا عقب الظّهيره، و أعقاب الظّهيره أى تطوعا بعد الفريضه. و جئت فى عقب النّهار إذا جئت و قد مضى و كذلك عقبانه، و جئت فى عقبه و معقبا إذا جئت و قد بقيت منه بقيه.

و أتيته عند اصمقرار الظّهيره: أى حين اصمقرّت الشّمس و صخدت. و زرته بالهجير، و عند آخر الهجير قال العجّاج شعرا:

كأنّه من آخر الهجيرقرم هجان همّ بالغدور

و الهجير فعيـل بمعنى المفعول و كما قالوا: هاجره على المجاز قيل هجير على التّحقيق أيضا. فأمّا تأنيث الهاجره فكان. المراد بها، و بأمثالها السّاعه. و أمّا التّذكير حيث جاء فلان:

المراد به الوقت- و قولهم: الهجير لو أريـد به السّاعه لألحقوا به الهاء بعد أن قطع عن الموصوف، و سلك به طريق الأسـماء كما لحق بقوله البيّنه و هى الكعبه و اللّقيطه و ما أشبههما.

و أتيته بالهجير الأعلى، و فى الهاجره العليا: يريد فى آخر الهاجره. و أتيته بالهويجره و ذلك قبل العصـر بقليل، و أتيته هجرا. قال الفرزدق:

كأنّ العيس حين أنخن هجرامفقّأه نواظرها سوام

و يقال: أتيته حين قام قائم ظهر، أى فى الظهيره، و أتيته حمى الظّهيره و حين صخدت الشّمس و أزمعت بالركود، و أظهر فلان و خرج مظهرا أى داخلا فى الظّهيره و ظهر فلان: نزل فى الظّهيره و به سمّى الرّجل مظهرا.

و أتيته صـكّه عمى و أعمى: أى نصف النّهار إذا كادت الشّـمس تعمى البصـر و قد يصـرف فيقال: عمى. و رواه أبو عمرو عمى على فعيل، و هذا على أنّه تصـغير أعمى مرخّم مثل زهير و سويد، من أزهر و أسود. و معنى صـكه أى كأن الشّمس تصكّ وجه ملاقيها، و لو قيل:

صكه أعيم لكان على الأصل. الأصـمعى القائله النّزول و الحطّ عن الدّواب و الاسـتظلال، و يقال: أتانا عند القائله و عند مقيلنا، و عند قيلولتنا، و رجل قائل و قوم قيل. قال العجّاج:

إن قال قيل لم أكن فى القيل

و الغـائره: الهـاجره عنـد نصف النّهـار و غوّر القوم: نزلوا فى الغـائره، و يقـال: أتيته عنـد الغـائره: يريـد عنـد آخر القائله. و حكى الأصـمعىّ: غوروا بنا فقـد رمّضـتمونا، و يقال: ارتحلوا فقد غوّرتم أى أقمتم و نمتم، و الأصل الحط عن الدّواب و النّزول. و نزلنا دلوك الشّـمس، و ذلك حين تزول عن كبـد السّـماء و دلكت أيضا غابت، و قال اللّه تعالى: أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ [سوره الإسراء، الآيه: ۷۸] فهذا حجه فى الزّوال، و أنشد الدّريدى حجه فى الغيبوبه:

هذا مقام قدمى رباح غدوه حتّى دلكت براح

أى غـابت الشّـمس فصـارت فى المغرب فستر عنه براحته، قـال أبو بكر: هـذا قول الأصـمعى، و احتـجّ بقوله: ادفعهـا بـالرّاح كى تزحلفـا. يقال: نزلنا سـراه النّهار أى: ارتفاعه، و نزلنا عنـد مـدحض الشّـمس و قـد دحضت الشّـمس تـدحض دحوضا و دحضا و ذلك إذا كان بين الظّهر الأولى و العشى ما سفل من صلاه الأولى و بعد العصر الأصيل.

و أتيتك عشيه أمس آتيه العشى ليومك الذى أنت فيه و سآتيه عشى غد بغير هاء، و كنت

آتیه بالعشی و الغداه و غدوا و عشیا أی کلّ غداه و عشیه و آتیه عشاء طفلا و ذلک عند مغیب الشّمس، حین تصفر و ینقص ضوؤها(۱).

قال لبید: و علی الأرض غیابات الطّفل، و قد طفلت الشّمس إذا دنت للمغیب.

و یقال: أتیته مرهق العشاء أی حین أتانا، و قد أرهق اللّیل و أرهقنا القوم لحقونا، و أرهقتنا الصلاه: أی استأخرنا عنها. و قال أبو زید: أرهقنا الصلاه أی: أخّرناها حتی یدنو وقت الأخری.

و زرته قصرا و مقصرا: أی عشیا، و قد أقصرنا: أی أمسینا. قال:

فأدرکهم شرق المروراه مقصرابقیه نسل من بنات القراقر

و قد أصلنا و أتینا أهلها موصلین.

و قال الأصمعی: أتیته أصلا و أصیلا و أصیله و الجمع أصائل و آصال.

قال أبو ذؤیب:

لعمری لأنت البیت أکرم أهله و أقعد فی أفیائه بالأصائل

و قال الأسدی: من غدوه حتی دنا فی الأصل. قال تعالی: بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ* [سوره الأعراف، الآیه: ۲۰۵] [سوره الرّعد، الآیه: ۱۵] [سوره النّور، الآیه: ۳۶]. و قال یعقوب: أتیته أصیلانا و أصیلانا و هو تصغیر أصیل علی غیر القیاس کما صغّروا عشیه عشیشیه و عشیه و عشیشیانا و عشیانا کلّ هذا بمعنی العشیه قال:

عشیشیه و اللّیل قد کاد یستوی علی وضح الصّحراء و الشّمس مطرف

و قد قالوا: أتیته مغیربان الشّمس و مغیربانات. و قال بعضهم: کأنهم جمعوا أصیلا علی أصلان کما تقول: بعیر و بعران ثم صغّروا أصلان فقالوا: أصیلان ثم أبدلوا من النّون لاما فقالوا: أصیلال، و التّصغیر فی الأزمان علی طریق التّقریب علی ذلک قولهم: قبیل الزّوال و العصر و بعیدهما. و کذلک یجی ء فیما یکون من الأماکن ظرفا نحو: دوین و فویق و تحیت. فأما الجمع فمردود علی أجزائه کأنّه یجعل کلّ جزء من أجزاء العشیه عشیه، و لا

۱- قال العلامه جلال الدین السیوطی رحمه اللّه فی کنز المدفون و الفلک المشحون: إنّ من ساعات النّهار الذرور- ثم البزوغ- ثم الضّحی- ثم الغزاله- ثم الهاجره- ثم الزّوال- ثم الدّلوک- ثم العصر- ثم الأصیل- ثم الصّبوب- ثم الحدور- ثم الغروب- و یقال فیها أیضا البکور- ثم الشّروق- ثم الإشراق ثم الراد- ثم الضّحی- ثم المتوع- ثم الهاجره- ثم العصر ثم الأصیل- ثم

الطّفل- ثم الغروب. ١٢ القاضى محمد شريف الدين عفا عنه.

يمتنع أن يكون جمعه على ما حوله من الأوقات كما قالوا: ضخم العشاءين، و كما أنّهم يقصدونه بما حوله من الأوقات فيجمعونه كذلك يقصدونه مجردا من غيره فيقولون: جئته ذات العشاء، يريدون السّاعه التى فيها العشاء لا غير، و هذا حسن، و يقال مسى خامسه و ممسى خامسه، و مساء خامسه، و مسيان أمس، و مسى أمس و جئته صبح خامسه و مصبح خامسه، و آتيك ممسى اللّيله أى عند المساء قال:

يا راكبا إنّ الأثيل مظنهمن صبح خامسه و أنت موفّق

و حكى يعقوب: لقيته بالضّمير و هو غروب الشّمس من قوله:

ترانا إذا أضمرتك البلاديخفى و يقطع منّا الرحم

و من قول الآخر: أعين لابن ميّه أو ضمار.

و يقال: جئته مرمض البحير، و هو من قولهم: رمضت الغنم رمضا: إذا رعت فى شدّه الحر فتحين رئاتها و أكبادها فتقرح، و رمض الرّجل أحرقته الرّمضاء، و هم يرمضون الظّباء أى يأتونها فى كنسها فى الظّهيره فيسوقونها حتى تفسح قوائمها فتصاد. و فى الحديث:

«صلها إذا رمضت الفصال» و هو وقت تقوم من مواضعها لتؤذيها بالحر. و يقال: فعلته عند متضيّف الشّمس للغروب.

و فى الحديث: «يؤخّرون الصّلاه إلى شرق الموتى» و فسّر على أنّه إذا ارتفعت الشّمس عن الحيطان و صارت بين القبور كأنها لجه و قيل: هو أن يمصّ الإنسان بريقه عند الموت كأنّه يريد لا يبقى من النّهار إلا مقدار ما بقى من نفس ذلك. و يقال: أتيته بشفا أى بشى ء قليل من ضوء الشّمس. قال الرّاجز:

أشرقته بلا شفاء أو بشفاو الشّمس قد كادت تكون دنفا

و حكى ثعلب عن ابن الأعرابى: القصر بعد العصر، و القصر أيضا فإذا كان بعد ساعه فهو الظّهيره، فإذا كان بعد ذلك فهو الأصيل، فإذا كان بعد ساعه و هو الطّفل فإذا كان بعد ذلك فهو العرج(١) (حتّى إذا ما الشّمس همّت بعرج) و (التّضمير) الدّخول فى الضّمير، يقال: ضمرنا و أضمرنا و ضمّرنا و قصرنا و أقصرنا، و قصّرنا، و عرجنا و أعرجنا و عرّجنا فإذا كان بعد ذلك فهو التّضيف. فإذا كان بعد ذلك فهو الشّفق و هو الأحمر، فإذا غابت الشّمس و ظهر البياض فى تلك الحمره فهو الملث، فإذا اسودّت الدّنيا قليلا فهو المقسوره. فإذ اسودّ أشد من ذلك فهى الفحمه، فإذا جاءت العتمه فهى العتم.

١- فى القاموس العرج محركه غيبوبه الشّمس- القاضى محمد شريف الدين.

و ذكر الدّريدى الرّيم من آخر النّهار و اختلاط الظلمه، و هذا يجوز أن يكون من ريم الجزور، لأنّه آخر ما يبقى منه و يأخذه الجارز. قال:

و كنت كعظم الرّيم لم يدر جازرا

و حكى ابن الأعرابى: انصرفوا برياح من العشى، و أرواح من العشى إذا انصرفوا و عليهم بقيه من النّهار و أنشد لرفيع الوالبى الأسدى:

و لقد رأيتك بالقوادم نظرهو علىّ من سدف العشىّ رياح

و بيان هذا الذى قاله أنه يقال: هبّت لفلان ريح الدّوله، و السّلطان فكان المراد:

و انصرفوا و للعشى سلطان. فأمّا الشّاعر فإنّه جعل السّدف كنايه عن الشّباب و السّواد بدلاله أنّه قال بعد هذا البيت:

خلق الحوادث لمتى فتركن لى رأسا يصلّ كأنّه جماح

و قال بعض أصحاب المعانى: يقال: إنى على بقيه من رياح: أى أريحيّه و نشاط و هذا يقرب ما قلنا.

و (فواق) من الزّمان مقدار ما بين الحلبتين و فى القرآن: ما لَها مِنْ فَواقٍ [سوره ص، الآيه: ۱۵].

و الصّريم: يقع على اللّيل و النّهار لأنّ كلّ واحد يتصرّم عن صاحبه و قوله تعالى:

فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ [سوره القلم، الآيه: ۲۰] قيل: كاللّيل المظلم و قيل: كالنّهار أى لا شى ء فيها كما يقال سواد الأرض و بياضها، فالسّواد الغامر، و البياض الغامر، و قيل: كالصّريم:

أى المصروم المقطوع ما فيه و يقال: ما رأيته فى أديم نهار و لا سواد ليل.

و يقال: ابتلجا ببلجه و بلجه و ذلك قبل الفجر، و قد تبلج الصّبح. و فى المثل: تبلج الصّبح لذى عينين. و انبلج أيضا. أبو زيد يقال: انتصف النّهار و لم يعرفوا الأنصاف، و قد أباه الأصمعى، و قال: لا يقال الأنصف، و أنشد للمسيّب بن علبس شعرا:

يمدّ إليها جيده رميه الضّحى كهزّك بالكفّ البرى المدوّما

يعنى بالبرى القدح إذا سوى و لم يرش و تدويمه ثباته فى الأرض.

و حكى الفرّاء عن المفضل قال: آخر يوم من الشّهر يسمّى ابن جمير بضمّ الجيم، و قال ابن الأعرابى: هو ابن جمير بالفتح، قال الفرّاء و أنشدنا المفضّل:

و إن أغاروا فلم يحلوا بطائلهفى ظلمه من جمير ساوروا العظما

يعنى الذّئب و العظماء جمع عظيم و أنشد الأصمعيّ:

نهارهم ليل بهيم و ليلهم و إن كان بدرا فحمه بن جمير

و يقال: هو اللّيله التى لا يطلع فيها القمر، و روى بعضهم بيت الأعشى:

و ما بالذى أبصرته العيون من قطع بأس و لا من فنن

و قال: معناه و لا من قرب يقال: سعى فننا و فنا أى ساعه.

و مما حكى لا يبيتنّ أحدكم جيفه ليل قطرب نهار. القطرب: دويبه تقطع نهارها بالمجى ء و الذّهاب.

و من أمثالهم: دلهمس اللّيل برودا المنتجع، يقال لمن يغيب عن فراشه فى غاره أو ريبه و ما يجرى مجراها، برودا المضجع: أى لو كان أويا الفراش لكان سخنا، و كذلك قوله: دلهمس أى ليله أبدا مظلم لأنّه لصّ.

و يقال: أقصر الرّجل كما يقال: أمسى و أقصر إذا أخّر أمره إلى العشى، أو جاء فى ذلك الوقت. قال: حتى إذا أبصرته للمقتصر، و قصر الشّى ء غايته هو الأصل. قال: كلّ من بان قصره أن يسيرا.

و يقال: بات فلان بليله القدّ بالدّال و الذّال جميعا، و هو القنفذ، و يقال: إنه لا ينام لذلك قال شعرا:

قوم إذا دمس الظّلام عليهم حدجوا قنافذ بالنميمه تمزع

و يقال: ما بقى من النّهار إلا نوّه حتى كان كذا أى ساعه. و منه ذهب توّا أى: منفردا.

و ممّا يجرى مجرى المثل قوله: أسائر اليوم و قد زال الظهر. أى: أ باقى اليوم من سير يسير و سار يسير أى بقى فكأنّه قال: أ تنتظر حاجتك غابر يومك و قد مضى أكثره و لم يقض لك.

و يقال: لقيته غارضا باكرا من الغريض الطّرى.

و يقال: لقيته غدوه غدوه و بكره بكره، و إنه ليخرج غديه و بكيره غير مصروف و أتيته فى سفر الصّبح، و فلقه و فرقه، و لقيته عند التّنوير و الإناره، و أتيته حين الصّبح و حين صدع.

و يقال: أتيته أمسيه كلّ يوم، و أصبوحه كلّ يوم، و صبحه كلّ يوم و صباحه كلّ يوم، و أتيته فى فناء النّهار و ذكائه، و روق النّهار، و فى ريقه و أنشد ابن الأعرابى:

و الله لا و بيض دمج أهون من ليل قلاص تمعج

مخارم اللّيل لهنّ بهرج حتى ينام الورع المزنج

و قـد يقـال: محـارم الليل بالحاء غير معجمه، و هى مخاوف اللّيل يحرم على الجبان أن يسـلكها. (و الدّمـج): و المـدجه الخلق. و تمعج: تغدو، يهرج أى يقطمه و يبطله و المزنّج النّسل: الذى ليس بتام الحزم.

و قال و يقال: أتيته بالغدايا و العشايا، و جاز الغدايا لاقترانه بالعشايا، و جمع غداه:

أغديه و أغديات، و عشاء و أعشيه و أعشيات. و يقال: غديه و غديات، و عشيه و عشيات، و ضحيه و ضحيات. قال:

ألا ليت شعرى من زياره أمسيه غديّات صيف أو عشيّات أشتيه

كذا رواه ابن الأعرابى، و غيره يرويه غديات، و يقال: أتانا عشوه و عشاوه و ذلك عند غروب الشّمس.

تم الجزء الأول و يتلوه الجزء الثانى، و أوله: «الباب الحادى و العشرون» فى أسماء السماء و الكواكب و الفلك و البروج

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.

وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام

تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة

تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات

توسیع عام لفکرة المطالعة

تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:

مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥
هاتف المكتب في طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١
قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

